أضواء على الحركة النسائية المعاصرة

مقالات ودراسات

روز غريّب

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

جميع الحقوق محفوظة

لمعهد الدراسات النسائية في العالم العربي
كلية بيروت الجامعية

الطبعة الأولى ١٩٨٨

مقـــدمـة

المقالات التي يضمّها هذا الكتاب سبق نشرها بين أواخر الثلاثينات وأوائل الثمانينات، في صحف ومجلات مختلفة، ذكرت أسماؤها في ذيول النصوص. وهي رغم تفرقها وتباعدها في الزمان والمكان، تدور حول موضوع شامل، موضوع الحركة النسائية التي هزت جمود القرن العشرين وتصدت لرجعيته الحافلة بالمتناقضات وكبت الحريات. ولعلها الظاهرة الوحيدة المشرقة في أجواء هذا القرن الذي لم يحمل إلى العالم، بصورة عامة، إلاّ الكوارث والحروب وأشباح الجوع والفناء.

إن المرأة التي تدور حولها هذه المقالات ليست من رواسب القرن التاسع عشر ولا هي صنيعة خيال الشعراء الذين رفعوا لها عرشاً من الألفاظ البراقة. لكنها المرأة التي تكاد تكون مجهولة في أوساط الأدب وفي المجتمعات التي يغشاها أهل الطبقات المميّزة. المرأة التي تعمل بصمت في بيتها، في الحقل أو في المصنع، تقضي يومها في نكش الأرض وسقيها، في إعداد الأطعمة، في تربية الأطفال، في حياكة الملابس والأغطية، في السهر على المريض والعناية به. تشارك في إعالة الأسرة أو تنفرد في تحصيل نفقاتها، تدير برامج الإسعاف والعمل الاجتماعي، تعقد مؤتمرات التخطيط للمستقبل وتقتحم مصاعب العمل في بيئة يسيطر عليها الرجل الذي قلما تلقى منه إنصافاً وتشجيعاً.

هدف الحركة النسائية المعاصرة تبديل نظرة المجتمع إلى المرأة، ونظرة المرأة

إلى نفسها، بالقضاء على التقاليد والأساطير التي تكبت شخصية المرأة وتعزلها عن مجتمعها. لنأخذ مثلاً القول التالي لأديب إسحق، أحد شعراء النهضة:

إنما المرأة مرآةٌ وما تبصر فيها هو منك ولَك
فهي شيطانٌ إذا أفسدتها وإذا هذَّبتَها فهي مَلَك

هذا القول وإن حوى مقداراً من الصحة، يجعل المرأة عجينة في يد المربّي وصورة طبق الأصل لصورته المنعكسة في مرآته. والصواب أن لا ينفرد بالتربية شخص واحد يجعل الفتاة أو الفتى صورة منقولة عن صورته. لأن التربية يجب أن تكون عملية مشتركة يسهم فيها الأهل والمعلمون والمعلمات والمجتمع والبيئة كما يشارك فيها الولد نفسه، ذكَراً كان أم أنثى، الذي له حق الاختيار والتخطيط، لذلك لا بد من تدريبه على الاستقلال الذاتي الذي يطلق مواهبه ويعوده درس نفسه وتكوينها وتنميتها. من جهة أخرى، يحمل هذا القول دعوة إلى التمييز بين الجنسين في التربية، مع ما في هذا التمييز من ضرر يَلحق بشخصية المرأة والرجل معاً، فالمرأة، مهما كان توجيهها، لا يمكن أن تكون شيطاناً صِرفاً ولا ملاكاً صِرفاً، لكنها إنسان كغيرها من البشر، لها عيوبها وضعفاتها التي تحاول التحرر منها، وطاقاتها التي تسعى إلى استغلالها، وفضائلها التي تتعهّد بتنميتها، إنها سيّدة نفسها كما أن الرجل سيد نفسه.

عدا الدعوة إلى اعادة النظر في التقاليد والأساطير المتعلّقة بالمرأة، تقدم هذه المقالات في قسمها الأول، وصفاً موجزاً للحركة النسائية، جذورها وتطورها، كما جرى عرضها بأقلام بعض أقطاب الحركة. القسم الثاني يتناول شخصية المرأة والتطور الذي طرأ عليها، أو ننتظر أن يطرأ عليها، بفضل التوجيه الحديث. أمّا ما بقي فيحاول إظهار انتشار الحركة النسائية في أقطار العالم وتعاون النساء للعمل الجماعي المشترك وبث وسائل التوعية لمشاكلهن من خلال المنشورات والمؤتمرات والمبادلات الثقافية.

لا يخفى أن هذه المقالات تفتقر إلى التركيز والربط المحكم. وليس مستغرباً أن تتعرض فيها بعض الأفكار للتكرار، ولا مستبعداً أن نجد مقالتين متباعدتين في الزمان تعالجان موضوعاً واحداً، لتظهرا ما طرأ، ـ أو ما لم يطرأ ـ عليه من

تغيير. لكننا حاولنا في جمعها الغربلة والاختيار، والتزمنا التبويب والتنسيق وأدرجنا المقالات المتقاربة الموضوع في باب واحد وعدّلنا العناوين بشكل يدل على المضمون ويرشد القارىء والقارئة إلى الموضوع الذي يرغبان في الاطّلاع عليه.

ميزة أخرى لهذه المقالات انها تجتنب، على قدر الامكان، التعميمات والأقوال الجارفة ذات اللهجة الخطابية. تعتمد على التجربة التي نعيشها وتستوحي الدراسات العلمية التي يقوم بها «معهد الدراسات النسائية في العالم العربي» ومراكز أخرى مماثلة، تؤلف العمود الفقري للحركة النسائية المنتشرة في العالم. لذلك كان اهتمامنا بنشر عدد من المقالات النموذجية، المبنية على دراسات سابقة، دليلاً على أهمية اعتماد الأسلوب العلمي لمن يريد الخوض في موضوع المرأة وحاجاتها ومنجزاتها. فالخطب الرنّانة والمقالات الشعرية خسرت في عصرنا قوة الاقناع، والحركة النسائية الحاضرة جاوزت طور الخطب والمظاهرات ودخلت طور البحث العلمي الرصين، في مراكز التوثيق، في معاهد التعليم العالي، في مراكز الدراسات المنتشرة حديثاً في الشرق والغرب حيث تعتمد طريقة البحث المقتبسة من أساليب المختبرات والعمليات الرياضية والإحصائية والبيانية وما إليها.

هذه الحركة مظهر يقظة ووعي وثورة واحتجاج لدى النساء كما لدى سواهن من الفئات المغبونة في كل مكان. لكن ثورتهن ترتدي طابعاً سلمياً يعبّر عن صبر وانضباط واتّزان، هذه الفضائل التي اكتسبتها المرأة خلال أجيال وقرون من العمل الصامت، بعد أن علّمتها التجربة أن الكفاح السلمي أفضل من العنف، لا لأن العنف ينافي طبيعتها فحسب بل أيضاً لأنها ترى في احتكام الرجل إلى العنف عملاً مخالفاً للعدالة، مقوِّضاً للحضارة، وهي في موقفها هذا تعطي الرجل درساً في التصرف العقلاني وتبرهن أن مساعدته على التحرر خطوة أساسية مرافقة لتحرُّرها ومعزِّزة له.

روز غريّب

القسم الأول

- ١ -

تاريخ الحركة النسائيّة وتطوّرها

كيف يمكن الفتاة أن تكون عاملاً فعالاً في بيئتها؟

«كانت جمعية «الإخاء» في الجامعة الأميركية في بيروت قد طرحت هذا السؤال على نخبة من سيدات هذه البلاد وساداتها ليجيبوا عنه. ثم عقدت اجتماعاً عاماً كان ممن تكلم فيه صاحبة هذا المقال الذي كان خطابها في ذلك الاجتماع».

المكشوف. ١٣ تشرين الأول (اكتوبر)، ١٩٣٧.

منذ ١٩٣٧ دعت روز غريّب المرأة إلى العمل كوسيلة لتحريرها وطالبت بأن تتسلّح كل إمرأة بمهنة.

إذا ألقينا نظرة فاحصة على حالة الناشئة عندنا نرى أن الحرية المفرطة التي يطلقها الوالدون والمجتمع للشبان يقابلها الإفراط في الضغط والتضييق على الفتاة فكأنهم انتزعوا الحرية من الفتاة، وضاعفوها للفتى. وكل ما يأتيه الشاب من أخطاء وعيوب مغتفر له لأنه شاب. أما الفتاة فيحاسبونها على كل هفوة لأنها فتاة. وهذا دأب الناس منذ القديم فكأنهم لا يعرفون الاعتدال.

لقد عرفت الفتاة في أوضاع شتى ورأيت من استعبادها وخمولها ضروباً وألواناً: عرفت المدللة المتنعمة التي نشأت في بيت النعمة والتقاليد المستحكمة وافتخر أهلها بصونها داخل الأبواب فعاشت مستعبدة للزينة والأزياء لأنه ليس

- ١ -

تاريخ الحركة النسائيّة وتطوّرها

كيف يمكن الفتاة أن تكون عاملاً فعالاً في بيئتها؟

«كانت جمعية «الإخاء» في الجامعة الأميركية في بيروت قد طرحت هذا السؤال على نخبة من سيدات هذه البلاد وساداتها ليجيبوا عنه. ثم عقدت اجتماعاً عاماً كان ممن تكلم فيه صاحبة هذا المقال الذي كان خطابها في ذلك الاجتماع».

المكشوف. ١٣ تشرين الأول (اكتوبر)، ١٩٣٧.

منذ ١٩٣٧ دعت روز غريّب المرأة إلى العمل كوسيلة لتحريرها وطالبت بأن تتسلّح كل إمرأة بمهنة.

إذا ألقينا نظرة فاحصة على حالة الناشئة عندنا نرى أن الحرية المفرطة التي يطلقها الوالدون والمجتمع للشبان يقابلها الإفراط في الضغط والتضييق على الفتاة فكأنهم انتزعوا الحرية من الفتاة، وضاعفوها للفتى. وكل ما يأتيه الشاب من أخطاء وعيوب مغتفر له لأنه شاب. أما الفتاة فيحاسبونها على كل هفوة لأنها فتاة. وهذا دأب الناس منذ القديم فكأنهم لا يعرفون الاعتدال.

لقد عرفت الفتاة في أوضاع شتى ورأيت من استعبادها وخمولها ضروباً وألواناً: عرفت المدللة المتنعمة التي نشأت في بيت النعمة والتقاليد المستحكمة وافتخر أهلها بصونها داخل الأبواب فعاشت مستعبدة للزينة والأزياء لأنه ليس

لها عمل آخر يشغلها. وخضعت للتقاليد والقوانين العائلية الصارمة وأصبحت في الغالب آلة لهوٍ قليلة النفع أو كثيرة الضرر.

وعرفت التي نشأت في بيت متوسط الحال فأرهقها أهلها بأعمال البيت ثم أزوجوها بمن شاؤوا لكي يتخلصوا من إعالتها أو أزوجوها بغني طمعاً في ماله. وعرفت تلك التي قلب الدهر لأهلها ظهر المجنّ فاشتغلت لإسعافهم. وبأي شغل تشتغل وهم لم يعدُّوها للعمل ولم يعلّموها مهنة؟ ومع هذا فقد مارست أحقر الأعمال لمساعدتهم وبذلت نفسها وهم لا يرون لها في ذلك فضلاً لأن التضحية في نظرهم من شأن المرأة وكل ضعيف يضحّى به ويستغلّ.

ورأيتها في المدارس. رأيتها هناك في أحيان كثيرة تكسل وتهمل الدرس ولا ترى لزوماً للتعب لأنها لن تشتغل في المستقبل بل تلقي همها على الزوج وهو يعولها. وإذا تزوجت تبقى لا إرادة لها ولا استقلال فهي ظلّ للزوج يتبعه ويطيعه فتقوم بأشغال بيتها إذا اضطُرَّت إلى ذلك وإلاّ فلماذا الشغل؟

في جميع هذه الحالات لا تخرج حالة الفتاة عن صورتين: إما عاملة مستثمرة لفائدة الأهل والتقاليد، أو عبء ثقيل وعالة على الأهل والزوج والمجتمع.

فما هو الدواء لهذه الحالة؟ يجدر بنا أن نتلمّس سببها في بادىء الأمر، ولا أرى إلاّ أنكم توافقون على أن سببها هو ضعف الفتاة. «الفتاة ضعيفة تحتاج إلى الحماية والتقييد وتحتاج إلى من يعولها. ولأنها ضعيفة فلا بأس من استغلالها أحياناً». هذا هو الجواب.

ولكن أصحيح أنها ضعيفة بالقدر الذي تظنّون؟ كلا ولكن أنتم نشأتموها على الضعف والخمول وأعطيتموها تربية اتكالية عوّدتها الكسل والجبن والخضوع والذل. وأماتت فيها كل روح استقلالية وأفقدتها الطموح والثقة بالنفس وتركتها ضعيفة كما ترون.

ولكن أهم مظاهر هذا الضعف الذي وصلت إليه وأسوأ نتائجه هو عجزها الاقتصادي. هو عجزها عن تحصيل معاشها بنفسها وهو أهم أسباب استعبادها

سواء أكان أهلها فقراء أم أغنياء فهي عالة على الأهل والزوج ولا سبيل لها إلّا الخضوع طالما أنها لا تقدر على العيش بدونهم.

العمل محرِّر المرأة: ضرورة المهنة لكل فتاة

والدواء لكل هذا هو أن ننشىء الفتاة على القوة والثقة بالنفس ونعودها العمل كسبيل للاستقلال لا للاستغلال. فنعطيها ثقافة تعلمها الاعتماد على النفس ونعلمها مهنة تستطيع بها أن تحصِّل معاشها.

الاستقلال الاقتصادي يقيها الإرهاق والاستعباد في بيت أهلها لأنها لا تعود في نظرهم عالة وحملاً ثقيلاً بل تكون مسعفاً في وقت حاجتهم. والمهنة تحرِّرها في بيت زوجها إذ يمكنها إذا شاءت أن تساعده على القيام بنفقات العائلة أو تحل محله إذا أصبح عاطلاً عن العمل. ويمكنها أن تهجره وتحصِّل معاشها بطريقة شريفة إذا أساء الرجل معاملتها.

والمهنة تقيها الفقر والعوز إذا لم تتزوج أو إذا فقدت الزوج. فالمهنة سلاح واجب لكل فتاة.

هذا من الناحية الاقتصادية. أما فضل المهنة والعمل على الفتاة من الناحية الأخلاقية والاجتماعية فلا بد من الإشارة إليه باختصار.

إن الفتاة العاجزة اقتصادياً كثيراً ما تتزوج مرغمة لحاجتها أو للتخلُّص من ضغط والديها. فعواطفها والحالة هذه أسيرة. وكثيراً ما تلجأ إلى الرياء في معاملة زوجها لأنها أرغمت على الزواج منه بداعي الحاجة. أما التي تحصل معاشها بنفسها فلا ترغم نفسها على الزواج برجل لا تريده بل تقبل الزواج مختارة وتكون صلتها بالزوج والعائلة صلة محبة وعطف متبادلين لا صلة نفعية مبنية على المال.

والمهنة فوق هذا تتيح لكل فتاة فرصة الخدمة وتكشف لنا مواهبها الكامنة وتمكِّن المجتمع من الانتفاع بتلك المواهب.

والعمل لا يترك للفتاة وقتاً للإفراط في التبرُّج كأنها لم تخلق لسوى ذلك. والعمل يرقِّي أخلاقها لأنه لا يشعر مع الانسانية المتألِّمة إلّا الذي خبر التعب

والمشقّة. والفتاة إذا خبرت جمع المال بعرق الجبين أصبحت تعرف قيمته فتقتصد في إنفاقه.

هل عندنا نساء عاملات؟

هنا يتبادر إلى أذهاننا السؤال: أليس عندنا نساء عاملات؟ وهل جميع فتياتنا على ما ذكرنا من الخمول والضعف؟ نعم عندنا فئة من العاملات وهنّ على نوعين: أولاً عاملات القرى اللواتي كنّ دائماً عاملات مثل الرجل بل أكثر منه في الأعمال الزراعية والمنزلية المتعبة. وهؤلاء عامةِ أفضل حظاً وأكثر نفعاً من نساء المدن المترفات لأن الفتاة القروية تعرف أنها خلقت للعمل كالرجل فتشاركه في أعماله وإنما يعوزها الوعي والعلم لكي تحسِّن طريقة شغلها وترفع مستوى معيشتها. ولكي يقيها الوعي شرّ الإرهاق والاستغلال في بعض الأحيان.

والنوع الثاني عاملات المدن ولا يزلن فئة قليلة. فمنهن ذوات المهن. ومنهن عاملات المصانع وغيرها، المعرضات للاستغلال حيناً والإرهاق أحياناً لأنهن أقلية محتقرة.

ولكن الأمر الذي نلاحظه هو أن عمل الفتاة عندنا خارج المنزل هو في الغالب اضطراري لا اختياري. فالفتاة عندنا لا تنشأ على العمل. ولا تعمد إليه إلّا بدافع الظروف والحاجة. وغالباً ما تحتقر العمل وتسعى إلى التخلُّص منه. والبرهان على ذلك أنها تتركه حالما تتزوج وتنفق أوقات فراغها في البطالة لأن الشغل عار عليها وعلى الزوج.

لهذا وجب علينا أن نعلِّم كل فتاة مهنة لنفهمها أن العمل أمر مستحب. وأن تحصيل معاشها أمر مطلوب منها كما هو مطلوب من الرجل. وحينئذ لا ترى في الزواج وسيلة للراحة، به تنتهي حياتها، بل فرصة أخرى للعمل. لأن التي درست المهنة وألفت الجد والعمل قبل الزواج يصعب عليها تركه بعد الزواج فتسعى جهدها لمتابعته.

هل تقدر المرأة أن تجمع بين الزواج والعمل؟

عن هذا السؤال نجيب بالنقاط الآتية:

١ ـ إن نساء القرى يجمعن بين شغل الحقل وشغل البيت.

٢ ـ في المدن يسهل على المرأة العمل خارج البيت لسهولة المعيشة وتوافر بيوت الحضانة ووسائل الخدمة.

٣ ـ إذا لم تستطع المرأة أن تعمل طوال النهار يمكنها أن تعمل بعضه في مهنتها.

٤ ـ إن الاتجاه الحديث في التربية هو أن يشارك الرجل المرأة في تربية الأولاد ورعايتهم ويخفف عنها قسماً من الأعباء المنزلية.

٥ ـ إن المرأة التي تقصر شغلها على أعمال البيت لا تصلح للتربية ولا لإدارة البيت لأنه يتحتم عليها أن تخبر المجتمع وتخالطه لكي تدير بيتها وتربّي أولادها وفقاً لحاجات العصر. وكيف تفهم المجتمع وتخبره بسوى العمل والخدمة؟ فإذا لم تعمل في مهنتها عليها أن تنضم إلى الأندية العلمية والأدبية التي تزيدها خبرة وثقافة، والجمعيات الخيرية والاتحادات النسائية التي تسعى لتحسين المجتمع الذي هي فيه لأنه إذا لم يتحسن المجتمع لا يتحسن بيتها.

٦ ـ لا ريب أنه يجب على كل فتاة وامرأة أن تعرف إدارة البيت بصورة عامة. ولكن عليها أن تعرف مهنة واحدة بصورة خاصة. لإن ادارة البيت تتضمن مهناً كثيرة ولا تتيح لها التخصص ولا التفوق في إحداها. وعليه لا نطالب المرأة بأن تتفوق في عمل ما إلاّ إذا أبحنا لها وسائل التخصص في عمل أو فن يناسب استعدادها عدا الأعمال المنزلية المتنوعة.

ماذا تعمل الفتاة؟

وإذا سلَّمنا بضرورة تخصص الفتاة في مهنة ما فلا بد أن نسأل: ماذا تستطيع الفتاة أن تعمل؟

أمامها المهن النسائية التي تناسب النساء أكثر من الرجال كالتمريض وتربية الأطفال، والمهن الحديثة للمتخصصات في الفنون المنزلية.

وأمامها المهن التي تقدر أن تزاولها كالرجل أي المهن الحرة على أنواعها. وأمامها التعليم والخياطة والاستخدام في المكاتب والأعمال الصناعية والزراعية. وأمامها المهن الأدبية كالصحافة والكتابة، والفنون الجميلة التي كان للمرأة فيها قدم سابقة. وقد أحصوا للمرأة في أميركا أكثر من ثلاث مئة مهنة يضيق المقام عن تعدادها هنا، وقد أظهرت المرأة مقدرة في جميعها.

ماذا تعمل الفتاة؟ لقد شاهدت في إحدى مدن لبنان قابلة قانونية تنفق نهارها كاملاً في العمل المستمر وتكاد لا تجد وقتاً للراحة. لماذا؟ لأنها القابلة القانونية الوحيدة في تلك البلدة الكبرى، والبلدة في مسيس الحاجة إلى أكثر من قابلة قانونية وليس بين النساء من يهتم باحتراف تلك المهنة لاعتقادهن أن ذلك يحط من شأنهن...

علينا أن ننظر حولنا لنرى ماذا يمكن للفتاة أن تعمل... أما إذا كانت فتاتنا في غنى عن مزاولة المهنة التي تعلمتها فأمامها الأعمال الاجتماعية كمحاربة الأمراض الروحية وتحسين الأحوال الصحية في محيطها ونحو ذلك مما يدخل في برامج الجمعيات النسائية التي تعتبر في أنحاء كثيرة من العالم قوات هائلة تعمل في سبيل الخير والانسانية العامة.

إن شرقنا فقير إلى عمل المرأة سواء في حقل الفن أم في حقل المنزل أم الأدب أم العلم أم الاجتماع، ولكن المهم تنشئتها على العمل وحينئذ تكتشف هي أبوابه وتتعدد أمامها أساليبه.

وليس من الضروري أن تزاحم الفتاة الرجل في ميدان العمل ولكن من الضروري أن تكون كل فتاة صاحبة مهنة تضمن استقلالها وأن تكون كل فتاة عاملة. وليس من الضروري أن تعمل كل امرأة متزوجة في مهنة خارج بيتها ولكن من الضروري أن تملأ أوقات فراغها بما يفيد بيتها وبيئتها.

وما علينا سوى أن نتيح للفتاة وسائل التثقُّف وفرص الاحتكاك والظهور ونترك للمستقبل أن ينصف المرأة ويحل مشكلة المساواة بينها وبين الرجل.

المكشوف. ١٣ تشرين الأول (اكتوبر)، ١٩٣٧.

المـرأة في الأدوار البـدائيـة

إن تفهُّم أحوال المرأة العصرية يقتضي معرفـة أحوالهـا في العصور الغـابرة، وكيف تطورت حتى وصلت إلى ماهي عليه اليوم.

كثيراً ما يستوقفنا السؤال التـالي: هل كـان وضع المـرأة منذ فجـر التاريـخ مماثلاً لوضعها في العصر الحاضر؟

لقد توصـل الباحثـون إلى الإجابـة عن هذا السؤال بدراسـة آثـار الانسان الفطري وخصوصاً بدرس أحـوال الشعوب البـدائية والقبـائل التي لا تـزال على الفطرة في مختلف أصقاع الأرض، وبمعاينة التطورات التي تمر بهـا هذه القبـائل، وبفضـل الدراسـات العلمية أمكنهم أن يضعـوا في الموضـوع نظريـات تضـاهي نظريات العلوم الطبيعية في الدقة وحسن التحليل.

نعرف من دراساتهم أن النساء في العهود البدائية ـ كنسـاء الشعوب القبليـة التي نعـرفها اليـوم ـ كنّ أقوى أجسـاماً وأطـول قامـات وأصبر عـلى الكفاح من النساء المتحضرات في عصرنا الحالي.

وكانت قوة البنية صفة لا بـد منها في نسـاء تلك العصور، لأن عمـل المرأة كـان شاقـاً يرهق قـواها. فكـانت وظيفة الحمـل والإرضاع عنـدها غـير مقيّـدة بحدود، لا تقف إلّا حين اقترابها من سن الهرم. وكانت إلى جـانب ذلك تقـوم بالأعمال المنزلية الشاقة في ذلك الحين... بينما كان الرجل صياداً رائداً متنقـلاً،

كانت المرأة ترتبط بالمنزل بحكم الوظائف البيولوجية التي جعلتها أقل قدرة على التنقل من الرجل. وتقوم بالصناعات الدقيقة التي تستدعي ضروباً من المهارة والحذق. تبني البيت من طين وحجر أو تحوكه خيمة من شعر. تدبغ الجلود وتهيء منها الملابس، تصنع الآلات اللازمة لعملها، تطبخ اللحوم وتهيء الأطعمة، تنقل الماء وتجرش الحبوب، تعالج المواد الأولية التي يأتي بها الرجل فتصنع الأنسجة والسلال والحصر والبسط وأواني الفخار وتزخرفها بالنقوش والرسوم.

كانت المرأة أول من قام بحراثة الأرض قبل تدجين الحيوانات وأول من زاول المبادلة التجارية وأعمال البيع والشراء.

في هذا الدور كان عمل المرأة أعظم أهمية من عمل الرجل لأنه مزدوج. فهي مصدر النسل الذي تستمر به القبيلة وتقوى، وهي القيّمة على الأرض والقائمة بالأعمال الحيوية التي تضمن للأسرة الكنّ والدفء والغذاء والكساء.

كانت المرأة تستقل بحراثة الأرض وزرعها واستثمارها حين كان الرجل منصرفاً إلى الصيد. والأرض مشاع بين أفراد القبيلة إذ لم يوجد في العصور الفطرية نظام الملكية الخاصة. والمرأة رمز هذه الأرض التي يتوارثها الأحفاد عن الجدود لأنها مثلها مصدر الخصوبة والخيرات وبها تنتقل إلى الأولاد أرواح الأسلاف الماضين.

في هذا الدور كانت المرأة موضوع احترام وتقديس، وكانت معبودات كثير من القبائل إناثاً لا ذكوراً.

وشاع في كثير من الأوساط البدائية ـ كما هي الحالة اليوم ـ نظام اجتماعي يسمى بالنظام الأمومي، بواسطته تبقى المرأة في بيت قومها فينتقل إليها الزوج بدلاً من أن ينقلها إليه، ويقيم عند أهلها لكي تبقى الزوجة متسلطة على الأرض. أما الأولاد فيخصون قبيلة الأم وينتسبون إليها لا إلى الأب. ويرثون خالهم ليبقى الإرث محصوراً في أسرة الأم، هذا في حين أن أباهم يورث أولاد أخته.

ولكن جرى التطور مجراه. اكتشف الرجل أثناء تنقلاته معدن البرونز وبدأ

يصنع منه آلات جديدة لحراثة الأرض، واستطاع أن يدجّن الحيوانات ويسخّرها للأعمال الزراعية بدلاً من المرأة. فبدأ عهد البرونز وعهد رعاية المواشي والزراعة الواسعة النطاق التي أصبحت من مهام الرجل لأنه أقدر على قيادة الثور وتحريك المحراث من المرأة المقيّدة بوظائف الحمل والأمومة.

من ذلك الحين وجد نظام الملكية الخاصة الذي ابتدعه طموح الرجل ونزعته الفردية وميله إلى إثبات وجوده بامتلاك الأرض التي يحرثها، وامتلاك الآلات والمواشي التي يستخدمها. فترك مهنة الصيد وتسلم مهنة الزراعة التي كانت قَبْلاً من اختصاص المرأة واقتنى العبيد لمعاونته ووسّع أعماله بواسطة التجارة البرية والبحرية، فقلّ بذلك عمل النساء وضعف نفوذهن. وأخذ الرجل يشتري المرأة من أبيها مقابل كمية من المال أو الماشية، وأخذ ينقلها إلى منزله بعد أن كان ينتقل إلى منازل قومها. فكان عهد الزواج الأبوي أو نظام الأبوّة الذي يجعل الرجل رأس الأسرة بيده الأرض والماشية والنساء والأولاد. وبدأ تفضيل الذكور على الاناث لأن الآباء أخذوا يحصرون نسبهم في أولادهم الذكور، ويحصرون فيهم ميراث الأرض. أما المرأة فتنتقل عادة بالزواج إلى قبيلة أخرى وتكتسب نسبة جديدة وتخسر كل حق في ميراث أبيها. وكان هذا دأب ذوي الملكيات الواسعة والقبائل التي تعيش من الرعي والغزو، أمثال عرب الجاهلية وسواهم في الأقطار الآسيوية، حتى جاء الاسلام ومنح المرأة نصيباً في الإرث يعادل نصف ميراث الرجل.

في النظام الأبوي ظهر تعدّد الزوجات. ومن البديهي أن يمارسه زعيم كثرت أمواله ومواشيه فاستطاع أن يعول بها نساءً كثيرات. أو يتاح للرجال في بيئات الغزو والحرب، حيث يزيد عدد النساء على الرجال، ويستولي الرجل الواحد على عدد منهن عن طريق السبي. وقد يشيع تعدد الزوجات في بيئة زراعية يحتاج فيها الرجل إلى عدة نساء لمعاونته في أعمال الزراعة حين لا يمكنه اقتناء العبيد.

لكن الغالب أن يقتصر الرجل على زوجة واحدة شرعية يتخذ أولادها الذكور وسيلة لتخليد نسله. ويفرض عليها العفة قبل الزواج وبعده. لأنه لما

كان هو ربّ الأسرة ومعيلها فهو يشترط أن يكون الأولاد صحيحي النسبة إليه. على أنه لا يوجب على نفسه ما أوجبه على زوجته، بل يتخذ الخظايا والجواري ويأبى أن يعامل أولادهن معاملة أولاده الشرعيين.

نرى مما سبق أن منزلة المرأة انحطت خصوصاً في بيئات الحرب والغزو إذ تعرضت للسبي وعجزت عن مجاراة الرجل في أعماله الحربية. وانحطت كذلك في البيئات التي أصبح فيها الرجل ذا أملاك واسعة مكّنته من اقتناء الزوجات العديدات وتدليلهن وحجزهن داخل الأبواب. وحيث مُنعت المرأة من الشغل وأصبحت طفيلية، عاجزة عن الانتاج، أخذت تعزز قيمتها الجنسية وتبرز محاسنها الجسمية بوسائل الزينة والتبرج للحصول على رجل يقوم بإعاشتها.

ولعجزها عن إعالة نفسها، عدّتها الشرائع قاصرة تحتاج إلى وصي وإلى مهر أو بائنة لتأمين معاشها في حال الطلاق أو الترمّل.

ولكن، في كثير من المدنيات القديمة، ظلت المرأة تتمتع بمنزلة سامية، يحسبها بعض الباحثين أثراً من آثار عهد الأمومة. في مصر الفراعنة، كان الأولاد ينتسبون إلى أمهاتهم، والمرأة تعد شريكة الرجل في الحقوق، في الإرث وفي المركز الاجتماعي. كان ذلك في عهد فقدان الملكية الخاصة، حين عدت أراضي مصر ملكاً للملك والكهنة والمحاربين، ولم يكن أفراد الشعب سوى عاملين في الأرض ووكلاء عليها. فكانوا يقسمون مداخيلهم المحدودة بين أولادهم على التساوي من غير تفريق بين الذكور والاناث.

في اسبرطة التي حصرت نشاطها في القوة الحربية، كانت الفتاة تتلقى تربية حربية معادلة لتربية الفتى. ومن ثَم ساوته في مسؤولية القتال والدفاع كما ساوته في الحقوق الاجتماعية.

في رومة حيث ساد النبلاء والملاكون الكبار، ساد النظام الأبوي الصارم الذي يعطي الوالد حق السيطرة التامة على أعضاء الأسرة كما نرى في مسرحية «هوراس» للكاتب كورنيل. فالشرع الروماني قسا على المرأة فجعل لها وصياً يتصرف في شؤونها وميراثها. وحين نزعت عنها الوصاية اخضعتها الدولة لوصايتها. رغم هذا ما لبث أن تطور الشرع الروماني لمصلحة المرأة إذ عدّها

ذات فائدة للدولة لأنها مدبرة البيت ومربية الأولاد ومشاركة زوجها في الأعمال الزراعية، فتمتعت بحرية اجتماعية واسعة، ولم تحبس في مقاصيرها كاليونانية بل كانت تتلقى العلم كالصبيان وتخالط الرجال وتغشى الملاهي والأندية العامة وتؤلف المظاهرات. وكانت في بيتها سيدة ذات سلطة على أولادها وذات نفوذ عند زوجها، لأنها تساوي أخاها في الإرث، لها من أبيها حق الحصول على بائنة ومن القانون حق الطلاق حين تشاء. لكن ثقافتها لم تهيئها للإسهام في الأعمال الخلقية كالرجل، فظلت حريتها محدودة الأثر.

من هذه اللمحة التاريخية يتبيّن لنا أن منزلة المرأة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنوع عملها وأهميته في المجتمع. فقد ارتفعت منزلتها في الأوساط الزراعية البدائية حيث كان عملها ذا قيمة حيوية. وفي العهد الروماني حين أنصفها القانون استناداً إلى أهمية دورها في بناء الأسرة وفي أحوال قليلة أسهمت الأوضاع السياسية والاقتصادية في تحريرها، كما في اسبرطة ومصر القديمة.

ولا تزال العوامل التي ذكرناها تؤثر بالطريقة عينها في وضع المرأة الحالي. فارتفاع منزلتها الاجتماعية وحصولها على الحقوق التي تنشدها مرهونان بقيمتها العملية ومقدار مشاركتها للرجل في الأعمال البنائية. لكنها لن تبلغ المساواة التامة إلّا بتبديل النظام الأبوي الذي يجعل الرجل رب الأسرة، ويفرض على المرأة والأولاد أن يحملوا اسمه، ويمنحه امتيازات يحرمها على المرأة.

الحكمة. العدد ١٢، تشرين الأول (اكتوبر)، ١٩٥٦.

"الفمينيزم" أو نظرية المساواة بين الجنسين

لأندريه ميشيل

مؤلفة الكتاب تدين النظام الأبوي الذي يكرّس سيادة الرجل. وتتطلع إلى نظام جديد يقوم على التعاون بين جميع الأفراد والشعوب، فيحل السلم محل الحرب، والفتوحات العلمية محل المكاسب المالية.

يحدد المعجم كلمة «فمينيزم» في الفرنسية بأنها «المذهب الذي يؤيّد توسيع حقوق المرأة ورفع مكانتها في المجتمع». وفي الانكليزية: «نظرية المساواة بين الجنسين في الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية».

هناك الذين يلصقون بهذه الكلمة معنى ساخراً يشير إلى حركات نسائية تمتاز بالتطرف والضجيج وتقوم على مظاهرات صاخبة تتزعمها نساء مسترجلات يحملن اللافتات والعرائض ولا يخشين استعمال العنف وضروب التهديد للحصول على مطالبهن.

لكن كلمة «فمينيزم» بمدلولها القاموسي هي التي تقصدها الباحثة أندريه ميشيل في كتاب لها يحمل هذا العنوان، نشرته دار «المطابع الجامعية الفرنسية» سنة ١٩٧٩ في سلسلة «ماذا أعرف؟» (Que sais-je?).

يتألف الكتاب من ١٢٥ صفحة من القطع الصغير لكن المؤلفة استطاعت أن تحشد فيه أهم أحداث تاريخ المرأة وكفاحها منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر. معتمدة في بحثها أسلوباً علمياً يستند إلى أوثق المراجع حول

الموضوع، لاسيما تلك التي وضعتها النساء أنفسهن لأنهن أبعد عن الانحياز والخضوع للتقليد من الرجال. وقد تكون أشهرهن في العصر الحاضر أليز بولدينغ صاحبة كتاب يتألف من ٨٢٩ صفحة في تاريخ المرأة، صدر سنة ١٩٧٧ في كولورادو، الولايات المتحدة.

أما المؤرخون الرجال الذين استندت إلى مؤلفاتهم فقد آثرت منهم الانكلوسكسون على اللاتين لأن مؤرخيّ الفريق الأول أقل انقياداً من مؤرخي الفريق الثاني للنظريات والتقاليد التي تبرر استعباد المرأة (ص ٥).

تقول اندريه ميشيل إن البشر في العصور البدائية الأولى: البليوليثية، التي دامت ملايين السنين، كانوا يعتاشون من الصيد والقطاف والزراعة البدائية. لم يمارسوا الحرب إذ شغلوا عنها بالصيد. وكان همهم الأول الاستقرار والعيش الذي يحترم مظاهر الطبيعة ويجاري حركة نواميسها. بذلك اختلفوا عن المجتمعات الصيادة المتأخرة التي عاشت في عهد النظام الأبوي ووصفها المؤرخ ليفي شتراوس في تاريخ «التراكيب البدائية للأبوة» (باريس ١٩٤٧) بقوله: إن القبائل كانت تتبادل النساء وفي ذلك دليل على انحطاط المرأة. ويردّ عليه مؤرخون أحدث عهداً بقولهم: إن التبادل شمل أيضاً الرجال في كلا العصرين، ويضيفون أن توزيع العمل في العصر البليوليثي السابق للعصر الأبوي ارتكز على التعاون والمساواة بين الجنسين وتخيير الأفراد في موضوع الإقامة والانتماء العائلي بحيث لا يكون هذا الحق وقفاً على أحد الجنسين دون الآخر ولا يتاح للواحد أن يسيطر على الآخر.

في تلك العصور الطويلة: العصر البليوليثي والنيوليثي المتقدم الذي جاء بعده (١٠,٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق.م) كانت السيادة للمرأة لأنها مصدر النسل الذي عززه ارتفاع نسبة الوفيات، كانت تتصرف في شؤون الأرض، وبيدها عقد الزيجات وتعيين الرؤساء والأمناء. وهي صاحبة الخيمة والأمتعة المنزلية وفي وسعها طرد الرجل إذا شاءت. وتعتقد الباحثة اليز بولدينغ أن المرأة هي التي اخترعت المِعوَل وانفردت بأعمال الزراعة حول المنزل وقامت بتدجين الحيوانات الأولى فيما كان الرجل منصرفاً إلى الصيد. كذلك يعتقد أن النساء نجحن في

صنع حجارة الرحى لطحن الحبوب واختراع دولاب الخزاف أو الفاخوري وآلات الغزل والحياكة. وقد دلت الآثار الباقية من ذلك العهد على سيادة نظام الأمومة الذي ينتسب به الأولاد إلى الأمهات والأخوال بدلاً من الآباء والأعمام، كما دلت على انتشار عبادة الآلهات ربات الخصب والثروات الطبيعية.

ثم جاء العصر النيوليثي المتوسط (٦٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م) وفيه حدث انفجار سكاني أدى إلى تبديل النظام البدائي السابق. اكتشف الانسان قوة الفدّان والماء والريح وكيفية استغلالها في الزراعة والملاحة. قام باختراع المحراث وتذويب المعادن ومزجها وصنع الأبنية من القرميد أي الطين المشوي. فاحتل مركز المرأة في السيطرة على الحقول والآلات الزراعية الجديدة. وبازدياد المحاصيل ازداد عدد السكان فنشأت المدن. وبظهور الملكية الخاصة والتهالك على جمع المال والأرزاق نشأ النظام الطبقي: الرئيس والمرؤوس، المالكون والعمال، الكهنة والجنود، صغار القوم في خدمة كبارهم.

أخضعت المرأة حينذاك لنظام العشيرة الذي يحصر زواج البنات بأبناء أعمامهن رغبة في إبقاء أملاك القبيلة وقفاً على أعضائها. وبدأ حجز النساء داخل الأبواب واشتدت المنافسة على الأرض والأملاك، فتحولت المرأة إلى آلة نسل تزود أسيادها بالمحاربين والعاملين في الأرض.

في العصر النيوليثي المتوسط زال عهد التآخي بين الانسان والطبيعة فلم يتورع من تشويهها وتحطيم نتاجها وتسخيرها لمشاريعه التوسعية. وأفسدت المطامع علاقته ببني جنسه فأصبحت مبنية على التنافس الذي يحلل الاستغلال والحروب. وأصبحت ظاهرة تشويه الطبيعة تحالف ظاهرة تدهور العلاقات البشرية وانحطاط وضع المرأة.

غير أن المؤرخين يستثنون القبائل الرحالة من ظاهرة استعباد المرأة ويستندون إلى هيرودوتس الذي يتحدث في تاريخه عن نساء القبائل المتحدرات من الأمازونات، اللواتي ساوين الرجال في السلطة ونوع العمل. فحيث تسيطر حياة التنقل والرحيل عند القبائل تحتفظ المرأة بمقدار كبير من الحرية. وينحط وضعها بوجه عام في المدن حيث تلزم البيت أو «القصر المنيف» (كما تقول

ميسون بنت بحدل). وتستسلم لحياة الخمول والتبرج. لذلك تمتعت نساء مصر في العهد الفرعوني بقدر كبير من السلطة والحرية لأن حياة المدن في ذلك القطر لم تصب من الازدهار ما أصابته في الأقطار الأخرى. كذلك من أسباب تسلط المرأة غياب الملكية الخاصة بالرجل لأن الأرض كانت ملكا للدولة.

في عصور متقاربة ظهرت الأديان الثلاثة الكبرى فأقرت النظام الأبوي وكرست شرائعها خضوع المرأة للرجل. وما زال هذا النظام سائداً منذ ثمانية آلاف سنة أي منذ ابتداء العصر النيوليثي المتوسط حتى العصر الحاضر (من ٦٠٠٠ ق.م إلى حوالى ٢٠٠٠م) فكان أبرز ما تميز به رجال هذا العصر انطلاق الغرائز والتهافت على جمع المال وتكديسه واستغلال الواحد منهم لسائر بني جنسه رجالاً كانوا أم نساءً.

لكن المرأة كانت بفضل الشرائع والتقاليد المتراكمة أكثر تعرضاً للاستغلال من الرجل. رغم هذا يؤكد التاريخ أنها طوال تلك العصور لم تتوقف عن الكفاح لأجل العيش والحرية. وأن النجاح حالف فريقاً منهن وإن لم يحالف الجميع.

كانت الكنيسة المسيحية حرمتهن حق الدخول في سلك الكهنوت والأسقفية. فاستعضن عنه بتأسيس الأديرة النسائية وممارسة سلطات إدارية وأعمال ثقافية عظيمة القدر في المناطق التي قامت فيها الأديرة. كان ذلك مدة القرون الأولى للمسيحية حين تمتعت الملكات بنفوذ كبير في البلاطات وسلمهن شارلمان (القرن الثامن) وزارة المالية وإدارة أملاك الدولة.

في عهد الإقطاع (بين القرن العاشر والثاني عشر م) كان عدد كبير من النساء يملكن القصور وما حولها من أراض واسعة ويمارسن الحكم والسلطة في غياب رجالهن المنهمكين في الحروب والفتوح.

في الدولة البيزنطية التي عاشت حتى القرن الرابع عشر نبغت ملكات شهيرات في السياسة وتشييد المباني. وامتازت بعض نساء تلك الدولة بالإدارة والتحصيل الجامعي وكتابة التاريخ. منهن آنا كومينا المؤرخة التي أسست كلية طب ومارست تعليم هذا الفن.

لم تكن المرأة أقل شأناً في الدولة الاسلامية، التي أنجبت نساء متفوقات في الشعر والغناء وأسماؤهن أكثر من أن تحصى. بينهن اللواتي نبغن في السياسة والعلوم الدينية وأعمال البر والإحسان. نذكر على سبيل المثل رابعة العدوية الشاعرة المتصوفة.

قبل القرن الرابع عشر (م) مارست النساء في أوروبا وظائف وحرفاً ذات أهمية، كالجراحة والحلاقة، على نطاق واسع، ثم حرمن هذا الحق ابتداء من القرن الرابع عشر فعمدن إلى التجارة التي اصطدمن فيها بمزاحمة الرجال وتضييقهم. لكنهن استطعن مواجهة التضييق بالتخصص في بعض المهن الدقيقة كالتطريز وصنع الحلويات. وقامت بعض النبيلات بإنشاء حلقات دروس في الحب، اشتهرت بها الأميرة الينور داكيتين (القرن ١٢) التي حكمت إحدى مقاطعات فرنسا ولعبت دوراً سياسياً في انكلترا إلى جانب اهتمامها بتأسيس معاهد تربوية ودينية.

من وجوه نشاطهن في هذا الظرف بالذات، إنشاء جمعيات للصلاة والعمل تلجأ إليها الفتيات اللواتي لا يرغبن في الزواج ولا في الرهبانية. ومنها ممارسة السحر الذي أثار عليهن نقمة رجال الدين وغيرهم، أو الانضمام إلى جماعات الهراطقة الذين كانوا موضوع ملاحقة واضطهاد.

القرن الرابع عشر م

في القرن الرابع عشر بلغ وضع المرأة في الغرب أسوأ دركات الانحطاط. حرمت حق إدارة أملاكها وحق النيابة عن زوجها إذا كان غائباً أو مجنوناً. وبينما كان الوالد في أوائل القرون الوسطى يعطي اسم والده أو والدته من غير تمييز بين الاسمين فرضوا عليه، ابتداء من هذا القرن، اسم الوالد وحده وذلك تشجيعاً لوظائف البوليس والادارة التي يرثها الولد عن أبيه.

في السادس عشر صدر تشريع يجعل المرأة قاصرة، لا يمكنها القيام بأي عمل من غير موافقة زوجها. وأجمع أهل الطبقات الوسطى على حصر عمل المرأة في المنزل وتسليم سائر شؤونها للزوج. ومع أن كثيرات من النساء نجحن قبل القرن الخامس عشر في ممارسة الطب والقبالة والمداواة بالأعشاب، أخذ

ينكمش عدد محترفات هذه المهن، واللواتي نبغن في المهن الفنية أو العلمية أصبحن مضطرات إلى إخفاء أسمائهن وانتحال أسماء رجال. من هؤلاء أخت العالم الفلكي الدنمركي تيكو براهي (١٥٤٦ ـ ١٦٠١) التي شاطرته نشاطه واكتشافاته. والفنانة مرغريت أخت فان أيك الهولندي، التي عاونت أخاها في تصوير لوحاته الشهيرة لكن اسم الأخ وحده ظهر على اللوحات.

في هذا العصر المظلم من تاريخ المرأة، ارتفع صوت كريستين دوبيزان (١٣٦٤ ـ ١٤٣٠)، المرأة التي سبقت عصرها في إدراك أهمية تعليم المرأة وتسليمها الوظائف المسؤولة. وتطرقت في ما عرضته من نظريات إلى موضوع العلاقات الدولية فنددت بالحروب ومفاسدها ودعت إلى إنشاء مجتمع ينعم رجاله ونساؤه على السواء ببركات العلم والفن وتنعدم فيه الحروب.

لم يطرأ تبدل واضح على وضع المرأة في القرنين السابع عشر والثامن عشر. ظلت المرأة البورجوازية مقصاة عن العمل والانتاج، محتقرة لعجزها. أما في الأوساط الشعبية فقد حاول الرجال اقصاءها عن بعض الصناعات التي كانت تمارسها كالحياكة وصنع الشمع والبيرة.

لكن المرأة رفعت شعار المقاومة، لاسيما في انكلترا وشمالي أوروبا. وظهرت بوادر تحرير المرأة في المستعمرات الأميركية حيث حصلت النساء في ولاية فرجينيا على حق امتلاك الأرض.

في فرنسا ازدهرت الصالونات الأدبية بزعامة النبيلات في القرن السابع عشر. وكثرت الرهبنات النسائية التي لعبت دوراً كبيراً في إنعاش الروح الدينية وتثقيف الفتيات والاعتناء بالمرضى والفقراء. وفي الثامن عشر قامت النساء بدور خطير في الأحداث السياسية وفي اشعال الثورة الفرنسية. رفعن إلى الملك عرائض الاحتجاج على أحوال نساء الشعب وطالبن بحق الانتخاب وأنشأن الأندية النسائية.

في ايطاليا، في هذا القرن نفسه، نبغت عالمات في الفيزياء والبيولوجيا والرياضيات جددن سيرة المرأة العالمة في القرون الوسطى. كذلك في فرنسا. وإذا كان التاريخ يغفل ذكر الفنانات اللواتي نبغن في التصوير والموسيقى، في

ايطاليا وفرنسا، فلأن هؤلاء الفنانات كن يخشين إظهار هوياتهن فيعملن تحت ستار الأسماء المستعارة أو ينسبن أعمالهن إلى رجال من أسرتهن. لكن عوامل اجتماعية مهدت لقليلات منهن مجال الظهور، مثلاً اليزابيث فيجيه لوبرون التي مارست التصوير برعاية ماري انطوانيت وأحرزت فيه نبوغاً وشهرة دفعا المؤرخين إلى وضع اسمها في سجل الخالدين.

التاسع عشر

القرن التاسع عشر هو عهد ازدهار الرأسمالية المعتمدة على الصناعة البيتية من ناحية والصناعة الخارجية في المصانع من ناحية أخرى. وفي كلتيهما كانت المرأة موضوع استغلال لأن عملها في البيت غير مأجور، ومثله عمل الأولاد. كذلك في المصانع عملت هي والأولاد بأجور زهيدة تضمن الأرباح الضخمة لأرباب العمل.

المرأة البورجوازية كانت آنذاك - كما هي اليوم - تقوم بدور الوساطة أو السمسرة المجانية لزوجها. تبذل ما لديها من وسائل إغراء لانجاح مشاريع مشبوهة أو عقد صفقات ذات أرباح مضمونة، بذلك تصبح آلة مسخرة للدعاية ولخدمة مطامع الرجل.

في هذا القرن (التاسع عشر) ظهر دعاة الاشتراكية. سان سيمون وتلاميذه، الذين أخذوا على عواتقهم مناصرة تحرير المرأة، عملاً بمبادئهم الديمقراطية. لكنهم لم يذهبوا بعيداً في هذا الميدان وتركوا للنساء مهمة تحصيل حقوقهن بأنفسهن.

وظهرت أولى الصحف النسائية، منها «صوت النساء»، التي أصبحت سنة ١٨٤٩ «رأي النساء» بادارة جان دوروان الفرنسية. فطالبت للمرأة بحق التصويت والانتخاب وسعت لتخفيف ساعات العمل التي تقوم بها الغسالات، من ١٤ - ١٢ يومياً، ولإنشاء دور حضانة لأطفال العاملات.

في انكلترا قامت النساء العاملات بدور فعال في انشاء الحركة العمالية وقيادتها، كذلك في أميركا، أنشأن في نيو انكلند «جمعية النساء العاملات» ومنذ

١٨٥٠ تأسست لهن فروع داخل نقابات الرجال. ورغم معارضة هؤلاء تم لهن الفوز بحقوق مساوية لحقوق الرجال بعد نضال عنيف.

لم يقتصر النضال على نساء أميركا وفرنسا وانكلترا بل شمل الروسيات اللواتي أنشأن «اتحاد النساء» برعاية كارل ماركس. ومن خلال أندية النساء التي تم تأسيسها أطلقن الدعوة لعلمنة التعليم وتعميم مدارس البنات ونجحن في انشاء دور حضانة للأطفال.

عهد الحركات

إذا كان القرن التاسع عشر عهد الحركة الثورية التي انطلقت من صفوف العاملات ونساء الطبقة الوسطى، فهو أيضاً عهد الحركات الاجتماعية والمنظمات الانسانية التي أبصرت النور في قصور الارستوقراطيات وأسهمت فيها نساء الطبقة الوسطى، فانبثق من تعاون الفريقين جمعيات هدفها مساعدة العاملات على حل مشكلة السكن والطعام، نظير «الجمعية المسيحية للشابات» التي نشأت لها فروع عالمية. ومثلها «الاتحاد النسائي العالمي لمكافحة المسكرات» الذي ضم جمعيات نسائية من أقطار مختلفة.

تقول اليز بولدينغ إن المرأة طوال قرن كامل علّمت الموظفين ومندوبي الحكومات كيف يعالجون قضايا المحرومين وذوي الحاجات الجسمية والنفسية. وكأن العطف على كل ذي حاجة أصبح في النساء صفة راسخة، من مظاهرها شعورهن مع الأقليات المهضومة الحقوق ونقمتهن على الحروب التي تقتل الأبرياء، واهتمامهن بتأسيس أولى جمعيات السلام في انكلترا (١٨٢٠) وفي الولايات المتحدة (١٨٣٠).

كان الرجال يشجعون نشاط النساء في الحقل الاجتماعي ما دام مجانيّاً تطوعياً. فإذا تحول إلى عمل كاسب، مأجور، وضعوا أيديهم عليه ومنعوا المرأة من مزاولته.

من مكاسب النساء في هذه الحقبة حصولهن على حق التعليم في جميع مراحله، وتكاثر عدد النابغات في الفنون الجميلة، في الأدب، في العلوم، في

الطب والرياضيات والفلك والعلوم الاجتماعية. كثرت الصحف النسائية وارتفعت الأصوات تطالب بحق التصويت للمرأة. في الولايات المتحدة تأسست جامعات خاصة بالنساء مثل فاسر وسميث. ووضعت أسس المجلس النسائي العالمي (I C W).

- قبَيل الحرب العالمية الأولى وجدت منظمتان دوليتان للنساء: «المجلس النسائي الدولي» و«الاتحاد النسائي الدولي». وقد سعت كلتا المنظمتين لإلغاء البغاء ومنع تشغيل الأولاد في المعامل وتحديد أجور الخادمات في المنازل والمساواة بين الجنسين في الأجور في حال تساويهما في العمل، وإعطاء الزوجة العاملة حق التصرف بأجرتها من غير رقابة الزوج.

كانت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ عاملاً في تحرير المرأة لأنها في كثير من القطاعات تسلمت أعمال الرجال المجندين في الحرب. وبانتهائها حصلت المرأة على حق التصويت في إحدى وعشرين دولة من دول الغرب.

بعدها قام الصراع بين الشيوعية من جهة والفاشية من ناحية أخرى. في الأولى دعوة إلى مساواة المرأة بالرجل، بخلاف الفاشية التي اتخذت منها أداة لتنفيذ أهداف الدولة وقضت بإعادتها إلى المنزل.

بفضل نجاح الشيوعية في روسيا وسواها من دول أوروبا الشرقية نجحت المرأة في تحصيل قسم كبير من الحقوق التي تساويها بالرجل في حين قيدتها الأقطار الفاشية بسلاسل أنظمتها الرجعية.

بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٢٩ ـ ١٩٤٥) قامت حركة رجعية استهدفت إعادة المرأة إلى المنزل في أوروبا وامريكا. من عواملها نظريات فرويد وفلسفة نيتشه ودعايات الشركات الانتاجية والتجارية التي بدا لها أن تحرر المرأة وانشغالها بالأعمال الفكرية يصرفها عن التبرج والاهتمام بشؤون المنزل وبذلك يحد من قدرتها الاستهلاكية والشرائية.

في هذا الحين (١٩٦٣) نشرت بتي فريدن الأميركية كتاب «صوفية الأنوثة»، وفيه تحدثت عن القلق النفساني أو «الداء المجهول» الذي أصاب

النساء في هذه الفترة التي أرغمن فيها على ملازمة المنزل وحرمن وسائل النمو الخلقي والفكري.

وقبل ذلك بنحو ١٥ سنة نشرت سيمون دو بوفوار الفرنسية مؤلفها الضخم حول تاريخ المرأة: «الجنس الآخر» الذي صرحت فيه أن المرأة «لا تولد أنثى بل إن البيئة تقسرها على احتمال وضعها الذليل والتزام حالة الخنوع والتبعية المنافية لمبدأ الكرامة الانسانية».

ثم كانت معركة تحديد النسل عن طريق الإجهاض أو استعمال حبوب منع الحمل. وتكاثر عدد المنظمات النسائية التحريرية في أميركا وأوروبا. وتعددت الصحف والمجلات والمطبوعات والدراسات التي تدعم مطالب المرأة وتنطق بلسانها. وظهرت جمعيات وصحف نسائية في بعض أقطار آسيا وافريقيا.

نظرة ختامية

في هذا الكتاب معلومات إضافية عن نضال المرأة للقضاء على التفرقة بين الجنسين خلال العصور الماضية وفي عصرنا الحالي، تبين أن وجوه الظلم التي هي اليوم موضوع شكوى النساء واحتجاجهن كانت هي بعينها موضوع شكواهن في العصور التي مضت. فمنها احتجازهن في المنازل ووقف نشاطهن على خدمة الرجل دون مقابل سوى المأكل والملبس. ومنها اقصاؤهن عن الصناعات والأعمال الكاسبة خوفاً من مزاحمتهن للرجل. ورغم حصولهن على حق التصويت والانتخاب الذي طالبن به منذ القرن الثامن عشر، ما زلن مقصيات عن المراكز السياسية والوظائف القيادية. وما زالت تفرض عليهن القاعدة المزدوجة التي رفضنها قبل القرن الثامن عشر، القاعدة التي تلزمهن العفّة وتعفي منها الرجل، وتحلل سفك دمائهن غسلاً لجريمة الشرف التي تبرّىء منها الرجل.

في القرن الثامن عشر، كما في هذا القرن، أدركت المرأة أن قادة الثورات يقولون ما لا يفعلون وأن الشعارات التي يطلقونها تظل حبراً على ورق. وإن جرى تطبيقها جزئياً ظلت فائدتها مقصورة على الرجال أو على فريق منهم، في حين أن المرأة التي ناضلت مع الثوار لم تستفد من نضالها شيئاً، وفي أفضل

الحالات لم تنل من مطالبها إلّا النزر اليسير. من ذلك الحين عرفت المرأة أن تحريرها لن يتم إلّا بكفاحها الذاتي وأن اتكالها على الرجل ضرب من العبث.

واتضحت لهن الصلة بين تحرير المرأة وتحرير الطبقات المحرومة والأقليات المستضعفة والشعوب المقهورة فتبنّين قضايا المناضلين لأجل الحرية مهما كان انتماؤهم إذ شعرن برابطة الاخوة التي تشدهن إلى تلك الفئات.

وحين وعت النساء قضيتهن بجميع أبعادها، أدركن أن الداء يكمن في النظام الأبوي القائم منذ ثمانية آلاف سنة، المبني على التنافس والتطاحن على جمع المال وتكديس المقتنيات. من هنا تلح المؤلفة في خاتمة المطاف على ضرورة تجنيد النساء لكفاح هذا النظام الذي يحلل تضحية المرأة في سبيل انفراد الرجل بالسلطة ويشجع الحروب والمنازعات الدامية، ويقيم شبكات الدعاية الهائلة الرامية إلى حصر المال في أيدي أفراد معدودين أو شركات احتكارية أو دول متعطشة إلى النفوذ والسيطرة على العالم، لا فرق بين أن تكون فيها السلطة وقفاً على الشركات المشار إليها كما في الدول الرأسمالية، أو على زعماء الحزب المنفرد بالسلطة كما في الدول الشيوعية والتي تدور في فلكها.

غير أن الدعوة التي تطلقها اندريه ميشيل لن يكتب لها النجاح، في رأيها، إلّا إذا أرفقت بدراسات علمية تقوم بها المختصات بعلم الاجتماع والاقتصاد من نساء العالم الثالث، تستند إلى الوقائع والاحصاءات في كشف فضائح النظام القائم وكيف تستخدمه الدول الكبرى للسيطرة على العالم. فتبرز دور الدعاية العالمية في إخضاع النساء لمغريات الحضارة ومنتوجات التكنولوجيا.

حينذاك لا بد أن يؤدي التحليل المقنع إلى إعادة النظر في القيم المجلوبة التي تمهد لنشرها الأسواق العالمية. ومن ثم لا بد من حدوث انقلاب جذري في تفكير الناس وأساليب المعاملة، ينتج عنه إحلال التعاون مكان التنافس، فيتلاشى نظام الجمع والتكديس المرتكز على المشاريع الاقتصادية الضخمة، ليحل محله نظام قائم على المشاريع المتوسطة الحجم والأرباح. وبدلاً من حصر الأموال في نصف الكرة الشمالي يجري توزيع مصادر الثروة بين الشمال والجنوب. وبدلاً من البذخ والترف والإنفاق الجنوني على الملذات، يعتمد الناس

البساطة في العيش والاقتصاد في اقتناء الامتعة والذخائر. والمال الذي ينفق على التسلح والحروب يجري إنفاقه على تنشيط الفنون وإنتاج الأبحاث والدراسات العلمية ومكافحة الفقر والمرض والجهل.

الأنوار. ٢٧ تشرين الأول (اكتوبر)، ١٩٧٩.

المــرأة العصريـة بين أنصارها وخصومهـا:

أسـاطير حول المــرأة

تجتاز المرأة العصرية دوراً شديد الخطورة لأنها في بدء دور انتقالي فيـه تحاول الخـروج من طور عبـودية وجمـود إلى طور حـرية ونشـاط. إنها تسـير في طـريق محفوف بالمصاعب لأن المثل الأعـلى الذي وضعتـه أمامهـا وثيقة حقـوق الإنسان ـ الحرية والمساواة بالرجل في الحقوق ـ لا يزال حلماً تتجه نحوه، وليس في حـال من الأحوال حقيقة واقعة.

ما الذي حققته المرأة حتى الآن من حرياتها؟ لقد اتيـح لها دخـول المدارس واكتسـاب العلوم فتحررت من الجهـل والأمية بمقـدار قليل أو كثـير. وأقلية من النسـاء طمحت إلى الشهادات العليـا ومارست بعض المهن الحـرة. وسـاعـدت الـظروف المرأة ـ أو أرغمتهـا في أكثر الأحيـان ـ على تحقيق حـريتها الاقتصـاديـة بواسطة العمل المأجـور والمهنة التي تكسب بهـا معيشتها. وفي أكـثر بلدان العالم المتمدن توصلت إلى نيل حريتها السياسية فأصبحت ناخبة ومنخوبة.

بـواسطة التحـرر الاقتصادي والتحـرر السياسي تضـع المرأة حجـر الزاويـة الأساس الضروري لحرياتها الأخرى، الاجتماعية والفكرية والمدنية. لكن هذا لا يعني أن حصـولها عـلى حريـاتها البـاقية أصبـح أمـراً مضمـونـاً، لأن الحـريتـين السياسية والاقتصادية من غير حرية فكرية واجتماعيـة قد تصبحـان للمرأة وسيلة استعباد لا تحرر. فالناخبة التي تأتمر بأمـر زوجها أو أحـد ذويها تمـارس العبوديـة

السياسية بدلاً من الحرية. والمرأة التي تكسب عيشها بشغلها وتضع ذاتها تحت تصرف أهلها يستغلونها أو زوج طفيلي يستثمر تعبها قد رضيت بنوع جديد من العبودية، ليس أقل وطأة من عبودياتها السابقة.

قد يخيل لنا أن أعظم نجاح نالته المرأة العصرية هو في ناحية العمل أو ناحية إقبالها على الوظائف والمهن. لكننا لو بحثنا هذا الموضوع بحثاً دقيقاً وأخضعناه للتنقيب والإحصاء لوجدنا أن عمل المرأة لا يزال بعيداً عن أن ينصفها أو يغريها بمتابعة النضال. فالمرأة العاملة، كالرجل العامل، بل أكثر منه عرضة للغبن وأحق منه بالشكوى. فهي في أغلب الأحيان لا تساوي الرجل في الأجور، وإن ساوته في الكفاءة وكمية العمل. ولو أحصينا المعلمين المغبونين في أجورهم لوجدنا أن جميع الذين يتقاضون ثلاثين ليرة لبنانية في الشهر (لمدة تسعة أشهر فقط!) هم معلمات لا معلمون. فأصحاب العمل لا يجرؤون على استثمار الرجل بهذه الصورة المخزية لكنهم لا يتورعون من استثمار النساء. فهم يشغلون العاملة في الخياطة نهاراً كاملاً بأجرة لا تزيد على ليرة واحدة في اليوم. والمطرّزة والعاملة في أشغال الإبرة الدقيقة لا تزيد أجرتها على المقدار الذي أشرنا إليه. والمرأة التي تدرس المحاماة لا تستطيع ممارسة هذه المهنة إلّا في أحوال نادرة. والممرضة لا تلاقي من التقدير الاجتماعي والمكافأة المادية ما يشجعها على المضي في ممارسة هذه المهنة أو يشجع غيرها على احترافها.

لكي تتحرر المرأة بصورة فعلية يجب أولاً أن يتمّ تحررها الخُلقي. ثانياً أن يتحرر الرأي العام حولها من نظرته القديمة إلى المرأة ومن تأثير الماضي المظلم الذي أذلّها وأضعف شخصيتها.

لأن أعداء المرأة كثيرون، أولهم المرأة نفسها: المرأة التي تستعمل حريتها للتبذّل والتبرّج والظهور وعرض مفاتنها الجسمية.

والتي تتخذ مفاتنها الجسمية وسيلة للنجاح في عملها.

والتي تجعل همّها في الحياة اصطياد الرجل المثري وتتخذ الزواج وسيلة للتهرب من الشغل ومن المسؤولية.

والتي رغم تحررها الاقتصادي تتمسك بتقليد الخضوع والذل للرجل ومداراة أهوائه.

من أعداء المرأة، الجاهلة التي تدّعي العلم، والتي تقدم على بعض الأعمال من غير جدارة واستعداد، لظنها أن أنوثتها تغفر لها قصورها وتخولها حق التطفل والغرور.

من أعداء حرية المرأة، المرأة الضعيفة الثقة بنفسها، الكسولة التي تؤثر الهبوط في المنحدرات على التوغل في الهضاب والمرتفعات، التي تنادي بضعف المرأة وعجزها الموروث، على مثال السيدة مرتا بوريلي التي وضعت كتباً بينت فيها أن المرأة تعدم الذكاء الخالق. لكن في كتاباتها من المغالطات والأضاليل ما يجعل أقوالها حجة عليها.

أعداء حرية المرأة هم أيضاً الشعراء والأدباء ذوو النزعة الرومنطيقية، الذين لا يزالون خاضعين لتأثير القرون الوسطى وعهود الفروسية التي حسبت المرأة كائناً اثيرياً ومعبوداً يجب تدليله، سيدة محصنة في قصرها، مكبة على نسيجها، لا ترى العالم إلّا من نافذة ضيقة يتأوه تحتها العشاق والمتيّمون. أولئك الذين يتمسكون بشتى الأساطير القديمة الخاطئة حول الأنوثة. فهي حيناً آلة شر وإغراء نظير حواء وكليوبطرة وسميراميس، أو موحية الشعر وملهمة الأبطال نظير بياتريس وعبلة وروكسان. حيناً ساحرة تقرأ المستقبل وتعلن المصائب قبل وقوعها كالكواهن اللواتي وجدن عند الرومان القدماء وعند العرب والهنود. وحيناً لغز غامض نظير أبي الهول وحورية البحر[1]، تتلاعب بنفوس الرجال وتخلب ألبابهم، يحاولون اكتناه سرّها فيرتدون عنه خائبين.

إمرأة الأساطير الشعبية تحيا اليوم في نفوس كثيرين من المثقفين والمتأدبين. سليلتها المرأة الدمية التي تتصدر المحافل والصالونات، تزين نوادي الأنس واللهو، توزع الابتسامات الدبلوماسية على من حولها وتسخّر طلاقة لسانها ورشاقة حركاتها لشتى الدعايات.

---

(١) Sirène

إمرأة الأساطير آلهة أو جنيّة، ملاك أو شيطان، أي أنها في الحالتين لا تحسب إنساناً سوياً ولا تستطيع مساواة الرجل في الحقوق. وهي في الحالتين مغبونة لأنها لا تملك زمام أمرها، فإذا كانت صنماً معبوداً استطاع الرجل تحطيمها حين يشاء. كذلك إذا كانت ساحرة أو شيطاناً تخلص من شرها بالتعاويذ أو ناصبها الشر والعداء، ولو عامل المرأة كمعاملته لنفسه لارتفعت عنها الحجب ورأى انها شخص عادي لا تختلف عنه غموضاً ولا غرابة.

من صنف هؤلاء المتهوسين، فئة من المستبدين يريدون حصر عمل المرأة في دائرة المنزل ويعتقدون أن وظيفتها تنحصر في التناسل والأمومة. هم الذين على مثال فلاسفة القوة ودعاة الحروب ـ نابوليون ونيتشه وهتلر ـ يريدون تضحية المرأة في سبيل النوع وقصر عملها على تكثير النسل وإنجاب المحاربين والجنود الذين بواسطتهم تتم للدولة السيطرة على من حولها واكتساح العالم. ولكي يزينوا للمرأة هذه الوظيفة عمدوا إلى تعظيم الأمومة وتأليه الأم واعتبار حبها أعظم أنواع الحب وتضحيتها أجلّ التضحيات وأجدرها بالتقديس، ومن أقوالهم: «المرأة لا تستطيع أن تكون بطلاً لكنها تلد الأبطال وفي ذلك فخر لها وعظمة وخلود». وهنا نتساءل: لماذا لا تستطيع المرأة أن تكون بطلة؟ أليس لأنهم حالوا بينها وبين البطولة؟

إن تقييد المرأة على الصورة التي بيّناها، واعتبارها مخلوقاً قاصراً يجب إعالته وحمايته، إنما هو أثر من آثار العبودية التي لعبت دورها في التاريخ. وعصرنا هذا يشهد خروج المجتمع من الطور الذي حسبت فيه العبودية ضرورة اجتماعية: عبودية الفرد للقبيلة، عبودية الغالب للمغلوب، والمرأة للرجل، والقاصرين للبالغين، والعامل لسيده، والسود للبيض.

في القرن الماضي وفي مطلع هذا القرن، ركزت المرأة جهودها على نيل حق العلم والعمل والحق السياسي، وكثيراً ما ضحت بوظائفها البيولوجية في هذا السبيل. أما اليوم فهي تسعى لممارسة حقوقها جميعاً: تريد أن تنشىء أسرة وتقوم بدور الأم وفي الوقت نفسه تريد أن تمارس الوظائف والأعمال. لأنها تريد أن تحيا حياة ملأى، مكتملة الأجزاء.

وهاكم ما تقوله في هذا الصدد فتاة في السابعة عشرة أتمت مؤخراً دروسها الثانوية والتحقت بالجامعة:

«نحن تلميذات الكلية مختلفات الميول والمذاهب في العيش، وكذلك متباينات المطامح والأحلام. منا اللواتي يتهيأن لتدريس الرياضيات أو الآداب، ومنها اللواتي سيحترفن التمثيل أو الضيافة في الطائرات. ومنا اللواتي لا يجاوز طموحهن إدارة البيت وتربية الأطفال. وغيرهن اللواتي يحلمن بارتياد القطب الجنوبي أو مجاهل افريقيا. ولكن جميعنا نريد السفر والتنقل والمعرفة والاستكشاف والمغامرة والحب والعمل واللهو. وجميعنا نريد لبناتنا في المستقبل، ولرفيقاتنا الصغريات، حياة أرحب مجالاً وتربية استقلالية تراعي حقوق الفتاة وتعطيها مقداراً أكبر من الحرية ويسودها جو من التفاهم والصراحة والثقة».

صوت المرأة. العدد ١، السنة ١٠،
كانون الثاني (يناير)، ١٩٥٩، ص ١٨ و١٩.

في أي وجه من الوجوه يجب إنصاف المرأة:
المساواة في الإرث

لست من خصوم الحقوق السياسية للمرأة. فكل خطوة نحو المساواة، التي لا تزال للمرأة حلماً بعيداً، هي بلا شك في مصلحتها، ومصلحة البلاد. ولكن حين أرى الرجل عندنا يسيء استعمال حقوقه السياسية، ويشوّهها بالرشوة والجهل، والانقياد الأعمى للزعماء، يهولني ما أراه من انحدار النظام الديمقراطي على أيدي رجالنا، فأتصور هذه العيوب نفسها مضاعفة بتصويت النساء، وأتخيل البلبلة الإضافية التي يسوقها هذا التغيير، وحينئذ أتمنى على المرأة أن تؤجل المطالبة بحقوقها السياسية حتى يبلغ السكان من رجال ونساء، مستوى أعلى من النضج السياسي ومقداراً أوفر من الثقافة المدنية، فنكتفي مؤقتاً بتصويت الرجل ونقتصر على أحد الشرّين. أما إعطاء الحقوق السياسية للمتعلمات فقط، فيعد اجحافاً بحق المرأة لأنه في هذه الحالة يجب سحب الحقوق السياسية من يد الرجل الأمي الذي يمثل عدداً لا يستهان به من رجالنا. وعلى هذا يجدر بنا قبل المطالبة الملحّة بحقوقنا السياسية أن نمهّد لها تمهيداً منطقياً، وذلك بأن نلحّ في المطالبة بمحو الأمية بين النساء والرجال على السواء، ونشر الثقافة المدنية والسياسية بين السكان على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم.

لا يزال في العالم ـ حسب التقرير الأخير الذي أذاعته هيئة الأمم المتحدة ـ أربع عشرة دولة تحرم المرأة حقوقها السياسية. ومن الأربع عشرة، ست دول عربية أي نحو نصف المجموع.

لقد تحررت المرأة سياسياً في الشرق الأقصى، وفي جميع أوروبا، عدا سويسرا، وفي جميع الدول الأميركية، عدا دول اميركا الوسطى. أما نساؤنا فلسن محرومات الحقوق السياسية فقط، بل إنهن في سائر الحقوق المدنية وقوانين الأحوال الشخصية لا يزلن خاضعات لشرائع القرون الوسطى.

إن القانون المدني عندنا لا يعتبر المرأة شخصاً قابل الاستقلال بل يجعلها عيّلاً على الرجل في جميع أدوار حياتها ويحرمها كل حق في المساواة. في المحاكم، ترفض شهادة المرأة إلاّ إذا اتفقت إمرأتان على شهادة واحدة، ولا يخفى ما في ذلك من حيف ومن إضعاف لشخصية المرأة. وأسوأ من ذلك قانون الإرث، فهو يعطي المرأة نصف حق أخيها في ميراث الوالدين وهذا التفضيل الصريح كثيراً ما يجره إلى حرمانها من جميع الميراث. أقول هذا بدليل البحث الذي قامت به إحدى اللجان النسائية في خلال انعقاد المؤتمر النسائي للأونسكو العام الفائت. فقد استجوبت في الموضوع مئة وخمسون إمرأة من الأسر المثقفة المتوسطة الحال ووجد أن ٤٣٪ فقط ، من أولئك النساء، أعطين حقوقهن المشروعة في الإرث، أي نصف حقوق الأخ، بينما الباقيات لم يحصّلن شيئاً أو نلن فقط بعض الحقوق. أما حقوق الزوجة فليست أفضل حالاً لأنها ترث ثُمن ما ترك زوجها إذا كانت ذات ولد، وإلاّ فلها ربع الميراث، ومعنى هذا القانون انه يجعل الأرملة في وضع تعجز معه عن العيش المستقل إلاّ إذا كان زوجها ذا ثروة طائلة. فعليها أن تعتمد لأجل معاشها على أولادها أو بعض ذويها وعليها أن تثق بعطفهم وحسن طويتهم، مع أن هاتين الفضيلتين قليلتا الوجود في بني البشر.

قد يقول قائل: إن الرجل هو معيل الأسرة والشرع يجعله مسؤولا عن إعاشة النساء إذا كنّ غير عاملات أو غير ذوات ثروة. ولكن بأي ثمن يقوم الرجل بهذا الواجب، وأي منّة يحمّلها للمرأة المتطفلة عليه، وما هو عدد الرجال الذين يفعلون ذلك بطيبة خاطر، ومن غير تذمر أو استبداد؟

هناك أمر آخر يسترعي الانتباه. أولاً أن عدد النساء العاملات خارج بيوتهن، لاسيما بين الفتيات، يزداد يوماً بعد يوم. وما علينا لنتحقق هذا الأمر

إلّا زيادة المصانع والمخازن ومعاهد التربية، والمكاتب والمستشفيات، والمزارع، وسائر دور العمل. هنالك إحصاءات قام بها فريق من أعضاء جمعية نسائية في العام الماضي فوجدن أن عدد العاملات من فتيات الطبقة الوسطى لا يقل عن خمسين في المئة، في حين أن نساء الطبقة العاملة جميعاً يشتغلن كالرجل في المصانع والمزارع والمؤسسات. بل قد رأين النساء في بعض المعامل ضعفي عدد الرجال.

ثانياً إن المرأة التي لا تشتغل خارج البيت تعمل عادة في البيت. فهي المربية، والممرضة، والخياطة، والطاهية، والغسالة ومدبرة المنزل. وعدد الطفيليات حقيقة، قليل جداً لا يجاوز عدد أصحاب الملايين. وإني لا أتصوّر رجلاً يرضى بإعالة أمه أو زوجته أو أخته من غير أن يطالبها بالقيام بأعمال البيت، وبذلك تقوم له مقام الخادمة. فهي والحالة هذه، مستحقة طعامها ولباسها من غير مقابل. وليس في إعالة الرجل لها أي خسارة، ولا أية ذريعة أو حجة تبرر حرمانها حق المساواة في الإرث.

ثالثاً إن تفضيل الرجل على المرأة في ناحية الإرث، أو استيلاءه على مجموع الثروة دون النساء، كثيراً ما يكون ذا أثر سيء في أخلاقه. إذ يجعله التأليه اتكالياً كسولاً، أو أنانياً متغطرساً، ميّالاً إلى الاستبداد بأعضاء الأسرة كاستبداده بالإرث جميعه أو أكثره. وما دامت المرأة عيّلاً عليه، عاجزة عن العيش بنفسها، تصبح علاقة أحدهما بالآخر علاقة حذر ورياء، كعلاقة السيد بالعبد. فكلاهما يداري الآخر لحاجته إليه، لا لأنه يرى في الوضع حلاً مثالياً. ولو خيّرت كثير من النساء لفضّلن الاستقلال بعيشهن، لو كان الشرع منصفاً لهن أو كن قادرات على إعالة نفوسهن. كم من والد مات تاركاً وراءه امرأة وبنات، فجاء الأعمام والأقارب ينازعونهن الميراث وينصبون ذواتهم أوصياء، ويرغمونهن على عيشة الحرمان، ليستمتعوا هم بمال لم يتعبوا في جمعه.

اضافة إلى ما تقدم، نجد موقف الناس من المرأة يتكيّف بالقياس إلى موقف الشرع منها. فهم لا يرون حرجاً في ظلمها وغبنها مجاراة للقاعدة

المزدوجة التي تعتبر حقها نصف حق الرجل. وبذلك تصبح مصيبتها مزدوجة. والغبن يجر الغبن.

إن شرائع الإرث التي نتمشى عليها كانت صالحة في العهود القبلية، حين كان أعضاء القبيلة يؤلفون وحدة متراصة، أرزاقهم مشتركة ومصالحهم كذلك. كان زعيم القبيلة إذ ذاك يحرص على إبقاء جميع أملاكه في أيدي الذكور من عشيرته، لتبقى القبيلة عزيزة بأملاكها منيعة الجانب، فلا يتسرّب شيء من تلك الأملاك إلى الأسر الغريبة التي تنتقل إليها البنات عادة بالزواج. أما في هذا العصر الذي ينحلّ فيه نظام العشائر، ويشيع نظام الأسرة الصغيرة المستقلة المؤلفة من الأب والأم والأولاد فقط، فإن من مصلحة الرجل الراغب في الاستقلال، أن يعاون المرأة، سواء أكانت أمه أم أخته أم زوجته، على تأمين استقلالها الاقتصادي وعلى اجتناب التطفل، وذلك أولاً، بإعطائها حقوقاً مساوية لحقوقه في الميراث. ثانياً بتشجيعها على العمل المحرر وتمهيد سبله أمامها. وبذلك ينصفها وينصف نفسه ويحرّرها من عقدة النقص التي كثيراً ما تسبب له المشاكل في علاقاته معها. وحينئذ تصبح حياته العائلية أكثر حرية وأصفى جواً وأقل تعرضاً للمشاكل والاضطرابات.

بقي نوع ثالث من أنواع الظلم الاجتماعي الذي تلحقه الشرائع بنسائنا. هو القانون الذي يرى في قتل المرأة دفاعاً عن العرض، أو صوناً للشرف، ذنباً بسيطاً لا يجرم صاحبه ولا يعرّضه لعقاب صارم. وبديهي أن مصدر هذا القانون ليس العدالة ولا الحق الطبيعي، لأن أبسط مقدار من التفكير، يرينا أن جرم الزاني لا يقل فداحة عن جرم شريكته. لكن الرأي العام يبرىء الرجل ويلصق بالمرأة كل التبعة لا لشيء سوى أنها مستضعفة خاضعة للرجل. فهو يحمّلها ما يشاء ويطالبها بما لا يطالب به نفسه. يرتكب ما يشاء من المحرمات ويحاسبها على أقل هفوة. ولو قدم لها المثل الطيب لهان الأمر، لكن المرأة الشاردة هي التي تعيش في جو ضغط خانق أو في جو انحطاط أخلاقي يسهّل لها الضلال ويشجعها عليه، ومع هذا، فهي إذا شردت تذبح ذبح النعاج ولا حرج على قاتلها ولا إثم. لعمري هذه سنّة من عهود الهمجية، لم يحق للرجل المتمدن تطبيقها على عبيده الذين اشتراهم بماله أو استعبدهم في الحرب، فكيف

يجوز تطبيقها على المرأة التي جعل نفسه قيّماً عليها، إن فسدت فهو المسؤول عن فسادها، وهو المستحق العقاب قبلها.

جميع الشرائع المدنية التي أشرت إليها قد سنّت في عصر غير عصرنا، ولم تعد اليوم صالحة، بل أصبحت بتغير نظام المعيشة، وتنوّر نساء العصر، مصدر علل ومتاعب للرجال والنساء على السواء. إن المرأة التي تشعر بثورة داخلية وترى أنها بالقياس إلى الرجل مغبونة مهضومة الحقوق، لا بد أن تظهر ثورتها في وجه من الوجوه. إنها تنتقم من محيطها بسعيها إلى السيطرة على من حولها، أو بسرعة تبرمها أو انصرافها إلى المكر والمخادعة وسائر أسلحة المستضعفين الناقمين.

في كتاب «الجنس الآخر» لسيمون دو بوفوار، تلاحظ الكاتبة أن مشكلة المرأة لا تختلف عن مشكلة العمّال ومشكلة زنوج أميركا. جميع أفراد هذه الفئات الثلاث يشعرون بالألم ويطالبون بالإنصاف. وكأني بها تقول: احذروا انتقام المغبون. فقد يصبر على حالته حيناً، لكنه لا يلبث أن يثور كما يثور العمال في أماكن كثيرة من العالم. وليست سيمون دو بوفوار هي الوحيدة التي تحذر الرجال من غضب الفئات المحرومة التي أخذت تفتح عيونها للنور.

لقد قامت حكومتنا منذ مدة، بعدة تدابير تشهد لها بالرغبة في التطور والخروج بالشعب من ظلمات الماضي السحيق. أما التدبير الأول فهو منع إطلاق الرصاص في الحفلات والأعياد. والثاني هو مكافحة الشحاذة ومعاقبة الشحاذين. وقد عرض عليها مؤخراً مشروع مساواة المرأة بالرجل في الإرث ولا يزال المشروع مطوياً في بعض الملفات ينتظر المناقشة. فعسى أن يلاقي بين المسؤولين عدداً كافياً من المؤيدين الذين ينجحون في إقراره، جاعلين منه حلقة أولى في سلسلة إصلاحات اجتماعية هامة، تقرّبنا من مستوى الشعوب المتحررة.

صوت المرأة. العدد ٦، السنة ٦،
حزيران (يونيو)، ١٩٥٠، ص ٦ و٧.

جولة في عالم المرأة الغربية :

مقارنة بين امرأة الأمس وامرأة اليوم، تركيزها على الحرية الاقتصادية

يلاحظ أن الضجة التي قامت وما زالت قائمة عندنا حول عمل المرأة وحقوقها وواجباتها قد خفتت في الغرب منذ عهد بعيد لأن نهضة المرأة عندهم قد جاوزت دور النظريات. بل يغلب على ظني أن هذا الدور قد أوشك ان ينتهي عندنا أيضاً ولم يعد صياح المحافظين إلاّ صرخة في واد لأن تطور المرأة يجري ـ حتى في الشرق ـ بمعزل عن آرائهم.

لنسمع ما يقوله فرانسوا مورياك ـ وهو كاتب من الجيل الأسبق وعضو في الأكاديمية الفرنسية ـ وقد سئل عن رأيه في حرية المرأة العصرية، قال: إن المرأة العصرية لم تنتخب حريتها الحاضرة بل إن هذه الحرية فُرِضت عليها فرضاً من قبل الظروف الصناعية والتجارية المتطورة.

ويعلق على هذا هرفي بازان (Hervé Bazin) بقوله: ليست حرية المرأة العصرية نتيجة نظريات ومبادىء جاء بها الكتّاب وبيّاعو الكلام بل إن انتشار المعامل وازدهار المكاتب والمخازن وتكاثر الأعمال التي تستدعي عمل المرأة في الحرب وفي السلم، كل ذلك أرغمها على الخروج من بيتها ومنحها حرية الاختلاط بالجنس الآخر. ومن جهة ثانية كانت الأزمات التي تلي الحروب تعرّض أصحاب الطبقة الوسطى للإفلاس فيضطرون إلى تشغيل بناتهم.

ثم كان انتشار العلم حافزاً آخر للمرأة على العمل المثمر؛ حتى أخذنا نرى

بنات الطبقة المميزة المترفة يسأمن حياة البطالة والظهور في الصالونات ذات الجو الخانق، ويلتحقن بمعاهد العلم أو الفن أو الخدمة الاجتماعية، عملاً بهذا المبدأ العصري العظيم: الشغل سبيل الحرية... لقد شعرت المرأة لأول مرة بطعم الحرية حين قبضت أول مرتب شهري وأدركت أنها لم تعد عبئاً على أهلها ولا عيّلاً على زوجها.

وسئل هرفي بازان: أي أخطار تتعرض لها المرأة المتحررة؟ فقال:

إنها أكثر حرية من جدتها لكن أوقات فراغها قليلة لا تتيح لها فرصة الاسترسال في الشر. مع هذا تتعرض المرأة المتحررة للاصطدام بالتقاليد القديمة لأنها تعودت التصرف حسب مشيئتها فتصطدم إرادتها بإرادة الأهل أو إرادة الزوج أو الخطيب ومن هنا تكثر المشاكل العائلية وحوادث الطلاق الذي أصبح اليوم أسهل مما في الماضي لأن المرأة أقدر على تحصيل معاشها والاستغناء عن الزوج. ولكن كل تغيير يستتبع مشاكل ومصاعب يترك حلها للزمن.

س ـ وأي تأثير أحدثته حياة العمل في شخصيتها غير ما ذكرت؟ هل تبدلت تبدلاً جوهرياً؟

ج ـ لا أرى ذلك، يجيب هرفي بازان. فالمرأة لا تزال هي هي، في فضائلها ونقائصها. إنها ذات براعة في الأعمال اليدوية وصبر وطول أناة وشعور بالمسؤولية وحسن اطلاع بأعباء المهنة، لكنها لا تزال، كما في القديم، قليلة الابتكار والخيال. تلقى نجاحاً في المهن التي تستدعي الثرثرة: في الصحافة، الأدب، التعليم، المحاماة. وفي مهن الإسعاف الاجتماعي التي توافق مزاجها: التمريض والطب والخدمة الاجتماعية. وفي الأعمال الآلية، في المكاتب والمخازن والمصانع حيث تبرهن عن دقة واتقان، قلما نجدها في مهن أخرى كالجندية أو الشرطة وسواهما من أعمال الرجل.

وهي ما زالت كجدتها عاطفية في ملاهيها. وقد استعاضت عن فنون الترف، كالتصوير والموسيقى، بمشاغل عملية كحياكة الصوف ومطالعة صحف الأخبار.

س ـ وما هو موقف المرأة المتحررة من الزواج؟

ج ـ لا تزال المرأة تحسب الزواج مهنتها الأولى. فبينما يزداد عدد الفتيات العاملات حتى يصبح ستة أضعاف ما كان في فرنسا منذ سنوات، نجد عدد المتزوجات العاملات لا يتجاوز الضعفين. رغم هذا لا ترى المرأة بدّاً من التسلح بمهنة تقيها الطوارىء، وتؤمن استقلالها الاقتصادي وتدرّ عليها المال عند الحاجة.

س ـ وما رأيكم في هذه الظاهرة التي تشيع اليوم في أوروبا الغربية، ظاهرة الزواج الحر والأولاد غير الشرعيين؟ أتكون حرية المرأة مسؤولة عنها؟

ج ـ إلى حد ما. إن الزواج الحر يعني عدم ارتباط الزوجين بعَقد ليصبح الطلاق سهلاً حين يملّ أحدهما الآخر أو حين يكون الطلاق ضرورياً. ومن عوامل تشجيعه تناقص عدد الرجال على أثر الحروب، وقدرة المرأة العاملة على إعاشة الأولاد من غير معاونة الزوج لاسيما حين تحصل على إعانة حكومية. مما يشجعه أيضاً ضعف سيطرة التقاليد على نفوس الغربيين واستقلال الفرد برأيه، ثم آراء فرويد ونظريات التحليل النفسي التي تلاقي رواجاً ومؤدّاها أن الأمومة أمر ضروري لحياة المرأة الفيزيولوجية وأن عظمتها لا تقوم في التبتل بل في الأمومة.

رغم هذا يلاحظ أن عدد الأولاد غير الشرعيين أخذ في التناقص وقد يكون الزواج الحر حالة شاذة وقتية خلقتها ظروف الحرب وتدابير الحكومات الراغبة في تكثير النسل.

س ـ هل تفضل إمرأة اليوم على إمرأة الأمس؟

ج ـ بلا شك، يجيب فرانسوا مورياك. إن المرأة الحديثة أفضل من القديمة. إنها أوسع منها ثقافة وأشد نشاطاً. إنها اليوم رفيقة أولادها لا خادمتهم، رفيقة زوجها لا عبدته. لا تتنكر لزواج الحب لكنها لا تتخذ الحب وحده موضع ثقتها بل تدخل فيه أيضاً اعتبارات عملية.

إنها أقل غنجاً وتدللاً وأقل تعلقاً بالأثواب والمجوهرات وأصلب نفساً وأبعد عن الإفراط في الرقة والنعومة.

في القديم كانت بعض نساء الخاصة مرغمات على الفضيلة، على حياة الدير أو حياة الأسر داخل القصور المغلقة، فكانت فضيلتهن مصطنعة. في حين كانت بنات الشعب مرغمات على البقاء إرضاء لحاجة أبناء الخاصة. أما اليوم فلا إرغام في الفضيلة ولا في البغاء. وفضيلة اليوم أعظم قيمة من فضيلة الأمس لأنها اختيارية. وزواج اليوم أفضل من زواج الأمس لأن المرأة تقبله باختيارها لا بدافع الضرورة.

* * *

أما الخلاصة التي أريد أن انتهي إليها فهي:

أولاً ان تطور المرأة عندنا يسير في أثر التطور الذي اجتازته نساء الغرب ولكن بصورة أبطأ وأشد تحفظاً. وإن الظروف التي دفعتهن هناك إلى الحرية والعمل هي نفسها التي تدفع نساءنا في هذا السبيل.

ثانياً إن نقطة الدائرة في حريات المرأة الغربية هي حريتها الاقتصادية أي مقدرتها على كسب معاشها بنفسها وهذه الحرية ترتكز على أمرين أولاً إقبالها على العمل ثانياً مساواتها بالإرث مع الرجل.

وستصبح حرية المرأة عندنا أمراً واقعاً يوم تتسلح كل إمرأة بمهنة تشعرها باستقلالها وتعطيها حق المساواة بالرجل لا بالإرث فقط بل بسائر الحقوق بما فيها السياسية.

صوت المرأة. العدد ٢، السنة ٦،
شباط (فبراير)، ١٩٥١، ص ٨ و٩.

لماذا يصوّت الأميّ ولا تصوّت المثقفة؟

هوذا موضوع في الهواء كما يقولون في الانكليزية. وتَصدق عليه العبارة أولاً، لأنه كان كذلك منذ مدة من الزمن إذ ألّف أحد مواضيع الجلسة النيابية التي مر بها أصحابها مر الكرام، كما تناولته بعض الجرائد وبعض أوساط الحديث بشيء من التعليق وكثير من الفتور، ثم أسدل الستار وطار في الهواء.

إن أعضاء المجلس، حين ردوا الاقتراح على أساس أنه سابق لأوانه وأن المرأة عندنا لا تصلح للتصويت في الوقت الحاضر لم يفكر أحد منهم ـ من باب الإنصاف ـ أن يبحث فيما إذا كان جميع الرجال عندنا أكثر أهلية للتصويت من النساء. وإذا كانت النساء قد حرمن هذا الحق بناء على تفشي الجهل والأمية بينهن، أليس من العدل أن يحرم الأميون من الرجال هذا الحق أيضاً، وأن ينحصر التصويت في المثقفين فقط من الرجال والنساء على السواء؟

يكاد يكون موضوع المرأة وتحريرها أمراً مفروغاً منه في الأوساط الغربية المتقدمة، فقلّما تعثر في مجلاتهم على موضوع يتناول مثل هذا السؤال: «هل خلقت المرأة للبيت؟» أو هذا الآخر: «هل يجوز عمل المرأة خارج البيت؟» أو «هل يحق للمرأة التصويت؟».

وقلّما تجد مجلة غربية من مجلات الثقافة العامة تفرد بين أبوابها باباً للمرأة، لأنها تترك ذلك للمجلات النسائية ولأن مباحثها تتناول المرأة والرجل على

السواء في كل باب من أبواب الثقافة والعمل. فمجلة «تايم» العالمية مثلاً، التي تتناول محتوياتها جميع وجوه الحياة العصرية، كالسياسة والتربية والدين والعلم والفن والسينما والرياضة والكتب، لا تجعل للمرأة صفحة خاصة، بل إن حديثها عن مشاهير النساء لا يقل غزارة وأهمية عما تكتبه عن مشاهير الرجال وصور النساء البارزات لا تقل فيها عدداً عن صور الرجال.

ننشر فيما يلي أسماء البلدان التي تمارس المرأة فيها حقوقها السياسية... (١٩٤٩).

البانيا، المانيا، الأرجنتين، اوستراليا، النمسا، بلجيكا، البرازيل، روسيا البيضاء، كندا، الصين، كوريا، كوستريكا، كوبا، الدانمرك، الجمهورية الدومينيكية، الأكوادور، الولايات المتحدة، فنلندا، فرنسا، بريطانيا العظمى، غواتيمالا، المجر، ايسلندا، الهند، ايرلندا، ايطاليا، اليابان، لوكسمبورغ، منغوليا، زيلندا الجديدة، نروج، باكستان، باناما، هولندا، الفيليبين، بولونيا، رومانيا، سان سلفادور، سيام، اسوج، تشكوسلوفاكيا، تركيا، اوكرانيا، الاتحاد السوفياتي، اتحاد جنوبي افريقيا، الأوروغواي، فنزويلا، يوغوسلافيا.

حيث حرمت المرأة حقوقها:

أما البلدان التي لا يحق لها ممارسة حقوقها السياسية فهي:
الأفغان، المملكة العربية السعودية، بوليفيا، تشيلي، كولومبيا، مصر، الحبشة، اليونان، هايتي، هندوراس، ايران، العراق، لبنان، ليبريا، نيكاراغوا، البيرو، البورتغال، سوريا، شرق الأردن، اليمن.

منذ مدة أجرت احدى المجلات الاميركية استفتاء بين الرجال المتزوجين تسألهم في بعض ما تسأل: «هل تحبذون عمل الزوجة خارج البيت؟» فأجاب ٩٠٪ منهم: «لا». ورغم هذا الموقف السلبي من قِبَل الرجل لا يزال عدد المتزوجات العاملات خارج البيت يتزايد يوماً بعد يوم. فالمرأة الغربية تملأ كل دقيقة من وقتها في عمل ما، يشغلها عمل البيت لقلة الخدم وارتفاع أجورهم في الأقطار الغربية لكنها حالما تنتهي منه وتجد أمامها مقداراً من الفراغ تسارع للخروج من البيت، لتقوم ببعض الأعمال متكسبة أو متبرعة وذلك لاعتقادها بضرورة نموها العقلي والثقافي.

إن تقدم المرأة العصرية يسير بسرعة مدهشة نستدل عليها بالأرقام. فقد جاهدت نساء انكلترا اثنتين وسبعين سنة للحصول على حق التصويت (١٨٤٦ ـ ١٩١٨)، وجاهدت نساء أميركا نحواً من مئة سنة حتى حصلن عليه سنة ١٩٢٠، وفي ١٩١٥ كان تصويت النساء مقصوراً على زيلندا واوستراليا. أما في المدة الأخيرة بين ١٩١٥ و١٩٣٨ أي في أقل من عشرين سنة، فقد شمل تصويت المرأة خمساً وعشرين دولة يضاف إليها بعد سنة ١٩٣٨ فرنسا ودولتا الهند والباكستان.

وإذا ذكرت نساؤنا ما قاسته المجاهدات من زعيمات الحركة النسائية في أوروبا في القرن الماضي من اضطهاد الرجل وقسوته وسخريته، هانت أمامهن المتاعب التي يلاقينها من أنصار الرجعية عندنا.

حدّثت في الموضوع باحثة انكليزية تصف جهاد المرأة في ذلك العهد قالت: كان النساء يقمن بمظاهرات عنيفة صاخبة في الشوارع مطالبات بحقوقهن فيحرقن صناديق البريد ويحطمن واجهات المخازن وعندما منعتهن الحكومة عن المظاهرة في الشوارع وإلقاء الخطب في «هايد بارك»، لجأن إلى الأنهار بدل الشوارع واتخذن من القوارب منابر، وابتكرن من وسائل الدعاية ما يدهش أرباب الدعاية في عصرنا الحالي. وكان خصومهن يوجهون إليهن أسوأ أنواع الانتقاد والسخرية، فيقابلنها برحابة صدر. وحين طالبن بالمساواة في الوظائف المدنية كالتوظف في دوائر الشرطة مثلاً، كانت بعض الجرائد تنشر صورهن في أزياء بوليسية مضحكة هاربات من وجوه اللصوص والمخالفين، يتعثرن بأذيالهن من شدة الخوف. وذلك لم يمنعهن من ملاحقة مطالبهن حتى حصلن عليها كاملة وتوظفن في دوائر الشرطة كما في غيرها من دوائر الحكومة، وأظهرن فيها كفاءة تنوّه بذكرها الجرائد.

هذا النجاح الذي أصابته المرأة في الحصول على مطالبها، يرينا أن الناس ليسوا متحجري العقول بالمقدار الذي نظن وأن الأفكار القديمة مهما طالت سيطرتها على العقول لا بد أن تضمحل وتعطي مكانها للأفكار الحديثة.

ولكن فيما نحن ننتظر هذا التطور المنشود يتحتم علينا أن نضاعف الجهود

التي تدنينا من الهدف، وفي هذا السبيل اقترح قيام منظمة نسائية تتألف من نساء الكليات وخريجات المعاهد الثانوية، ـ وعددهن عندنا غير قليل ـ فتكون منظمة من نوع جديد يتميز أعضاؤها بروح التحرر والتجدد والعمل المنتظم ويؤمن بالمساواة في الحقوق والمعاملة بين الجنسين. ويكون غرض هذه المنظمة العمل للمرأة فقط. وبذلك تأمن الاصطدام مع باقي الجمعيات النسائية الخيرية المتعددة الأهداف. وتسعى هذه المنظمة لتنفيذ برنامج يتعلق بالمرأة وفيه ما يلي:

أولاً تعديل القانون المدني المتعلق بالمرأة، بما فيه قوانين الإرث والوصاية والنفقة والزواج والطلاق والشهادة وما يتصل بها. وتعديل هذا القانون في نظر المفكرين أشد أهمية من تحصيل الحقوق السياسية، على أن لا يغفل أمر هذه بل يستمر في ملاحقتها.

ثانياً مساواة مدارس البنات بمدارس البنين في العدد سواء في القرى أم في المدن، وإنشاء عدد من المدارس المهنية للبنات.

ثالثاً إلغاء المؤسسات التي تحط من شأن المرأة كدُور البغاء الرسمي التي تباح فيها المتاجرة بالنساء بصورة مؤسفة، وتنحط فيها المرأة إلى مستوى دون مستوى البهيمة.

ويكون في برنامجها أيضاً العمل الايجابي كإنشاء ناد نسائي في العاصمة بالتضامن مع باقي الجمعيات النسائية، وتنظيم المناقشات العلمية التي تسعى لحلّ بعض المشاكل النسائية المتعلقة بالعمل والسكن والعلاقات العائلية.

وبعد فإن الظروف الحالية تلح على المرأة المثقفة بأن تبادر إلى التكتل لأن ثقافتها لن تجديها نفعاً إذا هي لم تجسر على اقتحام ما تراجعت عنه سابقاتها أو إذا عجزت عن العمل المجموعي المنظم الذي تهيئها له الظروف الحاضرة.

صوت المرأة. العدد ٣، السنة ٥،
آذار (مارس)، ١٩٤٩، ص ٦ و٧.

المـــرأة والحقـــوق السياسـية

بمناسبَة حصول المرأة اللبـنانية على حقوقها السياسيَة عام ١٩٥٣

الحقوق السياسية وسيلة لا غايـة. هي وسيلة الأفراد والجماعات، الهيئات - والأحزاب، لإيصال مطاليبها المشروعـة إلى آذان المسؤولين، لإيجاد مـن يدافع عن حقوقها، لإحداث القوانين والتغييرات التي ترى ضرورة إحداثهـا، تعزيـزاً لمصالح الشعب وتـأميناً للعـدل والنظام. ذلـك لأن النظام النيـابي يضع مصـير الشعب في يـده ويضمن لـه حق حكم ذاتـه بـذاتـه، بـواسـطة النـواب الـذين ينتخبهم لتمثيله، فإن أحسن الانتخاب فلنفسه وإن أساء فعليها.

الحقوق السياسية للمرأة، من وجهة نظريـة أو مبدأيـة، خطوة إلى الأمـام، لأنها تعطيها ثقـة بنفسها إذ تشعـرها بصـورة عملية أنها مسـاوية للرجـل في حق التثقيف السياسي والاجتماعي، وبالتالي في حق الانتخاب وإصدار الحكم. تريها أنها لم تعد، كما في السابق، منعزلة عن شؤون السياسة والمجتمع، بل أصبحت مضطرة إلى الاحتكاك والدرس والتفهّم لان عليها مسؤولية جديدة.

وقد تتساءل لماذا تعطى حق المساواة السياسية دون باقي الحقـوق التي أهمل أمرها وحينئـذ يصبح مجـرد تساؤلهـا دليلاً عـلى الوعي والتنبّـه، وربما كـان ذلك حافزاً لها على السعي في سبيل اكتساب تلك الحقوق الباقيـة، أسوة بنسـاء العالم الراقي، وتطبيقاً لوثيقة حقوق الإنسان القائلة: «إن جميع البشر، ذكوراً وإنـاثاً، متساوون في الحقوق، بقطع النظر عن اللون والعرق والجنس».

حقوق وواجبات

النظام الديمقراطي يعطي أفراد الشعب حقوقاً واسعة يقابلها واجبات لا تقل عنها اتساعاً. ولنسرد أهم الحقوق التي يجب على الحكومة تأمينها للفرد: حق الحماية من جميع أنواع التعدي والاستثمار، حق التعلم المجاني، على الأقل حتى نهاية المرحلة الابتدائية. حق الانتخاب الحر والترشح للوظائف الحكومية. حرية الفكر والقول والدين. حق العمل وحق تحديد ساعات العمل والانتفاع بقانون يحدد العلاقات بين العامل وصاحب العمل. حق الاجتماع والانتماء إلى الجمعيات والنقابات المرخّص لها. حق التأمين الاجتماعي والحصول على مستوى من العيش يضمن للإنسان الصحة والرفاهية.

أما واجبات الفرد مقابل الحقوق التي يتمتع بها فنستطيع أن نوجزها بقولنا إنها ـ في الدرجة الأولى ـ إطاعة القوانين التي وافق عليها الشعب بواسطة نوابه وممثليه. وهنا يجدر بكل منا، حين يطالب الحكومة بما يتوجب عليها نحوه، أن يتساءل: هل قام هو بالواجبات المطلوبة منه كمواطن؟ هل أدى الضرائب المتوجبة عليه ولم يحاول التهرب منها؟ أما حاول خداع السلطة في التصريح الذي قدّمه عن دخله السنوي؟ هل قام بواجبه الانتخابي على أفضل وجه ممكن، متحاشياً الرشوة والمحسوبية؟

وماذا نقول في القوانين التي تمنع قطع الأشجار من غير رخصة وحمل السلاح وإطلاق الرصاص، وإعطاء الشحاذ، والتدخين في الأماكن المحظور فيها التدخين؟ هل تطاع هذه القوانين كما يجب؟ أم أن طاعتنا لها توازي طاعة السواقين لقوانين السير، وأصحاب الأبنية لقانون تجميل المدن، وسكان البلاد عموماً لقانون نظافة الشوارع والأماكن العامة؟

«كما تكونون يولّى عليكم». إن المواطن الذي لا يقوم بقسطه من الخدمة العامة، الذي لا يتضامن مع المجموع في سبيل مشروع مفيد، الذي يرى مخالفة القانون عملاً بطولياً، ولا يقوم بواجبات وظيفته بأمانة ونزاهة، لا يحق له أن يتمتع بحقوق المواطن ولا أن يساهم في عملية الانتخاب.

الحق السياسي مسؤولية

يتضح لنا مما ذكر أن الحق السياسي مسؤولية وليس حقاً فحسب... هو سلاح خطر تستطيع المرأة استخدامه للشر كما للخير، إذا وقعت في الأخطاء التي وقع فيها الرجل من قبلها فلن تكون قد عملت شيئاً سوى مضاعفة شرور الانتخاب وإظهار عيوب النظام النيابي حين يساء تطبيقه.

يختلف موقف الرجال من حق المرأة السياسي. ففيهم الساخر وفيهم المتهوس وفيهم المتشائم والمتفائل. لكن السياسيين والمتسيسين ـ كعادتهم ـ يعدّون العدة لاستثمار حق المرأة لمصلحتهم ويرون فيها قوة جديدة يستطيعون تكييفها لخدمتهم. لأن موقف الرجل من المرأة ـ وإن اختلفت الظروف ـ لا يزال هو هو كما أعلنه اللورد تشسترفيلد في القرن السابع عشر حين كتب في بعض رسائله: «بما أن النساء بعددهن الوفير ونفوذهن الاجتماعي قوة لا يستهان بها في المجتمع فجدير بالرجل الذي يسعى وراء المال والشهرة أن يجتذب رضاهن وينال نعمة في عيونهن وأنجع وسيلة لذلك هي الملق والملاطفة وامتداح جمالهن ورجاحة عقلهن لأن جميع النساء من غير استثناء سريعات التأثر بالمديح ولو كان كاذباً».

قال شوقي بهذا المعنى:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرّهن الثناء

في مثل هذه الأقوال عبرة للنساء وعظة وتحذير. على أن من الرجال من سلاحهم غير الملق. فقد يستعملون التهديد لاسيما إذا كانت المرأة عيّلاً عليهم، أي أماً أو أختاً أو زوجةً تعتمد على الرجل لإعاشتها. لكن المرأة القوية الإرادة الصحيحة الخلق لا تنقاد لأحد مهما كانت صلته بها. لقد عرفت مثل هؤلاء النساء في القرى وفي المدن، فتيات ذوات شخصية صلبة يرفضن الخضوع لأهلهن في مسائل الزواج إذا خالفت ميولهن أو مصالحهن. نساء يناهضن ضلال أزواجهن وينجحن في ردهم إلى الصواب

إن تصويت المرأة لا قيمة له إذا لم تتخذه المرأة وسيلة لإصلاح ما فسد، لتحصيل الحقوق التي فاتها تحصيلها حتى الآن، لانتخاب الأكفاء المشهود لهم

بالاستقامة والغيرة على المصلحة العامة، ولنبذ الأدعياء والمتطفلين والمتزعمين والساعين وراء الثروة من أقرب السبل.

شروط الانتخاب الصحيح

أول شروط الانتخاب، ليعطي نتائجه المطلوبة، أن يكون حراً. وحريته تعني براءته من العيوب التالية:

١ ـ علنية التصويت. والصواب أن يجري بطريقة سرية فيضع الناخب ورقته في صندوق الاقتراع من غير أن يعلن مضمونها لأن ذلك أضمن لحريته إذ يجعله في مأمن من ضغط أصحاب المصالح والدعايات وتأثير أهل الرشوة وشراة الضمائر.

٢ ـ الرشوة أو مشترى الأصوات بالمال والمواعيد المعسولة وهي بلا ريب أسوأ عيوب النظام النيابي وأشدها إفساداً للأخلاق ومن واجب الحكومة أن تتخذ التدابير اللازمة لمنع الرشوة وفرض العقوبات الصارمة على الراشي والمرتشي.

٣ ـ التحيّز العاطفي أي تحكيم عواطفنا الشخصية من حب أو كره في تأييد مرشح ومعارضة غيره. إن بعض الناس ينقادون انقياداً عاطفياً لمظهر المرشح وتجذبهم أناقته أو طلاقة لسانه فيؤيدونه من غير تفكير في جدارته الفكرية والخلقية. ومنهم من ينقادون لتأثير الأصحاب والجيران فيكون تصويتهم نوعاً من المجاملة والمسايرة التي عرف بها الشرقيون مع أن موضوع الانتخاب هو من الخطورة بحيث يفرض تحكيم العقل والضمير لا العاطفة والتقليد.

٤ ـ الخوف من رجال المال والوجاهة الاجتماعية واعتبارهم أجدر من سواهم بتمثيل البلاد. من التقاليد الضارة التي يجب مكافحتها تعظيم رجال المال ورجال الحكومة والظهور أمامهم بمظهر الجبن والخوف وانتخابهم للمناصب الهامة، مع أن النظام الديمقراطي يفرض علينا أن ندين بمبدأ المساواة والأخوة الاجتماعية وأن لا نتخذ للانتخاب أساساً آخر غير الكفاءة الذاتية التي لا علاقة لها بالنسب ولا بالمركز الاجتماعي. قد يتفق للمرشح أن يجمع بين الكفاءة

والإخلاص والغنى والوجاهة لكنّ انتخابه لا يجوز أن يبنى إلّا على الصفتين الأوليين.

٥ ـ الطائفية. هي العلّة التي يشكو منها كل غيور على مصلحة بلاده لأن توزيع الوظائف والمقاعد النيابية بالنسبة لمركز الطائفة العددي ليس إلّا تسجيلاً للتفرقة القائمة بين أفراد الشعب وهدماً لفكرة القائلين «يجب إزالة الطائفية من النصوص قبل إزالتها من النفوس» لأن القانون أفضل وسيلة لتوجيه الناس إلى الطريق السوي، ولو كانت هذه الحجة صحيحة لقلنا بالمعنى نفسه: «يجب إزالة الجشع والحاجة من نفوس الناس قبل منع السرقة» والعكس هو الصواب لأن مجرّد وجود القانون يدعو الناس إلى التفكير فيه والاقتناع بصحته ومن ثم إلى العمل بموجبه.

٦ ـ العصبية العائلية. كما تتحكم فينا الطائفية لا تزال تتحكم فينا الروح العشائرية التي تدفعنا إلى مجاراة الأهل والإخوان ولو في الباطل. إذا كان المرشح للنيابة أو غيرها قريباً لنا أو نسيباً رأينا من واجبنا أو من مصلحتنا التكتل حوله مع علمنا بعدم صلاحه للمركز الذي يطمح إليه. هذه الروح العشائرية لا تزول إلّا بزوال التربية الاتكالية التي درجت عليها الأسر الشرقية، وانتشار روح الاعتماد على النفس، والتحرر من ضغط الأسرة والتقاليد.

ولنقل ختاماً:

على المرأة مسؤولية إصلاح وتجديد في عهدها الانتخابي الجديد: أن تكافح عيوب الانتخابات السابقة، أن تكون رسول نظام وسلام داخل البلاد وخارجها، أن تعتبر نفسها قائدة لا مقودة. ولتذكر أن دعامة الانتخاب الصحيح عقل واعٍ وضمير حي وخلق قويم، وجميع ذلك في متناول المرأة إذا نالت مقداراً من التثقيف والتوجيه الصحيح في البيت والمدرسة والمجتمع.

صوت المرأة. العدد ٢، السنة ٩،
شباط (فبراير)، ١٩٥٣، ص ٥ و٦.

المـرأة في كتاب "الجنس الآخـر"(*) لسيمون دو بوڤوار

تـاريخ المـرأة تـاريخ استعباد طويـل

(١)

سيمون دو بوڤوار كاتبة فرنسية معاصرة لها عدة مؤلفات تبسط فيها عقيدتها بالفلسفة الوجودية على طريقة جان بول سارتر، وهي الفلسفة التي محورها أن الإنسان يصنع نفسه بنفسه. «نفس عصام سوّدت عصاماً» كما يقول مثلنا العربي. لأنه مطلق الحرية والإرادة، إذ ليس هناك قوى عاتية موروثة تسيّره ولا طبيعة إنسانية ثابتة تكيّفه ولكن الإنسان هو الذي ينتخب طريقه وهو وحده مسؤول عن مصيره. وعلى كل إنسان أن يكدّ ليبلغ ذروة إنسانيته ويرتفع فوق المادة الخام التي كُوّن منها.

على هذا الأساس الوجودي تبني الكاتبة بحثها الطويل في موضوع المرأة، في كتاب ذي مجلدين ضخمين يقع أحدهما في ٣٩٥ صفحة والثاني في ٥٧٦. وهذا الكتاب الذي نشر سنة ١٩٤٥ نال رواجاً هائلاً بين المطبوعات الفرنسية رغم ضخامة حجمه وارتفاع ثمنه لأنه أفضل ما كتب في موضوع المرأة حتى الآن.

في هذين المجلدين تستعرض سيمون دو بوڤوار تاريخ المرأة خلال العصور ثم وجهات نظر الأدب والقصص والأساطير في المرأة. ثم تبحث حالة المرأة في أدوار حياتها المختلفة: الحداثة، الفتوة، الزواج والأمومة، وتدرس الوظائف

(*) Le Deuxieme Sexe

والأعمال المختلفة التي قامت بها حتى الآن: الزوجة ومديرة المنزل، الخادمة والمحظية والتي أذلها الحب والمتصوفة والأنانية وأخيراً في العصر الحديث، المرأة المستقلة بمهنتها أو عملها الخاص.

تاريخ المرأة حتى الآن ـ كما عرضته سيمون دو بوفوار في فصل طويل ممتع ـ هو تاريخ استعباد طويل. وطريقها إلى التحرر هو المذهب الوجودي الذي يستطيع أن يعيد إليها الثقة بنفسها ويهيء لها سبيل التغلب على ضعفها التقليدي لأنه يقول لها: الانسان سيد نفسه وهو الذي يسوقها إلى الرفعة أو إلى الهبوط، يبني ذاته بيده، يصنعها من لا شيء. العظيم لا يخلق عظيماً لكنه يصير كذلك. والمرأة أيضاً مصيرها بيدها. لم تخلق ضعيفة لكن محيطها صيّرها كذلك وحصرها في دائرة الجمود والمحدودية. وفي وسعها أن تأتي بالعظائم إذا أحسن توجيهها.

في العصور الفطرية كانت النساء ـ على الأرجح ـ أقوى بنية من نساء اليوم، كما تدلنا أخبار الأمازونات أو النساء المحاربات. لكن مما لا شك فيه أن خصائصهن الجنسية، أي الحمل والإرضاع وما يتصل بها، وقفت حاجزاً في سبيل مساواتهن بالرجل، لأنها تحد من نشاطهن في أوقات معينة وتجعلهن معتمدات على الرجل للحماية.

ومع أن دور المرأة في حفظ النسل كان في القبيلة يضارع دور الرجل بل يفوقه أهمية، نرى أن المرأة لم تتفوق على الرجل حينذاك ولم تساوه في القيمة. لماذا؟ لأن عمل الرجل كان أعظم شأناً من عملها. فهي تعطي الحياة وهو يسيطر على الحياة بواسطة الصيد والغزو والحرب. ينهب الأرواح والأموال ويعود حاملاً أكاليل الفخر والانتصار. كان عمل الرجل نشاطاً خالقاً لأنه يشحذ ذهنه ويدفعه إلى خلق الآلات ووسائل العيش. أما عمل المرأة فنشاط انفعالي متكرر لا يتنوع ولا يشحذ قواها النفسية بل يحصرها في دائرة النوع. عمل الرجل إنساني لأنه نمو وتجديد وارتقاء وتطور من حالة إلى أفضل منها، أما عمل المرأة فحيواني لأنه مقصور على التناسل. لهذا تغلب الرجل على المرأة وأصبح سيدها مع أن وظيفتها في حفظ النوع عظيمة الأهمية.

في عصور الفطرة، وفي الأوساط الزراعية، قبل ظهور عهد البرونز الذي حرر الإنسان بفضل الآلة، كانت الأملاك مشاعاً في القبيلة. وكانت الأمومة وظيفة مقدسة والمرأة موضوع احترام وتقديس لأنها مصدر الأولاد الذين يحرثون الأرض ويرثونها. كان الرجل إذ ذاك صياداً والمرأة تربي الأولاد وتقوم بأعمال البستنة والطبخ والبناء وقد سمي هذا العهد بعهد الأمومة لأن المرأة فيه كانت شبه مساوية للرجل، إليها ينتسب الأولاد وبها تحصل وراثة الأرض. ومع هذا كان الرجل هو المسيطر الفعلي على القبيلة، والمرأة مرهوبة الجانب فقط لأنها رمز الأرض ومصدر الخصب ولأن قوى خفية اختارتها لحفظ الحياة وتأمين النسل.

ولكن بدأ هبوط المرأة بظهور الآلات الحديدية الضخمة التي كان الرجل أقدر على استعمالها من المرأة. وحينئذ بدأ عهد الملكية الخاصة، فأصبح الرجل الواحد مالك الأرض والعبيد وسيد أسرته بما فيها النساء، له عليهم سلطة مطلقة، كسلطة المالك على المملوك. حقوقه على بناته حقوق مطلقة تنتقل منه بالزواج إلى البعل الذي يحق له تعدد الزوجات ويحق له الطلاق حين يشاء. يفرض على الزوجة العفّة التي لا يفرضها على ذاته، ويعاقب الزانية بالقتل لأنها ملكه الخاص، وهو مصدر إعاشتها وإعاشة أولادها. وقد بقي في شرائع اليوم أثر من ذلك الحق بدليل أن قوانين نابليون التي استلهمنا منها قانون الجزاء توصي بتخفيف عقوبة من يقتل زوجته أو إحدى قريباته إذا فاجأها في حالة الجرم المشهود بل لمجرّد شكه في سلوكها.

عهد الملكية الخاصة أحلّ نظام الأبوة مكان نظام الأمومة وسجل استعباد المرأة لأن ملكية الأرض انحصرت في الرجل، والذكور دون الإناث أخذوا يرثون الأرض من والدهم لكي يتابعوا حراثتها ويخلدوا بها ذكره. في بلاد واحدة، في مصر القديمة، ساوت المرأة الرجل في حقوق الإرث لأن الأرض كانت تخص الملك والكهنة والجنود، أما عامة الشعب فكانوا فقط مستثمرين للأرض ولهذا لم يجدوا حرجاً في قسمة أموالهم القليلة على السواء بين البنين والبنات. أما في سائر الأوساط الزراعية القائمة على ملكية الأرض وفي الأوساط الحربية التي يعتمد أهلها على الغزو لإعاشتهم، كما في جزيرة العرب مثلاً، فقد انحطت مكانة المرأة واتخذت آلة للنسل، لإنجاب المحاربين والوارثين.

كان للمرأة بعض الحقوق في شرائع حمورابي، كذلك في شرائع مصر الفراعنة أما في سائر الأقطار الشرقية فقد كان استعبادها تاماً. وفي بلاد اليونان جعلوا لها وصياً أو قيماً على شخصها أو مالها، إذ كان لها مال بصورة بائنة أو مهر يقدمه لها الوصي لتأمين معاشها.

أما في سبارطة حيث شاعت ملكية العقار والأولاد فكانت المرأة مساوية للرجل في الحقوق، تدرَّب مثله على الجندية، ولم تحبس في دار زوجها ولم تحاسب على الزنا لأن الأولاد لم يكونوا ملك الأب بل ملك الدولة.

المرأة الرومانية تمتعت بمقام محترم فكانت شريكة زوجها لا خادمته، يحق لها الظهور في الأماكن العامة، وكانت الفتاة عندهم ترث مثل إخوتها، لكن المرأة الرومانية لم تحسن استعمال حرياتها لأنها لم تكن مثقفة ولم تعط حق الاشتراك في السياسة والأعمال.

بعد اندثار الأمبراطورية الرومانية وقيام النظام الاقطاعي المعتمد على الحرب والزراعة، عاد استعباد المرأة إلى سابق عهده. في القرون الوسطى ظهر الحب الفروسي والغزل الرومنطيقي الذي يجعل المرأة موضوع عبادة وتأليه لكن ذلك لا يعني تحريرها بل سجنها في قصر شاهق وتنافس الفرسان في حمايتها أو الحصول عليها ككنز ثمين أو متاع مرغوب فيه: كانت المرأة حينذاك صنماً يعبده الرجل ويحطمه حين يشاء، كما حطم عطيل دسدمونه المسكينة حين شك في عفتها.

حين تقدمت الصناعة وظهرت بوادر الثورة الصناعية قامت المرأة بأول خطوة نحو التحرر لأن الثروة أصبحت نِقدية غير عقارية ومن ثم قابلة الانتقال والتحويل، بخلاف الثروة العقارية التي ربطت الرجل بأرضه ومنعته من اقتسامها مع المرأة. وكانت هذه أسبق إلى التحرر في الأقطار التي ظهرت فيها الثورة الصناعية أولاً: في انكلترا وفي اميركا، وفي الأقطار الانكلوسكسونية قبل اللاتينية. ولا يزال التقدم الصناعي في قطر ما أكثر ملاءمة لتحرير المرأة من التقدم الزراعي.

وانتشرت الحركة النسائية تدريجاً وأخذت النساء يطالبن بمساواة الرجل في

الحقوق المدنية والسياسية. وكانت نيوزيلندا أسبق الأقطار إلى إعطاء المرأة حق التصويت سنة ١٨٩٣.

إن ضعف الحركة النسائية ناشيء بالأكثر عن ضعف تضامن النساء لأن مصالح المرأة البورجوازية تتعارض مع مصالح المرأة العاملة، ولا بد لتحرير النساء من القضاء على نظام الطبقات وتحريرهن من الجهل والخمول. والواقع أن المرأة الفلاحة أو العاملة في المصنع أكثر حرية من زوجة الغني الطفيلية المعتمدة على زوجها لإعاشتها فهو لهذا يستطيع أن يحبسها في قفص ذهبي ويشد عليها الخناق.

وأخيراً بعد جهاد طويل وتطور تدريجي فازت حركة النساء وأصبحت الشرائع في أميركا وفي معظم أقطار أوروبا تساوي المرأة بالرجل في حقوق الملك والإرث والعمل وفي قانون الجزاء والحقوق السياسية ثم المدنية أو قانون الزواج والطلاق. ومع هذا لا تزال المرأة في الغرب ترزح تحت نير التقاليد القديمة فأجورها في معظم الأحيان دون أجور الرجل ووسائل التقدم لديها ضيقة محدودة وبعد فوزها بتغيير الشرائع تجد نفسها مضطرة إلى تغيير عقلية المجتمع، لاسيما عقلية الرجل الذي لا يزال ينظر إليها نظرة الأعلى إلى الأدنى.

أما في الأقطار العربية، بما فيها لبنان، فلم يحدث أقل تغيير في الشرائع المتعلقة بالمرأة بل إنها لا تزال تخضع في القانون المدني والجزائي وغيرهما لشرائع القرون الوسطى. والتغيير الوحيد الذي حصل هو انتشار العلم بين النساء وطرقهن أبواباً جديدة من العمل في المصانع والمكاتب والمدارس وسائر المعاهد الحديثة الإنشاء في بلادنا. لكن عملهن محدود ضيق النطاق وليس إلّا خطوة واحدة من خطوات عديدة، يترتب على المرأة القيام بها في المستقبل القريب.

صوت المرأة. العدد ١١، السنة ٧،
تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٥٢، ص ١٢، ١٣ و١٤.

المرأة في كتاب "الجنس الآخر"

(٢)

في الحديث السابق عرضتِ موجز تاريخ المرأة كما سردته سيمون دو بوفوار في كتابها «الجنس الآخر» حين بيّنت أنه تاريخ استعباد طويل. بعد أن تنتهي الكاتبة من الناحية التاريخية تعمد إلى بحث الحالة الحاضرة فتقول: إن المرأة قد تحررت في الغرب بعض التحرر بفضل التعديلات التي أجريت على الشرائع المتعلقة بها. لكن ـ رغم هذا ـ لم تتحرر المرأة تحرراً تاماً لأن المجتمع لا يساويها بالرجل وإن ساوتها الشرائع ولأن هناك تقاليد وأحكاماً ومؤسسات اجتماعية لا بد من تغييرها للوصول إلى الحرية المنشودة.

ما هي الأعمال التي قامت بها ولا تزال تقوم بها المرأة حتى اليوم؟

تجيب الكاتبة عن هذا السؤال بما يلي:

أعمال البيت والأمومة وما يتعلق بهما كالتمريض وتربية الأطفال، معاونة الرجل في بعض أعمال الحقل أو المصنع، عقد مجالس اللهو والظهور في الأندية الاجتماعية. وفي ما عدا هذا كانت بعض النساء ولا يزلن يتخذن البغاء مهنة، أو يصبحن حظايا الملوك والأغنياء أو يطربن الرجال بالرقص والغناء. ومنهن من استعضن عن الحالة التافهة التي حصرهن فيها المجتمع بوجوه من الثورة أو رد الفعل. ومن هؤلاء الثائرات على وضعهن: الأنانية التي تعبد ذاتها وتنصرف إلى التبرج والسيطرة وحب الظهور، والعاشقة التي تذوب في من تحبّ، والراهبة

المتصوفة التي تـذوب في حب الله. تستعرض المؤلفـة هذه الأعـمال أو الوظـائف واحدة واحدة وتبدي رأيها في كل منها:

إن أعـمال المنزل ـ في رأي الكـاتبة ـ لا تمـلأ حيـاة المـرأة ولا تمنحهـا رضىً واكتفـاءً لأنها أعمال متكـررة مملّة لا خلق فيها ولا تجـديد. جـلّ ما فيهـا تنظيف وتمسيـح وتكنيس. أما النشـاط الخالق فمقصـور على الـرجل الـذي يبني البيت ويصنع الأثاث ويحرث الأرض ويجمع الغلال ويخترع الآلات ويبتكر الأواني التي تستعملها المرأة. ومن حسنات العصر الحديث أنه بواسـطة المخترعـات المتنوعـة قد خفف أعمال المرأة المنزلية إلى حد بعيد وهيأ لها وسائـل تنويـع عملها خـارج البيت كما أجبر الرجل على معاونتها في أعمال المنزل عند الضرورة.

أما الأمومـة فوظيفـة المرأة التقليـدية ولكن ـ تقـول سيمون دو بـوڤوار ـ من الخطأ أن نعتبر الأمـومة وحـدها وظيفـة كافيـة لملء الفـراغ في حياة المـرأة. «إن الوالدين الذين يريـدون الأولاد بدافـع أناني مخـطئون، لأن الأولاد ليسـوا ملك والـديهم يتصرفون بهم حسب هـواهم، ولا هم وسيلة استثـمار أو تعـويض عن أحلام مكبوتة وأمانيٍّ مقهورة. وليسوا آلة تسلية ولهو أو مفاخـرة ومباهـاة. ولقد أخطأت كورنيليا حين عرضت أولادها على النساء وقـالت مفاخـرة: «هؤلاء هم كنـوزي». . . إن كثيـراً من النسـاء يصبحن مستعبـدات لأولادهن لكي يمـلأن فراغ نفوسهن، وبحنوّهن المفرط وقلقهن المستمر يمنعن الولـد من النمو المستقـل ويسيطرون عليه. . . إن المرأة الصالحـة للأمـومة هي المثقفـة الهادئـة الأعصاب النشيطة التي تقسم وقتها بـين العمل في البيت والعمـل خارجـه، لأنها بالعمـل تنسى نفسها ولا تجعل جسمها محور حياتها، وهي أصلح لـتربية ولـدها وتعليمـه القـوة والصلابـة التي تتّصف بهـا لأنها لا تتخـذه مـوضـوع حب مـريض وتعلق مفرط. ولكن بما أنه يصعب على الزوجة أن تـوفق بين الأمـومة والشغـل يتحتم على الحكومات أن تقيم مؤسسات صالحة للاهتمام بالأم العاملة ورعاية الأطفـال في غيابها وتهيئة الجو الصالح لاستمرارها في العمل. . .».

ثم تتحدث الكاتبة عن دور المرأة في الصالونات، في النوادي، في الزيارات والمحافل. وتشير إلى ما تنفقه من وقت ومال في التبرج وخياطة الملابس الـلازمة للحفـلات والاجتماعـات، وتزيـد قائلة: لـو كان للمـرأة عمل كـاف وشخصية

مستقلة لما انصرفت إلى الحياة اللاهية العابثة المليئة بالبذخ والتصنع والرياء.

أما البغاء فمهنة قديمة للنساء. أهم أسبابها قلة الشغل وكثرة البؤس. قد دلت الإحصاءات على أن نصف البغايا كنّ أولاً خادمات، جئن من أوساط قروية لا يحاط فيها الشرف بجميع وسائل المحافظة على الطريقة البورجوازية. وأهم وسائل مكافحته مكافحة الفقر والجهل، وأن تكون لكل إمرأة مهنة محترمة تمكنها من تحصيل معاشها وتمنعها من المتاجرة بجسمها والوصول إلى النتيجة المفجعة التي تنتظر البغي.

كان الرقص والغناء قديماً مهنة جواري القصور أو المملوكات اللواتي يعرضن للبيع. ولهذا عدّا من الأعمال المحتقرة مع أنهما في عداد الفنون الجميلة التي تفتح للمرأة سبيل النشاط الخالق. وتطورت حرفة الرقص والغناء والتمثيل النسائي في الغرب فزاولتها الحرائر والمثقفات ولكن بقيت الراقصات والمغنيات والممثلات عرضة للانحدار الخُلقي والعبودية لأن المهن عندهن تصبح وسيلة للظهور وعرض الذات بغية الكسب والشهرة الفارغة، تعزز فيهن الميل القوي إلى التبرّج وعبادة أجسادهن. وقليلات منهن عرفن ـ نظير راشيل وسارة برنار ـ كيف يوفقن بين الحرية الشخصية والمهنة ويجعلن من الثانية فناً حقيقياً خالصاً، لا آلة لابتزاز المال والفتك بقلوب الرجال.

نأتي الآن إلى نماذج نسائية وجدت في الماضي ولا تزال توجد الآن: المرأة النرجسية أو الأنانية التي تعبد ذاتها إذ لا تجد ما تعبده وتنشغل في زينتها وملابسها إذ لا تجد ما يشغلها. تشغف بعرض ذاتها في المجتمعات والصالونات، على مثال الدمى المزيّنات، تستعبدها المرآة وأدوات الزينة ونظرات الناس ورأيهم في جمالها. فهي في قلق دائم، تودّ جذب النظر ونوال الاستحسان من الغير مع أنها لا تقيم للغير وزناً لأنها لا ترى في الوجود غير نفسها. تعيش حياتها تعيسة لأنها تثير حولها الكره والحسد وتحاول على غير جدوى أن تحتفظ بجمال سريع الزوال.

النموذج الثاني: المرأة التي يستعبدها حب الرجل، كالأنانية التي يستعبدها حب ذاتها. ليس غريباً أن تغرق المرأة في حب شخص ما. في حب الزوج أو

العشيق أو الأولاد، فتبذل نفسها في هذا الحب، وتتخذه مصرفاً لعواطفها ونشاطها المكبوت، لأنها في عالمها المحدود أكثر من الرجل انقياداً للعاطفة وأشدّ منه تعرّضاً للذوبان في شخص آخر تجعل منه إلهاً معبوداً.

النموذج الثالث: المرأة المتصوفة التي تذوب في حب الله. يرينا التاريخ أمثلة كثيرة على متعبدات ملأ الحب الالهي نفوسهن وحدثت على ايديهن خوارق التصوف: انجيل دي فولينيو Angele de Foligneux، القديسة تريزا، ماري ألاكوك Alacoque، القديسة كاترين دو سيينا، الخ، نساء زاهدات كانت حياتهن تضحية مدهشة وخدمة لا تعرف راحة، وإفراطاً في قهر الذات.

أنواع ثلاثة من الحب: حب الذات، حب شخص آخر والذوبان فيه، حب الله والاتحاد به، تتخذها المرأة مهرباً أو ملجأ تغرّق فيه نفساً قلقة أو فارغة أو معذبة. وفي الحالات الثلاث تعيش في حالة وهم وتقطع صلتها بالواقع ويقودها الوهم إلى الاستعباد وانعدام الشخصية. وغنيّ عن البيان أن كلاً من أنواع الحب المتطرف الذي تغرق فيه الذات لا يعد حباً طبيعياً ولا سوياً. لأن الحب الحقيقي هو الذي يحفظ للمحب شخصيته وحريته وفي هذه الحالة يكون للشخصية مصدر غنى ونمو وارتفاع لا وسيلة ضعف واستسلام وانحناء.

النموذج الأخير: المرأة المستقلة وهي نموذج لا نجده إجمالاً إلّا في عصرنا الحاضر. ونعني به إمرأة ذات مهنة تؤمن بها استقلالها الاقتصادي وبالتالي حريتها الاجتماعية والشخصية. فهي ليست ملك أحد. إذا تزوجت فعلاقتها بالرجل علاقة مساواة واحترام متبادل لا علاقة الطفيلي المعتمد على غيره وبهذا الشعور الجديد، شعور المخلوق السويّ الذي يحيا بنفسه، تتكامل شخصية المرأة وتصبح إنساناً سويّاً.

لكن المرأة ذات المهنة لا تشق طريقها في الحياة بسهولة بل تلاقي من المشقات ما يدفعها أحياناً إلى التراجع. لأن أبواب العمل أمامها قليلة محدودة وكذلك سبل التقدم وفوق هذا تعترضها مشكلة التوفيق بين عملها والقيام بواجباتها كزوجة وأم، فإذا ضاقت ذرعاً بكثرة الواجبات ضحّت الواحد في سبيل الآخر.

على أن مشاكل المرأة العاملة في طريق الحل يحميها التشريع من جهة إذ تطبّق عليها القوانين التي تطبّق على الرجل، وحيث يلحقها إجحاف نجدها تلحّ في المطالبة بالمساواة من ناحية الأجور. إن إنصاف العمّال والمستخدمين بمن فيهم النساء ـ في تحديد ساعات العمل ورفع الأجور والتعويض في حالة مرض أو بطالة ـ كل ذلك من شأنه أن يغرق المرأة بالشغل ويدفعها إلى مقاسمة الرجل أعباء العيش والمساهمة وإياه في بناء عالم أفضل.

أما مشكلة الأعمال المنزلية فقد حلّتها المرأة العاملة بعدة وسائل: منها العمل بعض الوقت لا كلّه ليتاح لها فراغ كاف للاهتمام بمنزلها، ومنها استخدام الآلات والأطعمة الجاهزة والتعاون مع الزوج والأولاد في أعمال البيت.

صوت المرأة. العدد ١٢، السنة ٧،
كانون الأول (ديسمبر)، ١٩٥١، ص ١٩، ٢٠ و٢١.

- ٢ -

شخصيّة المرأة بين الأنوثة والانسانية

إرادة القـــوة

كانت الهوية الإنسانيـة في العصور القـديمة تكـاد تنحصر في كفاح الـطبيعة لإرضاء الحاجات البيولـوجية من مـأكل ومسكن وتنـاسل. أمـا اليوم فـإن تقدم العلوم جعل الإنسان أكثر سيطرة على بيئته. انفسح أمامـه المجال لاختيـار عمله والقيام بنشاط يتخطى الذات والحاجات البيولوجية.

إن علماء السلوك يـلاحظون بـاهتمام مـتزايد حـاجة الانسـان الأساسيـة إلى النمو الدائم بتفجير طاقته الكامنة وتغذية حاجاته الـروحية. كـما أن قادة الفكـر على اختلاف طبقاتهم يعتقدون بوجود ميل غريزي في الانسان يـدفعه إلى تحقيق ذاتـه. يسمون هـذا الميل «ارادة القوة»، «تحقيق الذات»، «التعـالي والتخطّي». ويقولون إنه طموح يبرأ من الروح الهجومية وحب المنافسة بمعناهما المألوف. إنـه سعي الفرد لتأديـة رسالـة في الحياة، لمعـالجة قضيـة عامـة، أو للاهتـمام بشؤون وطنية وانسانية، اهتماماً بريئاً من الطمع والأنانيـة، شامـلاً غير محلي ولا محدوداً بزمان.

تحقيق الذات على الشكل الذي وصفنـاه لم يتيسّر في الماضي إلاّ لعـدد قليل من البشر. للأنبياء والمتصوفين والأولياء والمصلحين الـذين دفعوا المجتمـع مئات السنين إلى الأمام. لكن انتشار الثقافة والوعي كفيل بأن يحدث ازدياداً مطرداً في عدد المتكرسين لخدمة الحق وإنقاذ البشرية المعذبة وإطلاق المواهب السجينة.

ونحن لو فكرنا في الطاقات البشرية التي تُهدَر والمواهب التي تضيع في كافـة

أنحاء العالم ولاسيما في الأقطار المتخلفة، لأنها لا تجد من يتعهدها بالعناية والتوجيه ولأن أصحابها لا يدركون من الحياة إلّا السعي وراء الضروريات، لأدركنا أن الانفجار السكاني الذي يهدد البشرية يعود إلى كون القسم الأكبر من سكان الأرض ما زالوا يعيشون عيشة بؤس وانحطاط تعميهم عن خطر الانفجار المشار إليه. وهذا الوضع يصدق خصوصاً على النساء والأطفال لأن أفراد هاتين الفئتين يلقون من الإهمال والاجحاف ما يعرض مواهبهم للضياع.

لذلك تتكاثر المنظمات الدولية والحركات النسائية وجمعيات تنظيم الأسرة العالمية وسائر المؤسسات الساعية إلى تجنيد أكبر عدد ممكن من المناضلين لأجل الخدمة الاجتماعية، نساء ورجالاً، العاملين لمكافحة أخطار الجهل والأمية والبؤس وزيادة النسل قبل أن تتحول إلى سيل جارف ينذر بالفناء.

لهذه الأسباب عينها أقيمت سنة المرأة بمقرراتها ومشاريعها العالمية سنة ١٩٧٥ وتقام سنة الطفل بمقررات ومشاريع أخرى سنة ١٩٧٩.

وإذا كانت أوجاع العالم تزداد خطورة بتعدد الحاجات وتعقد أحوال المعيشة وتزايد عدد السكان، فإن جهود العاملين تتكثف وتتسع بالنسبة عينها. فالخطر يخلق الشجاعة والحاجة تفتق القرائح. والأزمات الخانقة قد تجعل من الأشخاص العاديين أبطالاً ينتزعون إعجاب العالم واحترامه.

الرائدة. العدد ٧، المجلد ٢،
شباط (فبراير)، ١٩٧٩، ص ١.

من "صوفيـة الانوثـة" الى "تحقـيق الذات"

في الأقطار المتطورة، يخضعون كل مشكلة، عادية كانت أم غريبة مستعصية، لسلسلة دراسات تكشف أسبابها وظواهرها وطرق علاجها، مجتنبين الحلول المرتجلة والسطحية.

تحقيق الذات، في رأي رجال الفكر المعاصرين، هو العمل الخُلقي الذي قيمته تتخطى الذات وبه يكتسب الانسان صفة الانسانية، كما تبين الدراسة التي يعرضها هذا المقال.

المؤسسات الاجتماعية أشدّ خضوعاً من غيرها لحركة المدّ والجزر، لارتباطها بالانسان الذي لا تزال هويته وحياته البيولوجية والنفسية مكتنفة بالغموض والأسرار. وفيما ينجح العلماء في كشف أسرار الطبيعة وإخضاعها لخدمة البشر، تبقى مظاهر المجتمع البشري، بما فيها الحياة السياسية، الأخلاقية والاقتصادية، عرضة للتقلب المستمر في الأنظمة والمذاهب. فلا يقوم مذهب حتى ينبري لمناقضته مذهب آخر ولا تحظى احدى النظريات بالتأييد حتى تواجه بعد مدة قصيرة سيلاً من النقمة والاستنكار.

ومن أبرز الأمثلة على هذا التقلب، الحركة النسائية التي ظهرت في الغرب في القرن التاسع عشر. تزعمتها نساء متفوقات أحدثت حركتهن كثيراً من الضجيج. إحداهن: لوسي ستون الاميركية (١٨٥٥) مارست أعمالاً كانت

حينذاك محرّمة على النساء كالخطبة في الجماهير لتحريضهم على رفض جميع ألوان العبودية ومنها عبودية المرأة. وفي عقد الزواج بينها وبين هنري بلاكويل وردت الفقرة الآتية: «إن ارتباطنا بالمحبة المتبادلة لا يلزم أياً منّا بطاعة الآخر ولا يرغم المرأة على التخلي عن اسمها واستقلالها».

نجحت هؤلاء الرائدات في تحصيل المكاسب الآتية:

حق مساواة الرجل في العلم.

حق الكلام في المحافل الخطابية.

حق التملك (يلاحظ هنا أن المرأة العربية كانت تتمتع قبلهن بهذا الحق).

حق التصويت.

الحركة الرجعية وعواملها

حدثت هذه الحركة قبيل ١٩٢٠. وشغلت النساء بعد ذلك بتطبيق الحقوق المشار إليها وممارستها، في حين كانت الفلسفة الرومنطيقية تحاول الحد من طموحهن بإعلانها أن المرأة وإن تحررت، يجب أن تظل مصدر وحي وإلهام، وبما فطرت عليه من أنوثة وأمومة، توزع الحب والعطف على سائر المخلوقات وتكتفي بهذه الوظيفة النبيلة التي تغنيها عن مشاركة الرجل في الكفاح لبناء المدنية.

في هذه الأثناء، برزت نظريات فرويد السيكولوجية (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) في المانيا، التي عززت أسطورة الأنوثة، حين زعم صاحبها أن في منطقة اللاوعي أو العقل الباطن رواسب وعقداً ذات أساس جنسي تتحكم في سلوك الفرد. وأن مراحل النمو في الانسان ترتبط جميعها بالجنس. وإن الاضطرابات العصبية عند النساء مصدرها الكبت الجنسي. وهذا يعني أن موضوع الجنس اتخذ عنده أبعاداً تجعله المسيطر الأكبر على حياة البشر، ولاعتقاده أن المرأة أكثر خضوعاً من الرجل لحتمية الجنس، دعا إلى حصر وظيفتها بالزواج والأمومة وخدمة الرجل ومراعاة ميوله ونزواته.

قبل فرويد كان نيتشه الذي توفي سنة ١٩٠٠، قد حقّر المرأة في فلسفته،

إذ جعل كل همها في الحياة الحصول على ولد ذكر تجد به عوضاً عن النقص الذي تشكو منه.

وفي أميركا، كانت العالمة الانثروبولوجية مرغريت ميد، المتأثرة بنظريات فرويد، تقوم بدراسات بين قبائل جزر البحار الجنوبية، تبين أهمية الدور البيولوجي في حياة المرأة. فتقول إن الرجل في تلك الجزر يشعر بانحطاط منزلته عن منزلة المرأة التي تصنع النسل، في حين أن المرأة تشعر بحالة اكتفاء لقيامها بوظيفة يعجز عنها الرجل. وتقول مرغريت ميد (١٩٣٩): يجب أن نحذر من زعزعة الوضع القائم بدفع المرأة إلى منافسة الرجل في أعمال كانت ولا تزال وقفاً عليه. بذلك ندفعه إلى الاستياء الذي يزعزع نشاطه ونزجّ بالمرأة في ميادين ليست مهيأة لها.

هؤلاء الباحثون جميعاً، من فرويد إلى مرغريت ميد، أخطأوا في اعتمادهم على تجارب محدودة ببيئاتهم. الأول استمدها من بيئة مترفة، مقيدة بتقاليد ضاغطة مستحكمة، الثانية استوحت آراءها من بيئة فطرية، رهينة عادات قبلية قائمة على تعظيم النسل والمفاخرة بكثرة الأطفال وإعطاء الأمومة صفة القداسة.

كان للنظريات التي سبقت الاشارة إليها صدى بعيد في الأوساط التربوية في أوروبا وأميركا. تنادى المربون في كل مكان إلى مكافحة الاسترجال والسعي لإرجاع المرأة إلى البيت. بدأت هذه الحركة بعد ١٩٢٠ وتفاقم أمرها في الخمسينات والستينات. أي في عهد «مكارثي» الذي شاع فيه تقييد الفكر. كثرت المؤلفات التي بحثت موضوع المرأة وأكثرها تدعو الفتيات إلى تركيز جهودهن على علوم تدبير المنزل وإهمال الدروس «التي لا تليق بالإناث» في زعمهم، كالهندسة والرياضيات. ونتج عن هذا هبوط في عدد الجامعيات وفي معدل سن الزواج وارتفاع في نسبة النسل في أميركا تضاهي نسبته في الأقطار المتخلفة.

دراسة عنوانها «صوفية الأنوثة» ١٩٦٣ لِبتي فريدن

حينذاك ظهرت دراسة مستفيضة لهذه الحركة، وضعتها بتي فريدن، الكاتبة الأميركية المعاصرة، ودعتها «صوفية الأنوثة» أي تمجيد الأنوثة وتأليهها. وجدت

أن دعاتها هم إما تلاميذ فرويد وميد أو أشخاص متأثرون بآرائهما، زعموا أن فشل الجنود الاميركيين في حرب فيتنام مصدره تحرر المرأة وانسياقها إلى إهمال أسرتها وخلق جو استبدادي في المنزل، يرغم الزوج والأولاد على الهرب، كما نرى في بعض مسرحيات تنسي وِليَمز وسواه من مسرحيين.

على أن دراسة فريدن أظهرت أن الجنود العائدين بالفشل وبشخصيات منهارة، لم يكونوا أولاد نساء متحررات. بل على العكس، كانت امهاتهن محدودات الثقافة، عاجزات عن الاستقلال، مسرفات في تدليل أولادهن.

وتقول الدراسة أيضاً إن كبار المسؤولين عن حركة «صوفية الأنوثة» هم التجار والصناعيون الذين بذلوا ملايين الدولارات لمساندتها، لأن النساء يمثلن ٧٥٪ من القوة الشرائية في أميركا، وقد اعتقدوا أن خروج المرأة للعمل يقضي على اهتمامها بشراء البضائع واقتناء الملابس والأمتعة لانشغالها بشؤون الوظيفة أو المهنة الجديدة.

وأظهرت الدراسة أشياء أخرى: إن التوجيه المرتكز على تأليه الأنوثة والأمومة أدى إلى ظهور أعراض قلق مجهول الإسم عند اللواتي كان هذا التوجيه من نصيبهن. منع نموهن الفكري والخلقي، أو ساقهن إلى تكوين عالم خيالي، فيه يسيطر عليهن هوس الجنس والزواج والأمومة، أو الخوف المفرط على أولادهن أو الرغبة في ملاحقة متع جنسية شاذة. وشعرت كثيرات منهن بفراغ ووحشة دفعتهن إلى العودة إلى الكلية بعد الزواج أو إلى الانخراط في اعمال اجتماعية.

بينت الدراسة أيضاً تفاوتاً كبيراً في عدد الساعات التي تنفقها المرأة في أعمال المنزل. فإن دعاة الأنوثة سعوا إلى تضخيم هذه الأعمال وتوسيع نطاقها بالتوجيهات والوصفات والأجهزة المنزلية الجديدة بحيث تتخذ حجماً لم يكن لها في ما سبق.

أسفرت التحقيقات المار ذكرها عن النتائج الآتية:

١ ـ اقتنع أكثر الباحثين والدارسين بخطأ التوجيه الأنثوي الصوفي الذي أشرنا إليه. وبضرورة توجيه جديد تضطلع به الكليات والجامعات ومراكز

التربية، يحض الفتيات على اختيار مهنة ووضع خطة ثابتة لحياتهن، أساسها الاهتمام الجدّي بأحد فروع العلم والتركيز عليه والاستعداد للقيام بعمل دائم يتخذنه مهنة العمر، ويستقطب القسم الأكبر من جهودهن.

أما التعليم الحر اللامهني (Liberal) فيجب أن يتخذ وسيلة للعمل لا للهواية والتذوق الفني فحسب.

بهذا التوجيه الجديد تمتنع الفتيات عن ترك الجامعة في سن باكرة، على أمل الرجوع إليها بعد انقضاء عشر سنوات أو عشرين سنة على زواجهن، حيث يضعف نشاطهن، وينسين ما حصّلنه قبل الزواج ويكتفين بدروس قليلة الفائدة أو مرتجلة.

٢ ـ كشفت الدراسات أن النساء اللواتي لم يتناولهن التوجيه الأنثوي الصوفي، بل حققن ذواتهن بمنجزات استأثرت بنشاطهن، تميزن بشخصيات نامية، متزنة، وأنهن نجحن في التكرس لهدف معين، ذي قيمة اجتماعية، من غير أن يهملن موضوع الجنس ولا وظيفة الزوجة والأم. بل إن شعور التفوق عند هؤلاء النساء جعلهن أقدر من سواهن على الوظيفة الجنسية والقيام بدورهن كزوجات وأمهات.

معنى تحقيق الذات

وحددت الدراسة معنى تحقيق الذات بما يأتي:

في الانسان ـ رجلاً أو إمرأة ـ حاجة إلى إرضاء الحاجات الروحية والرغبات الفكرية لا تقلّ إلحاحاً عن تلك التي تدعوه إلى إرضاء حاجات الجسم.

وإن الذين نجحوا في تحقيق ذواتهم أفراد شعروا أن لهم رسالة في الحياة، تتجسد في قضية عامة، وترتكز على قيم انسانية بعيدة عن الصغائر والأنانيات. هؤلاء الأفراد يمتازون بنمو دائم غير محدود بالعمر، وبقدرة متزايدة على حب الآخرين والتعاطف معهم. ومع هذا يحتفظون بالاستقلال الذاتي وينفردون بفلسفة حياتية مقتبسة من تجاربهم.

الحب عندهم إعجاب متبادل بين الزوجين، وصداقة ثابتة، لا وسيلة لتكميل الذات، من صفاتهم الصراحة، حرية التعبير، التحرر من الغيرة والحسد، عدم الاهتمام برأي الناس فيهم لأنهم قادرون على تقييم ذواتهم بمعزل

عما يقال، مدركون لعيوبهم ولفضائلهم، لا يميزون بين الجنسين في المعاملة ولا يؤمنون بالأساطير المنسوجة حول الأنوثة والذكورة.

هنا يخطر لنا أن نسأل: هل في وسع المرأة أن تحقق ذاتها في زوجها وأولادها أو في شخص آخر؟

الجواب أن شرط تحقيق الذات يضمن لصاحبه مقداراً من النمو الفكري والخلقي بمعنى أنه يفرض عليه جهداً مستقلاً يستتبع الخلق والانتاج. والمرأة التي تحقق ذاتها بواسطة زوجها أو أولادها أو غيرهم هي التي تشاركهم في عمل إبداعي أو ذي قيمة اجتماعية. أما التي تكتفي بالخدمة أو بالمشاهدة والتصفيق والمباهاة بكونها زوجة فلان أم أمّ فلان فهي من صنف الأتباع الذين لا يقومون بدور فعال ولا يحسب لهم حساب.

لتوضيح هذا الموضوع، نذكر علاقة ماري هاسكل بجبران. كانت هذه المرأة الرفيعة الثقافة ذات أخلاق ممتازة حببت إليها العطاء والرغبة في مساعدة أصحاب المواهب. ولم يكن جبران وحده موضوع اهتمامها. إلّا أن مساعدتها لجبران اتخذت حجماً عظيم القدر لأنها كانت تنقد انتاجه الفني والكتابي وتشاركه في الرأي. وكانت له مصدر هداية وثقة بالنفس. تشعر أن علاقتها به تزيدها نمواً وتحرراً وليست من النوع الذي تنعدم معه شخصيتها. لذلك يقترن اسمه باسمها. ويصح القول إن ماري هاسكل حققت ذاتها في جبران، كما تشهد مذكراتها ورسائلها التي لا يستغني عنها كل من يدرس صاحب «النبي».

الرائدة. العدد ٧، المجلد ٢،
شباط (فبراير)، ١٩٧٩، ص ٢ و٣.

تعليق على رأي بتي فريدن وسيمون دو بوفوار

يبدو أن بتي فريدن، صاحبة «صوفية الأنوثة» تتفق مع سيمون دو بوفوار صاحبة «الجنس الآخر»، على القول بأن الأعمال المنزلية لا تفسح للمرأة في مجال الخلق والنمو. هذا الرأي يتضمن كثيراً من الصحة لأن هذه الأعمال، بتعدّدها وتنوّعها وروتينيتها، لا تمنحها فرصة التركيز على عمل تسجّل فيه تفوّقاً. إلّا أن الروتينية المؤدية إلى الجمود لا تقتصر على أعمال المنزل، فكل مهنة، كل وظيفة،

سواء كانت منزلية أم غير منزلية، تستطيع أن تصبح آلية، روتينية، لا خلق فيها ولا تجديد، وينحصر همّ صاحبها في قبض الراتب في آخر كل شهر. حتى العمل الذي يتطلب جهداً فكرياً، كالتعليم الجامعي، يمكن أن يتحول إلى رزمة محاضرات مقتبسة، مكرّرة، ينعدم فيها الخلق والشخصية، هذا في حين أن ربّة البيت الموهوبة يمكنها النبوغ في أعمال منزلية كالتطريز، حياكة الصوف، الطهي وصنع الحلويات، تنسيق الأزهار وترتيب الأثاث، إذا بذلت جهداً خاصاً في أحد الفنون المشار إليها.

إن صفة الخلق لا تتوقف على نوع العمل بل على العامل. فهناك شركات صناعية تشجع عمّالها المحدودي الثقافة على اختراع أساليب جديدة في العمل تدل على مقدرة إبداعية أو فكرية، وتعطيهم مقابل كل إنجاز من هذا النوع مكافأة مالية.

إلّا أن أعمال المنزل بكثرتها، ترهق المرأة من غير أن تقدّم لها ضمانات مالية كافية ولا فرصاً إبداعية لافتة. فترى نفسها مغبونة، مغمورة، ذات وجود ضائع، منسي، لذلك تتجه إلى المهنة رغبة في الكسب المادي أو سعياً وراء تحقيق الذات عن طريق التفوّق والنباهة.

بيروت ١٩٧٩

المـــرأة بين الواقع والخيـــال

الحركة الرومنطيقية التي انتشرت في الغرب، في القـرن التاسـع عشر وامتد تأثيرها إلى الأقطار العربية، دعت إلى عبادة الأنوثـة وتحريـر الحب لكنها لم تحـرّر المرأة ولا حققت لها الاستقلال الفكري.

من مبادىء هذه الحركة إحيـاء الحب الرومنـطيقي الذي ازدهـر في القرون الوسطى، عند الغربيين وعند العـرب، وأحياه شعـراء وروائيو القـرن التاسـع عشر نظير برنردان دو سان بيير وشاتوبريان وسواهما. بُني هذا الحب على العقيدة القـائلة إن لكل نفس بشريـة (رجلاً كـانت أم امرأة) شقيقـة من الجنس الآخـر انفصلت عنها قبل الولادة وعليها أن تسعى لاكتشافها حالما تبلغ سن المراهقة أو سن الـرشد. فـإذا حظيت بهـا شعرت نحـوهـا بحب صـاعق، عنيف لا تمكن مقـاومته وإذ ذاك، يسعى الفتى والفتـاة، صاحبـا هـذا الحب، لاتخـاذه أسـاسـاً لزواج سعيد يدوم فيه الحب بدوام العمر ويثبت حتى بعد الموت. من شـأن هذا الحب أن يتعـرض لعقبات يقيمهـا في وجهه الحـاسدون والمنـافسـون، يتحملهـا المحبّون بصبر ويلتزمون في حبهم الوفاء الذي لا يـزعزعـه شيء وأحيانـاً يموتـون ضحايا وفائهم.

اضطلعت الأساطير والروايات بترويج الحب الرومنطيقي فكان لـه تأثـير في نفوس المراهقين وغيرهم من ذوي الأمزجة الخيـالية والشعـور المرهف، وكـان له

أتباع في الشبيبة المترفة، وفي الفتيات اللواتي لا يلهيهن العمل عن الحلم والتخيّل الرومنطيقي الحافل بالأوهام.

هل بقي لموجة الحب الرومنطيقي تأثير في عصرنا؟

الجواب يحتاج إلى درس وإنما يرجّح أن هذا التأثير إذا وُجد، قد خفت حدّته بفضل التوجيه العلمي والعملي الذي تتلقاه فتاة اليوم. هذا التوجيه الذي ينجح في صرف المرأة عن الأوهام التي مصدرها تقاليد خاطئة، شرقية أو غربية. ويحرّرها من جموح الأهواء مهما كان نوعها، ويدعوها إلى التزام النظرة العقلانية الواقعية في الحياة.

بين رأيين

قالوا لها قديماً - وما زالوا يقولون - إن المرأة إنما خلقت للزواج، وإلاّ فمصيرها أن تعيش ذليلة، منبوذة، خادمة في بيت أخيها أو أحد الأوصياء عليها. وقالوا لها إن من واجب الأهل أن يختاروا لها الزوج المناسب لأنهم أدرى بمصلحتها، ومصلحتهم طبعاً، وبما أنها عاجزة عن العيش وحدها، وعن تحصيل معاشها بنفسها، يجب أن ترضخ لمشيئتهم، والمثل يقول: رضى الله من رضى الوالدين.

على أن انتشار الثقافات الغربية في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، وشيوع الروايات الرومنطيقية، أشاع بين الناس آراء جديدة. ذاع موضوع الزواج المبني على الحب وعمّت النقمة على الزواج التقليدي و«المدبّر» الذي يربط الفتاة بإرادة والديها ويقدّم مصلحة الأهل والعشيرة على مصلحتها. تكاثرت القصص التي تزيّن الحب، تجعله السبيل الأوحد إلى السعادة والهدف الذي يجب أن تقف عليه المرأة جهودها وحياتها.

من هذا المنطلق، بدأ صراعها لكفاح سيطرة الأهل وسعيها لتحقيق الزواج الذي تريده هي، زواج الحب الذي يجعل الحياة جديرة بأن تعاش. في سبيله لم تأنف من التضحية والمغامرة، التضحية بالرفاهية وبرضى الأهل لتعيش مع الذي تحبه عيشة الكد والحرمان. كما فعلت وردة الهاني في قصة جبران، لأن الحب في ظنّها يهوّن كل صعوبة ويشفي كل علّة.

لكن هذه الفلسفة كثيراً ما قادتها إلى الخيبة. فالحب ليس قدراً ولا عاطفة خالدة كما زعم الرومنطيقيون، بل كثيراً ما يكون افتتاناً عابراً وهوساً لا يلبث أن يزول. أظهرت لها التجربة أن الرجل الذي أحبته لم يحقق الآمال. فهو لا يؤمن بالحب ايمانها به لأن له مطامح أخرى، بل ربما يسخر من أوهام الرومنطيقيين ويرى الحياة واقعاً ومادة لا أحلاماً وعواطف.

فلسفة العيش لأجل الحب لم تبرهن أنها أفضل من سابقتها. لم تنجح في إسعاد المرأة لأنها لم تُبنَ على واقع في حين أن الأخرى التقليدية لم تُبنَ كذلك على واقع. الفلسفة التقليدية تحقر المرأة، تمحو شخصيتها وتجعلها آلة مسخرة لمصلحة الأهل، في حين أن الفلسفة الرومنطيقية تربطها بأحلام ونظريات قد لا تكون سوى خيال وفوق هذا، لا تعلّمها الوقوف على قدميها، فما هو الطريق الصحيح؟

هنا أريد أن أنقل رأيين يعبّر كلاهما عن تجربة واقعية، أحدهما لامرأة شرقية ذات ثقافة حديثة والآخر لامرأة غربية مشهورة في عالم الفكر. الأولى هي السيدة مي ارسلان التي عقدت مع السيد كمال جنبلاط زواجاً انتهى بالطلاق. وحول هذا الموضوع تقول لمندوبة مجلة «مندي مورننغ» الصادرة في لبنان باللغة الانكليزية (عدد ٥٦، حزيران ١٩٧٣): «الخطأ يبدأ في التوجيه الرومنطيقي الذي يجعل الحب محور حياة المرأة. يدفعها إلى إهمال نموها الذاتي والتزود بمهنة أو هواية تستقطب مواهبها وتكسبها شخصية مستقلة. فهي تلقي همها على الزوج، تنتظر منه أن ينفرد بكل نشاط، أن يحقق لها سعادة دائمة ويجعل منها الرفيقة المعبودة، المدللة. هذه الحالة لا بد أن تنتهي بالخيبة لأن السعادة، إن وجدت، نتيجة كفاح ذاتي ولا يمكن أن تأتي بوسائل مصطنعة ولا من خلال الآخرين».

أما السيدة الأخرى، آن لندبرغ، فهي كاتبة أميركية معروفة، تزوجت الطيّار الأميركي الشهير لندبرغ، أول عابر للمحيط الأطلسي، زواجاً بني على الحب والتفاهم وعاشت معه حياة هانئة لم يعكّر صفاءها شيء. في كتاب لها عنوانه «أنا والبحر»، تنتهز فرصة اختلائها بالطبيعة لتروي خواطرها الحميمة فتقول إن

حياتها كانت مغامرة موفقة لأنها، مع ما أنالها الزواج والحب والأمومة من رضى، نجحت في أن تنشىء لنفسها حياة شخصية تنصرف فيها إلى العمل وتحقق ذاتها عن طريق الخلق الفني. ومع ايمانها بالحب الخالص البريء من النفعية، تؤمن كذلك بالاستقلال الذاتي وتعتقد أن النظرية الرومنطيقية القائلة بالاندماج الصوفي بين المحب والمحبوب نظرية خاطئة. فالمرأة مدعوة إلى تحقيق ذاتها والاستقلال بتفكيرها مع الزواج أو بدونه، لهذا تلحّ الكاتبة على ضرورة الاختلاء بالذات والحصول على أوقات الوحدة التي تضمن التوازن بين الذات الخارجية والذات الداخلية، كما أشار أفلاطون في فيدون: «الحب يتألف من وحدتين تلتقيان، تتصافحان وتشجع إحداهما الأخرى مع المحافظة على استقلالهما».

الرائدة. العدد ٥، آب (أغسطس)، ١٩٧٨، ص ١.

المرأة بين الأنوثة والانسانية :
توحيد منهج التعليم للجنسين

إذا سلّمنا بأن التوجيه المهني يجب أن يراعي ميل الولد ـ كما يقول الدكتور كمال الحاج في ردّه على مقالي ـ لا بدّ من الاعتراف بأن ميل الولد يخضع في الدرجة الأولى لتأثير البيئة التي يعيش فيها وان البيئة أشد تأثيراً في توجيهه من الوراثة. ألا نجد لهذا السبب عينه أن سكان بعض البيئات يتميزون بالكسل بينما غيرهم يمتازون بالنشاط. وأن الميول الفنية غالباً ما تنمو وتزدهر في بيئة فن وتموت وتندثر في غيرها؟ ألا نلاحظ أن إقبال الناس على بعض الأعمال والمهن ينمو ويزداد بنسبة الحاجة إليها وينقص أو يتلاشى حين لا تلاقي رواجاً في مجتمعهم؟

هذه الحقيقة تنطبق على تربية البنات في بلادنا وفي غيرها. ففي البيئات الكادحة تربّى البنت على الكد وتوجّه نحو العمل المرهق، عازبة ومتزوجة، فهي تعمل في البيت وخارجه، في الحقل وفي المصنع وتقوم بعملها المزدوج من غير تذمّر، لأنها ربّيت على الصبر والخنوع وفي بيئات أخرى تشجّع البنت على التراخي والاتكالية. تحرّض على السعي لاقتناص الزوج الغني الذي يجنّبها مشقة العمل في البيت وخارج البيت وقد تتفرغ لهذه المهمة وتقصر عليها نشاطها. بينما نجد الأهل في غير هذه البيئات يفعلون العكس فيمهدون للفتاة سبيل الاعتماد على النفس بدرس مهنة تناسبها ويحبّبون إليها العمل قبل الزواج وبعده لأنهم يرون هذا المبدأ أضمن لمستقبلها.

إذا التفتنا إلى الغرب، رغبة في توسيع نظرتنا، وجدنا أن الأميركيين يعتمدون هذا المبدأ الأخير عينه في تربية بناتهم. وقد زعم بعضهم أن ليس هناك فتاة أميركية لا تحلم بالزواج ولا تسعى وراء الزواج. لأن فكرة الدير والترهّب لا تلاقي عندهم شيئاً من التحبيذ أو الالتفات الذي تلاقيه بعض أوساط العالم القديم. ومع هذا يرى الأميركيون ضرورة توجيه البنت نحو المهنة، نحو العمل، لأنه يقيها شر التطفل، ولأنهم يعتقدون أن المرأة التي لا توجّه نحو العمل المستقل لا يمكن أن تكون ربة بيت صالحة للنهوض بمسؤولياتها.

وليس كالأميركيين شعب يهتم بما يسمونه العلوم الاجتماعية الحديثة وما يتفرع عنها من علوم صحّية وعلاقات عائلية وفنون منزلية وهلم جراً ـ لقد بلغ اهتمامهم بهذه المواضيع أن أفسحوا لها مجالاً في الجامعات وشجّعوا تعليمها للرجال ومنحوا دارسيها الشهادات الجامعية، بخلاف الأوروبيين الذين يقصرون الاهتمام بها على المدارس الثانوية حيث تلقن في مدارس البنات بصورة إضافية.

لكن الاختصاص في تدبير المنزل لا يحسب عند الاميركيين إلّا واحداً من المهن التي تهيّء المرأة للعمل والارتزاق. فالمتخصصة في تدبير المنزل تجد لاستغلال اختصاصها شتى الفرص من تعليم هذا الفن في المدارس إلى الاستخدام في المحلات الصناعية حيث ترشد الزبائن إلى أجود الأقمشة والأطعمة، إلى تأثيث البيوت وتزيينها، أو تربية الأطفال، أو تحضير لوائح الأطعمة في المستشفيات والفنادق.

إن تعليم الفتاة العصرية في بيئة متطورة يجب أن يخضع لمبدأ رئيسي هو تربيتها الانسانية أي إعدادها لتكون انساناً قبل أن تكون زوجة، للاتكال على نفسها في العيش قبل الاتكال على الرجل.

ومن البديهي أن إعداد المرأة للزواج والأمومة يستتبع إعداد الرجل للزواج والأبوّة. فلا يجوز أن يبقى الرجل في جهله المطبق لدوره في الأسرة إزاء زوجة واعية مطلعة على الموضوع.

ولأضرب لك بعض الأمثلة على التقليد الأعمى:

«أنقذوا الأسرة!»

قامت في الغرب مؤخراً حركة لإنقاذ الأسرة وتشجيع الزواج والأمومة. ولذلك أسباب متعددة منها نقص عدد السكان على أثر الحروب المتتالية، ومنها تفكك عرى الأسرة وتشتت أعضائها عقيب الثورة الصناعية التي حررت المرأة واضطرتها، هي والزوج والأولاد، إلى ترك البيت والعمل خارجاً فأصبح أعضاء الأسرة موزعين بعضهم في المدارس وبعضهم في المصانع ودور العمل، فنمت فيهم الروح الاستقلالية، استقلال المرأة عن الزوج واستقلال الأولاد عن الوالدين بفضل العمل المستقل. ومن جهة أخرى زادت حرية المرأة وضعف إقبال الشبان على الزواج رغبة في الحياة الحرة. ورأى المحافظون أن كيان الأسرة مهدد فهبوا لإنقاذها ونادوا بالويل والثبور وأصابت حركتهم بعض النجاح لكنهم لم يستطيعوا إيقاف سير التاريخ ولا الوقوف في وجه التطور الإنساني.

وجرياً على سنّة التقليد، صادفت تلك الحركة الغربية هوى في نفوس بعض الصحافيين وحملة الأقلام عندنا فقاموا يكتبون في موضوع الأسرة والأمومة ويزعمون أن كيان الأسرة عندنا مهدد بفضل حرية المرأة وإعراض الفتيان والفتيات عن الزواج إلى آخر ما هنالك من أوهام.

والواقع أن المرأة عندنا لا تزال ترسف في قيود الماضي التي تحرمها الحقوق المدنية والسياسية. والمرأة التي تشتغل خارج البيت أصبحت ترزح تحت حملين، عملها خارجاً وعملها في البيت، بخلاف المرأة الغربية العاملة التي يعاونها زوجها في أعمال المنزل. أما إعراض الفتيان عن الزواج فسببه ضيق ذات اليد الذي يدفعهم أحياناً إلى تأخير زواجهم حتى الأربعين، وأما الأسرة والأمومة ففي أحسن حال، لا تشكوان قلة المواليد كما في الغرب، بل كثرة المواليد وسوء العناية بهم.

ولو عدل هؤلاء الصحافيون ومن جرى مجراهم لعكسوا الآية في بحثهم ونادوا بلسان الجيل الطالع: «ألا زحزحوا عنا بعض قيود الأسرة! آمنا بأن

الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده وان على أعضاء الأسرة الواحدة أن يتعاونوا ولكن ذلك لا يعني أن يكلّفوا ما ليس بوسعهم».

«ألا زحزحوا عنا بعض هذه القيود التي تحلل للوالدين أن يعقدوا لفتياتهم زواجاً في مصلحتهم لا في مصلحتهن. وأن يفرضوا على الابن زواجاً يرضي أفراد الأسرة ولا يرضيه، وأن يرغموا الشاب الذي اقترن بإحدى الفتيات أن يتزوج معها الأم والأب والأخ والخالة والعمة، كل ذلك باسم الأسرة والقرابة! ألا خففوا عنا هذه القيود التي تحلل للآباء استثمار أولادهم والتصرف بهم كما يشاؤون، وللأولاد أن ينشأوا اتكاليين معتمدين على نفوذ آبائهم وأموال ذويهم ونسب أجدادهم وأن يبرموا بقيود الأسرة حتى يهجروا البيت والأهل ويهملوا والديهم في آخرتهم».

وبلسان الشعب: «ألا ارفعوا عنا بعض هذه التقاليد العائلية التي تعطي الموظف الكبير حق توظيف جميع أقاربه، وتحوّل بعض الأسر حق احتكار الوظائف والامتيازات، والفاحص حق تنجيح أبناء أسرته ورفع درجاتهم في الامتحان، وتفرض على الناخب أن ينتخب ذوي قرباه وإن كان واثقاً من جهلهم. وتفرض عليك شخصاً لا تعرفه، لكنه باسم الأسرة والقرابة يرى خدمته وضيافته أمراً متوجباً عليك. ألا خلصونا من قيود العشيرة والقبيلة التي تفرّق بين أبناء القرية الواحدة والوطن الواحد فتجعل منهم كتلاً متعادية متنافسة وتحشد قوماً على قوم آخرين للثأر والاقتصاص والمشاجرة والقتال! لعلنا نبصر خطأ المثل القائل: انصر أخاك ولو ظلم، وصحة القول الآخر: انصر الحق ولو عليك!».

«أنقذوا الأنوثة!»

شاعت في الغرب أيضاً حركة رجعية غرضها إرجاع المرأة إلى البيت وقصر عملها على الخدمة المنزلية. وزعم أصحاب هذه الحركة أن حرية المرأة الجديدة وانخراطها في سلك الأعمال يذهبان بأنوثتها ويدفعانها إلى الاسترجال لأنها حينئذ تقلد الرجل في مظهرها وصوتها وحركاتها... إلى آخر ما هنالك من حجج. وغني عن القول إن أنصار هذه الحركة باءوا بالفشل لسبب بسيط، وهو أن المرأة

الغربية لم تتخلَ عن عملها خارج البيت، وأن الأعمال الجديدة لم تذهب بأنوثتها.

وقامت هنا أيضاً في بعض الصحف حركة مماثلة لتلك الحركة، جرياً على مذهب التقليد الببغائي. وظهرت جماعة يدعو أصحابها للأنوثة ويناشدون المرأة عندنا أن تعتدل في مسألة المساواة حفظاً لأنوثتها ودفعاً لخطر الاسترجال. وقد فات هؤلاء الدعاة أن الأنوثة ـ لا الاسترجال ـ أحد أمراض نسائنا، لا في لبنان فقط بل في الشرق العربي كله.

وما هي هذه الأنوثة التي تلهج بها الألسن وتروج لها الدعايات؟ هي مجموعة الأوصاف التقليدية في نساء الأمس المستعبدات. هي الحياء والخفر الكاذب والطرف الناعس والأجفان الذابلة ـ التي تغنى بها الشعراء منذ القديم ـ والمشية البطيئة المتثاقلة والابتسامات المغرية المصطنعة، والتكلف في الكلام والحركات، والإفراط في الزينة والتبرج وخشخشة الحلى، والثوب الطويل الذي يعيق الحركة والشعر الطويل الذي يستغرق تصفيفه عدة ساعات، والهرب من الشغل لأنه ينقص الوزن، والبخل[1] وملازمة البيت وعقد مجالس الثرثرة والاغتياب ـ وماذا بعد؟

هذه هي الأنوثة التي يريدون انقاذها وإني أتحدى الباحثين أن يجدوا لنساء الأمس صفات أفضل من التي ذكرت. أما النساء اللواتي تفوقن على غيرهن فيما مضى فهن اللواتي خرقن حجاب الأنوثة وخرجن على تقاليدها، أمثال زنوبيا وخولة بنت الأزور وجان دارك، اللواتي امتطين الجياد وقدن الجيوش. والملكات اليصابات الانكليزية وكريستين الأسوجية وكاترين الروسية اللواتي نافسن الرجال في الحكم. وفلورنس نيتنكال التي تركت منزل والدها لتخدم الجرحى وتؤاسي المرضى. ومدام كوري التي ولجت في العلم باباً لم تلجه إمرأة قبلها.

ليست الأنوثة بمعناها الشائع سوى مبالغة المرأة في إظهار ضعفها. أما

(١) قالوا: «البخل مذموم في الرجال، محمود في النساء!».

الأنوثة التي يجب أن ندعو لها، أنوثة اليوم، فنشاط وخفة في الحـركة، وصراحـة وصدق وتفكير وثقة بالنفس.

ولكن ما لنا وللأقوال والدعايـات؟ إن العوامـل التي تتحكم بسير الانسـان أقوى من الكلام، جارفة كالسيول، لا يقفـ في وجهها أحد.

(ألقيت في محطة الاذاعة اللبنانية)

صوت المرأة. العدد ٦، السنة ٧،
حزيران (يونيو)، ١٩٥١، ص ١١، ١٢ و١٣.

فتاة المدينة وحريتها

صعب دقيق هذا الدور الانتقالي الذي تمر به نساؤنا. هذا الدور الذي ينقلهن من الجمود إلى الحركة، من المحافظة إلى الحرية، من الانضباط المصطنع إلى الانعتاق الزائف.

مؤلمة حقاً حالة الفتاة القروية التي لم تعرف غير بيتها وبعض بيوت القرية. قد تكون على شيء من الثقافة التي تلقتها في مدرسة القرية لكنها ثقافة جامدة ضيقة قديمة غير مرتبطة بالحياة، لا تزيد على شيء من القراءة والحفظ الببغائي وكثير من الزجر والضبط وقهر الذات حتى تصبح الفتاة المسكينة صنماً متحركاً لا إرادة لها ولا تفكير ذاتي.

وقد تكون فتاة المدينة أسعد حالاً. انها أخف حركة وأكثر جرياً مع الموضة في مظهرها الخارجي وأقوى شخصية وأقل غباوة وجهلاً من الأولى. لكن روح العبودية التي تميز هذه تظهر في تلك بشكل جديد، مع الفرق أن فتاة المدينة أكثر استرسالاً مع عواطفها وأقل ضبطاً لغرائزها.

إن لفتاة المدينة أيضاً مشاكلها الخاصة. وهي أشد إحساساً بها من الأولى فهي لهذا أكثر تألماً. عليها في أكثر الأحيان أن تسعى وراء معاشها لأن مستوى المعيشة عندها أرفع مما هو عند الأولى. ولأن لديها فرصاً للعمل والكسب ليست للأولى فهي تشتغل وترضى بالشغل رغم قيوده ومتاعبه لكي تستطيع الانفاق

على حاجاتها الكمالية وتستغني عن جميل الأهل أو تكفيهم مؤونة الإنفاق عليها. ولكن - بينما لفتاة القرية أهل وأقارب يديرون أمر زواجها ويجدون لها رفيقاً بغير مشقة - يبقى على فتاة المدينة أن تسعى بنفسها وراء الزوج لأن فتى المدينة معرض عن الزواج بعكس فتى القرية، لأن فرص الاحتكاك المفتوحة للجنسين تخلق بين الفتيات هذا التزاحم العنيف المضني الذي يجعل حياتهن المقسمة بين الشغل والتبرج والملاحقة صراعاً ينهك قواهن وقد يصرعهن.

مرت ببالي هذه الأفكار إذ عثرت في أحد هذه الاصباح الباردة بثلاث فتيات في الترام قد أحطن بفتى إحاطة السوار بالمعصم وتزاحمن حوله كالفراشات حول السراج، وقد فاضت وجوههن بالبسمات العريضة الحمراء وتدفقت أفواههن بالعبارات المبهمة يلقينها تارة بالفرنسية وطوراً بالانكليزية أو بالعربية، وتبارت أيديهن بالحركات المصطنعة فواحدة تربت كتفه وأخرى تسابق رفيقتيها للجلوس بجانبه وثالثة تجهد نفسها لجذب انتباهه وهو بينهن كالفتاة الخفرة وهن حوله كمستعطيات.

دفعني هذا المنظر إلى التفكير في أمرين. أولاً ان فتاتنا قد تتلقى في هذه الأيام بعض الثقافة التي تهيئها لقسط من الحرية. لكنها ثقافة يعوزها الذوق من جهة ويعوزها التطبيق العملي من جهة أخرى. لقد شهدت كيف تتصرف بنات الافرنج في حضور الرجال فرأيت تصرفهن عادياً طبيعياً لا كلفة فيه وحديثهن حراً صريحاً ملؤه الذوق والكياسة. ذلك لأنهن تعودن مخالطة الرجال في كل بيت وفي كل دور من أدوار حياتهن فيرين عشرة الفتيان أمراً طبيعياً لا يثير فيهن أدنى هياج. أما فتاتنا فتتخذ في حضور الرجل هيئة مصطنعة أو تنحط إلى مستوى مبتذل حقير لأنها لم تألف عشرته ولم تتعود محادثته. وهذا الجهد لأصول المعاشرة لا يقتصر على الفتاة بل يتناول أيضاً الفتى فكلاهما محتاج إلى التثقيف في هذه الناحية وعلى المربين أن يعودوا أفراد الجنسين مخالطة بعضهم بعضاً بصورة طبيعية تدريجية قبل أن يدفعوهم إلى اجتماعات الأنس والتعارف.

وفوق هذا نجد أن تربية الفتاة لا تهيئها لحسن الانضباط والحكم على عواطفها وأفكارها في مواقف غير عادية. فهي لا تستطيع أن تمتنع عن الهياج

والاضطراب في حضور الرجل أو في أي موقف مشابه، وهي لا تستطيع اخفاء هذا الاضطراب بل إنه يظهر في حركاتها الخرقاء وفي تدفقها بالحكي أو الضحك وفي تصرفاتها المضحكة الشاذة.

ليس العلم غاية في نفسه ولا هو وسيلة لكسب العيش فحسب كما يحسبه الكثيرون. لكنه في الدرجة الأولى وسيلة لتثقيف النفس وصقل الذوق وتعديل الأهواء فإن أخطأ هذه الغاية أصبح هو والجهل سواء.

صوت المرأة. العدد ٤، السنة ٣،
نيسان (ابريل)، ١٩٤٧، ص ١٣.

وأنت أيضـا ؟

وأنت أيضاً من دعاة الأسطورة القديمة، أسطورة القرون الوسطى، التي تدعو إلى تأليه المرأة واعتبارها مصدر فتنة للرجل وآلة الهام فحسب؟

إني أربأ بك من أن تنظر إلى المرأة هذه النظرة الضيقة ـ انت الشاعر الموهوب ـ كما أربأ بالإلهام من أن ينحصر في الدائرة التي يزعمون.

لماذا تجد في المرأة الجميلة وحدها ينبوع الإلهام، ولا تجده في الفتى الرياضي المتوثب الفتوة، وفي الطفل ذي العذوبة الملائكية، وفي الشاب المكتنز العضلات، وفي الشيخ الذي خط المشيب على وجهه معاني السكون والجلال؟

اتزعم أني أنكر على المرأة جمالها وقدرتها على تغذية هذا الجمال واستثماره إلى أقصى حد؟ معاذ الله، وأنا من المعجبين بالفاتنات اللواتي ألهمن رافائيل وليوناردو دافنشي ودانتي وبترارك وغيرهم من الفنانين.

لكني أرى في المرأة نوعاً واحداً من الجمال وفي الرجل نوعاً آخر ـ كلاهما جزء من الجمال المطلق الذي يغمر الكون ـ وهو واحد مهما اختلفت الأنواع. وأحسبني أشقى البشر إذا قصرت نظرتي على نوع واحد منه ورأيت الإلهام كله في هذا النوع.

ولا أخالك تنسى حملة شوبنهاور على الجمال النسائي، حين عاب على المرأة

ضيق الكتفين وقصر الساقين. وشاركه في ذلك بعض الاستاطيقيين، إذ قرروا أن جسم الرجل أقرب إلى التناسب في خطوطه من جسم المرأة، في حين أنها تمتاز عنه باستدارة الخطوط دون تناسبها. هذه الحملة التي لا أوافقه عليها إذ لا جمال يخلو من العيوب.

أنت ترى الإلهام في المرأة الجميلة؛ وأنا أراه كذلك في ألوان الزهر وبسمة الفجر وسكون الطبيعة ورفيف الأجنحة وحفيف الأوراق وانحناءة الجبل وانبساطة البحر.

أنت تراه في حواء جديدة ذات غنج ودلال. وأنا أراه في المرأة القوية التي تنجب الأولاد الأصحاء الأجسام وفي المرأة النشيطة التي خشنت يداها لفرط العمل في البيت أو في الحقل أو في المصنع.

وفي الطالبة التي تنحني ساعات طويلة فوق البيانو أو فوق طاولة المختبر ولا تنهض رأسها حتى تتقن درسها أفضل إتقان.

وفي العجوز المكبّة فوق مغزلها أو فوق إبرتها رغم وطأة السنين.

ماذا؟ أتريد دمية في الصالون توزع ابتسامتها على السذج المعجبين؟ أو مستلقية فوق مقعد وثير - على مثال حريم السلطان - تتلهى بمضغ المصطكى وتنظر إلى مرآتها بينها تنتظر الماشطة التي تسرّح شعرها وتخضب أظافرها.

أم تريدها على مثال جواري القصور آلة لهو ومتعة، تعيش في جو من الدسائس والفتن، تتقن في التبرج وأساليب الدلال وتحسن تحريك أعضائها بالرقص المخنث والغناء العليل، إرضاء لمولاها وتلاعبا بعواطفه؟

أما أنا فأرى الإلهام كله في الممرضة التي تحسن القيام بواجبها عند سرير المريض. وفي الأم التي تعطي من نفسها لتربية أطفالها. وفي المعلمة التي تبذل من راحتها لإبهاج الأولاد وإسعادهم.

ولا أعجب بابتسامة «الجوكوندا» بقدر اعجابي «بالمرأة الذابلة» التي الهمت رودان «وبالمعفّرات في الحقل» اللواتي ألهمن ميلله.

أنت ترى الجمال في الأنثى الفتية الناعمة الخَرُود التي أنشدها شعراء العرب

ووصفوها على طريقة واحدة، من امرىء القيس وعمر إلى صاحب القصيدة اليتيمة. وأنا أراه في كل ما حولي. في القبح كما في الجمال. وقد يكون القبح أشد إلهاماً من الجمال. ألا ترى كبار الروائيين قد استلهموا أروع قصصهم من وجوه المجرمين الكالحة ومن بيوت الفقر والشقاء ومناظر البؤس والتشرد وفواجع الظلم والجهل والرعونة والخيانة والاستبداد؟

ليست المرأة الجميلة وحدها مصدر فتنة - بل إني أنكر عليها الفتنة إذا اقترنت بالجهل والتفاهة. لكن كل إمرأة مصدر فتنة والهام إذا قامت بعمل مفيد أو نبيل، وأحسنت تمثيل دورها كإنسان على مسرح الوجود. بل إن كل ما حولنا من عجائب الطبيعة ومهازل الحياة ومآسيها مثير للفكر محرّك للخيال.

صوت المرأة. العدد ٢، السنة ٧،
شباط (فبراير)، ١٩٥١، ص ٦ و٧.

هل دبّ فيك الهرم؟

لقيتها بعد غياب ثلاثين سنة قضتها في مدينة من مدن الغرب جمعت من مختلف الشعوب والثقافات ومن ألوان الحركة والنشاط ما يبعث الحياة في الجماد.

لم ألمح في وجهها وشكلها آثار أصابع الزمن. تلك الابتسامة التي أعرفها لم تفارق وجهها. ما زالت تحمل ظلالاً من الرقة والهدوء والسخرية واللامبالاة. ولكن ماذا وراء هذه المظاهر؟ أفتوة في العقل تقابل ما يبرزه الجسم من صمود في وجه الزمن؟ أي أثر تركته في نفسها أجواء العلم والفن في مدينة الأنوار؟

عبثاً حاولت أن اكتشف ذلك الأثر. المرأة الجالسة أمامي، التي عرفتها منذ ثلاثين سنة، لم يتبدل فيها شيء، لا لهجتها ولا أفكارها، ما زالت تكرر عبارات مألوفة وأدعية عتيقة وملاحظات تقليدية تشبه ما يردّده الناس حول الطقس والزواج والمرض والموت والهزال والسمنة والبياض والسمرة وموضوعات أخرى. رأسها ما زال محشوّاً بأخبار أخيها وأختها والذرية التي تفاخر بها اليوم كما كانت تفعل بالأمس. أما هي فليس لها ذاتية ولا هوية. ولو كانت مرتبطة بزواج لعدّدت مآثر زوجها وأولادها كما تفعل حين تفاخر بأخيها وأختها وذريتها. لكنها تذكر معارفها القدماء، تتسقط أخبارهم، لا لأن أمرهم يهمها، بل بدافع «الحشرية» والرغبة في التسلية وقتل الوقت.

ماذا كانت تصنع في بلاد الحضارة؟ تقوم بعمل روتيني يستغرق معظم

وقتها. وفي أوقات الفراغ تستحضر أخبار أخيها وأختها والذرية التي تندمج بها وتفاخر بانتمائها إليها. تتسقط أخبار معارفها الجدد هناك، طلباً للتسلية وقتل الوقت.

هذه المرأة المكبّلة، واحدة من آلاف يعيشون على نمط واحد مسجّل، يتحركون في دائرة لا تجاوز بضعة أمتار مع أنهم ربما قطعوا في حياتهم آلاف الأميال. يعيشون على هامش الحياة. لا يشعرون بما يجري حولهم من تقدم أو تأخر، من فواجع أو مآثر، من أفراح أو أتراح. يجسدون حال الجماعات التي تجترّ ماضيها بدافع الكسل، والخوف من الجهد الذي يقتضيه اقتبال الجديد ودرسه وتفهّمه، أو تتخذ من هذا الماضي ذريعة للمحافظة على مصالحها وترسيخ تقاليد تمنحها حقوقاً مشروعة أو غير مشروعة، أو تضمن لها حق الرفاهية والتنعم من غير تعب.

المرأة التي قابلتها بعد ثلاثين سنة لم تحمل في وجهها علامات الهرم لكنها حملتها في روحها وعقلها. إن كثيرين من أمثالها يخدعون الناس بمظهر عصري أنيق وملابس من آخر زي ونشاط جسمي دافق، بينما عقولهم مهترئة وقلوبهم يابسة وأفكارهم رثة، هرمة عاجزة عن النمو.

لأن الهرم داء يصيب الشبان والشابات كما يصيب الشيوخ والعجائز. وعلى كل فرد أن يتفحّص نفسه باستمرار متسائلاً: هل دبّ فيه الهرم؟ هل أصيب بما يصاب به الأفراد المكبّلون الذين منهم تتألف الشعوب المتخلفة، الموشكة على الانهيار؟

الرائدة. العدد ١٠، المجلد ٢،
تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٧٩، ص ١.

المــرأة والجهــاد الأكبر:
بنــاء شخصيــة جديــدة

■ العلم والعمل قد يكونان للمرأة مصدر عبودية، إذا فقدت الثقة بنفسها والسيطرة على مصيرها.

■ التحرر الصحيح تحرر داخلي، «تتحـول معه قضبـان السجن إلى أوتار قيثارة لمن يعرف أن ينفث في الجهاد حياة» كما تقول مي زيادة.

في الغرب يتخذ كفاح المرأة أبعاداً بالغة الخطورة. بعد حصولها على الحقوق السيـاسية ومسـاواتها الـرجل في قـوانين الأحـوال الشخصيـة وفي حقـوق العلم والعمل، يبقى عليها أن تسعى لوضع هـذه الحقوق مـوضع التنفيـذ، باحتـلال مـراكز قيـادية تفتـح لها مجـالات الإسهام الفعـلي في عمليات التـطويـر والإنمـاء والخدمة الاجتماعية. لذلك نـراها مكبّـة على تـأليف الجمعيات وعقـد المؤتمرات ووضع الدراسات وإصدار الصحف والمؤلفات التي تهدف إلى توعية الرأي العام وكسب تـأييده لمشـاريعهـا وبث فكـرة «تحقيق الـذات» في أكـبر عـدد ممكن من النساء.

أما المرأة الشرقيـة فمشكلتها اكـثر تعقداً وعمقـاً. حصولهـا على حق العلم والعمل لم يحرّرها من الأمية التي لا تزال ترسف في قيـودها نحـو ٧٥ ـ ٨٠٪ من نساء الأقطار العربية، حسب الإحصاءات الأخيرة. قـوانين الأحـوال الشخصية

لا تساويها بالرجل في الحقوق، وإن استهدفت المساواة يتعسر تطبيقها. المرأة التي نالت ثقافة عالية، جامعية، ومارست بعض المهن الحرة، لم توفّق إلى احتلال مراكز قيادية في السياسة او الاقتصاد أو التعليم، إلاّ في أحوال نادرة.

المرأة الشرقية، والعربية بنوع خاص، لم تنل من الحرية إلاّ قبساً ضئيلاً وبريقاً خادعاً. الوظيفة لم تحرّرها حين نقلتها من عبودية الأهل إلى عبودية المديرين والمديرات وأصحاب العمل الذين يمارسون في أحيان كثيرة أساليب عتيقة استبدادية واستغلالية في معاملة موظفيهم وموظفاتهم.

الوظيفة والمهنة لم تنجحا في تحريرها حين استخدمتها، كالدوطة أو البائنة، وسيلة لاصطياد الزوج. أو حين أثارتا طمع أهلها في استغلالها وتسخير نشاطها لفائدة الإخوة وتعمير البيت دون مقابل تناله سوى ضروريات العيش.

وكيف تنتظر من الفتاة أن تتحرر إذا كانت منذ ولادتها، لا تزال تخضع لأساليب التربية التقليدية وتتردد في سمعها تلك النغمات التي سمعتها جداتها من عهد سارة وراحيل. نغمات قاتمة مأساوية تزرع الوهن في نفسها والتوتر في أعصابها.

إن وضع المرأة العربية بأبعاده ومظاهره المختلفة لم ينل بعد من الدرس والتحقيق العلمي ما نالـه وضع المرأة الغربية. على سبيل المثل، يخطر لنا أن نتساءل: ما هو عدد البنات اللواتي تثقب آذانهن ـ كما كانت تثقب آذان العبيد ـ حال ولادتهن، وبذلك يتم إشعارهن بأن الأنثى انما خلقت لتكون أداة متعة وتزيين، والويل لها إن لم تكن كذلك، لأن قبح المنظر هو لها بمثابة حكم بالإعدام؟

هل نجح العلم في تبديل هذا الموقف؟؟ أما يزال همّ المربّين والمربيات ـ اليوم كما في الأمس ـ أن يعوّدوا البنت تركيز اهتمامها على جسمها، أن يفرضوا عليها الاجتهاد في تجميله، أن يجعلوا من واجبها إخفاء عيوبها الجسمية وإخفاء عمرها، والاستعباد للزي الأخير، والرضوخ لمقاييس مجتمعها في الجمال والتجميل وإن كانت هذه المقاييس خاطئة؟

أما زالوا ينفثون في روعها أن التي تفقد عفتها تستحق القتل، وينذرونها بأن المرأة تشيخ في الثلاثين وأن الناس يحتقرون التي لم تتزوج ويرمونها بشتى التهم، كما يحتقرون العاقر والتي لا تلد سوى البنات. ويعجبون بالتي تتزوج باكراً وبالتي تلد الذكور. من هنا تستبدّ بها منذ الطفولة عادة القلق على مظهرها وعلى مستقبلها وتلازمها الخشية من اللعنات التي ستواجهها إذا لم تتزوج أو كانت عاقراً أو إذا ولدت البنات دون الصبيان. ويزداد ألمها وقلقها حين تشعر أنها ألعوبة في يد الحظ، وأنها لا تملك الوسائل لتأمين تلك النعم التي لا بدّ منها لتأمين وجودها.

إن التوجيه التقليدي الاستعبادي، في حال استمراره، يؤدي ـ إلاّ في احوال شاذّة نادرة جداً تظهر فيها الفتاة بمظهر القوة المستبدة ـ إلى انطباع شخصيتها بطابع الذل وعقدة النقص أو الدونية، فترسّخ فيها عادات يصعب اقتلاعها فيما بعد، ويسهل تبيّنها في الكثرة الساحقة من الفتيات والنساء، وربما استطعنا تصنيفها على الشكل الآتي:

١ ـ عادة الخضوع والمسايرة وسرعة التأثر بالرأي العام:

المرأة بحكم خضوعها لتربية الكبت والعزلة النسبية تصبح، بصورة واعية أو لاواعية، أسهل انقياداً وأسرع قبولاً لما يقال، سريعة التصديق للأوهام والخرافات، لهذا نراها تقبل على استعمال النذور والتعاويذ والحُجُب وكل ما يدفع النحس ويمنع إصابة العين، لاسيما وأن تلك «البركات» التي تعطي وجودها معنى في نظر الناس غالباً ما تكون صنيعة الحظ أو هبات من السماء.

حين انتشرت في أقطارنا نظرية الحب الرومنطيقي التي تجعل الحب قَدَراً لا يقاوم وإخلاصاً يتحدى الزمن والموت، كانت النساء أسرع تصديقاً لهذه النظرية وأكثر تهافتاً عليها من الرجال، ولقيت شعبية كبرى بين المراهقات والمترفات على الأخص فكان لها بين أفرادهن ضحايا عديدات.

في نطاق هذه الظاهرة ـ ظاهرة الخضوع للرأي العام ـ يجب أن نذكر انقياد المرأة لعادة المجاملة وإسرافها في عبارات المدح والأدعية التقليدية. وإذا كان

الرياء وازدواجية السلوك داء الانسان المتحضّر، كما يقول فرويد، فهذا الداء أشد فتكاً بالمرأة التي تتعود منذ طفولتها الملاينة رغبة في كسب رضى الناس واجتذاب الخاطبين. فهي بدافع المسايرة والخضوع للرأي الشائع تتمسك بعادة الحداد التي نبذها الرجل. تنقاد للتنازل عن نصيبها في الإرث والتخلي عن حقوق مشروعة. إذا مرض أبوها أو أمها أو أحد أفراد أسرتها ترضى بتضحية ذاتها لخدمة المريض ولو عرّضها هذا الأمر لخسائر ذاتية. فإذا أبت التضحية رميت بالعقوق، وحلّت عليها لعنة القبيلة ونقمة الآلهة.

٢ ـ عادة الخوف من الانفراد وعدم الثقة بالذات:

كثيرات من الفتيات يدفعهن الخوف من الوحدة إلى الرضى بزواج «مدبّر» أو من النوع الذي لا يرضي طموحهن. مثلهن كمثل الزوجات اللواتي يحتملن خشونة الزوج واستبداده خوفاً من سيف الطلاق المرفوع فوق رؤوسهن، يسايرن الاحماء ـ أهل الزوج ـ ويحاولن اكتساب رضاهم، خوفاً من أن يفسدوا بينهن وبين الزوج ويكونوا عاملاً في هدم العلاقة الزوجية.

الخوف وعدم الثقة بالذات يحولان بين المرأة وبين مجابهة أعمال صعبة ومهن جديدة. في المدرسة والجامعة يخيفها درس الرياضيات لأنها سمعت الناس يقولون إنه موضوع صعب يفوق مستواها العقلي، رغم أن التجارب أثبتت العكس.

ومن المؤسف أن التربية التقليدية ما زالت تهوّل للمرأة حالة الانفراد وتزرع في صدرها الجبن والاتكالية وشعور العجز عن مجابهة الوحدة، مع أن طول عمر المرأة بالنسبة إلى عمر الرجل، وتكاثر الحروب التي أكثر ضحاياها من الرجال، يؤديان إلى تكاثر الأرامل والعازبات. فالانفراد حالة يجب أن تجابهها المرأة في بعض ظروف حياتها أو جميعها. وبالتالي عليها أن تستعد لها ولا تخشى السكن وحدها أسوة بكثيرات من نساء الماضي والحاضر تميّزن بشخصية استقلالية وتحلّين بالشجاعة الكافية لتحطيم القيود والسيطرة على الخوف.

٣ ـ عادة تأليه الرجل والرضى بتذويب شخصيتها:

إن الفراغ النفسي الذي تشكو منه المرأة التي ليس لها هدف في الحياة سوى

الزواج يسوقها في غالب الأحيان إلى توحيد ذاتها بشخص آخر، هو عادة أحد ذكور الأسرة، وقد يكون والدها أو أخاها أو زوجها أو ولدها، فتجعل منه معبوداً تذوب فيه شخصيتها وتصبح مستعدة لخدمته والدفاع عنه واحتمال العذاب لأجله والتعامي عن عيوبه والإشادة بفضائله. وقد تستبدل هذا الشخص أحياناً بحزب سياسي أو بمذهب من المذاهب.

يلاحظ الكثيرون أن المرأة غالباً ما تنحطّ بعد الزواج حين ترضى بأن تصبح ظلاً لزوجها، تحصر نشاطها في إرضائه ومراعاة أهوائه ونزواته. إذا عملت خارج البيت أصرّت على القيام وحدها بأعمال المنزل واحتمال الإرهاق، ظناً بأن مشاركته إياها في هذه الأعمال تحطّ من كرامته.

لقد شاهدتُ نساء متعلمات جامعيات، يصبحن بعد الزواج أبواق دعاية لرجالهن. فالواحدة منهن لا تأنف من ترديد أقوال زوجها ترديداً ببغائياً والمفاخرة بما لديه من فضائل ومآثر تراها بعين الخيال مضخّمة أو تضيف إليها ما ليس له وجود إلّا في خيالها.

وهناك التي تستبدّ بها الغَيرة على رجلها، أو تصطنع الغيرة عليه من نساء أخريات، عملاً بالرأي القائل إن الغيرة من طبع المرأة ومن علامات الحب، مع أن هذه العاطفة تحسب من صنف الغرائز البدائية التي يجب التخلص منها أو من صنف التقاليد المتوارثة. إذا دلّت على شيء فعلى الأنانية وحب الامتلاك، من مساوئها إشاعة النفور وسوء الظن بين الزوجين وقد ساقت آنا كارنينا، بطلة رواية تولستوي، إلى اليأس والانتحار.

لقد دلّت جداول الإحصاء، في الأقطار المتخلفة وما أشبهها، على أن المرأة التي نالت حق التصويت في هذه الأقطار لا تمارس هذا الحق مستقلة بل تخضع لرأي زوجها أو أخيها أو أحد أقاربها. فتضم صوتها إلى صوته وبذلك تضاعف سلطة الرجل التقليدية وتظهر عجزها عن تكوين رأي شخصي.

الشواهد على ضعف تأثير العلم في أخلاق المرأة العصرية أكثر من أن يستوعبها هذا المقال، أترك للباحثين والدارسين إجراء التحقيقات والدراسات التي تُخضع الأمثلة والملاحظات لمقاييس البحث العلمي. أما الحقيقة التي لا

يختلف عليهـا اثنـان فهي أن العلم والعمـل لن ينجحـا في تحـريـر المــرأة مـا لم يصحبهما تبدل جذري في عقلية المشرفين على توجيه الفتـاة وإرشادهـا، يدفعهم إلى نبذ الوسائل التربويـة التي تؤول إلى إضعاف شخصيـة المرأة وطبعهـا بطابـع الخوف والخضوع وعدم الثقة بالذات وتأليه الرجل.

فإذا فاتها إدراك الوعي الـلازم عن طريق الـتربية البيتيـة، يجب أن تدركـه بالدروس والتوجيهات المدرسية والجامعية أو بالاحتكاك بأوساط جديدة متطورة. حينذاك تتّضح لهـا ضرورة إعادة النـظر في جميع مـا ترسّـخ في ذهنها من عقـائد وتقاليد. فتنبذ ما يجب نبذه وتحتفظ بما هو جدير بالحفظ. وتـدرك انها في حاجـة إلى اعتناق فلسفة جديدة، وبنـاء شخصية جـديدة، تعـطيها حق القيـادة وتفتح أمامها مجال الإسهام الفعلي في بناء الوطن والحضارة.

لأن احتكـار الرجـل لقيادة العـالم أدى إلى تكوين حضـارة مبتورة فيهـا من رواسب الهمجية تكديس الأسلحة الفتّاكة واستمرار الحروب التي تحصد الأبرياء وتهدّد بالفناء. وفيها سيـادة الأنظمـة الارهابيـة التي تفتك بـالبشر أو تحوّلهم إلى حشرات. وذيوع أشكال من الـرياضـة الهمجية كـالصيد الـذي يبيد حيـوانات نافعة وجميلة وصراع الثـيران الدمـوي. والملاكمـة التي تحوّل الـرجل إلى مخلوق ضخم الجثة، محدود التفكير.

المرأة المعاصرة في طـريقها الـطويل نحـو الحريـة لم تجاوز بعـد طور الجهـاد الأصغر. أما الجهاد الأكبر فهو جهاد الذات للتحرر من رواسب عصور الظلمـة ونسف النغمات الانهزامية التي ما فتئوا يـردّدونها في سمعها والتي لا تـزال، كلها أو أكـثرها تشـوّه شخصية المـرأة، وتمنع نمـوّها وتفتّحهـا، وتجعل دورهـا في بناء المجتمع هزيلاً، هامشياً، أو في حكم العدم.

النهار. ٣١ تشرين الأول (اكتوبر)، ١٩٧٨.

خلاصة آراء في علامات تحرّر المرأة

في جلسة جمعت عدداً من المهتمات بشؤون المرأة، بينهن بعض الصحافيات والمتخصصات في فن الاعلام، اللواتي يكثر عددهن في هذه الأيام، جرى بحث موضوع تحرير المرأة.

طُرحت أسئلة ونوقشت آراء قديمة وحديثة. وجاء الحوار الذي أنقله فيما يأتي خلاصة الآراء الواردة في الأسئلة وفي أجوبتها.

ـ أيكون نجاح المرأة في احتلال منصب سياسي كبير دليلاً صحيحاً على تحررها ونجاح حركتها في القطر الذي تتسلم فيه ذلك المنصب؟

ـ ليس هذا دليلاً قاطعاً، لأن القفزة السياسية التي تسجلها إحدى النساء قد تكون نتيجة ظروف مساعدة لم تخلقها جهود النساء ولا تعبر عن نضجهن السياسي. قد يصح هذا الزعم ـ أعني الربط بين المركز السياسي وتطور المرأة ـ في بلاد مثل انكلترا، هذه الدولة التي تعد أقدم دول الغرب ديمقراطية وأنجحها في ميدان تحرير المرأة. إن وصول مرغريت تاتشر إلى منصب رئاسة الوزارة، مع أنه يدين في بعض عوامله لظروف سياسية مؤاتية، يعد مع هذا دليلاً على سبق المرأة الانكليزية لسائر نساء العالم في ميدان التحرر والرقي، كما يدل على تطور عقلية الرجل الانكليزي إزاء المرأة في بلاد أعلنت قبولها لحكم النساء منذ القرن السادس عشر للميلاد، أي منذ ٤٠٠ سنة.

إلّا أن مثل انديرا غانـدي في الهند ينقض هـذا الزعم، فقـد تسلمت هذه المرأة منصب رئاسة الوزارة قبل مرغريت تاتشر في بلاد لا تزال نساؤها رازحـات تحت نير العبودية، خاضعات لأسوأ حالات التخلف. فنجاحهـا لا يعكس تقدم المرأة الهندية ولا تحررها، بل يدين لعوامل سياسية قومية أهمها كونها بنت نهرو، أعظم سياسي أنجبته الهند، فهي في نظرهم رمز التراث الروحي والقـومي الذي تبلور في الثلاثي الهندي: طاغور، غاندي، نهرو. من هنـا نستنتج أن انخـراط المـرأة في السياسـة وإن بلغ مستوى رفيعـاً، لا يدل في جميـع الأحوال عـلى تحرر المـرأة إجمالاً. لأن هنـاك دلائل أخـرى لا بـد من تـوافـرهـا في البـلاد المتـطورة «نسائياً»، إذا صح هذا التعبير.

أين الدلائل؟

ـ ما هي هذه الدلائل؟

ـ أولها انعدام الأمية وانتشار العلم بين النساء. ما لا نجده في الهنـد ولا في غيرها من أقطار العالم الثـالث. إلّا أن انتشار العلم وحـده لا يمحو الأميـة إذا لم ترافقه عادة المطالعة والتثقف الذاتي الذي يستمر مدى الحياة. فـالمتعلم الذي لا يطالع والذي يقتصر علمه على ما تلقاه في غرف التدريس، هـذا الانسـان يعد أمياً ولو حمل أعلى الشهادات.

ـ ما هي الدلائل الأخرى؟

ـ دليل آخر هو نجاح المرأة في التحرر من التقاليد الجائرة التي تكبـل النساء منذ ألوف السنين، نتيجة خضوعهن للنظام الأبوي الذي يقـرر سيادة الـذكور، هذا في رأيي أعظم دلائل الوعي والتطور عند المرأة لأن العلم وحده لا يستطيع تحرير المرأة إذا لم يقترن بنجاحها في تكوين شخصية جـديدة مستقلة، بـريئة من التبعية، حرة في اختيار طريقها وتسيير أمورها.

هنا أريد أن أبدد بعض الأوهام المتعلقة بالمـوضوع. فـأقول إن التحـرر من التقـاليد لا يعني التحـرر الجنسي الذي أصبـح في عصرنا هـوسـاً مسيـطراً. لأن الانفلات الجنسي يجعل الانسـان أسير غـرائزه، عـاجزاً عن كبـح جماحهـا. أما

التحرر الصحيح فيفرض على الانسان أن يكون سيد نفسه، قادراً على الانضباط، غير منقاد لروح القطيع.

كذلك التحرر لا يعني الايمان المطلق بما نسمعه من الغربيين أو نقرأه في كتبهم ورواياتهم ومؤلفاتهم السيكولوجية ونحوها. لأن علم النفس بما فيه من أبحاث حول أسرار التحليل النفسي وبناء الشخصية، كل هذا لا يزال عندهم في طور النشوء والتطور. نظريات الأمس تتبدل وتهدمها نظريات اليوم. كان القرن التاسع عشر عصر ارتداد إلى الماضي في تأليه العاطفة والألم والشفقة والحب والمرأة والوحدة والهرب من الواقع والاستغراق في الحلم والغيبيات على طريقة الرومنطيقيين والصوفيين. ثم حدثت ردة الفعل في هذا القرن الذي هدم أصنام القرن الفائت وحصر همه في الواقع المحسوس، أسرف في عبادة المادة والآلة والتقدم التقني بشكل أدى إلى طغيان الشهوة والتهافت على اللذة الحسية وتضخيم دور الجنس في حياة الانسان. هذا الطغيان لا بد أن يقف عند حد ويترك المجال لتطور جديد.

أي شروط؟

ـ عدا العلم والتحرر من التقاليد الجائرة والضارة، أي شروط أخرى يقتضيها التحرر؟

ـ إلى هذين الشرطين يجب أن نضيف الاعتقاد بضرورة تسلح المرأة بمهنة تمكنها من تحصيل معاشها بنفسها، واستعدادها لممارسة هذه المهنة رغم العقبات التي قد تعترضها. لأن الانسان العاجز عن تحصيل معاشه هو من صنف الطفيليات. هنا أيضاً تجب الاشارة إلى وهم يقع فيه كثيرون. هو أن المهنة والعمل يضمنان للمرأة حريتها. هذا صحيح من الوجهة المادية. المهنة والعمل سبيل استقلالها الاقتصادي. لكنهما لا يضمنان حريتها النفسية بل قد يكونان لها وسيلة استعباد. استعباد للزبائن الذين تضطرها المهنة إلى معاملتهم. استعباد لرئيس العمل أو للمدير الذي يشرف على عملها، إذا أساء معاملتها أو حاول استغلالها. استعباد للزوج أو للأهل إذا حاولوا استغلال انتاجها أو فرضوا عليها ازدواجية العمل، في البيت وفي الوظيفة. هذا يعني أن الحرية بمعناها

الصحيح تفرض الكفاح الدائم المستمر، سواء كان طالب الحرية رجلاً أو إمرأة، متزوجاً أو عازباً، فرداً أو شعباً. المرأة العاملة وذات المهنة محتاجة إلى كفاح وجوه الغبن التي يتعرض لها كل من يمارس عملاً ويتعاطى مع الناس. . .

ـ إذا كان العمل لا يحرر المرأة بل يعرضها لوجوه من الغبن والاستغلال، لماذا لا تقنع بأن تكون ربة بيت؟ وهل عبودية العمل المنزلي أسوأ من عبودية العمل خارج المنزل؟

ـ بعض النساء يلجأن إلى العمل هرباً من زواج قسري، أو تخلصاً من زوج مستبد، أو خوفاً من زواج لا يرضي طموحهن. الزواج يربط المرأة مدى الحياة، والطلاق مشكلة تخلق لصاحبها المتاعب. أما العمل ففي وسع المرأة تبديله، مع مواصلة السعي لتأمين حقوقها من خلال العمل النقابي وما يتصل به.

فوق هذا، يعتبر العمل للمرأة، عازبة كانت أم متزوجة، وأعني هنا العمل المقترن بالعلم والثقافة، وسيلة لتحقيق ذاتها وإطلاق مواهبها ونمو شخصيتها. يكسبها شعور رضى واكتفاء ويلهيها عن انفاق نشاطها في الأذى وتوافه الأمور، المرأة تستطيع تحقيق ذاتها بعمل البيت إذا حولته إلى أعمال خلاقة. يمكنها أن تتفوق في فن منزلي كالطهي وتدبير أمور البيت، لكن للعمل المنزلي مساوىء أولها أنه لا ينحصر في لون واحد يضمن للمرأة مجال الإبداع فيه، ثانياً انه عمل غير مأجور، تقوم به المرأة مقابل الطعام والسكن واللباس فهو لا يؤلف لها ضمانة مستقبلية ولا يكفل استقلالها الاقتصادي الذي يجب أن يكون في متناول كل فرد، رجلاً أو إمرأة.

القدرة الاقتصادية

ـ ما أهمية قدرة الفرد على الاستقلال الاقتصادي؟

ـ إنها تقيه التطفل والشحاذة والاعتماد على الآخرين. لا أحد في الدنيا يستطيع أن يضمن لنفسه رفاقة دائمة، زوجية أو عائلية، لأن طلب الرزق يدفع الأسر إلى التفرّق، الحروب والكوارث تشتتهم، الطبيعة البشرية لا تثبت على

حال، قد يفقد الإنسان الأهل والزوج أو الزوجة، قد يهمله أولاده وأصدقاؤه، قد يفقد ثروة ورثها أو جمعها فلا يبقى له سوى نفسه. فإذا كان بلا مهنة أو حرفة قد يتعرض للموت جوعاً. لذلك نرى اليوم إقبال المعاقين على تعلم مهنة تقيهم شر الشحاذة والتطفل.

ـ ما رأيك في القائلين إن الزواج والأمومة للمرأة ضرورة نفسية وصحية واجتماعية الخ؟

ـ هذا القول يستوحي التقليد المتوارث من عهود القبيلة التي حتمت على أفرادها التكاثر والنمو حفظاً لمناعة القبيلة وتعويضاً عن رجالها الذين تبيدهم الحروب والمنازعات الدائمة. أما اليوم، والعالم يشكو تزايداً مخيفاً في عدد سكانه، فلم يبق فيه مجال لتنفيذ وصية التوراة: «انموا واكثروا»، التي عبرت هي أيضاً عن موقف قبلي تقليدي. فوق هذا، يعتبر الزواج ضرورة للفتاة الموجهة توجيهاً إتكالياً، يدفعها إلى حصر نشاطها في السعي وراء الزوج وملاحقته بأساليب التبرج والإغراء. هذه الفتاة تهمل التحصيل العلمي ويفوتها الاستعداد للمهنة، وقد لا يسوقها السعي المضني في نهاية الأمر إلى الحصول على النتيجة التي تتوقعها.

الزواج والعزوبة

ـ ما هو موقف المرأة المتحررة من هذا التقليد؟

ـ المرأة المتحررة ترفض الخرافة القائلة إن المرأة المتزوجة أرفع شأناً من العازبة، وترفض التمييز بينهما في اللقب. بل ترى ان مجال العمل المنتج والنمو الفكري أوسع أمام المرأة العازبة وأمام التي لم ترزق أولاداً أو اكتفت بولد واحد.

كثيرات من النساء يتزوجن خوفاً من حياة الوحدة مع أن النساء المنفردات أصبحن في عصرنا كثيرات العدد. منهن العازبات المُعرضات عن الزواج، والمطلقات والمهجورات والأرامل. وقد علمهن الاختبار أن حياة الوحدة ممكنة وغير مخيفة إذا كن ذوات مهنة أو هواية دائمة، وإنها خير من الارتباط برجل خامل ضعيف أو قاهر مستبد.

لا ريب أن الزواج أمر مستحب إذا عبّر عن تفاهم وانسجام بين زوجين يحترم أحدهما حرية الآخر ويتعاونان لما فيه خيرهما وخير المجتمع (لأن بعض الزواجات تبنى على التعاون في سبيل الإثراء غير المشروع). لكن عدم الزواج ليس كارثة كما يقولون. وسعادة الإنسان لا تتوقف على زواج أو عزوبة. بل على امتلاكه الشخصية القوية القادرة على النضال ومواجهة متاعب العيش.

ـ ما هي العيوب التي يغلب وجودها عند المرأة؟ وهل هي في طبيعتها؟

ـ أكثر العيوب بل كلها، نتيجة البيئة والتوجيه. كذلك الفضائل.. عيوب المرأة التقليدية هي تلك التي فرضتها البيئة التقليدية. منها الاهتمام المفرط بمظهرها وتعلقها المفرط بالأزياء. الثرثرة وحب القيل والقال خصوصاً عند المتعطلات الملازمات لمنازلهن. دواء الولع بالزينة والقيل والقال هو العمل وارتياد الأندية الرياضية والثقافية والانصراف إلى بعض الهوايات المفيدة. من عيوبهن سطحية التفكير وعدم الثقة بالنفس، كلاهما يداوى بالدرس والتثقف. ومنها ضعف الشخصية وسهولة الانقياد لآراء الرجل لذلك نرى الملتحقات ببعض الأحزاب السياسية أشد الأعضاء تحمساً واستعباداً لمبادىء الحزب ودعاياته، كأنما التبعية شيء في دمائهن...

بين النساء اللواتي عرفتهن واحدة كنت أعجب بذكائها ونشاطها. لم تكن ذات علم كثير أو ثقافة واسعة لكنها امتازت بفضول علمي واستعداد دائم لاقتبال الجديد. حياتها انتاج مستمر. تدبر شؤون بيتها بحذق عجيب وتعاون زوجها في عمله وأحياناً تتفوق عليه. لكن هذه المرأة القوية الشخصية لم تسلم من الداء القديم. داء الخضوع للرجل. فقد كانت تتعبد لابنها وتستعبد له. وهذا الموقف جر عليها المصائب لأن الصبي استغله لمصلحته وكانت تضحياتها في سبيل ابنها سبباً لوقوعها في الضيق والبؤس في أواخر حياتها.

اعمال الخير

ـ ما رأيك في الأعمال الخيرية التطوعية والجمعيات النسائية؟

ـ النشاطات والأعمال التطوعية أصبح مجالها اليوم محدوداً لأنها تنتقل تدريجياً إلى أيدي أهل الاختصاص من نساء ورجال. يزاولونها بصورة دائمة ويتقاضون

الأجور التي يستحقونها. وأما الجمعيات النسائية التي تعنى بشؤون المرأة فيمكن أن تؤلف للمرأة العاملة أو الموظفة نوعاً من الهواية لكنها لا تملأ فراغها إلّا إذا شغلت فيها وظيفة دائمة مأجورة تحل محل وظيفة سابقة. غير أن أكثر هذه الجمعيات في عالمنا العربي ترتبط بحزب سياسي، نشاطها الذاتي ضيق المجال لأنه خاضع لتوجيه الحزب وتسيير الحكومة. عملها يكاد ينحصر في رفع أصوات الاحتجاج واطلاق الدعايات الكلامية الموجهة. نحن في عصر العمل وعصر المرأة العاملة المندمجة في مشاريع التنمية والبناء التي تحتاج إليها الأقطار النامية. والجمعيات البارزة في عصرنا هي المنظمات والتجمعات النقابية التي تسعى لتحصيل وتأمين حقوق العمال والمهنيين والموظفين ورفع مستواهم رجالاً كانوا أم نساء. في مثل هذه المنظمات يجب أن تثبت المرأة وجودها وتقوم بدور فعال لإنصاف بنات جنسها في جميع الميادين.

- بما أن موضوع حوارنا كان «المرأة المتحررة» يجدر بنا أن نختمه بالسؤال: ما أهمية الحرية للفرد والجماعة؟

- الحرية الصحيحة تشمل حرية الفكر والعمل، حرية تصرف الانسان بشؤونه الشخصية، الحرية من الفقر والحاجة ومن الظلم والاضطهاد. هذه الحريات أساس السعادة والاطمئنان للأفراد والجماعات وبدونها يعيش الإنسان تعساً.

الحرية أيضاً شرط أساسي للخلق والابتكار، ولصحة النفس والجسد. في حين أن القلق والتعقد النفسي مصدرهما الضغط والقهر. أخيراً الحرية الصحيحة بمعناها الشامل قليلة نادرة، لاسيما تلك التي تشمل السيطرة على الذات وتكوين الشخصية المتزنة، من هنا نقول إن الحياة كفاح مستمر في سبيل التحرر. وإن أكثر الحريات نسبية، ومع هذا لا بد من مواصلة الكفاح.

الأنوار. ١٣ كانون الأول (ديسمبر)، ١٩٨١.

ـ٣ـ

الحركة النسَائية في اتجاه العالميّة

لماذا تقام سنة المرأة ؟

قررت منظمة الأمم المتحدة أن تجعل سنة ١٩٧٥ سنة المرأة «لأجل السلام والتوعية والحرية».

إن منظمة الأمم المتحدة التي أخفقت على الصعيد السياسي، لأنها عجزت عن إقرار السلام العالمي، ومنع الدول القوية من ابتلاع الضعيفة أو استغلالها، تحاول التعويض على الصعيدين الاجتماعي والثقافي. فهي تضم لجاناً ومجالس مختلفة تسعى لمكافحة الفقر والمرض والأمية في أنحاء العالم ومن اهتماماتها تأييد حقوق المرأة، تحسين المواصلات الدولية، مكافحة المخدرات، تعزيز الشؤون الثقافية والمحافظة على الآثار العالمية، القيام بإحصاءات خاصة بنسبة عدد السكان ومستوى المعيشة. ومن أهم منجزاتها مؤسسة «اليونيسف» التي تساعد نحواً من تسعين مليون طفل يتيم أو محتاج في جميع أنحاء العالم، ومنظمات أخرى فرعية منها: الأغذية والزراعة، الصحة العالمية، المصرف الدولي، وكالة غوث اللاجئين وغير ذلك.

وقد رأى المشرفون على أعمال المنظمة أن فشلها السياسي مصدره انفراد الرجال بتسيير دفة السياسة العالمية وعجزهم عن كبح جماح مطامعهم وانتهاجهم طريقة العنف في سبيل تحقيقها.

لذلك قرّ رأيهم على دعوة المرأة إلى مشاركة أوسع نطاقاً وأكثر فعالية في شؤون الحياة العامة ومنها السياسة، لعلها تكون عاملاً فعالاً في مساندة أغراض المنظمة العالمية. فالمرأة التي تشكل نصف سكان العالم، أو أكثر من ذلك، لم تنل حتى الآن في

مجـال العمل إلاّ نصيبـاً ضيقاً محـدوداً يكاد يقتصر عـلى أعمال المنـزل وتعليم الأطفـال والضرب عـلى الآلة الكـاتبة، وهي لا تـزال في معظم الأحـوال ظـلاً للرجـل. ورغم الغبن الـذي تلاقيـه والعقبـات التي تعـترضهـا، استـطاعت كثـيرات من النسـاء شق طريقهن إلى النبوغ في الميادين التي كانت أبوابها موصدة في وجه بنات حواء.

لقد رأت المنظمة أن تجند المرأة للكفاح من أجل عالم أفضل، يحل فيه السلم محل الحرب، والحوار محل القتال، والطمأنينة مكان الخوف، أملاً بأن في طبيعة المـرأة، وفي تكوينها الفيزيولوجي، ما يجعلهـا أميَل إلى الـدعة، وأحـرص على الحيـاة البشرية التي منحتها الطبيعة في تنشئتها ورعايتها دوراً يفوق دور الرجل.

وقد بدت طلائع المشاركة النسائية في تطوع عدد كبير من نساء العالم المنتميات إلى مختلف الأقطار للقيام بمظاهرة سلمية في قبرص، طـالبن فيها السلطات الـتركية بتنفيـذ قرار الأمم المتحدة بإعادة القبارصة إلى منازلهم التي طردوا منها.

إن القـائمين بتنـظيم «السنة العـالمية للمـرأة» يستهدفـون غرضـاً انسانيـاً جديـراً بـالتشجيع. ومن واجبنـا جميعاً، نسـاء ورجالاً مسـاندتهم والعمـل لانجـاح المسـاعي المبذولة لتوعية المـرأة وتحريـر طاقـاتها الكـامنة وتـوجيهها في سبيـل الخير العـام والقيم الانسانية العليا.

الأديب. الجزء ٧، السنة ٣٤
تموز (يوليو)، ١٩٧٥.

خلفيات الحركة النسائية المعَاصرة

مشاكل جَديدة - سنة المرأة

دور المنظمات - مكافحة الأسَاطير

في كل مكان في العالم تقرع أجراس الإنذار. ترتفع الأصوات حيناً هادرة، صاخبة وحيناً هادئة، متزنة. تطالب بالعدالة والإنصاف، تحذّر من شر التمادي في الظلم والاسترسال في التحجر والجمود. ترفع مذكرات الاحتجاج وبرامج المطاليب، واضحة، منهجية، أو فوضوية مرتجلة.

إنها أصوات الفئات المتململة، الناقمة على أوضاعها. أصوات العمّال المطالبين بحقوقهم، الراغبين في ما يضمن لهم حدّاً مقبولاً من مستوى العيش، تقرّه شرعة حقوق الانسان.

إنها أصوات الشعوب والطبقات المتخلفة، الجائعة، المستثمَرة، أو المستعمَرة، الخاضعة لقيادات مجرمة، المعرّضة لهجوم الغزاة المغتصبين ولتحريض الانتهازيين الطامعين، ينفثون في الناس سمومهم، يتغلغلون بعملائهم وعصاباتهم الإرهابية، يجعلون من الإجرام والتنكيل أدوات إصلاح وتحرير.

بين هذه الأصوات الهادرة، المزمجرة، يرتفع برفق وإلحاح صوت المرأة - المرأة التي لم تلجأ يوماً إلى الأساليب الهمجية التي لجأ إليها الرجل. بل ما فتئت تعمل صامتة أو متكلمة، تناضل من غير يأس أو هوادة. واثقة بأن صاحب الحق لا

ـه أن يفوز في النهاية، وأن المؤمن بحقه لا يحتاج إلى العنف لفرضه على الناس.

لماذا، في هذا الوقت بالذات، تتكثّف وتتعمّق جهود الحركة النسائية، في الاميركتين، في أوروبا، في افريقيا، في الشرق الأقصى والشرق الأدنى؟

خيبة أمل

لقد استيقظت المرأة المعاصرة، بعد دور جهاد قامت به سابقاتها الرائدات، أدى إلى حصولهن على حق التصويت وحق المشاركة في العلم والعمل. استيقظت لترى أن ما تسلمته من أولئك المناضلات لم يكن إلّا حرية مزيّفة وحقوقاً هزيلة.

الحقوق السياسية لم تحرّرها، لأن أبواب الوظائف الادارية والمراكز القيادية ظلّت مغلقة في وجهها يحتكرها الرجل وبالتالي ينفرد في التشريع، ويحرص على التمسك بامتيازاته.

العلم والعمل، وإن منحاها أحياناً حق الاستقلال الاقتصادي والاستغناء عن الرجل خلقا لها مشاكل جديدة وألواناً من الظلم والإجحاف. الوظيفة كانت لها في أحيان كثيرة أداة استعباد لأنها حلّت محل الدوطة، (أو البائنة)، في اجتذاب طلاب الزواج وجرّت عليها المتاعب الناشئة من الزواج النفعي التجاري. والوظيفة أغرت أهلها باستغلالها والانتفاع براتبها من غير أن تعطى حقوقاً في الإرث والمعاملة تقابل مساهمتها في إعالة الأسرة وزيادة دخلها. والوظيفة خلقت لها مشكلة أخرى لم تخلقها الدوطة. مشكلة الجمع بين عملها خارج البيت وعملها داخله، بحيث تضاعفت مسؤوليتها واضطرها الارهاق أحياناً إلى التخلي عن إحدى الوظيفتين أو إلى إهمال أولادها، خصوصاً إذا لم تتوافر لهم دور الحضانة.

في المكاتب والمصانع لم تحصل المرأة بعد على حق مساواة الرجل في الأجور في حال مساواته في كمية العمل. وموقف الرجل التقليدي يحول بينها وبين الوصول إلى المراكز التي يحرص على الاستئثار بها.

العلم والعمل لم يمنحاها حق مساواة الرجل داخل الأسرة، خصوصاً في الأقطار المتخلفة التي لم تمنع تعدد الزوجات، ولا ساوت الزوجين في حق

الطلاق ولا أنصفت المرأة في قوانين الإرث، ولا في القوانين الأخرى التي تميّز بين الجنسين وتمنح جرائم «الشرف» أسباباً تخفيفية.

مشاكل جديدة

نتج عن الخيبة التي منيت بها المرأة في الحقول المار ذكرها، أن هبّت في كل مكان إلى بحث مشاكلها وعرضها على الرأي العام وتأليف اللجان والمنظمات الساعية إلى إنصافها.

وبرزت في عصرنا هذا مشاكل جديدة أسهمت في توعية المرأة وتوجيهها:

أولاً مشكلة الأسرة التي أصبحت في الأقطار الغربية مهدّدة بالتفسّخ والانهيار إما لأن استقلال المرأة الاقتصادي مهّد لها سبيل الطلاق السهل والاستغناء عن الأسرة أو لأن بعض الأنظمة السياسية والايديولوجية المعاصرة مهّدت للفصل بين الوالدين والأولاد. وبما أن المرأة عضو أساسي في الأسرة يتحتم عليها مجابهة المشاكل التي تعترض الأسرة واقتراح الوسائل المؤدية إلى معالجتها.

ثانياً مشكلة تزايد عدد السكان خصوصاً في أقطار العالم الثالث، نظير مشكلة تفسّخ الأسرة، تفرض على المرأة الإسهام في مجابهتها لأنها تتناول وضعها في الصميم وتضع على عاتقها دوراً أساسياً في حملات تنظيم الأسرة وتحديد النسل التي تشغل اليوم دول العالم على اختلاف مذاهبها ومستوياتها ويؤلف علاجها موضوع جدال ومناقشة. هناك خلاف على موضوع الإجهاض الذي لا تحلله القوانين. وخلاف على استعمال حبوب منع الحمل، التي يحتاج إدمانها إلى تثقيف خاص ويتردد بعضهم في استعمالها بداعي الخوف أو بداعي الغفلة والجهل.

إزاء هذه المشاكل وما يتصل بها، ونظراً لخطورتها الاقتصادية والاجتماعية، بادرت منظمة الأمم المتحدة، عن طريق مؤسسة الاونيسكو، إلى اتخاذ موقف من المرأة، أملته عليها واجباتها الانسانية ووضعها الدولي. وتراءى لها أن المرأة التي تشكل على الأقل نصف العالم المتطور والمتخلف لا يجوز أن تبقى منعزلة عن القضايا التي تشغل المجتمع البشري بأسره. فإذا بقي نصف العالم ناقماً مغبوناً، أو عاجزاً مشلولاً، فإن طاقات العمل والانتاج تنكمش إلى النصف

فضلاً عن أن المرأة التي تعي مشاكلها ولا تجد من يسعفها على حلها قد تصبح هي نفسها مشكلة سيكولوجية واجتماعية لأنها تنقاد إلى الانحراف والتمرد أو إلى الكبت المؤدي إلى عواقب سيئة.

السنة العالمية للمرأة

من مظاهر الاهتمام العالمي بالمرأة وقضاياها، إعلان سنة ١٩٧٥ السنة العالمية للمرأة. في هذه السنة انعقد مؤتمر مكسيكو العالمي وأعلنت مقررات يمكن اعتبارها «الشرعة العالمية لحقوق المرأة» وقد نصّت على المساواة التامة بين الجنسين:

١ ـ في التشريع والقوانين. ٢ ـ في حقوق العلم والعمل. ٣ ـ في الواجبات والحقوق المتعلقة بالأسرة. ٤ـ في حقوق الزواج والطلاق. كما نصّت على ضرورة جعل قوانين الزواج في كل دولة منسجمة مع القوانين الدولية السائدة، وعلى حق الرجل والمرأة معاً في الحصول على المعلومات التي تؤهلهما لتحديد عدد أولادهما وتعيين الفترة الفاصلة بين ولد وآخر.

كذلك قرّر المسؤولون في المؤسسة المشار إليها تخصيص قسم من ميزانيتها وضع دراسات وأبحاث تستطلع أحوال المرأة وحاجاتها ومشاكلها في أنحاء مختلفة من العالم، أملاً بإيجاد الحلول المناسبة لتلك المشاكل وكشف الوسائل الداعية إلى تجنيد طاقات المرأة لخدمة أهداف الأمم المتحدة أي لخدمة قضايا السلم والوفاق العالمي والتوزيع العادل لخيرات الأرض، والحيلولة دون الكوارث التي باتت تهدّد العالم وأهمها الحروب والجوع وتزايد عدد السكان.

والوسيلة الكبرى لتحقيق هذا الغرض هي تأهيل المرأة للمساهمة في عمليات الإنماء التي تشغل دول العالم الحاضر. فمؤسسة الأونيسكو تضمّ لجنة خاصة بدرس أوضاع المرأة في العالم ولديها فروع تقوم بتنفيذ برامج استطلاعية في خمسة من أقطار القارات الثلاث. وقد نجحت في تنفيذ مشاريع تجريبية على مدى عشر سنوات (١٩٦٥ ـ ١٩٧٥) في بعض الأقطار النامية منها:

مشروع التربية الأساسية (محو الأمية) لنساء الأرياف في فولتا العليا (افريقيا).

مشروع تدريب معلمات للمدارس الابتدائية في نيبال (آسيا).

مشروع تأهيل النساء للأعمال التقنية التي كان معظمها وقفاً على الرجال في تشيلي (أميركا الجنوبية).

دور المنظمات النسائية اليوم

ليس ما قلته حول دور الأونيسكو في موضوع تحرير المرأة إلّا لمحة خاطفة عن المساعدة التي تلقاها المرأة على نطاق عالمي.

أما المنظمات النسائية فتتوزع نشاطاتها في الأقطار المتطورة وبعض الأقطار النامية وتتركز مساعيها على ما يأتي:

١ ـ في الناحية الاقتصادية، لا يكفي أن تطالب المرأة بمساواتها للرجل في حق العمل ومقدار الأجور. بل يجب أن تسعى للحصول على المساواة الفعلية التي تتيح لها دخول جميع الأبواب المفتوحة أمام الرجل فلا ينحصر عملها في الأعمال التي لا تتطلب إبداعاً ولا مهارة فكرية.

إن أعمال المرأة اليوم تكاد تنحصر في حقل التعليم الابتدائي، السكرتارية، تزيين الشعر، الخدمة في المطاعم والفنادق، التمريض والعمل في المصانع. ومن الضروري إيجاد مراكز إرشاد وتوجيه مهني تشجّع النساء على طلب التعليم العالي والتقني والمهن الحرة بنسبة تجاري نسبة الرجل، لكي تستطيع المشاركة في المشاريع الانمائية الكبرى وتحقيق التشريعات التي تنصفها.

٢ ـ مسألة الجنس تتطور بسرعة تفوق سرعة التطور في النواحي الأخرى. وفي الأقطار المتطورة يسود الاعتقاد بأن أقراص منع الحمل قد حررت المرأة لأنها فصلت بين الجنس والنسل ومكّنتها من تحديد عدد أولادها أو الامتناع عن النسل بتاتاً إذا شاءت. وهذه الظاهرة أدّت إلى نشوء دعوة التحرر الجنسي أو مساواة المرأة بالرجل في هذا الحق. إلّا أن هذه الدعوة أخذت اليوم تتراجع في بعض الأوساط، بحجة أن ممارسة الحب الحر في مجتمع مرهق بالأعمال الروتينية تصبح لهواً ضاراً يشجّع الخمول والرخاوة ويقتل الطموح. ويزداد خطرها في مجتمع متخلف تقل فيه وسائل الترفيه ولم يتعود أهله الانضباط ولا التركيز على العمل المنتج.

٣ ـ أما الأسرة فقد ارتبطت، ولا تزال ترتبط في أقطار كثيرة بنظام تقليدي يخضع المرأة لسيطرة الرجل ويحصر نشاطها في دائرة البيت حيث تناط بها جميع الأعمال المنزلية مقابل المأكل والملبس ولا تحظى بضمانات مالية توفر لها العناية اللازمة في أحوال العجز والكبر.

إن المرأة في أقطار كثيرة ثارت على الغبن الذي ألحقها بها هذا النظام، مما أدى إلى تفكك الأسرة. إلّا أن التجارب والدراسات دعت إلى انقاذها بتطوير العلاقات بين أعضائها وتحويلها عن النظام التقليدي الأبوي إلى تعايش مبني على المساواة والرفاقة والرابطة العاطفية بين الأعضاء. وهو موضوع سيجري بحثه في مقال خاص.

مكافحة الأساطير

تنصبّ جهود المنظمات النسائية المعاصرة، من ناحية أخرى، على مكافحة الأساطير والدعايات المضلّلة التي تشوّه صورة المرأة في ذهن الرجل وأذهان الناس عموماً:

أسطورة «الأنوثة» بمعناها التقليدي، التي تزعم أن المرأة كائن أنيري رومنطيقي يمتاز بالنعومة والتقلب وسرعة الانفعال. تكوينها النفسي يجعلها أداة متعة، وتكوينها البيولوجي إنما يجعلها صالحة للنسل، تحقق قمة سعادتها في الزواج والأمومة، فإذا لم تتزوج ولم تنسل، تتعرض للأمراض العصابية وألوان الشقاء، إذ تصبح موضوع احتقار وتصيبها اللعنة التي خافتها قبلها سارة وراحيل وأليصابات. هذه الأسطورة ليست إلّا من نسج خيال الشعراء والمتهوسين أو من بقايا الشرع اليهودي الذي يحقر المرأة، وعليها تردّ سيمون دو بوڤوار بقولها إن المرأة في وضعها الحالي لم تخلق كما هي لكن البيئة صنعتها وشوّهت شخصيتها. والانسان رجلاً أو إمرأة لم يخلق لغاية محدودة لكنه هو الذي يصنع هدفه، ويقولب ذاته ويختار طريقه.

وهناك أساطير وأوهام أخرى تروّجها مراكز الأناقة والتجميل ودور الأزياء والشركات الصناعية ومنظمو مسابقات ملكات الجمال. جميعها تتضافر لخلق «المرأة الدمية» و «المرأة أداة إغراء» و «المرأة أداة دعاية». والمرأة التي تحتال

لاجتذاب الرجل وإخضاعه لسيطرتها وحمله على مشترى المصنوعات التي تتنافس الشركات في انتاجها. أصناف من النساء تسعى حركات التحرير المعاصر للقضاء عليها، كما تسعى للقضاء على المرأة المتطرفة في سلوكها. الأنانية في شعورها، التي تحيا حياة بوهيمية، تتمثل فيها ردة الفعل على وضعها السابق، فتقوم بأعمال تدل على إمعانها في الساديّة واحتقار الغير.

من المناسب أن أذكر أخيراً أن الأقطار العربية في مجال التشريع الخاص بالمرأة والأحوال الشخصية تلتزم موقف الجمود والتخلف. فاليابان والهند والصين، منذ ثلاثين سنة، أصدرت قوانين تلغي بموجبها أنظمة الأسرة التقليدية وتفرض أولاً وحدة الزوجة أو منع تعدد الزوجات. ثانياً مساواة المرأة بالرجل في حق الطلاق. ثالثاً مساواة الجنسين في القوانين المدنية. وحدّدت أن الزواج يجب أن يبنى على رضى الفريقين وقضت على الأساليب التقليدية التي تستبدّ بالأسرة.

أما المرأة العربية فما تزال في طور الكفاح والانتظار. لم تيأس بعد، ولن تيأس من الوصول إلى مطاليبها وتحقيق القوانين التي تنصفها.

الحوادث. ٢٧ أيلول (سبتمبر)، ١٩٧٧.

(أ) عادة ختن النساء - أضرار وفواجع

إن الأعباء التي تفرضها القاعدة المزدوجة على المرأة في جميع مراحل حياتها لا تنحصر أضرارها في إضعاف شخصيتها لكنها في أحوال كثيرة تسيء إلى صحتها وتعرّضها للمرض أو للموت. كذلك الخرافات والتعاويذ والنذور وألوان السحر المستعملة لعلاج أمراضها الجسمية والنفسية كثيراً ما تزيد حالتها المرضية سوءاً أو تؤدي إلى موتها.

قليلون منا يعلمون أن عادة ختن البنات في الطفولة أو بعد الزواج ما تزال تقليداً شائعاً في أكثر من ٢٦ بلداً افريقياً وآسيوياً. وأنها في جميع الأحوال - عدا تلك التي تتم بصورة سطحية بسيطة - تعرّض صحة المرأة عقب إجراء العملية، لأخطار جسيمة منها النزف الدموي، الصدمة العصبية، الالتهابات الجرثومية، حصر البول، تعطيل مجرى البول، ظهور الندوب والقروح والدمامل، والزوائد القرنيّة وأحياناً يكون العقم إحدى النتائج.

ختن النساء يعني بتر الجزء البارز من الجهاز التناسلي عند المرأة بقصد كبت الإحساس الجنسي أو إماتته. ويعني في أحوال أخرى تضييق الفرج بطريقة الخياطة لغاية تأمين البكارة والمحافظة على العفة. هذه العملية الثانية تجرى للفتاة العزباء وللمتزوجة على السواء. وتقوم بها عادة قرويات جاهلات، يعتمدن آلات تقليدية خالية من أي وقاية صحية، تحدث آلاماً شديدة ونزيفاً

والتهابات وغرغرينا ونحو ذلك من أعراض تسمّم. وأحياناً كثيرة تتعسّر عند هؤلاء النساء ولادة الأطفال بسبب تضييق الفرج أو يؤول التسمم إلى موت الأم والطفل عقيب الولادة.

في السودان، رغم الصراع القائم بين الجيلين القديم والجديد حول هذا الموضوع، تبلغ نسبة اللواتي يخضعن لعملية الختان ٧٥ في المئة.

في الصومال، لا تزال العادة متفشية رغم التدابير التي تتخذ لتعليم النساء ومكافحة الأمية. ومع أن العملية يتم إجراؤها في مستشفيات حكومية مجهّزة بوسائل صحية، تطالب المنظمات النسائية العالمية بإلغائها لما فيها من اعتداء على الحرية الشخصية.

هذه العادة كثيرة الشيوع أيضاً في كينيا، سيرا ليوني وفي معظم أقطار افريقيا الوسطى والغربية.

(عن مجلة «وين نيوز» النسائية الدولية،
المجلد ٤، الرقم ٢، ربيع ١٩٧٨)

الرائدة. العدد ٥، آب (اغسطس)، ١٩٧٨، ص ١٣.

(ب) ثلاثون مليوناً من المبتورات

على الصفحة الأولى من الجريدة الفرنسية العالمية «لوموند» ظهر مؤخراً مقال عنوانه: «ثلاثون مليوناً من البنات والنساء المبتورات في افريقيا»، فيه تحقيق خاص بمؤتمر عقدته «منظمة الصحة العالمية» في الخرطوم والسودان، كان موضوع المؤتمر: «تقاليد ضارّة بصحة النساء والأطفال تمارس على نطاق واسع في بعض الأقطار» وقد استمر خمسة أيام، من ١٠ ـ ١٥ شباط ١٩٧٩. وفي ما يلي خلاصة مقال «لوموند»:

في تقارير وردتنا أخيراً من قبل باحثين معروفين باعتدالهم وميلهم إلى التقليل من خطورة الأوضاع، ان هناك ثلاثين مليون إمرأة «مبتورة» بين نساء

افريقيا وبعض الأقطار الآسيوية. ثلاثون مليوناً من النساء والبنات اللواتي بترت أعضاؤهن الجنسية ثم خيطت أطرافها، واستعمل لبترها شفرات حلاقة، سكاكين، قطع زجاج، حجارة مسنونة، أشواك عوسج ونحوه من نبات شائك. ثلاثون مليوناً من «ضحايا شراسة الجنس» كما تسمّيهن الكاتبة بنوات غرو.

تلبية لدعوة وجّهها مكتب اقليم شرقي المتوسط (مركزه الاسكندرية) التابع لمنظمة الصحة العالمية. وبالتعاون مع الحكومة السودانية، عقد في الخرطوم مؤتمر عالمي اقتصر عدد أعضائه على الستّين، هدفه الاحتجاج على بتر الأعضاء الجنسية عند النساء.

رغم قلة عدد الذين حضروا المؤتمر، ورغم الحذر الذي أحيط به عرض الحقائق، لا بد أن يكون لكشفها على هذه الصورة مغزى كبير. لأن الدول المعنيّة بالموضوع لن تقف بعد الآن وقفة المحايد المكتوف اليدين إزاء ما يعانيه نصف سكانها من ألوان الظلم والاستبداد.

«تقاليد ضارّة بصحة النساء» هذا هو العنوان «المتواضع» الذي أعلن به عن مؤتمر قام بتنظيمه المكتب الاقليمي لشرقي المتوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية، في ردهة صغيرة من فندق «الصداقة» الفخم، الذي بني حديثاً على شاطىء النيل وكلّف بناؤه نفقات ضخمة.

تحت هذا العنوان جرى بحث عدة موضوعات: «خرافات الأغذية المحرّمة وقت الحمل والإرضاع»، «الزواج في سن باكرة»، أخيراً «ختن النساء» في معظم أقطار افريقيا وبعض أقطار الشرق الأدنى. الموضوع الأخير استأثر بالاهتمام لما يكشفه من اعتداء سافر على حرية المرأة وما يرافقه من أعمال مؤذية وحوادث مفجعة في آن واحد.

عملية ختن المرأة تختلف باختلاف الثقافة والعِرق. منها النوع الخفيف الذي يقتصر على بتر الظاهر من العضو التناسلي بآلة حادة، عادةً شفرة حلاقة. أما النوع الآخر الأكثر شيوعاً في السودان فيتناول البتر الكامل لهذا العضو، بما فيه المشافر الصغرى وفي أكثر الأحيان باطن المشافر الكبرى. وفي بعض القبائل

يجري حرق عضـو المرأة بـالجمر أو يجف بصنف من القـريص ونحوه من نبـات شائك، حتى يزول العضو تماماً.

«هذا النوع الثاني» كما تقول فران هوسكن، مندوبة منظمة الصحة العـالمية المؤقتـة في المؤتمر، والبـاحثة المتكـرّسة لهـذا الموضـوع وصاحبـة كتاب ضخم من ٣٦٨ صفحة عنوانه «تقريـر هوسكن» The Hosken Report عن بـتر الأعضاء الجنسية عند النساء، «هو النوع الأكثر شيوعاً في أكـثر من ٢٦ قطراً، من القـرن الافريقي والبحر الأحمر حتى شاطىء الأطلسي (السنغـال وموريتـانيا)، وفي خط شمالي جنوبي يمتـد من مصر إلى تنزانيـا، بما فيـه القسم الأكبر من نيجـيريا، كـما يشمل أجزاء من اليمن الجنوبية والشمالية والعربية السعـودية، وربمـا بلغ العراق والأردن وسوريا وجنوبي الجزائر كما تقول أوا ثيام» الكاتبة السنغالية[1].

مقررات مؤتمر الخرطوم

نقلت هذه المقررات نشرة «الجمعية النسائية للسيكولـوجيا» (عـدد نيسان ـ أيار ١٩٧٩، ص ٨) كما يلي :

في المؤتمر المنعقد في الخـرطوم (شبـاط ١٩٧٩)، الذي حضره منـدوبون من ثمانية أقطار أفريقية (مصر، السودان، اليمن الجنـوبية، عـمان، اثيوبيـا، كينيا، نيجيريا وفولتا العليا) نقرّر: أولاً، الغـاء العمليات التقليـدية التي يتم اجـراؤها على الأعضاء التناسلية عند النساء. ثانياً، تأليف لجان محلية في كل قطر، تسعى لتنفيـذ هذا القـرار. ثالثـاً، القيام بحملة تـوعيـة تشرح للجمهـور أضرار هـذه العادة. رابعاً، تثقيف الموظفين الصحيّين، التقليديـين منهم والحديثـين، بقصد إقناعهم بما في عمليات ختن النساء من أضرار صحية ورواسب همجية، وكسب تأييدهم لمكافحتها والقضاء عليها[2].

---

(١) *WIN NEWS*. Fran Hosken, Editor, April, 1979.

(٢) الرائدة. العدد ١٠، المجلد ٢، تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٧٩، ص ١٠.

ثلاث آفات يجب مكافحتها:
الختن، الاغتصاب، البغاء

في الأقطار التي تشكو الفقر والتخلف، يصبح الاستهتار بالقيم الانسانية ذريعة للوصولية ووسيلة لإشباع شهوة المال.

اليأس من الغنى والسيطرة بوسائل مشروعة يطلق الغرائز المكبوتة ويرهف المطامع فيدفعها إلى تحليل الجريمة والتماس أحط الوسائل وأبعدها عن الحق والعدالة في سبيل الإثراء السريع.

يرينا التاريخ أن السبي، أي أسر النساء واسترقاقهن والمتاجرة بهن، كان نتيجة محتومة للحروب المستمرة والتوسع التجاري. وأن الرِق لم يقتصر على النساء بل شمل أيضاً الرجال. وأن إلغاء الرِق ومنع تجارة الرقيق في معظم دول العالم لم يقضيا على التجارة بالجنس ولم يمنعا الفقراء والخاملين والمحرومين من بيع نفوسهم أو أجسادهم للأقوياء.

ما زالت الحروب تخلق لأصحابها ألواناً من الرِق رغم زواله مبدئياً. لأن الخراب الذي تتركه الحروب وراءها يمهّد لشيوع الفوضى الأخلاقية والجريمة والسرقة والخطف والنهب. كما يحدث الآن في لبنان، ويمهّد للنساء سبيل المتاجرة بأجسادهن لأنهن أقل قدرة من الرجال على امتهان السرقة والنهب والقتل وما إلى ذلك.

موضوع البغاء كمهنة أو حرفة لا يحظى باهتمام كثير في الصحافة العربية إذ

يشغلها في الوقت الحاضر موضوع التحرر الجنسي، الذي تروج له الأفلام والنشرات التجارية. إلى جانب هذا، يعتقد أن موضوع البغاء يتطلب وضع الدراسات والتحقيقات حول موضوع لا يزال محاطاً بالكتمان لأنه يثير موقفاً تقليدياً من المقت والاشمئزاز، حين أن وسائل الاعلان الجاهزة حول التحرر الجنسي تحمل روعة الجديد وإغراء اللذة الحرة المجانية أو القليلة الكلفة.

إذا كانت صحفنا، ومثلها صحف الغرب، لا تعير موضوع البغاء اهتماماً خاصاً، فإنه يثير اهتماماً كبيراً في الصحف العالمية الناطقة بلسان المنظمات النسائية وقائدات حركة تحرير المرأة، والساعية لكشف ومكافحة أنواع الظلم الذي تتعرض له النساء في شتى الميادين: الاقتصادية، القانونية والاجتماعية. إلى جانب الحملة المنظمة التي باشرتها قائدات الحركة لمكافحة:

١ ـ ختن النساء في الأقطار المتخلفة (تقرير هوسكن في أكثر من ٣٠٠ صفحة).

٢ ـ اغتصاب النساء في الأقطار المتطورة وغيرها (دراسات عدة حول الموضوع).

تقام الآن حملة واسعة لمكافحة البغاء أو المتاجرة بالنساء منذ أن استشرى أمره في أقطار الشرق الأقصى واضطلعت بترويجه وتعميمه شركات السياحة ومراكز الترفيه في العالم.

وأصدرت مؤخراً مجلة «ايزيس» النسائية التي مركزها سويسرا وايطاليا عدداً خاصاً بالبغاء (تشرين الثاني ١٩٧٩) وانتشاره في شرق آسيا، خصوصاً في كوريا الجنوبية، تايلاند والفيليبين.

البغاء ظاهرة قديمة عند الشعوب أوجدها النظام الأبوي الذي يخضع المرأة لسلطة الرجل والذي أباح في وقت من الأوقات بيع البنات أو وأدهن (دفن البنت وهي حية) لتخفيف العبء الاقتصادي عن الأسر المحتاجة.

مع أن القبائل الرحّل، أبناء البادية الذين منهم المغول والعرب والغجر، معروفون بتعصبهم الجنسي وتحليلهم قتل الزانية، رغم هذا وجدت البغايا عند

هذه الشعوب في أدوار تحضرها، وسادت عادة استرقاق النساء بالغزو والسبي فذاعت المتاجرة بهن وشاع التسري واقتناء الجواري اللواتي لعبن دوراً خطيراً في قصور الخلفاء والحكام ودُور الأثرياء وأصحاب الوجاهة، حيث أسهمن في نشر الفن والخلاعة جنباً إلى جنب.

في عصرنا الحاضر، أدت سيادة الرأسمالية إلى اضمحلال الأنظمة الزراعية القديمة ونشوء الصناعات المعتمدة على الرساميل الكبرى. بذلك تضخمت الطبقات الفقيرة التي خسرت أملاكها الزراعية ومداخيلها المحدودة وهجرت أرضها إلى المدن حيث انصرفت نساؤها إلى امتهان أعمال زهيدة الأجور في المصانع أو اختيار الخدمة في المقاهي ثم الانجرار إلى البغاء الذي يدر عليهن من الأرباح ما لا يدره عمل المصنع.

تقول إحدى هؤلاء البغايا في مقابلة صحافية: «نشأت في أسرة فقيرة لا معيل لها سوى الأب الذي يعمل في كاراج، سعيت إلى الشغل لمساعدة والدي فنصحوني بالذهاب إلى بانكوك (عاصمة تايلاند) حيث مارست عمل خادمة في مطعم بأجرة هزيلة ثم انتقلت إلى مقهى طمعاً في زيادة أجوري... لم يكن لي خيار آخر».

إن عوامل البغاء ـ كما تدل الدراسات ـ ذات أساس اجتماعي، وليست ميولاً طبيعية كامنة. أهم تلك العوامل ضآلة الأجور التي تحصّلها النساء في المصنع وغيره، لأنها مبنية على قاعدة التمييز بين عمل الرجل وعمل المرأة. فهي لا تكفي لإعالتهن ولا تسمح لهن بمساعدة أهلهن المحتاجين.

مركز تجارة الرقيق الأبيض

في منطقة بانكوك، ٢٧ ألفاً من أصل ٢٤١,١١١ من النساء العاملات، يحترفن الخدمة في المطاعم والمقاهي وعلب الليل ونحو ١١,٥٠٠ في صالونات التجميل والتدليك. إلاّ أن عدد البغايا يبلغ مئة ألف، منهن سبعون في المئة مصابات بأمراض زهرية، أي ثلاثون في المئة من مجموع النساء العاملات.

ويعتبر البغاء في شرق آسيا من أهم عوامل ازدهار السياحة. فبين ١٩٦٩

و١٩٧٥ تضاعف عدد السياح حتى جاوز المليون، معظمهم سياح أميركيون والمان وهولنديون وقسم منهم يابانيون.

في أوروبا تسجل شركات السياحة أرباحاً طائلة من تنظيم رحلات الجنس إلى بانكوك حيث يتاح للسياح أن يتصلوا بأصناف طريفة من الحسان وأن يبتاعوا منهن زوجات إذا راقهم ذلك.

نشرات الإعلان تزدحم بالصور والمقالات التي تمثل بانكوك فردوساً تسكنه أجمل نساء آسيا الشرقية، مقهى «اوتيل غراس» ملتقى طلاب المتعة. هناك تقيم نحو مئتين وخمسين فتاة رائعات المنظر مستعدات لاستقبال كل داخل يدفع الثمن، ولا يهمه أن سبعين في المئة منهن ذوات أمراض زهرية تناسلية.

في ١٩٨١ ينتظر تضاعف عدد السياح في تايلاند. لأن الحكومة أصدرت قوانين تسهّل دخولهم. منها الحق في تجديد تأشيراتهم داخل المدينة وتمديد زمن اقامتهم. لكنها تصرّ على القول إن البغاء ممنوع في تايلاند وتغض النظر عما يجري داخل الأوتيلات والبارات.

كثيرون من السياح، ولاسيما الألمان والهولنديون، يخضعون لسحر التايلانديات فيعقدون معهن زواجات كثيراً ما تنتهي بالفشل، لأن السائح غالباً ما يقع في فخ الزواج وهو في حالة سكر وتضعضع. فإذا عاد إلى صوابه عمد إلى الطلاق الذي يخلق له كثيراً من المشكلات، لاختلاف قوانين الأحوال الشخصية في تايلاند عنها في هولندا أو سواها من أقطار الغرب.

فهارس وبيانات

تنشر دوائر السياحة في أوروبا الغربية بيانات مفصلة عن مكاتب زواج مراكزها هونغ كونغ، سنغابور (سنغفورة)، وبعض مدن المانيا الغربية، تسهل لطلاب الزواج اختيار فتاة تايلاندية من اللواتي تعرض رسومهن في تلك المطبوعات. فإذا أعجب أحدهم بواحدة، عليه أن يدفع تسعة آلاف غلدن (نحو خمس مئة ألف دولار) مقابل رحلة كاملة ذهاباً وإياباً يتاح له فيها أن يقيم مدة من الزمن مع الفتاة التي اختارها. فإذا عزم على الزواج بها عليه أن يدفع مئة وخمسين ألف دولار إضافية.

في رأي الـذين درسوا مـوضـوع «البغـاء والسيـاحـة في الشرق الأقصى» أن السياحة لا تعطي الأقطار النامية مردوداً كبيراً مباشراً، بل إنها كثيراً ما تزيـد في غنى الأغنياء وفقر الفقـراء. لكنها مصـدر أرباح هـائلة لرجـال الأعمال في بعض مدن أوروبا الغربية. في فرنكفورت مثلاً، ينفق تاجـر الرقيق خمسـة آلاف مارك الماني شهرياً، يضاف إليها تأمين مقداره ثلاثة آلاف مارك. لكن أرباحه الفصلية تبلغ خمسين ألف مارك أي نحو عشرين ألفاً شهرياً.

في تقرير نشرتـه سفارة تـايلانـد في بون أن الفَي امـرأة من تايـلاند يجـري استيرادهن سنوياً إلى المانيـا الغربيـة. تباع الـواحدة بعشرين ألف مـارك وتنتقل بالبيع أو الإيجار من يد إلى أخرى، كما كان يحدث في تجارة الرقيق التي شـاعت حتى عصر متـأخر في منـاطق مختلفة من الشرق والغـرب. ورغم تشديـد رجـال الشرطـة عـلى معـاقبـة تجار الـرقيق، ينجـح هؤلاء في اعتـماد طـرق الاحتيـال والأساليب غير المشروعة لترويج تجارتهم. منهـا للمثل أن يـتزوج أحدهم إمـرأة من تايلاند مقابل كمية من المال ثم يطلقها ويبيعها لإحدى دور البغاء في بلاده.

«بنات الضيافة» في الفيليبين

في ارميتا، المنطقة السياحيـة في عاصمـة الفليبين، مئـات من النساء اللواتي يدفعهن الفقر والبطالة إلى السعي لايجاد عمل، وترغمهن الحاجة على الالتحاق بموظفي «صناعة الضيافة». هذه الصناعة تجمـع مضيفات ذوات وظـائف مختلفة كالخدمة في المطاعم والمقاهي، الرقص، العمل في حمامات السونا. لكنها في أكثر الأحيـان تعني ممارسـة البغاء المـأجور الـذي يجني منه أصحـاب العمل أربـاحـاً خيـالية، لا يصـل منها إلى أيـدي الفتيات سـوى عشر المبـالـغ المفـروضـة عـلى الزبائن. والزبائن سياح ينتمون إلى جنسيات مختلفة. ٢٩ في المئة منهم يابـانيون والباقون من أميركا، أوستراليا، انكلترا وغيرها.

مراكز استغـلال النساء في الفيليـبين لا تنحصر في العاصمـة مانيـلا. هناك مركز اولنغابو (قاعدة أميركية بحرية في خليج سوبيك) يقدم إلى مـرتاديـه «الوان الـترفيه والمتعـة» مقابـل أجور هـائلة يحتكر القسم الأكـبر منها رجـال الصنـاعـة ويشترك فيه تجار الفيليبين بنسبة ٧٥ في المئة.

أظهرت الأبحاث أن العامل الأساسي لاحتراف البغاء فقر النساء وعدم تزويدهن بمهنة. لكن هناك عاملاً آخر: إن التعصب الجنسي والقاعدة المزدوجة يجعلان الفتاة التي فقدت بكارتها موضوع مقت واحتقار في المجتمع، لا تجد من يتزوجها ولا من يرضى باستخدامها. والمهنة الوحيدة التي تنفتح أمامها هي الالتحاق بـ «مراكز الضيافة».

استنتاجات وتوصيات

ليس البغاء انحرافاً عن النظام الذي تخضع له بل أحد مظاهره الفاضحة، البغاء يعني بيع المرأة جسدها لرجل ولكن هنا يحق لنا أن نسأل: أي فرق بين بيع الأجساد وبيع الضمائر والنفوس؟ أليسوا من صنف البغايا أولئك الذين يمارسون الاستزلام والتبعية والدعايات المشوهة؟ أليسوا من صنف البغايا أولئك الذين يفتحون دكاكين السياسة والأحزاب المأجورة ويرفعون شعارات الكذب والتضليل؟

عقود الزواج كثيراً ما تكون لوناً من ألوان البغاء. لأنها تعني ربط المرأة برجل واحد وإخضاعها له جنسياً واجتماعياً مقابل ما يقدمه لها من ضمان اقتصادي وحماية من رجال آخرين.

إباحة البغاء وغض النظر عنه رغم اشمئزازنا منه، ظاهرة من ظواهر الرياء الاجتماعي. المرأة البغي تعيش محتقرة، منبوذة، تحمل وحدها وصمة العار التي يلصقونها بالساقطات، مع أننا جميعاً نشارك في مسؤوليتها لأننا نساند العوامل التي أوجدتها. الفئة التي نحتقرها هي منا وفينا. هي قسم منا نحن النساء وباحتقارها نحتقر ذواتنا.

إن القوانين الشرعية التي تخضع لها البغايا قوانين جائرة لأنها تحلل اغتصابهن وتعذيبهن ونهبهن من قبل الزبائن بل من قبل رجال الشرطة أنفسهم. من غير أن توفر لهن حق اللجوء إلى المحاكم وإقامة الدعاوى القانونية.

لا يمكن القضاء على البغاء بإصدار القوانين القاضية بإلغائه. فالتاريخ يبين

أن البغـايا وجـدن في جميع العصـور رغم القوانـين المانعـة ورغم الإزدراء الذي تعـرضن له في كـل عصر ومكان. لكنه يزول بزوال العـوامل الاجتـماعيـة التي أوجدته وإقرار العدالة الاجتماعية على النحو الذي توجزه النقاط الآتية:

- تـوفير العمـل للفتيات والنسـاء وتزويـدهن بالمهن التي تحـول بينهن وبـين احتراف البغاء.

- تعديل الأنظمة الاقتصادية القائمة على الاستغلال والربح الفاحش.

- توعية العمال والموظفين، رجالاً ونساء، عبر المنظمات الاجتماعية والنقابات التي تخولهم حق المطالبة بحقوقهم والإسهام في وضع القوانين واتخاذ القرارات.

- دعوة الحكومات إلى التدخل لمعالجة الفقر والأمية والبطالـة وسائـر العوامل التي تمهد للبغاء وتؤدي إلى تجريد الفرد من انسانيته وكرامته.

النهار. ■ آذار (مارس)، ١٩٨٠.

كوخ المــرأة للعَم "سلام" :
المــرأة وكفاح العنف

إذا كان الرجل في عصرنا هو المسؤول الأول، بل المسؤول الوحيد، عن كوارث الحرب وفواجعها، فلماذا لا يسعى دعاة السلم إلى تسليم النساء قيادة الدول بدلاً من الرجال، ليتم على أيديهن تحقيق السلم الذي يتوق إليه العالم؟

في محاولة الاجابة عن هذا السؤال، يعترضنا سؤال آخر: هل المرأة بطبيعتها أميَل إلى السلم من الرجل؟ هل تسعى إلى إقرار السلم إذا تسلمت مقاليد الحكم ومقدرات الشعوب؟

إن الدراسات العلمية الحديثة تبين لنا أن الأنثى في سن الطفولة، تبدو أقرب من الذكَر إلى الدعة والهدوء. لكننا لا نستطيع الجزم بأن هذه الصفة فيها طبيعية أو مكتسبة، مرهونة بعوامل بيولوجية، أو وليدة التربية الانضباطية التي تخضع لها منذ أن تبصر النور.

إذا رجعنا إلى صورة المرأة في الميثولوجيا والأديان القديمة، فكثيراً ما تبدو لنا المرأة ربة قاهرة، محاربة، ساحرة، شديدة السطوة. من هذا الصنف هيرا زوجة زفس عظيم الآلهة. ميديا الساحرة المنتقمة، اورموتر آلهة الغضب في أساطير بابل، كالي ربة الموت والدمار في الديانة الهندية. هؤلاء النساء يمثّلن ـ في رأي بعض الباحثين ـ عهوداً سابقة للتاريخ كانت فيها المرأة موضوع عبادة باعتبارها مصدر الخصب والأمومة وإليها انتهت زعامة القبيلة في العصر البليوليثي أو

«دور الأمومة». إلّا أن أبحاث الانثروبولوجيين تدل على أن المرأة، إذا أظهرتها الأساطير مظهر المحاربة والمستبدة، لم تكن كذلك في الحياة الواقعية لأن العصر البليوليثي السابق لعصر الأبوة، كان عهد سلم واطمئنان. يعتاش أهله من الصيد والزراعة، ولا يمارسون الحروب.

في الدور النيوليتي، الذي تمت فيه السيادة للرجل، منذ ثمانية آلاف سنة، ظهر نظام الملكية الخاصة وأخذ الناس يتقاسمون الأرض التي كانت مشاعاً في عصر الأمومة. ودب بينهم النزاع وتكاثرت الغزوات والحروب. في هذا الدور نشأ نظام العبودية الذي أفرزته الحروب المتوالية، إذ كان الغالب يأسر المغلوب، يقتله أو يتخذه عبداً رقيقاً يخدمه مدى الحياة إلّا إذا منّ عليه بالحرية. وشملت العبودية الرجال والنساء والأطفال الذين أسرتهم الحروب، بذلك انحطت منزلة المرأة لأنها لم تسهم في النشاط الحربي. فهي عبدة خادمة أو حرة تابعة لرجل. تلزم البيت وقت السلم، وفي الحرب تتبع المحاربين لتصفق لهم ولتعتني بالجرحى والمصابين.

في التاريخ اتخذت المرأة من العنف موقفين، أحدهما الرفض الذي يتمثل في مسرحية ليزيستراتا اليونانية لاريستوفان، حيث تضامنت النساء لإنهاء الحرب التي أشعلها أزواجهن، والآخر مواساة ضحايا الحرب وقيادة أعمال الإسعاف والتمريض.

على هذا الأساس، ترى فرنسواز جيرو، كاتبة فرنسية معاصرة، أن المرأة اكتسبت خلال الدور الأبوي ـ أي منذ ثمانية آلاف سنة حتى اليوم ـ روح الانضباط والمسالمة، حتى أصبحت هذه الصفة جزءاً من طبيعتها. وأنها إذا تسلمت مقاليد الحكم، لا بد أن تستبعد العنف، لأنها عانت منه في ماضيها الطويل ما لم يعانه الرجل. وتضيف قائلة: إن المرأة وإن ظهرت منها أحياناً بوادر قسوة واستبداد، تظل بصورة عامة أقرب إلى احترام الحياة من الرجل وأكثر حفاظاً عليها. لا يهم تحديد الأسباب، ثقافية كانت أم بيولوجية، لكن هذا هو الواقع الذي تؤيده الملاحظة والدراسات. إن المرأة المثقفة الواعية ترفض نظاماً أساسه الظلم والتخريب.

في العصر الحديث، خلال المئة والخمسين سنة الأخيرة، أخذت تنتشر في العالم دعوة إلى إقرار السلم ومقاومة الحرب. تساندها جهود عملية لخلق التفاهم بين الشعوب وإقناع الدول بضرورة التخلي عن العنف، وحل مشاكلها بالطرق السلمية. امتدت الدعوة من أوروبا واميركا إلى الهند وأقطار أخرى شرقية. كان لها زعماء عالميون منهم المهاتما غاندي والشاعرة الهندية ساروجيني نايدو. برتراند رسل و هـ.ج. ولز في بريطانيا. ارثر بوب، جون ديوي وخليل جبران في أميركا. وفي سنة ١٩٤٦ تبلورت الدعوة السلمية في تأسيس منظمة الأمم المتحدة.

شاركت النساء في حركة السلم مشاركة واسعة النطاق، ابتداء من القرن التاسع عشر الذي شهد نشوء الجمعيات النسائية وإقبال المرأة على العمل الاجتماعي. وضعت هارييت بيتشر ستو كتاباً مشهوراً دعت فيه إلى تحرير العبيد: «كوخ العم توم». وكتبت اليزابيت باريت براوننغ قصائد احتجاج على تشغيل الأطفال في المصانع. تطوعت فلورنس نيتنكال لخدمة المرضى وضحايا الحرب وجعلت من التمريض مهنة محترمة. وبرزت جين ادمز الأميركية في حملات استهدفت كفاح المسكرات ومنع تشغيل الأطفال وإنصاف المرأة العاملة والقضاء على الحروب. في سنة ١٨٩٤ رفعت برتا سوتنر، المناضلة النمساوية، شعار «بعداً للحرب!» وأقنعت الفرد نوبل بإنشاء جائزة السلام العالمية، التي نالتها جين أدمز سنة ١٩٣١ مع نيكولاس موري بتلر.

في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين تكاثر عدد المنظمات النسائية الدولية العاملة للسلم، سنة ١٩١٥ تأسست «الرابطة النسائية الدولية للسلم والحرية» وتبعتها عشر منظمات جرى تأسيسها احتجاجاً على فظائع الحرب العالمية الأولى. في هذه الآونة شاركت النساء في الدراسات لأجل السلم، التي قامت بها جمعيات دولية. وتعاونت منظماتهن على مكافحة انتشار المخدرات والمسكرات والبغاء والبؤس المتفشي في المدن. تفرعت تلك المنظمات إلى دينية وعلمانية، ثقافية ومهنية، واجتذبت الرهبنات والأخويات ذات الطابع الدولي أكثر من مليون إمرأة. ومع أن جهودهن تركزت على معالجة قضايا المرأة العاملة والأرملة والمطلقة والعازبة، لم يهملن قضايا السلم العالمي والخدمة الاجتماعية.

في القرن العشرين، الذي استمر فيه تزايد عدد المنظمات النسائية وانتشارها في مختلف الأقطار، اتخذت النساء الأمومة شعاراً لدعم الحركة المناهضة للعنف، وتكاثر عدد المناضلات للسلم والحرية، أفراداً وجماعات، نذكر منهن على سبيل المثل، فران هوسكن، المرأة التي جابت منفردة أقطار العالم الثالث، في افريقيا وآسيا، لتضع دراسات واقعية حول عادة ختن النساء وما تنتجه من فواجع وأمراض.

التحدي الكبير

العنف في عصرنا يتخذ أبعاداً خطيرة لم تعرفها العصور الماضية.

منذ ١٩٤٥ حدث في العالم الثالث نحو ١٢٥ حرباً زاد عدد ضحاياها على ضحايا الحرب العالمية الثانية. وكان نصيب الشرق الأدنى من الأسلحة المستوردة ٣٠ في المئة بينما حازت منها الأقطار الآسيوية الباقية ٤٠ في المئة[1] جميعها أسلحة متطورة فتاكة لا يقتصر اقتناؤها على الجنود المحاربين كما في الماضي لكنها تدخل كل بيت، يتهافت عليها المدنيون من كل الأعمار والفئات، وتصبح صناعة الموت لعبة الناس المفضّلة.

في عصرنا يحل الإرهاب محل الحرب، مهدداً العالم بالإبادة والخراب الشامل. لأن الإرهاب، خلافاً للحرب النظامية، لا يعرف حدوداً ولا قوانين، يشجع الغوغائية، الفوضوية، العدمية، التعصب العنصري والطائفي والديني. يلعب بعقول الشبان، يتغلغل في نفوسهم كالسحر، يدفعهم إلى عبادة العنف وتسليم زمامهم إلى الطغاة والانتهازيين. يسوقهم إلى استبدال تعصب عنصري في طريق الزوال بتعصب آخر أشد فتكاً وطغياناً. تساندهم أسلحة جهنمية، تمهد للمذابح والمجازر، تسهل القصف، الاغتيال، الخطف، الاغتصاب، التشويه، التهجير، النهب، الحرق، الحجز والقنص، زرع الألغام وحصد الأبرياء. جميع هذه الأساليب الوحشية في الفتك هي بنت القرن العشرين، بنت الإرهاب الذي يحلل من الفظائع ما لم يحلم به أرباب السلطة الذين يراد القضاء عليهم.

---

(١) نشرة وين نيوز *(Win News)*. المجلد ٥، الرقم ٤، خريف ١٩٧٩، محررتها فران هوسكن.

الإرهاب، مرض العصر المخيف، الذي عجزت عن مكافحته الحكومات وقوى الأمن، يحتاج إلى تضافر الجهود في كل مكان وتحت كل سماء، لإحياء روح المسؤولية العامة وإقناع الناس بأن إقرار العدل والحق ضرورة ملحة لكل مجتمع يبغي الحياة ولا يسعى إلى الانتحار.

ما هو دور المرأة في كفاح العنف؟

رأينا النساء منذ بداية القرن التاسع عشر يتجندن لقضايا السلم في حقل الكتابة، الشعر، الصحافة، العمل الاجتماعي، المنظمات العالمية والدراسات العلمية. وفيما نرجو لهن المضي في هذا السبيل، نتطلع إلى وسائل وحقول جديدة يمارسن فيها جهودهن السلمية.

في كتاب «الفمينيزم» (نظرية المساواة بين الجنسين)، تطلق المؤلفة اندريه ميشيل دعوة موجهة إلى المتخصصات في الاجتماع والاقتصاد، في كل الأقطار، تحثهن على التلاقي والتعاون، عن طريق المؤتمرات والدراسات والدعايات الكتابية والصحفية، لمكافحة الحرب والتسلح، لمنع التضخم الهائل في الثروات، لمقاومة الاستبداد السياسي والقمع الفكري، لمعالجة التفاوت القائم بين الشعوب المتطورة والشعوب المتخلفة، بين أهل الثروة وأهل الفقر.

أما اليز بولدنغ في نساء عالم القرن العشرين[١] فترى أن سباق التسلح في العالم مصدره مركزية الاقتصاد الوطني في كل دولة، وقيام المحالفات الاقليمية وما يتبعها من سيطرة تجارة الأسلحة. لذلك لا بد من إبدال هذا النظام الذي عمّت أضراره، نظاماً لا مركزياً، غير بيوروقراطي[٢]، ومع هذا يضمن التواصل والتفاهم بين المجتمعات. هذا النظام البديل يستفيد من خبرات النساء اللواتي عشن في الظل حتى اليوم ونجحن في اكتساب مهارات ادارية بفضل اضطلاعهن بتدبير أحوال الأسرة وادارة المدارس وتنظيم الجمعيات.

لهذه الباحثة رأي شبيه برأي اندريه ميشيل حول الوسائل التي تستطيع

---

(١) Boulding, Elise. *Women in the Twentieth Century World,* N. Y.: Wiley, 1977

(٢) النظام البيوروقراطي أو البيوروقراطية: نظام اداري يعتمد أسلوب التأجيل، الجمود، المحسوبية والتضخم في عدد الموظفين.

المرأة اللجوء إليها لأجل تحقيق السلم، وهي :

أولاً تحقيق مزيد من التعاون بين الباحثين وذوات النشاط العملي التطبيقي. وتنظيم شبكات عمل تعاوني وانشاء شبكات جديدة تمد فروعها في أقطار آسيوية، افريقية وغيرها.

ثانياً إفساح المجال أمام النساء المتخصصات في علم تخطيط المستقبل (Futurists) للتوظف في دوائر الأبحاث والمشاريع الهادفة إلى وضع أساس مستقبل جديد. وهذا يعني أن كل مهنة، كل مؤسسة غير حكومية، تحتاج إلى خبرة هؤلاء الاختصاصيات ومشاركتهن. وقد عمد «معهد النظام العالمي» مؤخراً (سنة ١٩٧٥) إلى توظيف نساء «مستقبليات» في أعماله.

ثالثاً من الضرورة إقامة توازن عددي بين الجنسين في جميع الدوائر للحد من سيطرة الذكور ومنع انفرادهم بإدارة شؤون البلاد، في الأسرة، في المدرسة، في المجتمع، في الوظائف، يجب أن تعطى النساء حق مساواة الرجل في السلطة، لكي تؤدي المشاركة إلى خلق صنف جديد من القادة، تتوافر في أصحابه الثقة بالنفس التي يمتاز بها الرجال، وصفات الرعاية والعناية التي تحسب من مزايا النساء.

النساء في الأمم المتحدة

يتجه المسؤولون في الأمم المتحدة إلى إعادة النظر في برامج التوظيف المعتمدة، بقصد فتح المجال لإدماج المرأة في الوظائف الادارية. من بوادر هذا الاتجاه تسليم السيدة هلفي سيبيلا[1] وظيفة سكرتيرة مساعدة للأمين العام، وهي أول إمرأة تحتل هذا المركز في المنظمة. من علاماته أيضاً إقامة السنة العالمية للمرأة سنة ١٩٧٥ برعاية الأمم المتحدة. وإعلان «مشروع العمل العالمي» (World Plan of Action) الذي يرجى تطبيقه خلال عشر سنوات ويستهدف تعاون جميع دول المنظمة لإقرار السلام العالمي وتأمين مشاركة النساء، أفراداً وجماعات، موظفات ومتطوعات، في جميع الجهود المؤدية إلى تحقيق السلام.

النهار. ١ حزيران (يونيو)، ١٩٨٠.

---

(١) Helvi Sipila.

المرأة المعاصرة في اتجاه العالمية

دور المؤسسات النسائية العالمية في حركة التطوير

ـ هناك أربعة عوامل خامسها المرأة

ليس الرجل مثلاً أعلى للمرأة، ولا سلوكه قاعدة تهتدي بها.
لأن المرأة تبني الحياة والرجل يهدمها.

الحركة النسائية المعاصرة لا تستهدف تحرير المرأة فحسب بل تحرير العالم من الظلم والاستغلال والحروب التي يشعلها الرجال ويسوقون بها العالم إلى الدمار.

في عهود سيادة الأنظمة الزراعية، كانت مشاركة المرأة في استثمار الأرض عاملاً يمنحها مقداراً كبيراً من القوة الاقتصادية ومن القدرة على توظيف المال وعقد المبادلات التجارية.

لكن الأوضاع تبدلت في عهد الثورة الصناعية ونشوء المصانع الكبرى التي أغرت كثيرين من العاملين في الأرض بالانتقال إلى المدن. بذلك أقصيت كثيرات من النساء عن العمل الزراعي. وبما أن النظام الاقتصادي الجديد قضى بغياب الرجل عن البيت وملازمته للمكتب أو المصنع طوال النهار، أرغمت المرأة على ملازمة البيت للعناية بالأولاد، وسيطر نظام التفرقة بين عمل الرجل وعمل المرأة، خصوصاً في بيئات الطبقة الوسطى. وبما أن عملها انحصر في أعمال البيت الروتينية، انحصر حق العلم بالصبي الذي سيرث مهنة أبيه، واقتصر علم البنت على تعلم الخياطة والتطريز والطبخ وسائر ما يهيئها للزواج والأمومة.

في هذه الآونة وجدت كثيرات من الفتيات ـ خصوصاً في الأقطار الغربية ـ خياراً في حياة الدير والرهبنة، يمنحهن فرصة التثقف وتحقيق الذات في نشاطات فكرية كالرسم وكتابة الشعر وتأليف الكتب والخدمة الاجتماعية. مما لم يتح لهن الحصول عليه في ظل الوظيفة التقليدية. وبعضهن غامرن في تأسيس مشاريع صناعية تشمل الخياطة والتطريز واستحداث منتجات صناعية منوعة.

بدأ انتشار المؤسسات الرهبانية في آسيا والشرق الأوسط وأوروبا منذ القرون الوسطى أو قبل ذلك بزمن. وازدهرت في القرنين التاسع عشر والعشرين. واليوم يبلغ عدد الراهبات في العالم نحو مليونين. من ذلك نستنتج أن الحركة النسائية الاستقلالية لها جذور في الأديرة والرهبانات وليست وليدة العصر الحاضر.

في القرن التاسع عشر، نشأت في الغرب المذاهب الاشتراكية الداعية إلى ازالة الطبقية، بما في ذلك تحرير المرأة من العمل المنزلي وتربية الأطفال وتكليف الدولة مهمة القيام بهذه الوظيفة، لكن نضال زعيمات النهضة النسائية لتحقيق هذا الهدف لم يسفر عن نتيجة، لأن الشركات الصناعية والمؤسسات الاحتكارية والأنظمة الدكتاتورية التي فرضت على الرجل لزوم المكتب والمصنع، فرضت كذلك على المرأة لزوم البيت للقيام بالأعمال التي تغني الرجل عن التكاليف الباهظة التي يقتضيها استخدام الأجراء والخدم للقيام بوظائف المرأة في المنزل.

ـ اللجوء إلى المؤسسات العالمية ـ

حين فشلت زعيمات الحركة النسائية في تحريك اهتمام القادة السياسيين في بلادهن، لجأن إلى إثارة الموضوع على نطاق دولي، لعل أصواتهن تبلغ أسماع نساء العالم ورجاله في كل مكان، فيتسع أمامهن مجال التعاون لتحقيق أهدافهن.

سنة ١٨٥٢ ظهرت أول صحيفة نسائية دولية: «أصوات: من أخت لأخت». وقبلها، سنة ١٨٤٠، صدرت في باريس صحيفة اشتراكية: «أصوات النساء». بين ١٨٨٠ و١٨٩٠ كانت كلارا زنكين وروزا لوكسمبرغ تتعاونان على

تخطيط مجتمع اشتراكي دولي أساسه نبذ العنف والتعصب الوطني. على هذا الأساس تمكّنت برتا فون سوتنر النمساوية من اقناع ألفرد نوبل بتأسيس جائزة السلام العالمية سنة ١٨٨٩. وفي ١٩١٥ تأسست «الرابطة الدولية النسائية للسلم والحرية» التي جعلت هدفها السعي لإيجاد مؤسسات بديلة للحرب.

بعد ذلك بقليل، قامت فرانسِس ويكرد الأميركية بتأسيس «الاتحاد النسائي المسيحي لمكافحة المسكرات»، معلنة أن جمعيتها هي منظمة عالمية نسائية تنكر التمييز العنصري واللوني كما تنبذ الطائفية السياسية والتمييز بين الجنسين في المواطنية.

الظلم اللاحق

بمثل هذه التصريحات أظهرت هؤلاء النساء أن الظلم اللاحق بالمرأة هو قسم من الظلم الشامل المسيطر على علاقات الشعوب. وإن سكوتهن عن الأوضاع الراهنة واعتكافهن في المنازل، من شأنها ترسيخ تلك الأوضاع وفتح المجال لاستمرار الظلم وتفاقم الشرور في كل مكان وعلى كل صعيد.

- تكاثر الجمعيات النسائية العالمية -

العالم الحاضر يشكو معضلات وتعقدات مزمنة تحتاج إلى معالجة دولية. والباحثون في الشؤون التي تجاوز النطاق المحلي يحاولون معالجة الأمور بوسائل قد تحدد الاتجاه المستقبلي في التطور المجتمعي أو تبقى مجرد أحلام.

إن الظاهرة التي تسترعي الاهتمام هي تكاثر الجمعيات النسائية ذات الصبغة العالمية، التي تتيح للأفراد الانخراط في عمل تعاوني يجاوز حدود الوطن ويشمل الاهتمامات الدولية.

منذ بداية هذا القرن حتى ١٩٧٦، ارتفع عدد هذه الجمعيات من بضع مئات إلى نحو ثلاثة آلاف، تضم المؤسسات الدينية العالمية والمنظمات العلمانية اللاحكومية. ورغم محدودية إمكاناتها المادية وصغر حجمها بالقياس إلى الدول التي تحكم العالم، تمتاز هذه الجمعيات بحيوية بالغة ونشاط مركز. تختلف آراء الناس فيها، بين محبذ ومحقر، متفائل ومتشائم. لكن الدراسات التي وضعت حولها حتى الآن لم تتعمق في تقويم برامجها وقدراتها.

قوة هذه المؤسسات رغم ضعفها النسبي تقوم على وحدة أهدافها وتعاونها في مجابهة العقبات المالية التي تعترضها وسعيها إلى خلق مواقف وأساليب جديدة في التفكير والعمل، باعتبار أنها حرة في تحركها، غير مسؤولة لدى الحكومات والدول.

يبلغ عدد المنظمات النسائية العلمانية اللاحكومية سبعاً وأربعين، موزعة بين افريقيا (١٩ بالمئة)، الأميركتين (٢٥,٥ بالمئة)، آسيا (٨,٥ بالمئة)، اوسترالازيا[1] (٥ بالمئة) و أوروبا (٣١,٨ بالمئة).

نلاحظ أن أوروبا تضم أكبر نسبة منها. أما عدد فروعها في العالم فيبلغ ١٨٠٧، عدا جمعيات أخرى مستقلة. وأما اتجاهاتها وأهدافها العامة فتنقسم كما يأتي:

اهتمامات دينية وعلمانية ٢٠ بالمئة.
علاقات دولية ٢١ بالمئة.
أهداف مهنية ٢٨ بالمئة.
أهداف تربوية ١٥ بالمئة.
أهداف رياضية ٦ بالمئة.

تلتقي هذه الجمعيات على أهداف مشتركة أهمها توسيع مجال إدماج المرأة في أعمال التنمية بكل وسيلة ممكنة، من مكافحة الأمية إلى زيادة فرص التعليم والتدريب المهني والنشاط السياسي والاجتماعي.

العالم الخامس (النساء)

تدلنا الإحصاءات الأخيرة (١٩٦٨) على أن الفقر والحرمان يشملان جميع أقطار العالم ولكن بنسب متفاوتة، أدناها في العالمين الأول والثاني (أميركا وأوروبا)، يليهما العالم الثالث (افريقيا وآسيا)، ثم العالم الرابع، أقطار النفط، التي تجمع بين الثروة والتخلف أو بين القوة والضعف.

---

(١) أوسترالازيا: المجموعة الجغرافيّة المؤلفة من أوستراليا ونيوزيلندا (Australasie).

أما العالم الخامس، والأكثر فقراً، حسب تصنيف الباحثة اليز بولدينغ[1]، فيشمل النساء المسؤولات عن إعالة أولادهن من غير مساعدة أحد. واللواتي يمارسن طوال أعمارهن الخدمات المنزلية والأعمال الزراعية وغيرها ومع هذا يحرمن حق الحصول على أجور توازي أتعابهن وعلى ضمانات لمستقبلهن.

ـ عقبات ومتاعب ـ

تتعدد الصعوبات التي تواجهها المنظمات وتبدو أحياناً غير قابلة العلاج، نظراً لاختلاف الأنظمة الايديولوجية والصناعية في كل قطر ـ حتى المنظمات الدينية ذات الأهداف العالمية، تبدو أحياناً مشدودة إلى الخلفيات الثقافية التي تمثلها، ويبدو التعاون قليل الوضوح بين قديمها وحديثها.

هناك منظمتان عالميتان: «الجمعية المسيحية للشابات» و«الاتحاد النسائي المسيحي لمكافحة المسكرات»، نجحت كلتاهما في تحديد رؤيا علمانية للمجتمع المنشود وخاصة لدور المرأة فيه، لأن كلاً منهما اتخذت موقفاً علمانياً.

من الظواهر الجديرة بالاهتمام أن الجمعيات النسائية الدينية التي تعمل خارج نطاق الجمعيات الأخرى اللاحكومية قامت خلال العشرينات الأخيرة بإصلاحات راديكالية ثورية، جددت بها أساليبها في التفكير والعمل. راجع مثلاً مقالة الراهبة الأخت ماري جان منانزان من الرهبنة البندكتية عن «الاستغلال الجنسي في الفيليبين»، المخلص في «الرائدة» عدد ١٣ آب ١٩٨٠ (ص ١٠) فنرى أن صاحبته بدلاً من الشوفينية (التعصبية) التقليدية، اعتنقت المبدأ الإنساني الذي كرّسه المصلح الكبير فرنسيس الأسيزي بحياته وأعماله في القرن الثاني عشر. وإذا اعتبرنا عدد المؤسسات العالمية التي تديرها الراهبات أمكننا تقدير الطاقة الهائلة الموضوعة تحت تصرفهن وتعدد وجوه الخدمة التي يمكنهن تأديتها.

يقابل التطور الذي أشرنا إليه في مجال الجمعيات الدينية تطور في الطرف الآخر هو زيادة إقبال النساء على الوظائف السياسية والمهن الحرة بدلاً من ممارسة

---

(١) Boulding, Elise. «Women: The Fifth World», *Headline Series 248*. N.Y.: Foreign Policy Association, Feb. 1980.

النشاطات الدينية والأعمال التطوعية. بذلك تزداد لديهن فرص المشاركة في الادارة العامة والعمل على نطاق عالمي.

في تقويمنا لأوضاع المرأة المعاصرة لا يمكننا إغفال تأثير الماضي والتقاليد في هذه الأوضاع في الأقطار التي أتاحت للمرأة تسلم وظائف قيادية، في الهند، في سيلان، في انكلترا، كان للتقاليد يد في أحداث تلك الظاهرة. لأن هذه الأقطار انتجت في عصور ماضية نساء حاكمات.

في تاريخ المرأة ظاهرة أخرى تؤثر في توجيهها الاجتماعي. هي أنها كانت بحكم إدارتها للمنزل ـ لاسيما البيئات البورجوازية والارستوقراطية ـ أكثر اتصالاً من الرجال بالطبقات العاملة المسؤولة عن سد حاجات الأسرة من غذاء ولباس وخدمة منزلية. كانت أكثر منه اطلاعاً على أحوال مجتمعها القريب. أحوال الجيران وحاجاتهم ومشكلاتهم. بذلك نشأ بينها وبين تلك الطبقات نوع من التعاطف والتفاهم المبني على العشرة والحاجة المتبادلة، وكان من نتائج هذه العلاقة أن كثيرات من نساء الطبقات الارستوقراطية والوسطى اشتهرن بأعمال البر والاحسان التي منها تأسيس المستشفيات والملاجىء والمدارس والمراكز الاجتماعية للطبقات المحرومة.

المُصلِحة والوسيطة

في الأوساط الحاكمة والطبقات المميزة، كثيراً ما شغلت المرأة وظيفة المصلحة والوسيطة بين أسر وأحزاب متعادية، حين ارتبطت بالزواج بأحد زعماء الأسرة المعادية لأسرتها. يذكر التاريخ أسماء نساء نجحت وساطتهن في إنهاء حرب أو في العفو عن محكومين بالإعدام أو في إنقاذ جماعة من خطر الجوع والموت. ولازمتهن هذه الوظيفة في العصر الحديث.

كانت المرأة في شخص فلورنس نيتنكال أول من سعى لتنظيم وترقية مهنة التمريض. في أميركا، كانت «هارييت بيتشر ستو» أول داعية إلى تحرير الزنوج في كتابها المشهور: «كوخ العم توم». و «جين ادمز» أول من نوّه بأهمية العمل الاجتماعي وأطلق الدعوة إلى مقاومة الحرب. ومثلها النمساوية برتا سوتنر.

ـ ضعف وسائل التواصل ـ

من عوامل ضعف المنظمات النسائية العالمية عجزها عن تأليف عدد كاف من شبكات التواصل والتقارب فيما بينها، على مثال المؤسسة المعروفة باسم «الشبكة النسائية الدولية» WIN و «الخدمة النسائية العالمية للإعلام» ISIS.

التواصل الذي نعنيه يستهدف هدم الحواجز بين المؤسسات النسائية والتعاون على أوسع نطاق بين الطبقات الموسرة والفقيرة، بين نساء الشرق ونساء الغرب، على أساس من المساواة والتفاهم. ويقضي كذلك بنبذ التقليد الذي يجعل أسلوب التواصل من صنف النشاط الاجتماعي التقليدي الذي يتخذ شكل الصدقة والإحسان يبذلها القوي للضعيف أو الغني للفقير، من غير أن يسعى لمعالجة أسباب الفقر واقتلاعها من الجذور.

وثيقة ١٩٧٥

كانت السنة العالمية للمرأة، والمؤتمر النسائي العالمي الذي عقد في مكسيكو سنة ١٩٧٥، دليلاً على تطور في عقلية المجتمع وتبدل موقفه من عمل المرأة ووظيفتها.

جاء في الوثيقة التي أصدرها المؤتمر تحت عنوان «مشروع عمل عالمي» أن هناك علاقة واضحة بين وضع المرأة في كل مجتمع بشري ومشكلات الحرب والفقر التي يشكو منها العالم.

في هذه الوثيقة دعوة إلى ردم الهوة القائمة بين الرجل والمرأة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي. وكذلك بين الشعوب الغنية والشعوب الفقيرة حيث تبدو «مشكلات الفقر والحرمان أشد وطأة على المرأة منها على الرجل».

إن منظمة الأمم المتحدة التي جعلت أهم أهدافها إقرار السلم والتعاون بين الشعوب ترى أن تحقيق هذا الهدف يفرض إلغاء الاستعمار بشكليه القديم والحديث، المباشر واللامباشر. القضاء على التمييز العنصري والاحتلال الأجنبي. الاعتراف بكرامة الفرد وحقه في تقرير المصير. إشراك المرأة ـ التي تؤلف نصف المجتمع ـ في الجهود المؤدية إلى السلم، وذلك بإدماجها في نشاطات المنظمات المحلية والدولية وإعطائها فرصة المشاركة في الإدارات السياسية والوظائف الصحية وشؤون التغذية والرعاية الاجتماعية.

إلّا أن معوقات التبديل والاصلاح لا تزال كثيرة، هناك عوامل متجـذرة في التاريخ تكبـل تفكير البشر وتصرفهم. تـربطهم بقـواعد قـديمة فـرضتها سيـادة الرجل في العالم.

مرض العصر هو السباق على التسلح الذي يوظف طاقات الشعوب في كل مكان ويستنزف أمـوالها. والأزمـات التي يواجههـا المسؤولون بيّنت أن الأنـظمة المركزية القديمـة لم تعد صـالحة لإدارة عـالم تزداد أمـوره تعقداً ويخضـع لسياسـة المحالفات الاقليمية وتجار الأسلحة العالميين.

صورة المرأة في التاريخ

إذا اعتبرنا صورة المرأة في التاريخ وانعكاس مفاهيمها في النعوت والألقـاب التي يطلقونها على المرأة، وجدناها تتبلور في فكرة الأمومة والتعاطف والمؤاساة في حين أن دور الرجل يرمز إلى القوة والبطش والسيطرة.

أما أنصار الحـركة النسـائية فينقسمـون حول دور المـرأة. فريق منهم يـريد تحريرها لتشارك الرجل في مشاريعه الحربية وتدعيم سيادتـه على العـالم. في هذه الحالة يصبح تحرير المرأة ضرباً من الوهم والعبث لأنه يقتل شخصيتها ويربـطها بعجلة الماضي.

الفـريق الآخر يضم دعـاة التبديـل في هيكلية الأنـظمة الاقتصـادية بحيث تتحرر من التنظيم التراتبي البيوروقراطي[1] وتعتنق أسلوب اللامركزية والمشاركة التي ترمز إليها ألقاب المرأة واهتماماتها التقليدية، الموجهة توجيهاً انسانياً.

نحو مجتمع جديد

حل المشكلات العالمية لا يكمن في تحويل المرأة المسالمة إلى رجل محارب ولا في تحويل الرجل المتسلط إلى إمرأة فاقـدة الشخصية بـل في استحداث شخصيـة جديدة تتوسط بين الفريقين. في تكوين مجتمع يعتنق أفراده المزايا الفضلى في كل

---

(١) التنظيم البيوروقراطي أو البيوروقراطية: نظام اداري يعتمد أسلوب التأجيل، الجمود، التضخم في عدد الموظفين والمحسوبية.

من الجنسين. هذا المجتمع الذي أشارت إليه مرغريت ميد الباحثة الانتروبولوجية وعبّرت عن إمكانية تحقيقه.

إذا نظرنا إلى عالم الغد كما يراه المستقبليون أو علماء المستقبل، رأيناهم يتوقعون حدوث تطورات مهمة في وضع المرأة ووظائفها. يتوقعون أن يوفر لها التطور العلمي مزيداً من التحرر من الوظائف البيولوجية بحيث تتقاسمها المرأة والرجل أو تحل محلها الأنابيب المخبرية.

أما القصص العلمية الخيالية التي تصف عالم الغد وما يخبئه من مفاجآت فتختلف في تصوراتها. منها التي تتنبأ بانفجار ذري يمحو العالم. ومنها التي تتوقع قيام جنة الحلم التي ينعم أهلها بالراحة التي توفرها الآلات وبالسلم والعدالة الناشئة من القضاء على أسباب الحروب وإقرار المساواة بين الجنسين.

إذا نظرنا إلى الغد من خلال الواقع الذي نعيشه، يبدو لنا أن التطور الصحيح والقابل الحدوث يكمن في ايجاد مجتمع يحقق للنساء فرص المشاركة في كل قطاع من قطاعات التربية والادارة والتنمية، بنسبة تكفل للفريقين تبادل التأثيرات وتعزيز الكفاءات التي يمتاز بها كل منهما.

وكما أن التاريخ قدم لنا نماذج أفراد ممتازين عن سواهم، جمعوا بين الذكورة والأنوثة، بين العزيمة والرفق، بين القناعة والدينامية، هكذا يستطيع العصر الحاضر توفير عدد متزايد من النماذج المفردة التي أشرنا إليها.

جيل جديد. صنف جديد من البشر. يخلو من مساوىء الجنسين، ويجمع فضائل الجنسين، يكون فيه خلاص العالم. وما بقي من علاجات يعد ترقيعاً وتنويماً. أو من صنف المسكنات.

ـ التطور التكنولوجي سيف ذو حدين ـ

بينما يتسارع التقدم التكنولوجي عند الشعوب المتطورة، تتضاءل نسبة التطور الاجتماعي عند جميع الشعوب، بما فيها الدول الصناعية التي يعزلها التقدم الصناعي عن سائر الشعوب الأخرى لأنه يعطيها وسائل الاستقلال والتحرك الذاتي ويجعلها في غنى عن التواصل حتى مع أقرب الناس إليها.

لكن لا بد للتقدم التكنولوجي من حدود. إذا تهافت عليه بعضهم ووجدوا فيه أعظم مظاهر العبقرية البشرية وأفضل وسائل الراحة وسهولة العيش، فهناك الذين يتخوفون من استمراره. إما لأنه يحمل بذور فناء البشر بحرب نوويّة طاحنة أو لأنه يهدد بنضوب الطاقة التي تغذيه وعجز المصانع والشركات ومراكز الانتاج عن تزويد العالم بوسائل المحافظة على المستوى الحالي في الصحة والتربية والخدمات العامة.

إن فئة المستفيدين من التقدم التكنولوجي في العالم تكاد تنحصر في أصحاب الثروات الكبيرة. أما ذوو الدخل المحدود فلا ينالهم منه سوى نتف وقشور. والنظام البيوروقراطي المسيطر في أنحاء العالم المتمدن يقف حاجزاً دون التوزيع السريع والمنتظم لخيرات التقدم التكنولوجي. من الأمثلة البارزة، هذا البطء الشديد في المواصلات البريدية التي تؤلف جزءاً حيوياً من نظامنا الحاضر.

تطورات إيجابية حديثة

من وجوه التطور المحمود في عصرنا الحاضر ان العمل التطوعي الذي كاد يضمحلّ في أوائل هذا القرن، يتخذ حالياً أهمية جديدة، ويزداد انتشاره خصوصاً بين الرجال كما بين النساء الموظفات وذوات المهن. إذ يجد فيه كلا الجنسين باباً لتوسيع اهتماماتهم بدلاً من حصرها في نطاق الوظيفة والمهنة.

على نطاق عالمي أيضاً، تحدث تطورات جديدة من شأنها أن تدفع إلى الأمام عجلة التعاون بين الشعوب. منها تشجيع الرحلات ووجوه التبادل الثقافي بين شعوب العالم، وعقد المؤتمرات الدولية، والسعي لزيادة عدد الجمعيات العالمية وتأمين تواصلها.

منها التطور الطارىء على أحوال الأسرة كنتيجة لعمل المرأة خارج المنزل، ويبدو في إقبال الرجل على المشاركة في تربية الأولاد وفي الأعمال المنزلية التي كانت وقفاً على المرأة.

هناك تطور آخر يتناول التربية خصوصاً في المراحل الابتدائية التي تكاد المرأة تحتكر ادارتها وتنفيذ برامجها. وبذلك تنفتح أمامها مجالات عديدة لتكوين

جيل جديد بريء من عيوب أسلافه، مدرب على حب السلم والتفاهم بين الشعوب، ونبذ التعصب العرقي والديني، والايمان بمساواة الجسين في الحقوق.

وسائل التطوير التربوي

أما وسائل التطوير فأهمها تعديل وتطوير الكتب المدرسية وكتب المطالعة ووسائل الإعلام وبرامج التعليم وأساليبه، بحيث تستهدف القضاء على التمييز القائم بين الجنسين في التوجيه والمعاملة، في اختيار الألعاب والألبسة والهوايات، وسائر النشاطات المدرسية.

إلى ما ذكرناه من تطورات، نضيف الدعوة التي يطلقها المربون وقادة الفكر إلى ضرورة الاهتمام ببعث التراث الثقافي عند الشعوب، لاسيما شعوب العالم الثالث، بقصد تدريبهم على النشاط الذاتي، واستيحاء ماضيهم في معالجة مشكلاتهم وتطوير ثقافتهم الحالية. والمرأة التي هيأتها ادارة المنزل للنجاح في ميادين ادارية تستطيع القيام بدور كبير في إحياء فنون الماضي وما يخترنه من فوائد وتجارب ومعلومات كاد يطمسها تيار الحضارة الحديثة.

ـ طلب العلم من المهد إلى اللحد ـ

ومن الوسائل التي تتبناها المؤسسات الدولية والمنظمات لتنوير النساء والرجال وتأهيلهم للعمل، تلك الحركة المدعوة: «استمرار التثقيف» أو «طلب العلم مدى الحياة». وتعني إنشاء صفوف وبرامج اضافية في الجامعات وفي سواها من مراكز علمية، تقدم للبالغين وسائل استمرار التثقف ومواصلة الدرس والنمو والاطلاع على تطورات العلم الحديث، بقصد تمكينهم من تعاطي مهن ووظائف جديدة أو الحصول على الترقية اللازمة في الوظائف التي يتسلمونها والمهن التي يمارسونها.

من ضمن الوسائل الرامية إلى تأهيل المرأة للعمل، نذكر الجهود التي تبذلها منظمة الأمم المتحدة لتشجيع المرأة على الاضطلاع بوظائف قيادية في دوائر هذه المنظمة.

إن محدودية تمثيل النساء في دوائر الأمم المتحدة يعود في الدرجة الأولى إلى

ضعف رغبة النساء في تحمل مسؤوليات القيادة، وقلة عدد اللواتي لديهن الثقافة والخبرة الكافيتان للقيام بتلك المسؤوليات.

لذلك كان تعيين هلفي سيبيلا لوظيفة مساعدة السكرتير العام لشؤون التنمية الاجتماعية والانسانية، علامة طيبة ودعوة ضمنية لسائر نساء العالم إلى مزيد من الجهد والطموح، والتحصيل الذي يؤهلهن للنهوض بالمسؤوليات الكبرى.

خلاصة

العالم في كل مكان يتوجه ويشكو الظلم وسوء الادارة، في الشرق كما في الغرب. في الأقطار المتخلفة كما في الأقطار المتقدمة، على اختلاف أحوالها ومشكلاتها وايديولوجياتها.

في العالم أكثريات كادحة وراء العيش، ضعيفة لأنها مجردة من السلاح. تتحكم بها أقليات مسلحة تتطاحن على السلطة وتتنافس على زعامة العالم. أقليات مثقفة أو جاهلة، متقدمة أو متخلفة، لكنها تشترك في أساليب استبدادية لتحقيق أغراضها ومطامعها. تمارس العنف حيناً والرشوة حيناً آخر. العقائدية المضللة أو الوعود الكاذبة أو فنون الضغط والإرهاب، ليتم لها التسلط المنشود، غير عابئة بما يجره تنافسها من خراب، وما يشعله من حروب وما يحدثه من جرائم ومجازر.

لكن أصوات الاحتجاج، على قلّتها وضآلتها، لن تنفك عن الصياح. طلاب العدالة لن يسكتوا ولو كلفهم الكلام حياتهم.

لأن هذه الأقلية الواعية التي نذرت نفسها لمقاومة الظلم ولم تؤخذ بالإغراء ولا بالتهديد، ما زالت تعتقد أن أصواتها لا بد أن تتضخم وتتسع وتملأ العالم.

والمرأة التي تستشف اليوم قوتها العددية وتعي وضعها وعياً صحيحاً ترى مصلحتها ومصلحة المتطلعين إلى مستقبل أفضل، في رفض الانضمام إلى الاقليات المسلحة المسيطرة على مجتمعها بقوة السلاح، وفي مساندة حركة السلم

التي تؤيدها المنظمات النسائية العالمية والجماهير الرافضة للعنف والتسلح في كل أقطار العالم.

النهار. ١٤ أيار (مايو)، ١٩٨١.

مراحل الحركة النسائية المعاصرة في الأقطار العربية

قضية المرأة في الأقطار العربية كما في أقطار أخرى من العالم لا تزال في طور الريادة، شأنها كشأن الحرية التي ما زالت مطمح البشرية منذ فجر التاريخ ولا يزال الساعون إليها في أول الطريق.

تعرضت هذه القضية لحركة مد وجزر منذ نشوئها في انكلترا واميركا في أواخر القرن الثامن عشر أي منذ نحو مئتي سنة، حين نشرت **ماري ولستون كرافت** الانكليزية بياناً شهيراً طالبت فيه بالمساواة بين الجنسين وبتحرير المرأة، أسوة بالزنوج والعمال الذين كانت تنطلق الدعوات من كل صوب لرفع الظلم الطبقي عنهم.

أما في أميركا وانكلترا فقد اتخذت الحركة النسائية في القرن التاسع عشر شكلاً عنيفاً إذ قامت نساء ذينك القطرين بمظاهرات صاخبة جرى فيها رشق حجارة وتكسير زجاج، وقد حملن لافتات تطالب للمرأة بأربعة حقوق: حق التعلم، حق الخطابة في المحافل، حق التملك (الذي تمتعت به المرأة العربية قبلهن) وحق التصويت.

كانت نيوزيلندا أول دولة منحت المرأة حق التصويت سنة ١٨٩٧ ثم تبعتها فيه بين ١٩٠٥ و١٩٣٠ دول شمالي أوروبا: انكلترا، هولندا، بلجيكا، الدول الاسكندينافية، ثم المانيا وفرنسا وغيرهما.

في ١٩٤٩ ظهر في فرنسا كتاب «الجنس الآخر» لسيمون دو بوفوار وفيه عرض مفصّل لتاريخ المرأة وما عانته من ظلم واستغلال خلال العصور، كما يتميّز هذا الكتاب بتبنّي صاحبته مبادىء الفلسفة الوجودية المناقضة للحتمية أو الجبرية التي اعتنقها فرويد وغيره. ومن أقوالها المشهورة في هذا الصدد: «المرأة لا تخلق إمرأة بل تصبح كذلك» بمعنى أن وضعها الحالي من حقارة وضعف حصيلة البيئة لا الوراثة.

في ١٩٦٣ ظهر كتاب آخر ذو طابع علمي: «صوفيّة الأنوثة» للأميركية بتي فريدن، تضمّن حملة على اتباع فرويد وسائر دعاة تقييد المرأة بالمنزل. بيّنت فيه المؤلفة أن داءً مجهول الأسباب أخذ ينتشر بين النساء الملازمات لبيوتهن وقد أظهرت التجارب العلمية أن سببه تعطيل النشاط الفكري عند المرأة بشكل أدّى إلى ظهور أعراض عصابية عند كثيرات من سجينات المنزل.

من ذلك الحين استأنفت الحركة النسائية نشاطها بقوة وعلى نطاق واسع. ووجدت من الحكومات ومن منظمة الأمم المتحدة تأييداً أدى إلى انتشارها السريع في كل أنحاء العالم.

في الأقطار العربية

كان انحطاط وضع المرأة في هذه الأقطار وجهاً من وجوه الانحطاط الذي شمل الأقطار العربية عموماً بين القرنين الثاني عشر والتاسع عشر. فالمرأة في العصور السابقة لتلك الفترة، أي في القرون الوسطى التي ازدهرت فيها الحضارات البيزنطية والعربية، تمتعت بمقدار نسبي من الحريات أدى إلى ظهور الشاعرات والمغنيات والراقصات والملكات بين نساء تلك العصور. وقد أقرّ الشرع الاسلامي للمرأة بحق التملّك الفردي الذي حُرمته المرأة الغربية، منذ القرن الرابع عشر للميلاد، كما وضع تشريع الزواج والطلاق والإرث وحدّد عدد الزوجات. إلّا أن نهضة الشعوب الغربية الحديثة أيقظت في شعوب الأرض عامة رغبة في تطبيق مفاهيم صحيحة للحرية والمساواة تتفق مع المبادىء التي تنصّ عليها الأديان والشرائع المتطوّرة. وكانت يقظة المرأة عندنا قسماً من تلك اليقظة الشاملة التي بدأت في الغرب وانتقلت إلينا منذ أوائل القرن التاسع

عشر بحكم الجوار والتبادل الثقافي. وكانت مصر وسوريا ولبنان أسبق الأقطار إلى تبنّي الحركة النسائية ومن هذه الأقطار الثلاثة امتدّت إلى سائر بلدان الشرق العربي.

الرائدات

تحرير المرأة في القرن التاسع عشر استهدف أولاً تحريرها من الجهل والأميّة ومنْحَها حق العلم والتثقّف. في هذا القرن ظهرت نخبة من المتعلمات اللواتي لمعن كالشهب وسط الظلام كما تقول مي زيادة، أبرزهن أولاً **عائشة تيمور** الشاعرة المصرية التي عاشت في النصف الأول من القرن وكتبت أشعارها في ثلاث لغات: العربية لغة البلاد، التركية لغة الخديويين الحاكمين، والكردية لغة أجدادها. شِعرها العربي ذو أسلوب تقليدي أما المقالات التي نشرتها في الصحُف فقد أعلنت فيها أنها تسير في خطى النساء اللواتي سبقنها إلى قول الشعر، مبيّنة أن هذا الفن لم يكن يوماً وقفاً على الرجال. ومع أنها صرّحت بتمسكها بالحجاب وافتخارها به، رغم أنه يحُول بينها وبين مخالطة رجال العلم والثقافة العالية، فقد وجّهت في إحدى مقالاتها لوماً شديد اللهجة إلى الرجال لأنهم يتركون مواهب المرأة تذهب سدى ولا يستفيدون منها في ميدان الفكر والادارة.

الرائدة الثانية **زينب فوّاز**، معاصرة عائشة تيمور، التي وزّعت نشاطها الفكري بين الصحافة والشعر وكتابة السير. كانت امرأة عصامية من جنوب لبنان، قصدت مصر للدرس وذاع صيتها كشاعرة ومحرّرة في الصحف فتزوّجها أديب من دمشق، كان معجباً بكتاباتها. وفي منزله كانت تحضر مجالس الأدباء من الرجال وتناقش أقوالهم من وراء حجاب.

عدا عائشة تيمور وزينب فواز، نذكر من الرائدات في هذا القرن **وردة اليازجي** و**وردة الترك**. كلتاهما شاعرة من لبنان، و**مريانا مرّاش**، شاعرة وموسيقية وكاتبة من حلب، كانت تعقد في منزلها مجالس أدبية من صنف الصالونات، يشترك فيها الرجال والنساء.

شهد النصف الأول من القرن العشرين نبوغ الرائدات اللواتي يصحّ أن

ندعوهن نجوم النهضة النسائية الحديثة وواضعات الحجر الأساسي في بنائها. أبرزهن **هدى شعراوي** التي مزّقت حجابها أمام الجمهور وألقته في البحر سنة ١٩٢٣ حين وطئت قدماها أرض مصر بعد رحلة إلى مؤتمر نسائي في رومة. ومثلها فعلت سكرتيرتها وزميلتها **سيزا نبراوي** التي وافاها الأجل منذ بضعة شهور. أما الكاتبة **ملك حفني ناصف** الملتهبة غِيرة على تحرير المرأة فقد توفيت في الثالثة والثلاثين من العمر، بعد أن نشرت كتاباً عنوانه «النسائيات» شرحت فيه مواقفها التحريرية وتحفظاتها بشأن بعض المطالب النسائية.

في هذه المرحلة ازدهرت الصحافة النسائية بتكاثر عدد المحرّرات ومنشئات الصحف والمراسِلات. وقد بلغ عددهن المئات. وبلغ عدد الصحف النسائية التي تمّ انشاؤها في الأقطار العربية، في فترات متلاحقة من هذه المرحلة، نحواً من أربعين (كما جاء في كتاب أنيس المقدسي: «الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث»). نذكر من منشئات الصحف روز أنطون حداد، ماري ينّي، عفيفة صعب، لبيبة هاشم، نجلا أبي اللمع، الكسندر افرينو خوري، ماري عجمي وجوليا طعمة دمشقية.

أنتج هذا العهد أيضاً خطيبات بارعات وكاتبات مجيدات، أمثال مي زيادة، ملك حفني ناصف، ماري عجمي، سلمى صايغ، لبيبة هاشم، عفيفة صعب، وداد سكاكيني المحاسني وسواهن. ومنشئات الصالونات الأدبية: مريانا مرّاش (حلب)، مي زيادة وقدرية هاشم (مصر). وقد امتازت مي زيادة بصالونها الذي أحرز شهرة واسعة في العالم العربي، أدارته بلباقة وذوق رفيع مدة اثنتي عشرة سنة وجمعت فيه نخبة من كبار رجال العلم والأدب بينهم طه حسين، أحمد لطفي السيّد، عباس العقّاد، يعقوب صروف، ولي الدين يكن، أنطون الجميّل وآخرون.

وأنتج أيضاً مؤسسات الجمعيات النسائية، منشئات المياتم والمدارس النسائية وأعمال البر والإحسان، الداعيات إلى مكافحة الفقر وإصلاح السجون، واضعات أساس الاتحاد النسائي العربي (١٩٤٤)، نذكر منهن في مصر: هدى شعراوي، سيزا نبراوي، ملك حفني ناصف وغيرهن. في سوريا،

عدلة الجزائري، نازك العابد بيهم وسواهما. في لبنان: ابتهاج قدورة، أمينة المقدسي، ماري كساب، ادليت ريشاني، نجلا صعب، عفيفة صعب، ادما بيوض، وغيرهن.

تقول ملك حفني ناصف في إحدى رسائلها إلى مي زيادة: «ليس لي حال سيء أشتكيه. لكن لي قلباً يكاد يذوب عطفاً وإشفاقاً على من يستحق الرحمة ومن لا يستحقها.. إن قلبي يتصدّع من أحوال هذا المجتمع الفاسد».

رائدات هذه المرحلة تميّزن بالتحسس الاجتماعي والجرأة على الكفاح لأنهن واجهن ظروفاً صعبة حرمتهن فرصة الوصول إلى التعليم العالي إلاّ في أحوال نادرة. واقترن نضالهن الاجتماعي بالنضال السياسي فألّفن المظاهرات وطيّرن البرقيات وعرائض الاحتجاج، ومنهن من سقطن شهيدات النضال. وهذه الازدواجية في الهدف، التي شقّت طريقها هدى شعراوي وزميلاتها في الأقطار التي بدأت فيها النهضة، أصبحت شعاراً مميّزاً للحركة النسائية في العالم العربي.

مطالب هؤلاء النساء كما تلخصها كتابات ملك حفني ناصف وبيانات هدى شعراوي ورائدات النهضة في لبنان كانت ما يلي:

١ ـ اطلاق حرية التعليم للمرأة ومنه التعليم العالي.
٢ ـ تشجيع النساء على درس الطب النسائي وفنون الادارة والحساب.
٣ ـ اباحة السّفور أو تعديل الحجاب.
٤ ـ ضرورة التعارف بين الخطيبين قبل الزواج.
٥ ـ الغاء تعدد الزوجات.
٦ ـ تقييد حق الرجل في الطلاق وإعطاء المرأة هذا الحق إذا توافرت لديها أدلة سوء المعاملة من قِبَل الرجل.
٧ ـ رفع سن الزواج وحضانة الأولاد.
٨ ـ اعطاء المرأة حق التصويت المشاركة في النشاط السياسي.

نلاحظ أولاً أن هذه المطالب التي عدّت خطوة جريئة في ذلك الحين حظيت

بالقبول والتنفيذ في معظم الأقطار العربيـة، إلّا ما يتعلق منهـا بقوانـين الأحوال الشخصيـة كالـزواج والطلاق والإرث، التي لا تـزال حتى اليوم مـوضوع أخـذ ورد.

نلاحظ ثانياً أن قائدات الحركـة، مع تـركيزهن عـلى ضرورة تعليم المرأة لم يوجّهن اهتماماً كافيـاً إلى موضـوع عملها، ربّمـا لاعتقادهن أن عملهـا المنزلي أو التـطوّعي لا يسمح لهـا بالعمـل خارج البيت، أو لأن انتـماء أولئك النسـاء إلى الـطبقة الـوسطى أو البـورجوازيـة منعهنّ من الاتصال بنسـاء الطبقـات العاملة وتفهم أحوالهن واستطلاع مشاكلهن.

في تلك المرحلة لم تظهـر حول المـرأة دراسات علميـة دقيقة إذ لم تتبلور في عهدهن أصول الدراسات الحديثة. نستثني الكتاب القيّم «تحرير المرأة»، الـذي وضعه قاسم أمين سنة ١٨٩٩ وبنى فيه بحثه على براهين منطقيـة سيكولـوجية، دينية، اقتصاديـة وقانـونية. هنـاك أيضاً كتـاب «السّفور والحجـاب» لنظيرة زين الدين، ظهر في الثلاثينات ودعا إلى السّفور معـزّزاً دعوتـه ببراهـين دينية قـرآنية جعلت القـرّاء يعتقدون أن واضعـه هو والـدها الـذي كان أحـد قضـاة الشرع حينذاك.

إذا جـاز لنا المقـارنة بـين رائدات النصف الأول من هـذا القـرن والنصف الثـاني منـه، لاح لنـا أن مـطالب هؤلاء وأهـدافهن ليست إلّا امتـداداً لمـطالب سابقاتهن التي تمّ الوصول إلى القسم الأكبر منها. لكن مطالب نساء اليوم زادت تـوسّعاً وتشعّبـاً. أتيحت فـرص التعليم لعـدد أكـبر من النسـاء، خصـوصـاً في الطبقات المحرومة. ومـع هذا، لا تـزال الأمية تفتـك بقسم كبير منهن، تـراوح بـين ٥٠ و٧٠ في المئـة. زاد إقبـال المـرأة عـلى التعليم العـالي والمهن الحـرّة، وتضاعف اهتمامها بالعلوم الحديثة التي تؤلّف العمود الفقري للحضارة المعاصرة مع أنه ما زال ينخفض نسبياً عن اهتمامها بالفنون والآداب. الـوظائف القيـادية والادارية لا يتاح لها ولوجها إلّا في القليل النادر. مشاركتها في العمل السياسي تكـاد تكون معـدومة. أمـا قوانـين الأحوال الشخصيـة فقد سبق القـول إنها ما زالت تتأرجح بين تيّارات متناقضة.

مرحلة الدراسات العلمية

قد يكون أهم مايميّز الحركة النسائية المعاصرة أولاً انتقالها من طَوْر الخطب والمظاهرات، والمقالات الصحفية إلى طَوْر التأليف العلمي وذيوع الدراسات النسائية التي انتشرت في الغرب على نطاق واسع وانتقل الاهتمام بها إلى الشرق العربي. بحيث يمكننا القول إننا نعيش مرحلة الدراسات العلمية، في موضوع المرأة وسواه من موضوعات. ثانياً الجهود التي تبذلها منظمة الأمم لدمج المرأة في التنمية على أوسع نطاق ومشاركة معظم دول العالم في هذه الجهود، ومن بينها الدول العربية.

فضل الدراسات العلمية أنها تتخلى عن الأسلوب الخطابي العاطفي الحافل بالتعميات والأقوال الجارفة، لتعتنق طريقة العلوم الرياضية والتجريبية (Experimental) في التزام أسلوب الجمع والتبويب والاحصاء والتخطيط البياني (Graphics) مع اعتماد أصول التحقيق والتوثيق والدقة الموضوعية وإثبات القول بالشواهد والأرقام والتمييز بين الحقائق والأوهام.

الدراسات التي أوجزنا وصفها أخذت تنتشر خصوصاً في مصر، لبنان، الكويت، الأردن، الجزائر، المغرب، تونس، العراق وأقطار أخرى عربية ولكن على نطاق محدود. من الموضوعات التي تتناولها بالبحث: المرأة في التاريخ والشرائع، تعليم المرأة ومقدار انتشاره، نسبة النجاح في محو الأمية، تثقيف البالغين والبالغات، عمل المرأة ومشكلاته، صورة المرأة في الإعلام وفي الكتب المدرسية، تنظيم الأسرة، تعميم الثقافة الصحية.

لكن الدراسات حول المرأة، رغم أهميتها وتطور أسلوبها، تتعرض للانتقاد أولاً من ناحية الموضوعات المحدودة التي تعالجها فهي إذ تركّز على موضوع النموّ في علم المرأة وعملها، تهمل موضوع تأثير العلم والعمل في شخصيتها وفي تطوير أوضاع الأسرة، كما تهمل موضوعات أخرى سيكولوجية نظير مفهوم الحرية لدى المرأة المعاصرة، وموضوعات تربوية ثقافية، منها نوعيّة التعليم الذي تتلقاه ومقدار نجاحه في توعيتها، وموضوعات اجتماعية نظير أوضاع نساء الريف والعاملات في الأرض، مشكلاتهن وحاجاتهن.

إن التعليم إذا اقتصر على فكّ الحرف وتعليم القراءة ولم يقترن بالتوعية قد يكون أسوأ من الجهل. لذلك يبدو ضرورياً أن لا يُكتَفى بإحصاء عدد المتعلمات وحاملات الشهادات أو عدد العاملات في الوظائف والمهن المختلفة، بل يجب أن نسأل أهل البحث والتنقيب عن نوع العلم الذي تقدّمه المدارس المرتجلة. وعن مقدار نجاحها في مكافحة التعصب والتخلف ومقاومة الجمود والتقليد الذي يكبت في الطلاب والطالبات قوى الخَلق والابتكار.

ثانياً تتعرض هذه الدراسات للانتقاد من حيث الطريقة التي تنتهجها لأنها ما زالت ـ حسب تحقيق الباحثتين هدى زريق ووداد سليمان مرقص[1] ـ تتبع الطريقة الديمغرافيّة الاحصائية وتغفل الطريقة الاجتماعية التاريخية التي تأخذ بعين الاعتبار خلفيات الموضوع المبحوث وتلتزم الإحاطة بجميع جوانبه. مثلاً في عرض وتقويم عمل المرأة، لا يجوز إهمال الأعمال الجزئية التي تمارسها بصورة دائمة، منتظمة أو غير منتظمة. ولا النشاطات الاقتصادية التي تضطلع بها داخل المنزل، ولا الأعمال الموسمية التي تقوم بها في المناطق الزراعية. ولا ننسى أن فريقاً كبيراً من النساء في الأقطار العربية يشغلن وظيفة تدبير الأسرة وإعالتها في غياب الرجل ومع هذا لا يجري تصنيفهن في عداد الطبقة المنتجة.

دمج المرأة في التنمية

قلنا إن الميزة الثانية لهذه المرحلة، التي دعوناها مرحلة الدراسات العلمية، هي السعي المتزايد لدمج المرأة في أعمال التنمية على اختلافها.

ليس دمج المرأة في التنمية ظاهرة مستحدثة. لأن المرأة طوال العصور الماضية كانت تقوم بأعمال شاقة في البيت، في الحقل، في الصناعة البيتية، في المهن الخاصة بالنساء كالقبالة، التطريز، التمريض، الخياطة وادارة المنزل، وأعمال أخرى رخيصة الأجر. ووضعها هذا يصدق على نساء جميع الطبقات، عدا المترفات اللواتي أرغمن على حياة الخمول في أقفاص مذهّبة أو على الاكتفاء بمراقبة الخدم. أولئك يؤلفن أقلية ضئيلة.

---

(١) *Al-Raida*. No. 23, Vol. VI. Feb. 1, 1983, p. 7 and No. 24, Vol. VI, May 1, 1983, p. 3.

إلّا أن حركة التنمية المعاصِرة ترمي إلى توسيع نطاق عمل المرأة خارج المنزل وتمكينها من مزاولة المهن والوظائف التي كانت وقفاً على الرجل كالمهن الحرّة والوظائف الادارية، وانصافها في ناحية الأجور وتقويم عملها في المنزل وخارجه. ومن الطبيعي أن يخلق لها نشاطها الجديد مشكلات جديدة وأن يثير حوله أسئلة جديرة بالاهتمام منها: هل أن دمج المرأة في التنمية يؤدي إلى تحريرها أم أنه لون من ألوان الاستعباد؟ ما هو تأثير هذا الدمج في شخصيتها، في علاقاتها العائلية، في وضعها الاجتماعي؟

إن الأبحاث التي حاولت الإجابة عن بعض تلك الأسئلة، في الأقطار العربية كما في أقطار أخرى شرقية وغربية، حافلة بالشكوى من الغبن الذي تواجهه المرأة في دوائر العمل، حيث أهل الحل والربط رجال ينكرون المساواة بين الجنسين في الأجور والترقية حال تساويهما في العمل، ولا يتورعون من استغلال المرأة خصوصاً في دوائر العمل اليدوي والصناعي الذي لا يتطلّب تدريباً طويل الأمد. وبما أن عمل المرأة في غالبيته يكاد ينحصر في الوظائف الدنيا والمراكز المحدودة الدخل، فهو لا يشجعها على الاستمرار ولا تلجأ إليه إلّا اضطراراً. أما عن تأثير العمل في شخصيتها، فإن ما يصدق على العلم يصدق كذلك على العمل، فهو وسيلة تحرير إذا فتح لها باب النمو الفكري والاقتصادي وترك لها حرّية التصرف في دخلها، ولم يعرّضها للإرهاق كنتيجة لاضطلاعها بعمل مزدوج في المنزل وخارجه. فإذا لم يوفّر لها العمل هذه المكاسب، كان نوعاً من الاستعباد.

لنذكر هنا أن موضوع التنمية بوجه عام، سواء تناول عمل المرأة أم عمل الرجل، لا يزال في طور الدرس والمناقشة، يخضع لسلسلة تطورات في عناصره ومفاهيمه. وقد بيّنت الدراسات والتجارب(1) أن عملية التنمية لم تعد تعني إغداق المساعدات المالية على البيئات المحتاجة بقدر ما تعني تطوير عقلية الشعب الذي يراد مساعدته وذلك بتدريب أفراده على مساعدة نفوسهم ومعالجة

---

(1) من تصريح للسيد ماسيه، رئيس دولة كندا، ذكر في «الرائدة» النشرة الانكليزية.
Al-Raida. No. 24, Vol. VI, May 1, 1983, p.1.

مشكلاتهم بأنفسهم من خلال الدراسات التي يقومون بوضعها حول أوضاعهم الحاضرة والماضية ووسائل تكييفها لتراعي حاجات العصر وتماشي التطور الحديث.

إن سكان العالم الثالث يعانون من نقص العمال والموظفين المدربين تدريباً تقنياً على معالجة الآلات التي تتدفق عليهم من الخارج، كما يفتقرون إلى دراسات شاملة ونقدية لماضيهم البعيد والقريب. وإذا حاولنا المقارنة بين نساء الأمس ونساء اليوم، اعتماداً على ما تكشفه الدراسات، نلاحظ أن هؤلاء يواجهن أوضاعاً أكثر تعقداً من أوضاع سابقاتهن مصدرها تعدد مطالبهن التي تفرض عليهن مسؤوليات جديدة. كما أن الوضع الاستقلالي الجديد في أقطار العالم الثالث يضع على عواتقهن مسؤوليات أخرى من حيث النظر العميق إلى ذواتهن، تقويم إمكاناتهن ومحاولة الإسهام في عملية الاستقلال. من جهة أخرى، تواجه الحركة النسائية المعاصرة عقبات مختلفة ناشئة من ظهور تيارات رجعية أصولية تحاول بسط سلطانها على الأقطار العربية بشكل يعرقل مسيرة المرأة ويدعو إلى تقييدها بعمل المنزل.

ماذا نستنتج من كل ما سبق؟

إن لهذه المرحلة مشكلاتها وتعقّداتها التي تعكس ما في العصر الحاضر من ملامح فوضى وتعقّد.

لكن فيها أيضاً، عدا ما ذكر، ظاهرتين على الأقل، تثيران التفاؤل بالمستقبل، أحاول بسطهما في ما يلي:

أ ـ الخيار الثالث

كانت المرأة حتى عهد قريب لا تجد أمامها سوى خيار واحد للعيش هو الزواج. وفي بعض المجتمعات، تجد خيارين، هما الزواج أو الرهبنة. فإذا لم تلتحق بزوج أو بأحد الأديرة، تصبح منبوذة ضائعة، لا معنى لوجودها في رأي المجتمع.

أما اليوم فقد انفتح أمام المرأة خيار ثالث هو العيش المنفرد، إذا ألجأتها إليه

ظروف العلم والعمل، أو ظروف أخرى اجتماعية كالترمّل والهجر والطلاق وعدم تيسّر الرفيق المناسب، أو إذا لم تجد في الزواج فرصة لتحقيق طموحها. هذا الطريق الثالث يمنحها بواسطة العمل المستقل حرية الاستقلال المادي والفكري، وحرية إطلاق مواهبها، وتكريس جهودها للقيام بنشاط مُشِعّ غير محصور في دائرة الأسرة.

إن المرأة التي اختارت الوضع المشار إليه هي التي تحرّرت من العقَد النفسية التي كبّلت وما زالت تكبّل عدداً كبيراً من النساء الرازحات تحت أثقال الماضي. طرحت جانباً ما وسوسته الألسنة في أذنيها من أقوال تزعم أن المرأة إنما خلقت للنسل، لخدمة العشيرة لملاحقة الرجل وإيقاعه في أشراكها. فإذا لم تخضع لهذا التوجيه أصبحت محتقرة، معقدة، ناقمة على الحياة وعلى المجتمع.

إن المرأة المتحررة من الوساوس التي سبق تعدادها تدرك أن الإنسان ابن بيئته كما هو ابن طبيعته. وانه هو الذي يصنع البيئة أو يكيفها، كما أنه قادر على لجم أهوائه والتحكم في طبيعته ووراثته، وليس لعبة في يد القدر. هذه المرأة تؤمن بأن التطور ليس انتقالاً من ايديولوجية إلى عكسها ولا تقليداً أعمى لنماذج سلفية ولا احتذاء لموديلات مجلوبة من الخارج. لكن التطور الصحيح في رأيها هو الخروج من طور البدائية والتحجر الفكري، هو التزام تلك المبادىء العالمية الثابتة التي تحترم حقوق الانسان وتطبق مفاهيم العدالة والحرية وتضمن للمرأة كما لغيرها من البشر نمواً ذاتياً مستمراً بريئاً من الخوف والمسكنة.

إن المرأة التي أدركت معنى التحرر الصحيح وحققت توازناً موفقاً في شخصيتها لا ينحصر وجودها في العازبة التي فرضت وجودها على المجتمع، بل تشمل كل إمرأة مارست عن جدارة أسلوب الاستقلال الذاتي، سواء كانت أرملة أو مطلقة أو متزوجة نجحت في الحصول على كامل الحقوق التي تساويها بزوجها، إنها المرأة التي منها ستتكون أكثرية نساء المستقبل.

ب ـ البُعد العالمي

عدا الصنف الجديد الذي أفرزته الحركة النسائية المعاصرة، هناك تطور أودّ الإشارة إليه في هذه الخاتمة. هو أن هذه الحركة تتخذ اليوم بُعداً عالمياً. وبعد

أن اقتصرت في بداياتها في الأقطار العربية كما في غيرها على نشاطات محليّة، أخذت تتحول تدريجياً إلى اتحادات تتواصل وتعقد المؤتمرات وتتبادل الأفكار والمنشورات وتطمح إلى تكوين اتحاد نسائي عالمي تتعاون فروعه لتحقيق التحرّر الذي تنشده جميع نساء العالم.

إن التجربة التي خاضتها النساء علمتهن أن الرجل بوجه عام، شرقياً كان أم غربياً، مثقفاً أم أمياً، يرفض التنازل عن امتيازات أكسبه إياها النظام الأبوي منذ ثمانية آلاف سنة. فهو مستعد للتحرر من كل تقليد إلاّ التقليد الذي يعطيه حق السيادة على المرأة وهضم حقوقها. هذا ما تقوله تاتيانا مامونوفا، المناضلة الروسية، التي تؤكد أن النظام المعتمد في بلادها، مع حرصه على تحقيق المساواة الاجتماعية، يغفل المساواة بين الجنسين. وهذا عين ما تقوله الفلسطينيات اللواتي شاركن في الثورة والكفاح وتشاركهن في الشكوى نساء المغرب والجزائر اللواتي جاهدن جهاداً بطولياً في عمليات التحرير لكنهن يصرّحن، رغم هذا، بأن بركات التحرير وثماره ظلت وقفاً على الرجل دون المرأة.

وهكذا حين تتحالف لدى الرجال قوى متعارضة وتتفق على تقييد المرأة، تهبّ النساء لتأليف تحالف مقابل، يقف في وجه الإجحاف المفروض عليهن، مع العلم بأن هذا التحالف يرحّب بأعضاء من الجنس الآخر موالين للحركة النسائية.

إن الوعي الزاحف من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، يعبر عنه تعبيراً بليغاً كتاب حديث الظهور عنوانه **أخوّة النساء عالمية**[1] اشتركت في إعداده سبعون امرأة من الشرق والغرب، إحداهن عضو في منظمة الأمم المتحدة، وبينهن ممثلات ثمانية أقطار عربية، جميعهن يطلقن صرخة واحدة، داعيات إلى التكاتف في وجه الظلم الذي تواجهه المرأة في كل مكان.

وإن المرأة التي عانت الغبن طويلاً، ينتظر أن تكون أكثر استعداداً من

---

(١) Morgan, Robin. Ed. *Sisterhood is Global.* New York: Anchor Press/Doubleday, 1984.

الرجل للتعاطف مع المظلوم. وكما خفق قلب باحثة البادية (ملك حفني ناصف) منذ سبعين سنة، عطفاً على من يستحق الرحمة ومن لا يستحق، نرجو أن تخفق قلوب نساء العصر عطفاً على الانسانية المعذبة. وبما أن النساء يؤلفن نصف سكان العالم فإن عملهن المشترك يستطيع أن يؤلف طاقة هائلة يوظفنها لا لتحرير المرأة فحسب بل أيضاً لتحرير الرجل الذي تستبد به عبوديات أبرزها داء السيطرة، داء عبادة المال وداء العنف والحرب. ظواهر خطيرة تهدد العالم بأسوأ العواقب.

النهار. ١١ نيسان (ابريل)، ١٩٨٦.

- ٤ -

مؤتمرات ودراسات

المساواة المنشودة:
أهمية الدراسات النسائية لتحقيقها

ينعقد ببيروت من ٧ ـ ١٣ حزيران، ١٩٥٤ مؤتمر الاتحاد النسائي العربي. العام، وتعلق الأوساط النسوية العربية أهمية كبرى على مقرراته وتوصياته... على هامش هذا المؤتمر تدلي روز غريّب بآراء تستحق الانتباه...

صوت المرأة

أصبحتُ اتهيّب الكلام في موضوع اجتماعي، لأن ذلك من المواضيع التي خضعت لغزو العلم وأُرغمت على التقيد بطريقته التي تعتمد الإحصاءات والأرقام. فكل حقيقة نحاول إثباتها تصبح من قبيل التعميم أو الظن أو الترجيح، ما لم تستند إلى تنقيبات ودراسات دقيقة يقرها العلم الحديث المعروف بعلم الاجتماع.

إن تطبيق هذه الطريقة على الأبحاث الاجتماعية وغيرها علّم الناس أن يروا الفرق بين الواقع والخيال، بين الحقيقة الثابتة والرأي الشائع، وهنا يحضرني المثل المشهور للشاعر لافونتين الذي يرينا أن الصرار حشرة يقتلها الطيش والكسل فتستجدي طعامها من النملة النشيطة. لقد مثّل لافونتين الرأي الشائع الذي لا يستند إلى دليل علمي حتى جاء العلم بمنظاره الدقيق فأبطل زعم الشاعر وبيّن أن الصرار لا يقل براعة عن النملة في اقتناص طعامه. بل أضاف أن النملة هي التي تتطفل عليه أحياناً في الحصول على قوتها!

من هذا النوع الدراسات المتعلقة بالمرأة، التي تحفل بها كتب الاجتماع، وعلم النفس وما يتفرع منه، والتي أظهرت بطلان مزاعم قديمة تتعلق بالجنس الآخر. أما ما نسمعه من أحاديث وخطب ومحاضرات حول المرأة فقليل منه يصطبغ بالصبغة العلمية. ولا أدري أي نصيب يناله هذا الموضوع من الدراسات الجامعية ومعاهد الإحصاء ودوائر الشؤون الاجتماعية. لكن الأمر الذي لا شك فيه أن البحث العلمي في موضوع المرأة مهمل عندنا إلى حد بعيد. ولعلّ أول من دشن عهده «لجنة الشؤون الاجتماعية» التابعة للجمعية المسيحية للشابات حين أصدرت كتيباً عنوانه «وضع المرأة في لبنان» بمناسبة المؤتمر الذي عقدته اللجنة النسائية الفرعية لمنظمة الأونسكو عام ١٩٤٩ في بيروت.

أذكر دراسة علمية قام بها مرة أحد الطلاب الجامعيين ـ منذ مدة بعيدة ـ في الموضوع التالي: «ما هي نظرة المجتمع إلى المرأة؟» قصر فيها الباحث استجوابه على محيط الطلاب. وأذكر أن معظم الأجوبة التي حصل عليها حينذاك تعكس نظرة المجتمع التقليدية إلى المرأة وتكاد تخلو من أية شخصية.

ولو قمنا اليوم ببحث مماثل في الموضوع في محيط الطلاب وسواهم لا بدّ أن نلمح اتجاهاً جديداً في أجوبتهم. على أننا نفترض هذا الاتجاه افتراضاً لأننا لا نستطيع الجزم فيه ما لم نعززه بطريقة الاستجواب والإحصاء.

مثل هذه الدراسات خليقة بأن تحدث انقلاباً في تفكيرنا الاجتماعي. فبيننا خطباء وأدباء ما زالوا يتغنون بتأثير المرأة في الرجل على الطريقة القديمة، ناسين أنهم بذلك يخفضون من شأنها لأنهم يجعلونها آلة جامدة منفعلة تؤثر من غير أن تحس بتأثيرها. يتمثلونها كصورة موحية أو منظر طبيعي أو خَطْب جلل يفتق خيال الفنانين ويحرك همم الأبطال. وينسون أن المرأة التي تحس بنفوذها عند الرجل قد تستغل هذا النفوذ للشر كما قد تستغله للخير. ومن الصنف الأول كان تأثير دليلة في حياة شمشون ونفوذ مدام دو بومبادور في بلاط لويس الخامس عشر.

لقد اعتمدت المرأة فيما مضى على التأثير والإيحاء حيث سدت في وجهها

سبل النشاط الذاتي فحاولت الوصول إلى رغائبها بأساليب تبرهن عن عجزها.

أما إمرأة اليوم فليست آلة فحسب لكنها عضو حيّ يتفاعل مع محيطه ويتأثر به كما يؤثر فيه ولا يقنع بتأثير موحد الجهة. وليس أدل على هذا التطور في وضع المرأة من إقبالها على العمل في جميع أدوار حياتها، عازبة وذات زوج، فتية ومتقدمة في السن، فكأنها تضع نصب عينيها أقطاب النشاط النسوي في التاريخ، اللواتي لم يقنعن بالتأثير والكلام بل اقتحمن أشق الأعمال وجابهن أصعب الظروف.

لا أريد بهذا أن أقلّل من أهمية المظاهرات والدعايات المنظمة ولا أنسى أن تكتل النساء الغربيات ومظاهراتهن وحملاتهن الصحافية والخطابية كانت من أهم عوامل نجاحهن في الحصول على الحق السياسي لكن خوض المعركة بالذات أشد وقعاً من السعي لإثارتها، والمرأة التي تتطوع لتعليم الأميين وتنشىء المدارس النموذجية أفضل من التي تسعى بالكلام لمكافحة الجهل والأمية.

أقول ـ وما أبرِّىء نفسي ـ أننا أُصبنا مؤخراً بتضخم كلامي يدعو إلى القلق.

هذا ما خطر لي وأنا أتصفح حديثاً ورد فيه ذكر المؤتمر النسائي المنوي عقده في بيروت في شهر حزيران المقبل. وفيه أيضاً إشارة إلى المواضيع التي سيتناولها المؤتمر. ويلاحظ أنها الموضوعات التقليدية التي تبحث في كل مؤتمر عن هذا النوع، أي شؤون الأسرة ومكافحة الأمية والتعليم الإجباري وإيجاد مدارس مهنية للبنات وإصلاح السجون وإصلاحيات الأحداث وهلم جرّاً. ولا ريب أن المؤتمر سيثير أيضاً موضوع الحقوق السياسية. ومسألة المطالبة بها في الأقطار العربية التي لم تمنحها بعد لنسائها أو منحتها بصورة مبتورة. ولا يستبعد أن يتطرق إلى مواضيع أخرى كتنظيم حملات انتخابية وتأليف كتل نسائية وأحزاب تؤيد المرشحين الذين يؤيدون مطالب النساء أو تساند المرشحات للنيابة في الأقطار التي منحت النساء هذا الحق ـ كما في لبنان مثلاً، حيث حصلت المرأة على حقوقها السياسية سنة ١٩٥٣.

لقد عودتنا المؤتمرات النسائية السابقة أن تضع مقررات شاملة واسعة

النطاق تطبع وتنشر على الملأ لكنها تظل حبراً على ورق.

ذلك لأنها كانت تـوزع أهدافهـا وتعدد أعـمالها ومـطاليبها وتهمـل موضـوع الترتيبات التمهيدية وإذا قررت شيئاً أغفلت الإشارة إلى وسائل تنفيذه.

إن نجاح مؤتمر من هـذا النوع يتـوقف أولاً على الاستعـداد له قبـل انعقاده بعدة شهور. ثانياً على حصر جهوده في مـوضوع واحـد رئيسي يدرسـه الأعضاء درساً مطولاً ويتناولن غيره بصورة موجزة محدودة.

وإنه لجدير بالمؤتمر أن يركز أعماله على الموضوع الأشد خطورة في حيـاة المرأة وهـو عملها في البيت وخـارج البيت: مـا وجـوهـه، مـا مقـداره، كيف يتـطور ويتسع، وما مشاكله وقضاياه، وما هي حـاجات المـرأة العاملة في بيتهـا وخارج بيتها.

وهذا يتطلب من القائمات بالحركة النسائيـة القيام بـدراسات وأبحـاث عن أحوال المرأة في بلادنا، يستقينها من مصادرها أو يكلفن بها ذوي الاختصاص.

إن إقبال المرأة على العمل هو بلا شك أعظم ظاهرة لتـطورها في عصرنـا. ومسألة حقوقها السياسية ليست إلاّ ذيلاً لهذه الظاهرة ونتيجة طبيعية لهـا. إذ قد أصبح عملها من الاتساع والشمول في درجـة تمكّنها من السيـطرة على كثـير من المـرافق الحيويـة في بلادنـا. فهناك أعـمال ومهن تعد من اختصـاص المـرأة دون سـواها: التمـريض والمساعـدة الاجتماعيـة، والتعليم الأولي وفي دور الحضـانـة ورياض الأطفال عدا التعليم في مدارس البنات والكليات النسائية. وهذا يجعل وظيفـة التربيـة وقفاً عـلى المرأة، لأنها تبـدأهـا في البيت وتـرافق الـولـد إلى دور الحضانة والمدارس الأولية فيصبح بذلك عدد المعلمات ضعفي عـدد المعلمين لـو تساوت مدارس الجنسين في العدد.

وهناك أعمال تكاد تستأثر بها النساء كالضرب على الآلة الكاتبة والضيافة في الطائرات والاذاعة والصحافة النسائيـة. وما زالت أبـواب العمل تـزداد أمامهن اتسـاعاً فهنـاك تنسيق المكتبات وادارة الفنـادق والمطاعم وطب النسـاء والأطفال والعمل في المختبرات والمخازن والمكاتب، إضافة إلى الوظائف العامة والأشغـال الصناعية والأعمال المنزلية والزراعية.

لقد أرانا الاختبار في الآونة الأخيرة حاجة بلادنا إلى عمل المرأة كما بيّن لنا رغبة النساء المتزايدة في العمل بدليل أن كثيرات منهن يحتفظن به أو يسعين إليه بعد الزواج وأن كثيرات من المتزوجات يواصلن دروسهن الجامعية أو يتعلمن بعض المهن.

ولكن عدد مدارسهن لا يفي بالحاجة، وإعدادهن للعمل يشكو نقصاً فادحاً خصوصاً في مهنة التعليم التي تجتذب أكبر عدد منهن.

وهن في حاجة إلى مساعدة وتشجيع من مصادر حكومية وغير حكومية. يحتجن إلى زيادة عدد مدارسهن وإلى تدريب في مدارس المهن والاختصاص وإلى زيادة في أجورهن لتساوي أجور الرجال وإلى من يرعى حقوقهن ويؤمن تنفيذ قوانين العمل في دوائر أعمالهن. كما أنهن يفتقرن إلى من يقوم بدراسات منظمة تتوسع في وصف أحوال المرأة العاملة في بيتها وخارج بيتها وفي عرض شكاواهن ومطالبيهن.

تلك أمور أحرى باهتمامات المنظمات النسائية من إصلاحيات الأحداث وإصلاح السجون لأنه إذا تم إصلاح المدارس ورفع مستوى العامل والعاملة وتأمين حاجاتهم أغلقت السجون وأستغني عن إصلاحيات الأحداث.

ولعلنا نشهد في المؤتمرات النسائية والمنظمات التي تغذيها تطوراً يسير بها من دور المقالات الأدبية اللهجة إلى دور الأبحاث العلمية، ومن شؤون الدعاية والاحتجاج والتأثير الشفهي إلى شؤون العمل الجدي الذي وحده يساوي المرأة بالرجل، والذي تسير نحوه نساؤنا بقدم ثابتة.

صوت المرأة. العدد ٦، السنة ١٠،
حزيران (يونيو)، ١٩٥٤، ص ١٢ و١٣.

قوانين الأحوال الشخصية في الأقطار العربية[1]:

مقررات المؤتمر النسائي المنعقد في بيروت، أيار (مايو) ١٩٧٤

انعقد هذا المؤتمر بدعوة من المجلس النسائي الوطني اللبناني، في بيروت، ٢٧ ـ ٣١ أيار ١٩٧٤، وضم مندوبات من ١١ دولة عربية بينها المنظمة النسائية الفلسطينية ـ اللبنانية. تناولت أبحاثه وضع المرأة العربية من ثلاثة وجوه: قوانين الأحوال الشخصية، العمل والحقوق السياسية ـ وأصدر كتاباً من ٦٠٠ صفحة في اللغتين العربية والانكليزية، عنوانه «وضع المرأة في تشريعات الدول العربية في ضوء اتفاقيات منظمة الأمم المتحدة».

وفيما يلي تلخيص لأهم محتويات الكتاب:

في مقالة للدكتورة سهير القلماوي (مصر) عن وضع المرأة في قوانين الأحوال الشخصية، بما فيها القوانين العائلية، تقول الكاتبة «إنه خلال العشرين سنة الماضية، تنبه العالم العربي بوجه عام إلى أهمية قوانين الأحوال الشخصية وضرورة إعادة النظر فيها وتطويرها (ص ١٦٤ ـ ١٨٨ من الكتاب). إلاّ أن المسؤولين اعتمدوا مبدأ التريث في إصدار القوانين رغبة في إفساح المجال لتعميق النظر ومراعاة المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة. إن التبدل الطارىء على

---

(١) مصدر هذه الخلاصة: الرائدة (في الانكليزية) العدد ١٤، المجلد ٣، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠، ص ٦. وفي العدد نفسه ص ١١ عرض موجز لقوانين الأحوال الشخصية الجديدة في اليمن الديمقراطية الجنوبية تحت عنوان:
Progressive Family Status Laws in South Yemen.

وضـع المرأة منـذ تزايـد مشاركتهـا في التعليم والحياة العـامة، يقتضي تبـديلاً في القوانين والأنظمة التي فرضت عليها يوم انحصر نشاطها في أعمال المنزل.

يلاحظ أن أكثر القوانين المعـدلة الخـاصة بـالأحوال الشخصيـة صدرت في الأقطار العربيـة بين ١٩٥١ و١٩٦٠. المملكـة الأردنية الهـاشمية أصـدرت سنة ١٩٥١ مجموعة كـاملة من قوانـين الأحوال الشخصيـة، بما فيهـا قوانـين الإرث والـوصية، اتبعتهـا بالقـوانين الخـاصة بغـير المسلمـين. وأصـدرت الجمهـوريـة التـونسية سنـة ١٩٥٦ مجموعـة قوانـين ذات طابـع ثوري بـالقياس إلى قـوانـين الأقطار العربية الأخرى، تعطي الزوجة حقوقاً مماثلة لحقوق الرجل في الطلاق، تلغي تعـدد الزوجـات، تحلّل تبنّي الأولاد وتساوي بـين الولـد الشرعي والولـد المتبنّى في الحقوق والواجبات. كما تحلل ممـارسة تنـظيم الأسرة واستعمال حبـوب منـع الحمل وتمنـع التمييز بـين الجنسـين في حقـوق العلم والعمـل والانتخـاب والتجنيد الإجباري[1].

في سوريا جرى تعديلات في مجموعة قوانـين الأسرة المنشورة سنـة ١٩٥٣. كما طرأت تعديلات مماثلة على قوانين المغرب سنة ١٩٥٧، كـذلك عـلى قوانـين الأحوال الشخصية في العراق سنة ١٩٥٩.

في اليمن الديمقراطية سنة ١٩٧٤ جـرت التعديـلات الآتية: ١ ـ منـع تعدد الزوجات إلاّ في أحوال خاصة يقرهـا القانـون. ٢ ـ إلغاء الـطلاق الكيفي ومنع انفراد الرجل بالسلطة على الأملاك والأولاد. ٣ ـ تحـديد مقـدار المَهْر. ٤ ـ منـع الزواج القسري وزواج القاصرين والقاصرات.

في لبنان، منذ ١٩١٧، لم يطرأ تعديـل على قـوانين الأحـوال الشخصية إلاّ سنـة ١٩٥٨ حين انفـردت الطوائف المسيحيـة بتعديـل قانـون الإرث إذ ساوت المرأة بالرجل في هذا المجال. أما في مصر والكويت والجزائر وليبيـا فإن القـوانين لا تزال قيد الدرس ولم تتخذ بعد صيغاً نهائية.

أمـا المقررات التي اتفقت عليهـا المندوبـات في جلستهن الختاميـة فهي كما يلي:

---

(١) حول موضـوع حقوق المـرأة التونسيـة أنظر: الـرائدة. العـدد ٩، المجلد ٢، آب (أغسطس)، ١٩٧٩، ص ١٠ و١١.

١ ـ مطالبة الدول العربية التي لم تنجز حتى الآن صيغة قوانين الأحوال الشخصية، بأن تراعي في إعدادها مبدأ المساواة بين الجنسين.

٢ ـ تعديل كل تشريع سابق يميّز بين الجنسين وذلك بالرجوع إلى مقررات الأمم المتحدة التي تنص على المساواة، لاسيما القرار الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ نوفمبر (تشرين الثاني) ٧، ١٩٦٧.

٣ ـ اعتبار الحد الأدنى لعمر المرأة حين الزواج ١٧ سنة. ولعمر الرجل ٢١.

ـ مساواة الجنسين في حق اختيار الزوج والزوجة.

ـ إلغاء حق الأب في تزويج ابنته برغمها وفي فسخ عقد زواجها لعدم رضاه عن الزوج.

ـ اعتبار تسجيل عقد الزواج لدى السلطة عملاً إلزامياً.

٥ ـ إلغاء تعدد الزوجات والإقرار بشرعية حق المرأة في طلاق زوجها حال اتخاذه زوجة ثانية، إذا نص العقد على هذا الحق.

٦ ـ الاعتراف بمساواة الزوجين في الحقوق والواجبات على أساس الاحترام المتبادل في علاقاتهما الزوجية بدلاً من خضوع المرأة للرجل وانقيادها لإرادته.

٧ ـ حصر إصدار حكم الطلاق بالمحاكم الشرعية بناء على طلب أحد الزوجين.

ـ عدم فسخ الطلاق إلاّ لأسباب معينة يحددها القانون.

ـ على الفريق الذي يصدر ضده حكم الطلاق أن يدفع غرامة تقررها المحكمة.

٨ ـ في حال اختيار الوصي، تقديم مصلحة الأولاد على موضوع أعمارهم.

٩ ـ في حال حدوث الطلاق، يطالب الأب بالنفقة على الأولاد، بناء على إن أكثر النساء في الوقت الحاضر لا يمارسن مهنة أو وظيفة دائمة مأجورة.

أما من حيث عمل المرأة وحقوقها السياسية فقد نصت الوثيقة على ضرورة اعتبار القوانين الواردة في اتفاقات الأمم المتحدة أساساً لقوانين العمل والحقوق السياسية الخاصة بالمرأة العربية.

مؤتمر سنغافورة،
٢٧ حزيران (يونيو) - ٣ تموز (يوليو) ١٩٧٩:
التربية المهنية النسائية

في سنغافورة، الجزيرة الواقعة في الطرف الجنوبي من ماليزيا، انعقد أول مؤتمر آسيوي للتربية المهنية النسائية، بين ٢٧ حزيران و٣ تموز ١٩٧٩، برعاية «معهد النساء الآسيويات». حضر المؤتمر مندوبات تسع جامعات وكليات نسائية أو مختلطة، يتألف منها المعهد الآسيوي المشار إليه، شارك فيه ثلاثون عضواً من أقطار مختلفة، بينهم مندوبتان لكل من الجامعات والكليات عدا رئيسة وسكرتيرة المعهد الآسيوي ومندوبات اتحاد كليات نساء شمالي اميركا. ومثل فيه عن لبنان مندوبتان من كلية بيروت الجامعية هما السيدتان مها خوري وايفلين رتشردز.

اضطلع بتقديم المحاضرات والأبحاث عدد من رؤساء ورئيسات الجامعات وأساتذتها، نساء ورجالاً. تناول البحث موضوع «المشكلات التي تعترض عمل المرأة الجامعية» وتلك التي تواجهها «المرأة الجامعية العائدة» أي التي تعود إلى الجامعة بعد فترة انقطاع. كذلك جرى بحث مشكلات العمل بين نساء القرى ونساء المدن وخدمات الإرشاد المهني في معاهد التعليم.

تخلل المؤتمر ندوات عمل بحثت فيها تقنيات الإرشاد ومصادر الإعلام، تنمية مجالات التوظيف، اختيار مهنة دائمة، تنمية وتوسيع حقل الخدمات الخاصة بالمهنة. كذلك عرضت لوحات وملصقات وصور ونشرات مجانية قدمتها المعاهد والأقطار التي تمارس نشاطاً عملياً في موضوع الارشاد المهني النسائي.

ما هي التربية المهنية؟

التربية المهنية لا تعني الإرشاد المهني فحسب، ولا تنحصر في مساعدة الفتاة على اختيار مهنة. إنها عملية تبدأ منذ الطفولة، تستهدف توجيه الفتاة وإعدادها للعمل منذ سنواتها الأولى. إثارة اهتمامها باختيار مهنة تمهد لها سبيل الاستقلال الاقتصادي، على أساس أن الزواج وحده لا يستطيع أن يملأ حياتها ولا أن يضمن لها العيش المطمئن الذي ترغب فيه.

التربية المهنية ليست مادة مستقلة تضاف إلى برامج التعليم لكنها مبدأ عملي قابل الإدماج في جميع الدروس. عملية توعية تبث الحياة والجدية في البرامج وتحفز رغبة الطلاب والطالبات ونشاطهم الفكري.

في أقطار العالم المتطور، وفي دوائر الأمم المتحدة تنطلق الدعوة إلى إشراك المرأة في عملية التنمية. لكن الذين يعنيهم الأمر يتساءلون عن الوسائل المبذولة لإعداد المرأة لهذه المشاركة. هل تتيسّر لها وسائل التربية المهنية؟ هل تنفتح في وجهها أبواب التعليم المهني والتأهيل الجامعي؟

تدل الدراسات على رغبة متزايدة لدى النساء في زيادة التحصيل العلمي والتدريب المهني. لأنهن بحاجة إلى المورد المالي الذي يوفره العمل لهن ولأسرهن. ولأنهن راغبات في الخروج من روتينية العمل المنزلي، مؤمنات بضرورة النمو الفكري، والتعليم الجامعي للفتاة، إذا أمكن. هذا ما يستنتج من دراسة أجريت في كلية بيروت الجامعية، حول الأسباب التي دفعت عدداً من النساء المتزوجات للعودة إلى مقاعد الدرس الجامعية.

حياة المرأة في عصرنا تختلف عن حياة سابقاتها. التقدم التكنولوجي وانتشار دور الحضانة ومراكز العناية بالأطفال واتساع آفاق العلم، كل هذه التطورات أدت إلى تبديل حياتها وشخصيتها، ومهدت لها سبيل الخروج من البيت. وإذا أضفنا إلى التطورات المار ذكرها ذيوع وسائل منع الحمل وتحديد النسل تبيّن لنا لماذا تنجح امرأة اليوم في الجمع بين الزواج والمهنة.

لكن التبدل المنشود في وضع المرأة يفرض أمرين: أولاً تبديل موقف

المجتمع من المرأة وتحريره من العقائد والأضاليل التي تستهين بها وتضعف شخصيتها. الأمر الثاني يرتبط بالأول ويمهد له، هو تبديل شخصية المرأة نفسها باعتماد مبادىء جديدة في تربيتها وذلك يقتضي نبذ الأساليب التربوية القائمة على تضخيم الفروق بينها وبين الصبي وتعويدها الخضوع والاتكالية في حين يشجعون في أخيها صفات الهجوم والمنافسة.

لذلك يترتب على دوائر التربية أن تهيىء لها مراكز الإرشاد التي تسعفها على تخطيط مستقبلها. تضع أمامها نماذج نساء نجحن في تخطي العقبات وحل المشاكل التي اعترضت نشاطهن المزدوج في الأسرة وخارجها. كما يترتب عليها إرشادها بشأن فرص العمل والمهن غير التقليدية المفتوحة أمام المرأة وإسعافها على تنمية المهارات اللازمة للقيام بالوظيفة وتأمين فرص الترقية.

فوق هذا يجب إفهامها أن توسيع ثقافة المرأة وتنمية شخصيتها يزيدان أهليتها لإدارة المنزل ورعاية الأولاد. كما يزيدان قدرتها على العمل المنتج خارج البيت. وقد دلت الأبحاث على النجاح الكبير الذي سجلته المرأة في حقل المهن والأعمال التي تستدعي مهارات تقنية.

فبينهن اللواتي برعن في أعمال الميكانيك، أشغال الطباعة والكهرباء في ممارسة الهندسة الالكترونية والمعمارية، أبحاث الفيزياء، علم أحوال المحيطات، عدا الطب والصيدلة وسواهما.

إذن لا بد من القضاء على آراء تقليدية خاطئة تزعم أن النساء يعجزن عن مزاولة الأعمال الحسابية ومعالجة الموضوعات الرياضية. وانهن أكثر استعداداً لدروس اللغة والتربية والانسانيات وتلك التي تعتمد على الذاكرة والعمل الميكانيكي الذي لا يجهد الذهن.

هذه المعتقدات انهارت وفقدت تأثيرها منذ أن أظهرت المرأة المعاصرة تفوقاً باهراً في الرياضيات والعلوم. بدليل أن عدد النساء في «المركز الوطني للأبحاث العلمية» في فرنسا بلغ ألفين وخمس مئة من أصل ثمانية آلاف أي ثلاثين في المئة من المجموع سنة ١٩٧٩ (جريدة لوريفاي، عدد ٧ كانون الثاني ١٩٨٠).

أين هي مراكز الإرشاد؟

مـراكز الإرشـاد المهني تكاد تكـون مفقودة في أقـطار آسيا، تفتقـدهـا حتى طـالبات الصفـوف المنتهيـة المستعـدة للتخـرج والسعي وراء عمـل. في الـوقت الحاضر، تنفرد كلية بيروت الجامعية وجامعة ايـوا في كوريـا الجنوبيـة باحتـوائهما مركز إرشاد، لا يزال في مراحله الأولى.

بناء على هذه الحاجة أوصت قيادة المؤتمر بضرورة تقديم خـدمات إرشـادية في الكليات الآسيويـة الأخرى بحيث يتـاح لجميعها التعـاون وتبادل الفـوائد في شبكة تمتد من لبنان إلى اليابان وكوريا.

وظيفة الإرشاد أن يعتمد أسلوباً غير مباشر إذا كان قسماً من التوجيه الـذي يتلقـاه الطلاب والـطالبات في صفـوف التعليم. أو يكـون مبـاشـراً في مكـاتب التوظيف، في خدمـات الإعلام المهني وفي مـراكز إرشـاد يديـرها اختصـاصيون واختصاصيات في الموضوع وترعاها الكليات والجامعات.

في مراكز الإرشاد المتخصصة تعطى الطالبـات نصائـح ومعلومات تسعفهن على اختيار مهنة. تقدّم لهن بيانات بالمهن المفتوحـة أمامهن ووسـائل الاستعـداد لها. تقام تحقيقات وإحصاءات غايتها درس أحـوال عمل المـرأة، وكشف موقف الـطالبات منـه، مقدار وعيهن لمشـاكل المـرأة العـاملة ورغبتهن في مجـابهـة تلك المشاكل والإسهام في حلها.

يستنتـج من مطالعـة الصحف التي تتناول بـالدرس عمـل المرأة في الهنـد، باكستان، كوريا، اليابان، الفيليبين، وأقطار أخرى شرقية أن المرأة العاملة تجابه المشكلات الآتية:

١ ـ نطاق عملها محدود والوظائف التي تشغلها قليلة الأهمية.

٢ ـ اللواتي يشغلن وظـائف رفيعة تنحصر أعـمالهن في المساعـدة على تنفيـذ قرارات الرجال وليس لهن دور في التخطيط واتخاذ المواقف.

٣ ـ وظـائف النساء كثيـراً ما تكـون غير ثـابتة وفي بعض الأحيـان وقتية أو جزئية.

٤ ـ أجورهن بوجه عام دون أجور الرجال خصوصاً في قطاع الصناعة والخدمات المنزلية.

إلى جانب هذا، يخضع انخراطهن في الوظائف والمهن لعوامل اجتماعية منها مناسبة الوظيفة للمرأة اجتماعياً وثقافياً، موقف الزوج من عمل زوجته، قرب منزلها من مركز العمل، تحديد عدد الأولاد، رضى الأسرة والمجتمع عن عملها.

هذه المشاكل والأوضاع لا تصدق على نساء شرقي آسيا فحسب بل تشمل النساء في كافة الأقطار الآسيوية، منها لبنان. هذا ما يبدو من دراسة أجراها مركز الإرشاد في كلية بيروت الجامعية بالتعاون مع معهد الدراسات النسائية.

كان موضوع الدراسة نصيب المرأة اللبنانية من الوظائف ونسبة المتزوجات بين الموظفات.

كشفت الدراسة أن النساء يؤلفن نحو عشرين في المئة من مجموع الموظفين في لبنان، في القطاعين الخاص والعام. هذه النسبة لا تختلف كثيراً عن تلك التي ظهرت في إحصاء سنة ١٩٧٢ حيث تبين أن نسبة النساء العاملات خارج منازلهن في لبنان يبلغ ١٧,٥ في المئة (هذا الإحصاء لا يشمل العاملات مع رجالهن في الزراعة).

لا تزال المهن التقليدية تستأثر بمعظم نشاط المرأة الموظفة والعاملة: التعليم، أعمال المكتب، العمل في المصانع والخدمة في المنازل وما يتصل بها. في المدارس الابتدائية لا يزيد عدد المعلمين الذكور على ٦,٨ في المئة. بين المعلمات في المرحلة الابتدائية تبلغ نسبة المتزوجات ٤٦ في المئة ونسبة العازبات ٤٧ في المئة. أما في المرحلة المتوسطة فنسبة المعلمين الذكور ٣٣,٢ في المئة، المعلمات المتزوجات ١٠,٤ في المئة، والعازبات ٥٦,٦ في المئة. وتقل نسبة النساء تدريجياً في المرحلتين الثانوية العليا والجامعية.

في الوظائف الإدارية تبلغ نسبة السكرتيرات والضاربات على الآلة الكاتبة ١٨,١ في المئة للمتزوجات و٨١ في المئة للعازبات.

في المهن الصغرى، مثلاً في قطاع الخدمة المنزلية، نسبة العازبات ٢٨,٢

في المئة. في مصانع النسيج ونحوها ٥٩,٣ في المئة عاملات عازبات. وتبلغ نسبة العاملات إجمالاً ٨٥,٢ من مجموع العاملين في الخياطة وصناعة السجاد.

فوق هذا، بينت الدراسة أن المديرين وأصحاب العمل يفضلون التحاق النساء بمهن ووظائف تقليدية. مثلاً في القطاع التربوي، يفضل المديرون حصر التعليم الابتدائي بالنساء، عازبات أو متزوجات، مع أن تربية الأطفال يجب أن يشترك فيها الجنسان لتحقيق التوازن وتوسيع مجالات الفائدة والتأثير.

في المهن المكتبية (السكرتارية) تبلغ نسبة الذين يفضلون السكرتيرات ٩٨ في المئة. وفي قطاع الخدمة المنزلية يفضل ٣٨,٥ في المئة من أصحاب العمل عاملات متزوجات، لاسيما في خدمة الأسرة. أما العازبات فيقع عليهن التفضيل في أعمال الحياكة والنسيج بنسبة ٤٠ في المئة وفي صناعة السجاد بنسبة ٥٨ في المئة.

من هذه النتائج يتبين لنا أن عمل المرأة، عازبة أو متزوجة، لا يزال محدود النطاق، محصور الفائدة، وأن المفاهيم التقليدية لدور المرأة العاملة لم تتبدل بالرغم من التغييرات التي حدثت على الصعُد الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية أو السكانية.

لذلك ينتظر من المربين والمربيات ومعاهد التعليم على اختلاف درجاتها ووظائفها أن تبث الوعي لأهمية توسيع نشاط المرأة وتشجيعها على اقتحام مهن ووظائف غير تقليدية وذلك يقتضي أولاً: إقناع الأهل والمربين بضرورة التربية المهنية للفتاة أي إعدادها منذ طفولتها لاختيار مهنتها المستقبلية والتخطيط لها. ثانياً: إيجاد فرص التدريب المهني للنساء في الجامعات والمعاهد المهنية. ثالثاً: ايجاد مراكز وأجهزة الإرشاد المهني النسائي في الجامعات وخارجها أي في دوائر التربية ومراكز البحوث الحكومية والخاصة.

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي
بيروت ١٩٧٩

مؤتمر كوبنهاغن، تموز (يوليو) ١٩٨٠ :
الخطة العشرية والإعداد للمؤتمر

في الرابع عشر من تموز ١٩٨٠ حتى الثلاثين منه، ينعقد في كوبنهاغن (الدانمرك) مؤتمر نسائي يحمل اسم «نصف العشرية» ويسجل مرور خمس سنوات أو نصف المدة التي حددها مؤتمر مكسيكو ١٩٧٥ لتطبيق «الخطة العشرية العالمية» الداعية إلى اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لتحقيق المساواة بين الجنسين.

ممن يتألف المؤتمر؟

يضم المؤتمر مندوبات دول الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة في المنظمة الدولية إلى مندوبات المنظمات النسائية العالمية، الحكومية وغير الحكومية.

يجري فيه بحث وتقويم للمنجزات التي قامت بها النساء لتحقيق مشروع المساواة المشار إليه. كما يجري عرض المعوقات والعراقيل التي واجهها المشروع. ويوضع أساس مشروع خاص بالسنوات الخمس المقبلة (١٩٨٠ - ١٩٨٥) تتركز فيه الجهود على ثلاثة: عمل المرأة، الصحة والتربية.

لكي ندرك أبعاد المؤتمر واهميته، لا بد من كلمة حول الأسس التي يرتكز عليها والخطة العالمية التي ينبثق منها.

منذ ١٩٤٥ طالبت منظمة الأمم المتحدة بإلغاء كل تمييز بين الأفراد قائم

على العنصر (Race) أو الجنس (Sexe) وفي سبيل هذه الغاية جعلت سنة ١٩٧٥ «سنة المرأة» التي فيها انعقد مؤتمر مكسيكو ووافق أعضاؤه الذين يمثلون مئة دولة، على تبني مشروع عمل عالمي يتم تنفيذه خلال عشر سنوات، ويتضمن توجيهات حول الخطى في كل دولة لتحقيق المساواة الكاملة بين الجنسين في الحقوق.

ما هي الخطة العشرية؟

هي «مشروع عمل عالمي» يستهدف إقرار السلام في العالم بوسائل معينة أبرزها مشاركة النساء في أعمال الإدارة والتنمية.

تتلخص تلك الوسائل بما يأتي:

أولاً تطبيق شرعة حقوق الانسان بين الشعوب وبين أفراد الشعب الواحد. تشجيع النساء على العمل لأجل السلام والتنويه بفضل اللواتي يتطوعن له فردياً أم جماعياً. تسهيل الأسفار ووسائل الاحتكاك والتبادل الثقافي بين نساء العالم. تربية الأولاد على احترام حقوق الآخرين وحرياتهم. وعلى المساواة بين العناصر والشعوب كما بين الجنسين.

ثانياً إشراك النساء في العمل السياسي. قليلات جداً النساء اللواتي يمارسن وظائف قيادية في سياسة بلدانهن وسياسة الشعوب إجمالاً. إن احتكار الرجل للمراكز السياسية العليا أدى إلى إهمال شؤون المرأة وحقوقها في التشريع الحكومي. كما أهمل موضوع إعدادها للمراكز القيادية. فصار من واجب الحكومات خلال السنوات العشر أن تسد هذا النقص بحملة توجيهية تضمن إعداد النساء للمشاركة السياسية على جميع المستويات وإنصافهن ناحية توزيع المراكز القيادية.

ثالثاً التعليم والتدريب، في معظم أقطار العالم تزيد نسبة النساء الأميات على نسبة الرجال الأميين وتؤلف عاملاً مهماً من عوامل تخلف المرأة، فتتخلف البيئة إجمالاً، ولاسيما في المناطق الزراعية.

من الضروري إذن أن تعطى الفتاة فرصاً للعلم مساوية للفرص الممنوحة للفتى. وان لا يختلف منهج تعليمها عن منهج الجنس الآخر. وأن تنظم الحكومات والمؤسسات الخاصة حملات مركزة تستهدف محو الأمية بين النساء خلال مدة محدودة. وتهيىء كتباً ومنشورات صالحة لتدريس اللغة والعلوم والتدريب المهني.

رابعاً العمل والتوظيف، تدل الإحصاءات على أن النساء العاملات، بين السن ١٥ و٦٤، يبلغن ثلث العمال والموظفين في العالم. لكن هناك اللواتي في منازلهن، لا يتناولهن الإحصاء ولا يحسب لعملهن حساب، ولا يتمتعن بضمانات في أحوال المرض والعجز، ويلاحظ أن عمل المرأة ما زال محصوراً في الأنواع والوظائف الدنيا وأنها مقصاة عن المراكز والمسؤوليات الكبرى. لهذا تلح الحاجة إلى مكافحة هذا النقص بتشجيع النساء على متابعة مناهج تدريب وتأهيل للوظائف الادارية العامة والخاصة.

من وسائل تعزيز الدور الاقتصادي الذي تؤديه المرأة تكثير التعاونيات والصناعات الصغيرة حيث تلعب النساء دوراً في تنظيمها وتشغيلها. كذلك يجب بذل الجهود لزيادة عدد النساء في نقابات العمال والموظفين والسعي لمساواة الجنسين في الأجور حال تساويهما في العمل.

خامساً مركز المرأة في الأسرة. يوصي «مشروع العمل العالمي» بإعطاء المرأة والرجل حقوقاً متساوية في قوانين الأحوال الشخصية، وفيها قوانين الزواج، الطلاق، الحضانة، الإرث والمركز في الأسرة. وبأن يكون تشريع الزواج مطابقاً للتشريع الدولي حول هذا الموضوع. وبأن تنال الأسرة التي فقدت أحد الوالدين مساعدات إضافية. وأن تعطى الأمهات غير المتزوجات حقوقاً لهن ولأولادهن مماثلة للحقوق المعطاة للمتزوجات وأولادهن.

سادساً تحسين أحوال السكن والصحة العامة. على الحكومات أن تهتم بالمشاكل الصحية الخاصة بالنساء منها مشكلة المهجرات اللواتي ينتقلن من بيئة إلى أخرى ويقمن مع أولادهن في أكواخ تنك. مشكلة المسنّات والعجائز اللواتي لا يشملهن الضمان الاجتماعي وليس لهن مورد يقيهن البؤس. ومشكلة النساء

المجرمات والفتيات الجانحات والبغايا والرقيق الأبيض والمتاجرة بالبنات القاصرات.

يتوجه المشروع إلى جميع الحكومات الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة، إلى المؤسسات العامة والخاصة، إلى المنظمات النسائية ومنظمات الشبيبة، إلى أرباب العمل والموظفين، والنقابات ووسائل الإعلام والأحزاب السياسية.

بموجبه تلتزم الحكومات إعادة النظر في القوانين الخاصة بالمرأة، في ضوء المبادىء المثبتة في وثيقة حقوق الانسان والاتفاقات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة، لكي يتم تعديل القوانين المجحفة بحقوق المرأة.

لتهيئة هذا المؤتمر عقدت مؤتمرات إقليمية تحضيرية في باريس، عمان، نيودلهي، كاراكاس، لوساكا، بغداد ودمشق.

في مؤتمر بغداد (٣ آذار - ٢١ نيسان ١٩٧٩) أسهمت الحكومة العراقية في تنظيم المؤتمر وإصدار كرّاسٍ يستخدم في تدريب النساء على الأعمال الزراعية.

في المؤتمرات الأخرى جرى التركيز على ضرورة إقامة دورات تدريبية للتنمية الزراعية والعمل لإدماج النساء في نشاطات الإعلام، لتبديل الصورة التقليدية التي للمرأة في هذا الحقل. يضاف إلى ذلك دعوة إلى جمع المعلومات عن الأحوال الصحية وإعداد برامج إذاعية في موضوعات الصحة والتغذية، ولاسيما ما يتعلق منها بالنساء والأطفال.

يتولى قسم الإعلام في منظمة الأونيسكو تقديم المعلومات اللازمة إلى الصحافيين حول المؤتمر، في قاعة محاضرات بلاسنتر، كوبنهاغن، قبل افتتاحه بيومين، ١١ - ١٣ تموز ١٩٨٠.

النهار. ١٦ حزيران (يونيو)، ١٩٨٠.

الدراسات والبحوث النسائية في العالم وفي الاقطار العربية خاصة

تحاول هذه المقالة إلقاء الضوء على وضع الدراسات النسائية، مستعرضة نشأتها، أغراضها، مراكزها، تعميمها وتدريسها في البرامج الجامعية، مع تركيز على دور البلدان العربية ومقدار اهتمامها بهذا الموضوع.

رافقت البحوث المتعلقة بالمرأة نشوء الحركة النسائية منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى اليوم. وانقسمت على اختلاف مصادرها إلى قسمين: قسم يعرض أوضاع المرأة ومشكلاتها كما هي من غير تعليق أو إشارة إلى ضرورة تعديل تلك الأوضاع وتطويرها. وقسم آخر، وهو الأكثر ظهوراً، يتخذ موقفاً معارضاً أو ثورياً يدعو إلى تبديل الأوضاع أو تعديلها ويساند حركة تحرير المرأة.

ظهرت في العِقدَين الأخيرين عوامل سياسية واجتماعية دفعت بالحركة النسائية إلى الأمام. أولها اعتبار عام ١٩٦٧ عاماً دولياً لإقرار حقوق الانسان، وفي العام التالي (١٩٦٨)، احتفل بمرور خمسين سنة على منح النساء قسطاً من الحقوق البرلمانية. وبين السنوات ١٩٦٧ و١٩٧٥ تكاثرت البحوث الخاصة بالمرأة وتعددت المقارنات بين أوضاعها في مختلف الأقطار. أعلنت كثير من الحكومات رغبتها في تعزيز منزلة المرأة في ميادين التعليم وسائر وجوه التنمية والمشاركة السياسية. وبعد أن دعا المجلس الدولي سنة ١٩٦٧ إلى القضاء على التمييز بين الجنسين في المعاملة عُززت هذه الدعوة في مؤتمر مكسيكو العالمي سنة ١٩٧٥.

إلاّ أن الحاجة ظلت ملحّة إلى دراسات تقدم المعلومات الصحيحة المتميزة بالدقة العلمية الإحصائية عن المرأة ونشاطاتها في المجالات السياسية وغيرها وعن علاقتها بالنمو السكاني بما فيه شؤون الديمغرافيا والخصوبة والهجرة. وتبدو هذه الحاجة خصوصاً في أقطار العالم الثالث حيث لا نجد سوى قدر ضئيل من الدراسات النسائية وفي بعضها يكاد ينعدم وجودها.

أغراض الدراسات النسائية ومضامينها

انبثقت في الولايات المتحدة حركة هذه الدراسات في أواخر الستينات على غرار الدراسات التي عالجت قضية السُود. وكان حافزها استبعاد النساء من فهارس العلماء والباحثين وسواهم من المشاهير في كتب التاريخ وغيرها، وحرمانهن حق الإسهام في اتخاذ القرارات السياسية والمشاركة الفعالة في أعمال الإدارة والتدريس في الجامعات.

من جهة أخرى لوحظ أن الإحصاءات المتعلقة بالدخل القومي تغفل دور المرأة في الأعمال المنزلية وفي رعاية الأطفال والمرضى والمسنين باعتبارهما عملاً غير مأجور. وتحسب عملها الزراعي قسماً من عمل الرجل. في مجال الأحكام الاجتماعية تختلف المقاييس المطبقة على الجنسين، بحيث تحسب المرأة مخلوقاً قاصراً عاجزاً عن اتخاذ قرار ذاتي. لذلك تقضي الضرورة بتصحيح التوجيه والمنهجية المفروضين على الموضوعات التقليدية التي يغلب عليها طابع الذكورة ويتعمدون فيها إغفال كل ما يتعلق بالمرأة.

كشفت في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، البحوث النظرية عن وجوه الضعف في التفسيرات الليبرالية والاجتماعية والديمقراطية والماركسية. إذ تبين أن جميعها لا تنصف المرأة، كما اتضح في الدول الاشتراكية أن المساواة بين الجنسين في القوانين وحق العلم والعمل لا تحمي المرأة من العبء المزدوج المتمثل في تحملها مسؤوليات الأسرة ومسؤولية العمل خارج المنزل. إن الدراسات النسائية بحملها المؤرخين وكتّاب السير على الاعتراف بمنجزات المرأة في حقل العلم والسياسة والاقتصاد وسائر المظاهر الحضارية، تستطيع أن تعيد إلى المرأة شعور الرضا والثقة بالنفس.

وفي المجالات السياسية والإدارية يسود الاعتقاد بأن السيطرة يجب أن تكون للرجال لأن تدخل المرأة يحد من حرية الرجل. مثل هذا الرأي يفتح باب الصراع في سبيل التفوق وتنعدم فكرة التوازن والمساواة. والعلاج يقوم في تبديل الموقف والسعي لإحلال التعاون مكان التنافس وسوء الظن.

نشوء الدراسات النسائية

أخذت الطالبات والمعلمات الجامعيات في الستينات، يشعرن بأن غياب المعلومات الخاصة بالمرأة عن برامج التعليم، وإغفال الجامعات لموضوع التمييز بين الجنسين، إنما هو ظاهرة سياسية تعالج بطريقتين: إحداهما إنشاء الدراسات النسائية، والأخرى إعطاء المرأة فرص الترقية في الميادين الأكاديمية والمهنية.

نشأت هذه الدراسات في الولايات المتحدة سنة ١٩٦٨. كان عددها في البرامج الجامعية لسنة ١٩٧٠ اثنتين وعشرين دراسة. وارتفع عدد الدراسات في العام ١٩٧٤ إلى ٤٦٥٨ وعدد البرامج الجامعية النسائية إلى ١١٢، بحثت دور المرأة في مجالات كثيرة كالفلسفة، الحقوق، الانتروبولوجيا، التربية، الاقتصاد، الرياضة، الكلاسيكيات، الفنون وبعض العلوم. وفي السنوات العشر الماضية تحسن وضع المتخصصات بتدريس المناهج النسائية وأنشئت لها مراكز مستقلة أو تابعة لبعض المؤسسات، وتصاعد الاهتمام بمساعدة النساء الراغبات في استئناف الدروس الجامعية بعد انقطاع، والإسهام في وضع البحوث النسائية. كذلك تم إنشاء مجلات نسائية ذات اتجاه علمي رفيع المستوى منها مجلة «ساينز» (Signs) التي تصدر عن مطبعة جامعة شيكاغو. إلّا أن المشرفات على تلك المشاريع يشكون نقصاً في الموارد المالية ويحاولن توسيع ميزانياتهن.

في أوروبا: كان انتشار الدروس الخاصة بالمرأة في أوروبا أبطأ منه في الولايات المتحدة لأنها أكثر افتقاراً إلى المال. في انكلترا ركّزت هذه الدروس اهتمامها منذ ١٩٧٠ على تثقيف الراشدات خصوصاً اللواتي اضطررن إلى الانقطاع عن الدرس. ففي سنة ١٩٧٥ وجد ٢١ درساً (Course) في ١٨ جامعة. وفي عام ١٩٨٠ ارتفع العدد إلى ٤٠ درساً نسائياً في ٢٠ جامعة، منها ١٦ في السوسيولوجيا، ٦ ـ ٧ في التربية والدروس المشتركة وفي دروس أخرى

كالأدب، الحقوق، التاريخ، السيكولوجيا والاقتصاد المنزلي.

ويوجد في بريطانيا مركز خاص بالبحوث النسائية نشأ من غير اعتماد على مؤسسة عامة. يتضمن مركز توثيق ومعلومات حول الدراسات النسائية وتطورها على جميع المستويات. وهناك أيضاً ثلاث مجلات اكاديمية المستوى تنشرها جمعيات تعاونية لا تعتمد على المؤسسات العامة.

كذلك في سائر الأقطار الأوروبية، وفي كندا واستراليا، أفراد وجماعات تهتم بالبحوث النسائية. وفي فرنسا، هولندا، بلجيكا، اسكندينافيا، كندا، استراليا ونيوزيلندا أعداد كبيرة من الدراسات النسائية، ظهرت خصوصاً في الجامعات الحديثة النشأة. في بعض الأقطار تأسست مراكز خاصة بالدراسات النسائية: «مركز سيمون دو بوڤوار» في جامعة كونكورديا، مونتريال، كندا. مركز جامعة بروفانس، فرنسا. في باقي أقطار أوروبا، المانيا، اسبانيا، ايطاليا، يقل عدد هذه الدراسات في الجامعات أو يكاد ينعدم. ويقتصر الاهتمام بها على مراكز نسائية خاصة ومجلات نسائية. ويلاحظ تشجيع الحكومات لهذه الدراسات بقصد الحصول على معلومات تسعفها على حل بعض المشكلات الاجتماعية.

أما في الاتحاد السوفياتي حيث تعتمد سياسة الدولة مبدأ المساواة التامة بين الجنسين فتمسّ الحاجة إلى دراسات تستكشف مدى تطبيق القوانين ومقدار نجاحها. وهناك حاجة إلى دراسات مماثلة في المانيا الديمقراطية ودول أوروبا الشرقية.

أقطار العالم الثالث: تكاد تنحصر الدراسات النسائية في أقطار العالم الثالث في وضع البحوث لأن تدريس الموضوع في الجامعات وغيرها قليل جداً أو مفقود. وفي معظم الأحيان تخضع هذه الدراسات لمؤثرات سياسية وتاريخية إلى جانب العوامل الثقافية والاقتصادية، وتتفاوت قيمتها بالنسبة لثقافة واضعيها وخبرتهم وقدرتهم على التجرد وعدم الانحياز.

وفي المجتمعات التقليدية، تختلف مقاييس قوة المرأة عما في المجتمعات المتطورة. تميل هذه المجتمعات إلى إغفال الدور الاقتصادي الذي تؤديه المرأة في الزراعة وفي العمل المنزلي. ورغم ذيوع الأفكار الحديثة لا يزال الإقبال على

تعليم البنات دون الإقبال على تعليم الصبيان، ولاسيما في مجال التعليم المهني. فنسبتهن في العمل المأجور أقل منها في أقطار أخرى، وأكبر نسبة من العاملات توجد بين العازبات اللواتي يمارسن أعمالاً لا تحتاج إلى مهارة أو تدريب كثيرين ولا تغريهن رواتبها بممارستها مدى الحياة.

الأقطار العربية: على الرغم من حصول النساء على حقوق سياسية واجتماعية كاملة في بعض الأقطار العربية ورغم التعديلات الحاصلة في قوانين الأحوال الشخصية، لا يجري تطبيق تلك القوانين بصورة عادلة وموضوعية وفي أحيان كثيرة تظل التعديلات حبراً على ورق. ولم يتبدل الموقف التقليدي من المرأة: ما زال دورها محصوراً في الزواج والأمومة أي ولادة الذكور(1)، والمحافظة على شرف الأسرة بالتزام قانون العفة المطلقة الذي يعفى منه الرجل.

مقابل هذا الوضع، تنتشر آراء جديدة منها فكرة تنظيم الأسرة وتقليل عدد الأولاد. وتتبدل قواعد قديمة في تحديد القوة والوضع الاجتماعي. في تقويم الفرد، تبرز الدعوة إلى إحلال العلم محل المال، والكفاءة الذاتية محل الشرف الموروث، والتحسس الوطني، الاجتماعي، الانساني محل التعصب العائلي والديني والطائفي. هنا نتساءل: كيف يمكن التوفيق بين مبادىء حديثة وأخرى رجعية؟ كيف تلصق رقعة جديدة بثوب قديم بال؟ إن التطور لا يمكن أن يحدث من جهة واحدة ولا يستطيع الشيخ الهرم أن يرتدي ملابس طفل. لذلك نلاحظ أن التطور الشديد البطء في الأقطار العربية يعود إلى حدوث هذا التطور بصورة جزئية غير متوازية. كثير منه يؤلف نظريات مجردة هوائية بعيدة عن التطبيق. والتبديل يتخذ أحياناً شكلاً رجعياً يتضح في بعث الحجاب وفرض قيود تقليدية على المرأة.

مراكز دراسات نسائية في الوطن العربي

١ ـ أقدمها معهد الدراسات النسائية في العالم العربي الذي تم تأسيسه في كلية بيروت الجامعية عام ١٩٧٣ واستهدف تنمية الدراسات النسائية باعتماد

(1) كلمة «ولد» في اللهجة الدارجة تعني «الولد الذكر» ولا تشمل الأنثى. كما إن البنت لا تحسب عقباً أو نسلاً وولادتها، إذ لم تعتبر كارثة أو مصيبة، تبقى حدثاً غير مرغوب فيه.

أصول البحث العلمي الحديث. هذا المعهد واحد من تسع مؤسسات تؤلف بجملتها «معهد النساء الآسيويات» الذي تأسس سنة ١٩٧٢ في مؤتمر انعقد في سيول، كوريا الجنوبية، وجمع مديرات تسع كليات وجامعات نسائية. جرى فيه بحث التعاون وتنسيق الجهود بين المعاهد الجامعية التسعة ومما جاء في مقرراته: «لن يتحقق سلام ما لم يشترك الرجل والمرأة على قدم المساواة في توجيه وتقرير سياسة المجتمع».

لقد تقرر في ذلك المؤتمر إنشاء مركز للدراسات النسائية في كل من الجامعات والكليات التسع، تشرف عليه مديرة محلية وتقوم المسؤولة عن تنسيق أعمال «المعهد النسائي» بتأمين وسائل الاتصال والتعاون بين المراكز المختلفة. أما المراكز التسعة فتوزعت كما يأتي: ١ - بيروت، كلية بيروت الجامعية؛ ٢ - ايران، كلية دامافند؛ ٣ - باكستان، كلية كينيرد لاهور؛ ٤ - كوريا، كلية سيول للنساء؛ ٥ - جامعة إيوا للنساء؛ ٦ - اليابان، كلية النساء المسيحية طوكيو؛ ٧ - الهند، كلية النساء المسيحية، مدراس؛ ٨ - كلية ايزابيلا توبورن، لوكنو؛ ٩ - جامعة سانت كريستوفر، مدراس.

تشترك هذه المراكز في أهداف واحدة يلخصها معهد الدراسات النسائية بما يأتي: وضع دراسات منهجية حول أوضاع المرأة ومشكلاتها في الأقطار العربية، إنشاء مركز توثيق يجمع ما يمكن جمعه من مصادر عربية وأجنبية حول موضوع المرأة العربية. إصدار نشرة دورية تتضمن أخبار المعهد وتقارير وملخصات لدراسات ومنشورات نسائية، تقديم درس خاص بالدراسات النسائية على مستوى جامعي.

من منجزات المعهد المذكور، وضع سلسلة دراسات في اللغتين العربية والانكليزية، نشر مجموعة ببليوغرافية انكليزية وإعداد مجموعة عربية، نشر «برنامج المهارات الحياتية الأساسية» لخدمة المرشدات والممرضات والعاملات في حقول الخدمات الصحية والاجتماعية، إصدار الرائدة نشرة فصلية تصدر بالإنكليزية ويؤمل استئناف نشرها بالعربية، تقديم برنامج درس جامعي يتناول شؤون المرأة العربية يجري تدريسه منذ ثلاث سنوات، وقد باشر مؤخراً وضع سلسلة جديدة من البحوث والدراسات بوسائله الخاصة أو بالتعاون مع بعض المؤسسات الدولية.

٢ ـ المركز الدولي الاسلامي للدراسات والبحوث السكانية في جامعة الأزهر. تأسس سنة ١٩٧٥ بالتعاون مع اليونيسيف. هدفه بحث مشكلات خاصة بوضع المرأة ودورها في المجتمع في إطار التقاليد الدينية الإسلامية، ويخص بالأولوية المشكلات الاجتماعية والاقتصادية. ومن نشاطات هذا المركز:

- مشروع دراسة يتناول فيها حاجات النساء المصريات ومشكلاتهن في بيئة «والي» الحضرية.

- برامج تنمية لأعضاء دارتي السوسيولوجيا والسيكولوجيا في كلية البنات الاسلامية.

- درس حاجات المرأة ووسائل تنميتها في المناطق الزراعية. هنا نذكر أن النساء في مصر يؤلفن ٦٥ بالمائة من القطاع الزراعي، ولا يمكن إحداث أي تقدم من غير مشاركتهن.

- وضع برنامج تدريب اجتماعي للطالبات المسلمات الأجنبيات (١٩٧٧) تعريفهن بمصر وتقويتهن في اللغة العربية.

- تنظيم سلسلة حلقات تدريس.

- إصدار نشرة شهرية وعدد من التقارير والكتب.

٣ ـ لجنة المرأة العربية التابعة لدائرة الإنماء الاجتماعي في الجامعة العربية. من أعمالها: الاهتمام بمحو الأمية بالتنسيق مع مركز سرس الليان (مصر)، إصدار كتيّب حول حقوق المرأة الدولية والمحلية، وضع مشروع عمل لتحسين وضع المرأة، دراسة حول قوانين الأحوال الشخصية في الأقطار العربية. خطط لتشجيع تعليم المرأة ومنع تسرّب التلميذات. تدريب العاملات، زيادة مشاركة المنظمات النسائية في الشؤون العامة، إنشاء وسائل الخدمة البيتية الجاهزة للنساء العاملات، زيادة عدد دُور الحضانة، خدمة الريفيات بإنشاء برامج تثقيفية وتعاونيات زراعية، تنظيم محاضرات وندوات عمل.

عدا المراكز الثلاثة التي جرى ذكرها، هناك مراكز دراسات عامة في الوطن العربي تخص المرأة بقسم من اهتماماتها.

بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية وقد خص الأسرة والمرأة ببعض

دراساته مثل كتاب: المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، وبعض المقالات التي تنشرها مجلته «المستقبل العربي».

سوريا: الاتحاد النسائي السوري تأسس سنة ١٩٦٧، ويقوم بنشاطات ثقافية خاصة بالمرأة، ومكتب الإحصاء المركزي تأسس عام ١٩٦٨. وأجرى دراسات حول السكان والخصوبة، ثم مركز الخدمة الإعلامية عن المرأة العربية، أنشيء سنة ١٩٨١، وغايته جمع المواد والوثائق الخاصة بالمرأة العربية، الصادرة في أقطار العرب.

العراق: هناك مؤسسات للعلوم الاجتماعية أنشئت حديثاً، ركّزت على الأسرة ومن أبحاثها «البغاء وإدمان المخدرات» و«الأسرة ورعاية المرأة». ومنها «مركز الأبحاث التربوية والسيكولوجية» أقيم عام ١٩٦٠. وهو يشجع البحث في مشكلات التربية للأحداث ومشكلات المرأة.

- الجهاز المركزي للإحصاء أنشيء عام ١٩٧١ وقد أصدر أبحاثاً حول مشكلات الأسرة العراقية.

- «الاتحاد النسائي العراقي» أصدر سلسلة دراسات في موضوع «نمو الطفل في الخليج العربي»، تعالج الموضوع من وجهاته المختلفة، وتتضمن أيضاً ببليوغرافيا خاصة بموضوع الطفل في الوطن العربي قديماً وحديثاً، إعداد كوركيس عواد. وهناك أيضاً دراسات قامت بها مليحة القصير.

الكويت: هناك دراستان عن المرأة الكويتية صدرتا في عام ١٩٧٥، ونستدل منهما على انتشار عملية التغريب، إلاّ أن التقاليد الدينية والاجتماعية القديمة لا تزال مسيطرة. وفي سنة ١٩٧٠ كانت نسبة إدماج النساء في العمل ٥,٢ بالمائة، ونسبة الطلاب والطالبات معاً في المدارس ٤٣ بالمائة، وأكثرية النساء العاملات ينتمين إلى القطاع الحكومي أو التربوي. وفي دراسة فهد الثاقب، استمرار نظام الأسرة الممتدة والنظام التراتبي الذي يقدم السن والنفوذ الاجتماعي، ومنظمة «النهضة الأسرية» وضعت دراسة عن موقف النساء من الزواج، الطلاق، التربية والعمل. ومن قائدات الحركة النسائية، السيدة نورية السداني صاحبة كتاب تاريخ النساء الكويتيات والدكتورة غادة الأنصاري من

دائـرة السوسيـولوجيـا والفلسفة في جـامعة الكـويت، وضعت دراسة عن نفـوذ النساء والحموات في مسائل الزواج والطلاق. والدكتورة بدرية العوضي، عميدة كلية الحقوق بجامعة الكويت، وصاحبة دراسات قـانونيـة نسائيـة منها «مسـائل مختارة من مشروع قانون الأحوال الشخصية الكويتي»، الصادر سنة ١٩٨٢.

الجـزيرة العـربية: منـذ سنـة ١٩٧٥ بـدأ اهتـمام المسؤولـين بـالـدراسـات الاجتماعية لكن البحوث الخاصة بالمرأة نادرة جداً، يحول دونها مبدأ الفصل التام بين الجنسين.

وفي بحث أجرته د. ثريا الـتركي في جدة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١، أظهـرت نفوذ المـرأة في موضـوع «الزواج المـدبر» وبينت أهميـة هذا النفـوذ في عقـد الصـلات وتـوثيقها بـين الأسر لغايـة تبادل الفـوائد الاقتصـادية وتعـزيـز مكـانـة الأسرة. وتتحـدث أيضاً عن دور الثقـافة والأسفـار في تطويـر موقف المـرأة من قبـلي إلى فردي. كما تلاحظ أن المرأة المثقفة تعارض سيطرة الأهل في موضوع الزواج.

اليمن الشـمالية: في عـام ١٩٧٥ كتبت ربيكا سـوانسن عن النساء في هـذا البلد: «يمـارسن معظم الأعـمال اليدويـة التي يحتقرهـا سكان الجـزيـرة، الأولاد يبدأون العمل في سن السابعة، فـرص العمل قليلة للجنسـين، التعليم المختلط ممنوع، الزواج نتيجة اتفاق بين الأسر، نسبة الطلاق عالية». وتضيف أن هجرة الرجال للعمل في الخارج أحدثت مقداراً من التبـدل في وضع المـرأة، وأرغمتها على العمل لإعـالة الأسرة، غـير أن برامـج التنمية والتـدريب التقني تنحصر في الرجال الذين يؤلفون نصف السكان ويقومون بربع العمل.

في دراسة أجرتها كارلا مخلوف وجيرالد اوبرمايـر، «أن اليمن الشمالـيـة أشدّ الأقطار العربية عزلة عن الخارج».

اليمن الجنوبية: في هذا القطر مثلت المرأة دوراً في حركة التحرير، وحدث في وضعها مقدار من التطور منه: تخفيف وطأة الحجاب، السـماح بعمل النسـاء في المصانع، في دوائر الحكومة، الاذاعة والتلفزيون. هناك اتحاد نسائي ومندوبة نسائية في اللجنة المركزية للحكومة الثورية، ومنذ إعلان الاستقلال سنة ١٩٧٦

حدث تطوير مهم في قانون الأحوال الشخصية[1]، لكننا لا نعلم بوجود دراسات عن نساء هذا القطر إلّا ما يكتبه باحثون أجانب.

عُمان: أصدر باحث غربي يدعى و. فيلبس، بحثاً تناول فيه وضع المرأة في عمان: تتزوج في العاشرة أو الحادية عشرة، ارتفاع نسبة الطلاق، ومن نتائج ذلك أن المرأة تتزوج نحو ست إلى عشر مرات في حياتها. قسوة الرجال على نسائهم تظهر في شيوع ختن النساء حفاظاً على العفة.

يبدو من تقرير منشور بالانكليزية عن نساء الشرق الأوسط، أن نساء القرى في عُمان أفضل حالاً من نساء المدن. لا يستعملن الحجاب ولا يلازمن بيوتهن ملازمة تامة، ولا يحرمن حق طلاق رجالهن. أما المرأة في الطبقات الثرية فهي سجينة منزلها، عملها ينحصر في خدمة الزوج والأولاد، بعكس الريفية التي تشارك الرجل في العمل وتحظى بمقدار من الحرية. مصدر الفرق بين الفئتين أن الحياة الريفية المرتكزة على رعي المواشي والعناية بها تهمل قانون ملكية الأرض الذي يستتبع ملكية النساء.

البحرين: كانت البحرين أول دولة في الخليج العربي أنشأت مدارس للبنات سنة ١٩٢٨. وتدل التقارير الواردة من هذا القطر عام ١٩٧٧ على نمو مستمر في ميدان التربية والعمل النسائي، إذ هناك خمس جمعيات نسائية أهلية وثلاث مختلطة تقوم بنشاطات اجتماعية مختلفة في ميادين: تنظيم الأسرة، رعاية الطفل والأمومة، تدريب الأسرة المحدودة الدخل على الصناعات البيتية، تأهيل المعاقين، تدريب الرائدات المتطوعات للعمل الاجتماعي.

انشىء مؤخراً ـ ٤ أيلول/سبتمبر ١٩٧٠ ـ لجنة وطنية دائمة للدفاع عن حقوق المرأة في المجالات الاجتماعية والمهنية والثقافية، تترأسها فايزة الزياني مديرة الشؤون الاجتماعية في وزارة العمل[2]. وباستثناء هذه اللجنة، لا نعرف بوجود دراسات خاصة بالمرأة في هذا القطر.

---

(١) انظر: **الرائدة**. (في الانكليزية) العدد ١٤، المجلد ٣، تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٨٠، ص ١١، عرض موجز لقوانين الأحوال الشخصية الجديدة في اليمن الديمقراطية الجنوبية.

(٢) انظر: **الرائدة**. (في الانكليزية) العدد ١٥، المجلد ٤، شباط (فبراير)، ١٩٨١، ص ١٢.

ليبيا: تسعى الحكومة إلى تشجيع تطوير المرأة ضمن التعاليم القرآنية. ويزداد عدد النساء في المدارس والجامعات، وقد جرى مؤخراً تأسيس جمعية نسائية وتهتم الحكومة بتمويل مشاريع دراسات نسائية وأسرية، عبر «معهد الإنماء العربي».

الجزائر: «مركز جمع الوثائق للعلوم الانسانية (C.D.S.H.)» في جامعة وهران، الجزائر، قام بوضع عدد من الأبحاث والدراسات، في اللغة الفرنسية، حول مشكلات المرأة الجزائرية في ميادين العلم والتعليم والعمل، وموقفها من التطور الاجتماعي الحديث: نشرت مطبوعة بالاستنسيل بين السنوات ١٩٨٠ و١٩٨٢ (١).

تونس: مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية يتناول في دراساته موضوعات نسائية.

المغرب: في طنجة، «المركز الافريقي للبحث والمساعدة على التنمية».
السودان: دراسات متفرقة في «معهد الدراسات الافريقية والآسيوية» وفي المجلس السوداني للأبحاث.

الجامعات العربية: هناك اهتمام شامل بمشكلات المرأة وأحوالها يبدو في كثرة الدراسات الخاصة بالمرأة، التي تقدم لنيل الرتب الجامعية. نخص بالذكر الجامعة المصرية في القاهرة، الجامعة الأميركية في القاهرة، جامعة عين شمس، الجامعات المحلية والأجنبية في لبنان، جامعة تونس، جامعة الأردن، جامعة المغرب، جامعة الجزائر (وهران).

ولا يفوتنا أن نذكر المؤتمرات التي تعقد لتشجيع العلوم الاجتماعية في الشرق الأوسط، مثلاً المؤتمر الذي عقد في الاسكندرية سنة ١٩٧٤ برعاية

---

(١) انظر: الرائدة. (في الانكليزية) العدد ١٦، المجلد ٤، ايار (مايو)، ١٩٨١، ص ٩، والعدد ١٧، المجلد ٤، آب (اغسطس)، ١٩٨١، ص ٧. والأعداد الصادرة عام ١٩٨٢. وانظر ايضاً: جامعة وهران، مركز جمع الوثائق للعلوم الانسانية (م ج و ع ١)، دليل الأطروحات والرسائل المتعلقة بالجزائر والموجودة بوهران، اعداد جمال حاج علي، دفاتر (م ج و ع ١) ٦، وهران: المركز، ١٩٨١.

الجامعة الأميركية في القاهرة وتمويل مؤسسة فورد. ثم تـأسيس «منظمـة تشجيع العلوم الاجتـماعيـة في الشرق الأوسط» التي أنتجت ثـلاث نشرات إخبـاريـة ونظمت ندوات عمل تناولت فيها موضوعات خاصة بالمرأة وبالطفل العربي.

استنتاجات

- من وجوه الضعف في الدراسات النسائية، في الوطن العربي ان الباحثين غـالباً مـا يستعملون قواعـد وأساليب مستـوردة، ويقيسون أوضـاع المجتمعـات العربية بمقاييس غربية، ويستعملون استجوابات تتطلب الصراحة والثقافـة، في مجتمع غير مثقف وغير معتاد الصراحة ولا الألفة والتفاهم بين الجنسين.

- لم يتبلور بعد مثل أعـلى شامـل ينتظر من النسـاء ملاحقتـه والسعي إليه. وليس هناك مقاييس واضحة غير منحازة تؤلف قاعدة لنشوء هذا المثل الأعلى.

- في بحث موضوع المرأة في الإسلام، يسـود الجدل حـول دور الشريعة في رفع منزلة المرأة وخفضها، وإهمال لناحية تأثير الاسلام في حياة المـرأة وتفكيرهـا وبناء شخصيتها.

- تدل الدراسـات السوسيـولوجيـة والانتروبـولوجيـة والاثنولـوجية عـلى أن التقاليد والعادات المترسخة ذات مسؤولية أولية في التمييز بين الجنسين في الوطن العربي وترسيخ الازدواجية القائمة فيه.

- قوانين الأحوال الشخصية لا تساوي المرأة بالرجـل، والجهود المبـذولة في هذا السبيل لم تؤت ثمارها بعد.

- الدراسات الموضوعـة حول المـرأة العربيـة ترينـا تضخماً في معـالجة بعض النواحي مثلاً عمل المرأة، إدماجها في التنمية، الخصوبة وتنظيم الأسرة، وهزالاً في النواحي الأخرى.

- خطأ آخر في الـدراسات هـو البدء بـالمدن بـدلاً من الريف والعكس هـو الأصح. من جهة ثانية نلاحظ أن تطور المـرأة العربيـة الحديثـة يكاد ينحصر في المدن أما في الأرياف فالحالة تكاد تكون غير متبدلة.

ـ يبدي المسؤولون في الأقطار المختلفة اهتماماً بإشراك المرأة في التنمية لكنهم غير متفقين على أنجع الوسائل المؤدية إلى ذلك.

ـ الباحثون يهملون المرأة نفسها. يتكلمون عنها ولا يعطونها مجال الكلام والإعراب عما يجول في نفسها عن تأثير الأفكار الجديدة في حياتها ومدى انعتاقها من ربقة التقاليد ووعيها للمشكلات التي تواجهها.

ـ من معوقات البحث، ضعف التواصل بين المراكز كما بين الأقطار المختلفة وفقدان الخطط المنظمة لنشر المعلومات وتوزيعها. هناك دراسات ومعلومات وتقارير غير منشورة، لا تزال محفوظة في الأدراج والخزائن، في مكتبات الجامعات ومراكز التوثيق، تنتظر من يكتشفها ويستفيد منها ويمهد للآخرين طريق الوصول إليها.

توصيات

ـ تخطيط دراسات شاملة ذات موضوعات مشتركة، تستهدف الحصول على معلومات إضافية عن الأقطار المختلفة وعن الطبقات الاجتماعية فيها خصوصاً في الأقطار المنعزلة كالجزيرة العربية وأقطار الخليج.

ـ تصميم المشاريع بحيث يجري تنفيذها في آن واحد في عدة أقطار مع تشجيع التعاون بين منفذي المشاريع وإعطاء المرأة مجالاً أكبر للاشتراك في البحوث.

ـ التعاون بين الأقطار للحصول على المعلومات والدراسات الجاهزة. منها الوثائق المدرسية والحكومية، إحصاءات الزواج والطلاق وما إلى ذلك. الدراسات الميدانية الجامعية المطبوعة بالاستنسيل والتي لم تجد طريقاً إلى النشر والتعميم.

ـ تضمين الدراسات النسائية بيانات بالطبقات الاجتماعية، العمر، الإقامة، التربية، مع الإشارة إلى العنصر، الدين، الطائفة، باعتبار أن جميعها تؤلف عوامل اختلاف ولأن نساء الأقطار العربية لا يؤلفن كتلة واحدة متجانسة.

ـ تأمين آليات الدرس والبحث مع اعطاء النساء فرصة التعبير الحر المباشر عن وجهة نظرهن.

ـ لا يكفي تحديد مطالب النساء تحديداً نظرياً. مثلاً تعريف الاستقلال الاقتصادي، المساواة بين الجنسين، التحرر، تحقيق الذات، القوة والنفوذ والكرامة الذاتية، بل يجب تعميق البحث وربطه بالمكان والأوضاع المحلية الخاصة.

ـ تشجيع قيام منظمات محلية، مثل، «منظمة تشجيع العلوم الاجتماعية في المنطقة العربية»، التي تسعى لتأمين التواصل والمراسلة بين علماء الاجتماع في المنطقة.

ـ ضرورة إدماج موضوعات الدراسات النسائية في برامج الجامعات المحلية والأجنبية في الأقطار العربية.

ـ مطالبة منظمة اليونسكو بتقديم مساعدات معنوية تتلخص في إرسال اختصاصيين يعاونون المسؤولين في إنشاء برامج البحث وآلياته.

ـ تخصيص اعتمادات مالية لمراكز الدراسات النسائية تضطلع بتقديمها الحكومات المحلية ومنظمة اليونسكو.

المراجع(*)

Chamie, Mary. «Sexuality and Birth Control Decisions among Lebanese Couples». *Signs*: Vol. 3, No. 1 (Autumn 1977), pp. 294-312.

Chamoun, Mounir. «Image de la mère et sexualité au Liban». *Travaux et Jours:* No. 44 (1972), pp. 107-114.

Ginat, Joseph. *Women in Muslim Rural Society*. New Brunswick, N. J.: 1982.

Minces, Juliette. *The House of Obedience: Women in Arab Society*. London: Zed Press, 1982.

Philips, Wendell. *Unknown Oman*. London: Longmans: New York: McKay, 1966.

El-Saadawi, Nawal. *The Hidden Face of Eve: Women in the Arab World*. Boston, Mass.: Beacon Press, 1982.

Saffan, Linda Usra. *The Women of the United Arab Emirates*. London: Croom Helm, 1982.

Wikan, Unni. *Behind the Veil in Arabia : Women in Oman*. Baltimore, Mad.: Johns Hopkins University Press, 1982.

———. *Life among the Poor in Cairo*. Trans. by Ann Henning. London: Tavistock, 1980.

تتمة المصادر

عبد القادر، سهى. «وضع الدراسات حول المرأة في البلاد العربية في سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٨٠». (بالانكليزية).

ورقة قدمت إلى: كارل فاسال، مدير قسم الحقوق الانسانية، الجامعة الاميركية في القاهرة، ١٩٧٩.

المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة للمرأة، كوبنهاغن، ١٤ ـ ٣٠ تموز/يوليو ١٩٨٠. «تقرير عن برامج البحوث والتعليم الخاصة بالمرأة». ورقة أعدتها مرغريتا رندل (الرئيسة المشاركة للجنة البحوث المختصة بدراسة دور كل من الجنسين والسياسات المتعلقة بالجنسين). المستقبل العربي. أيلول (سبتمبر)، ١٩٨٣، بيروت

(*) نلاحظ في الآونة الأخيرة تكاثر الدراسات الأجنبية الخاصة بالمرأة العربية، تتعهدها مؤسسات دور نشر أجنبية في أميركا وأوروبا يضطلع بها باحثون متخصصون، رجالاً ونساءً، بعضهم عرب وأكثرهم أجانب، ويضعونها بلغات أجنبية، انكليزية أو فرنسية أو غيرها. هذه الدراسات وإن اتخذت طابعاً علمياً توثيقياً واعتمدت التفصيل والإسهاب، لا تخلو من وجوه نقص، سببه إما محدودية المعلومات أو ضيق وجهة النظر. لكنها تسدّ فراغاً في حقل لا يلاقي اهتماماً كافياً في الأقطار العربية.

دور الجامعات في الحركة النسائية المعاصرة

ما هو دور الجامعة، مختلطة كانت أم نسائية، في توعية المرأة وإرشادها؟

ما هي الوظائف والأعمال التي تضطلع بها خريجات الجامعات في الشرق والغرب؟

أول ما يخطر لنا جواباً عن هذين السؤالين أن المصادر والدراسات المتعلقة بهما قليلة، متفرقة أو مفقودة. ومعظم المواد التي يتضمنها هذا المقال هي من قبيل المحاولة التي تعتمد النظريات والتوصيات أو تشير إلى الدور الذي يُنتظر من الجامعة وخريجاتها تأديته لقضية المرأة.

إن المحاولة التي نقوم بها تثير سؤالاً آخر: ما هو غرض الفتيات من دخول الجامعة؟

في دراسة أُجريت مؤخراً في كلية بيروت الجامعية (خريف ١٩٧٩) ظهر أن ٥٥ في المئة من الطالبات العازبات يستهدفن أولاً الحصول على شهادة جامعية تؤهلهن لبعض الوظائف أو المهن. وأجابت ٤٤ في المئة منهن أن الهدف الأول من وجودهن في الكلية هو الثقافة التي تغني الفكر وتشحذ المواهب والقوى النفسية. وواحدة في المئة قالت إنها ترغب في تبديل الجو وتبديد السأم الناشىء من مكوثها في المنزل.

هناك أهداف أخرى ثانوية وردت في أجوبة الطالبات. تأمين الوظيفة

الحسنة يمثل هدفاً ثانوياً لدى ٣٨ في المئة منهن. وكذلك توسيع فرص النشاط الاجتماعي يحتل الدرجة الثانية عند ٢٤ في المئة. القيام بتجارب ثقافية: ٢١ في المئة. الهرب من الخمول: ١٢ في المئة. اكتشاف وسائل جديدة لتحسين البيئة: ٢ في المئة. التخلص من ضغط الأسرة، السعي لإيجاد زوج: ٢ في المئة.

في الدراسة نفسها، تبين أن ٧٨ في المئة من الطالبات العازبات يرغبن في مواصلة التثقف حتى في حال الزواج وإنشاء أسرة. وأعلنت ٦٧ في المئة من المخطوبات أن الشهادة ضرورية لهن لزيادة دخل الأسرة. والباقيات عبّرن عن رغبتهن في المتعة الثقافية أو في النشاط الاجتماعي، اللذين توفرهما الكلية.

أما الطالبات المتزوجات فمنهن ٧٧ في المئة يهدفن إلى العمل والإسهام في تحصيل نفقات الأسرة، والباقيات يرغبن في تبديل الجو ورفع مستواهن الثقافي أو إشباع ميلهن إلى بعض الفنون والعلوم أو المشاركة في النشاط الاجتماعي الجامعي.

من هذا العرض الموجز نستنتج أن العامل الاقتصادي يلعب دوراً أساسياً في حفز الطالبات في لبنان وأقطار عربية أخرى ممثلة في الكلية على دخول المعاهد الجامعية. فإذا استطلعنا دراسة مماثلة أجريت في جامعة الكويت ونشرت سنة ١٩٧٥ وجدنا أن ٦٩ في المئة من الطالبات يرغبن في العمل أو متابعة الدراسة بعد التخرج. والعمل في نظرهن هو مزاولة وظيفة أو مهنة كالتدريس، التوظف في الشؤون الاجتماعية، الطب، المحاماة، ونحو ذلك.

صحيح أن الأجوبة تشير إلى عوامل أخرى تدفع الطالبات إلى دخول الجامعة، منها الرغبة في الثقافة العامة والنشاط الاجتماعي. لكنها إجمالاً تخلو من أية إشارة إلى وعي أوضاع المرأة المعاصرة والجهود التي عليها بذلها لتحقيق ذاتها وإدراك ما تعانيه من القاعدة المزدوجة التي تجعل منها كائناً تابعاً، ثانري المنزلة، مرتهناً بالأسرة والتقليد، عاجزاً عن تكوين شخصية حرة، مستقلة.

محدودية التطور

جميع الكتب والصحف التي عالجت موضوع المرأة العربية والشرقية في

العصور الحديثة، لاسيما خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، تنوّه بالتطور الذي أصاب أوضاع المرأة، سواء في الشرق العربي أم في الشرقين الأوسط والأقصى. لا ريب أن تطورها يتفاوت بتفاوت هذه الأقطار في درجة الرقي، لكنه أمر واقع تثبته الدراسات والتقارير التي تنشرها الأقطار المشار إليها، منوِّهة بدور الاحتكاك بثقافة الغرب وانتشار الثقافة الجامعية الغربية في إحداث التطوير.

في الهند، مثلاً، كان التثقيف الجامعي أهم عوامل تغيير المجتمع وتطوير أوضاع المرأة. فالجامعة هي التي نقلت إلى هذه البلاد حضارة الغربيين وأسهمت في وضع قوانين صادرة بين ١٨٥٦ و١٩٧٥، تمنع إحراق الأرامل وتمنحهن حق الزواج، تقر للمتزوجات حق التملك، تمنع زواج القاصرات، تعدّل قانون البائنة أو الدوطة وتعترف بالزواج المدني. في الهند نفسها كان أهم أنصار المساواة بين الجنسين الشاعرة ساروجيني نايدو، المهاتما غاندي والبنديت نهرو. ثلاثتهم احتكوا بثقافة الغرب الجامعية احتكاكاً قوياً وسعوا لإقامة التوازن بينها وبين الثقافات المحلية.

في اندونيسيا سجلت المرأة تقدماً كبيراً لأنها منذ الأساس لم تُرغَم على التحجب ولا فرضت عليها عادة الفصل بين الجنسين. فكان سهلاً على الحكومة تأسيس مدارس مختلطة، غربية النظام، في جميع مراحل التعليم، وفتح أبواب العمل أمام المرأة بحيث سمحت لها منذ ١٩٣٠ بتأسيس بنك خاص بالنساء، بلغ عدد فروعه سنة ١٩٥٧، سبعة عشر، منها ثلاثة عشر فرعاً في جاكرتا العاصمة.

أما في الأقطار العربية فالمرأة عدا حصولها على حق الانتخاب في بعض هذه الأقطار، توصلت أيضاً في قسم منها إلى احتلال مناصب وزارية: في مصر، العراق، سوريا، مثلاً. ولمعت بينهن نخبة من حاملات الشهادات الجامعية، فتسلمن وظائف قيادية في الجامعات المحلية والأجنبية أو في دوائر الأمم المتحدة. ونبغت فئة قليلة في دوائر العمل الاجتماعي والصحافة والفنون الجميلة والشِعر والبحث العلمي.

لكن، رغم الاقبال المتزايد على تعليم المرأة في هذه الأقطار لا تزال نسبة الأميات تتراوح بين أربعين وثمانين في المئة. ولا تزال فرص العمل أمامهن محدودة النطاق سواء ذلك في المهن الحرة أم في الدوائر الحكومية والجامعية.

إذا نحن القينا نظرة خاطفة على الحركة النسائية في الغرب وحاولنا المقارنة بينها وبين الحركة نفسها في أقطارنا العربية لاحظنا أنها في اميركا واوروبا نشأت من موجة عقائدية فلسفية هي الايمان بالمبدأ الديمقراطي الذي يساوي البشر في الحقوق من غير تمييز قائم على العِرق أو الدين أو الجنس (ذكر أو أنثى). لذلك تبنّت الحركة النسائية في الغرب مبدأ تحرير الطبقات التي شاركتها في الغبن والحرمان، تحرير الزنوج في أميركا والعمّال في جميع أقطار الغرب، ومنح الفئتين حق الاشتراك في التصويت والوظائف الحكومية. بكلمة أخرى، كانت الحركة النسائية الغربية نتيجة وعي وإدراك للفلسفة التحررية التي اجتاحت الغرب منذ القرن الثامن عشر حتى عصرنا الحالي.

أما في الشرق العربي فإن حركة تحرير المرأة لم تكن إلّا صدى خافتاً لما حدث في الغرب. بدأت بصورة عشوائية في أعمدة الصحف والمجلات وأسفرت عن تأسيس الجمعيات النسائية والمدارس الحديثة للإناث. دعت إلى إزالة التقاليد الضارة كالحجاب وتعدد الزوجات وانفراد الرجل بحق الطلاق والقانون الجائر الخاص بجرائم الشرف وغير ذلك من مؤسسات تؤيد سيطرة الرجل. لكن هذه الحركة لم تقترن بدراسات تبحث حقوق المرأة وواجباتها على ضوء النظريات الديمقراطية المعاصرة التي سبقت الإشارة إليها. لذلك يترتب على الجامعات أن تسد هذه الثغرة وتقوم بدور البحث العلمي لأوضاع المرأة ومطالبها والدور الذي يمكنها الاضطلاع به في حقل التنمية والبناء.

الجامعات مراكز إشعاع فكري

إن دور الجامعة لا ينحصر، كما هي الحالة عندنا، في إعداد الموظفين وأصحاب المهن الحرة. ليس دور الجامعة أن تهيء للطلاب مهرباً من العمل اليدوي والمهن التي تُعتبر حقيرة أو دنيئة في نظر المجتمع التقليدي. وليس دورها أن تحشو أذهان الطلاب والطالبات بمعلومات ونظريات قابلة للمعارضة والنقض بين يوم وآخر.

إن وظيفة الجامعة تتعدى هذا كله، لأنها منذ نشوئها وجدت لتكون مراكز إشعاع فكري وبحث منهجي يسعى لاكتشاف الحقيقة أينما وجدت ومهما كان نوعها.

من واجبات الجامعة أن تقاوم الجشع المادي المسيطر الذي يجعل منها مصنع شهادات ومعبراً إلى الوظائف والمهن الرابحة.

من واجباتها أن تكافح الأمراض الخُلقية التي تفوق أضرارها أضرار الفقر: تضخيم الثروات عند فريق على حساب إفقار الفريق الآخر. والتناقض الواضح بين استغلال التكنولوجيا لتنمية الثروة ورفع مستوى العيش، واستغلالها لتهديم الحضارة وتدمير الشعوب بالأسلحة المتطورة الفتّاكة.

من أهداف الجامعات أن تسعى لتكوين موقف نقدي عند طلابها وطالباتها. مثلاً نقد الأنظمة التي تعد الناس بفردوس أرضي مقابل القضاء على حرياتهم. وتلك التي تحلل العنف والارهاب والتدمير في سبيل الوصول إلى مآربها.

إن الجامعة التي يهمها تكوين الموقف النقدي عند الطلاب تخص الطالبات بقسم كبير من اهتمامها. لأنهن لم يتعودن التفكير الذاتي بل نشأن على الخضوع للآراء الشائعة والتلبُّس بأحكام البيئة وتقاليدها. فعلى الجامعة أن تسعى لتبديل شخصياتهن التقليدية المصطنعة، بدفعهن إلى البحث الجدي ومناقشة أوضاعهن والقوانين التي تظلمهن. وكما تهتم الجامعة بتوعية المرأة لأحوالها ومشكلاتها تهتم كذلك بتوعية الطلاب الذكور أنفسهم لهذا الموضوع بدعوتهم إلى مناقشة موقفهم من المرأة وكشف أضراره الاجتماعية ومقاومة الأنظمة والتقاليد التي تستضعف المرأة وتحلل غبنها وخضوعها المطلق للرجل.

وسائل الجامعة لإحداث التغيير

هناك أولاً وسائل لا مباشرة مصدرها الدروس المنهجية وبرامج العلوم الاجتماعية والانسانية والأدبية، ونحوها من دروس تفتح مجالاً للبحث والمناقشة، والتوجيه، فتدرج بين موضوعاتها تلك التي تتعلق بالمرأة وأوضاعها ومطالبها، كما

تسعى لإدراج تلك الموضوعات أو قسم منها في برامج الأعمال اللامنهجية من مسرحيات ونشرات ومحاضرات ووسائل إعلام.

ثانياً الوسائل المباشرة وأهمها إنشاء ما يسمونه «برنامج الدراسات النسائية» الذي تبنته معظم الجامعات الأميركية وأخذت في تطبيقه مؤخراً بعض الجامعات الشرقية منها جامعة إيوا النسائية في سيول، كوريا الجنوبية، وكلية بيروت الجامعية في لبنان. وفي الهند شرعت بعض المؤسسات الجامعية في إعداد أبحاث ودراسات صالحة لتأليف نواة برنامج جامعي يعالج الموضوع المشار إليه.

في سنة ١٩٦٩، كان عدد مواد «الدروس النسائية» في جامعات أميركا لا يجاوز المئة لكنه ارتفع خلال سنتين إلى ٦١٠ ثم إلى ألفين ثم إلى خمسة آلاف سنة ١٩٧٥. ومنذ ١٩٧٦ حتى الآن بلغ عدد الجامعات الاميركية التي تقدم هذه الدروس ما بين ٢٥٠ و٣٠٠.

تتلخص أهداف الدروس النسائية بما يأتي:

١ ـ توعية المرأة بخصائصها وإمكاناتها، بمعزل عن الأفكار المسبقة والتقاليد الموروثة.

٢ ـ تشجيع مشاريع الدراسات النسائية التي تعالج موضوع المرأة في التاريخ على ضوء جديد وبأسلوب علمي حديث. لأن كتابة التاريخ حتى اليوم انحصرت في أيدي الرجال الذين أهملوا شأن المرأة في ما وضعوه من كتب، أو سايروا الآراء الشائعة التي تقسو عليها وتجعلها مصدراً لكل شر. من ذلك قولهم: «فتّش عن المرأة».

٣ ـ إبراز الدور الذي أدته النساء المتفوقات في التاريخ، اللواتي يقدمن للدارسين والقراء صورة عن المرأة مخالفة للتقليد.

٤ ـ إعادة النظر في النظريات البيولوجية والسيكولوجية التي وضعها العلماء والباحثون في الماضي عن المرأة، وتبيان ما أظهرته التجربة في هذه النظريات من اخطاء ودلائل تهور، رغم أن واضعيها، ومنهم فرويد، كانوا من كبار العلماء.

جامعة إيوا النسائية (سيول، كوريا الجنوبية) تعد أكبر جامعة نسائية في

العالم فيها أكثر من ثمانية آلاف طالبة. أسست سنة ١٩٧٧ معهداً للدراسات النسائية هيأها لإعداد منهج أو مادة الدراسات النسائية في أواخر تلك السنة. غرض المنهج «توعية المجتمع بقضايا المرأة والسعي لإيجاد الحلول لمشكلاتها وخلق القيادات النسائية الفعّالة في المجتمع».

اعتمدت لجنة المنهج أسلوباً علمياً في وضعه، من مظاهره استجواب خمس مئة طالبة جامعية لاستطلاع آرائهن في أحوال المرأة، مظاهر تخلفها وعوامله، وسائل تحريرها وتحسين أوضاعها.

من مظاهره أيضاً إشراك الطالبات، لاسيما طالبات الصفوف العليا، في إعداد الأبحاث وتوجيهها. فليس مقصوراً على محاضرات تلقى وتحفظ في الملفات. لكنه مجموعة أبحاث واستجوابات يشارك فيها أساتذة ذوو اختصاصات مختلفة، علمية واجتماعية وأدبية، تهيئهم لمعالجة هذا الموضوع المتشعب. تؤدي أبحاثهم إلى استنتاجات مدروسة ومحددة، تسهم في تنمية المعلومات وتطويرها. تستخدم فيها حلقات المناقشة العلمية الأصول ويتسع المجال لتبادل الأفكار والمعلومات. وقد جرى تقييم البرنامج في نهاية السنة باستجواب طالباته البالغ عددهن مئة وأربعين، فدل التقييم على نجاح الدروس في تبديل موقفهن من المرأة وكسب رضاهن عن أسلوب التعليم الذي يدين بالقسط الأكبر من نجاحه لحلقات المناقشة المعتمدة في التدريس.

أما كلية بيروت الجامعية فلديها عدد من الوسائل الهادفة إلى توعية الطلاب والمجتمع بهذا الخصوص. منها «خدمة الارشاد المهني» التي يستفيد منها الطلاب والطالبات على السواء. والدروس الاجتماعية التي تُفسح في المجال لبحث موضوع المرأة في الصفوف وفي الأعمال الكتابية. وأهم من ذلك، «معهد الدراسات النسائية» الذي أهم أهدافه «أن يخلق في المرأة شعور الايمان بالذات ويبعث في نفسها تلك الثقة العميقة التي تحفز مواهبها وتدفعها إلى المشاركة الفعالة في تنمية المجتمع العربي وتطوير أوضاعه»[1].

(١) من كلمة للدكتور البرت بدر، رئيس الكلية، عنوانها: «النساء مصدر بشري للتنمية في العالم العربي»، نشرت في الرائدة. العدد ١، ١٩٧٦.

تحقيقاً لهذا الهدف، أُضيف إلى منهج الدروس في الكلية المذكورة، ابتداء من شباط ١٩٧٩، مادة جديدة، عنوانها: «المرأة العربية، أوضاعها وتطلعاتها»، تعطى بإشراف «معهد الدراسات». غرضها أولاً بث المعلومات الموثوق بها حول أوضاع المرأة في الأقطار العربية. ثانياً السعي لاتخاذ هذه المعلومات قاعدة لتكوين الوسائل الانمائية الصالحة لترقية مستوى العيش بين السكان رجالاً ونساء.

إن هذه المادة التي يستأنف تقديمها في الفصل الثاني من السنة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠، تلزم طالباتها وضع رسائل أو أبحاث تعتمد طريقة التوثيق والاحصاء واقتباس المصادر الموثوق بها لمعالجة إحدى نواحي الموضوع العام وهو: «تفاعل العوامل الاجتماعية والاقتصادية في هذه الأقطار واستكشاف طبيعة وأسباب التغيرات الملحوظة في سلوك المجتمع وموقفه من وظيفة المرأة وحقوقها».

فيما يأتي ندرج أهم الموضوعات التي سوف يتناولها البحث:

التحدي الكبير الذي يواجه المجتمع العربي اليوم.

مؤشرات التغير الاجتماعي.

الاتجاهات الحاضرة في التربية النسائية.

النساء في المجتمعات النامية والمصنّعة.

الإصلاحات القانونية في الأحوال الشخصية.

الجنس والنسل ووضع المرأة.

المرأة والصحة.

التحديث، التحضير وتأثيرهما في وضع المرأة.

هذا فيما يتعلق بدور الجامعة في توعية المرأة. أما دور الجامعيات أو خرّيجات الجامعات، وما يؤدّينه في هذا المجال على صعيد المهنة والوظيفة والعمل التطوعي، فموضوع شديد الاتساع يحتاج إلى دراسة مفصلة تجمع شتاته من مختلف المصادر المبعثرة التي تبحث منجزات الرعيل الأول والرعيل الثاني من هذه الطبقة في مختلف الأقطار العربية.

معهد الدراسات النسائية في العالم العربي ـ ١٩٧٩

صورة المرأة في الكتب المدرسية في لبنان[1]

لإلهام كلاب بساط

إن الكتاب المدرسي الذي يعيش في ظل نظام تربوي جامد، يصبح أداة تجميد لعقلية الولد، وثبات النموذج التربوي حيال التحرك الاجتماعي يؤدي إلى ازدواجية مشتّتة لعقل التلميذ بين ما يقرأ وما يعيش.

في مجال تأليف الكتب المدرسية للأطفال، يجب اعتماد رؤية الطفل لعالمه قبل رؤيتنا نحن.

في مجتمعنا الذي لا يزال يحتاج إلى تنظيم مدرسي شامل وصحيح وسليم، وإلى سبك جديد وتطور للمناهج التربوية، وإلى تدريب متواصل ومتجددة للأساتذة والمربين، يصبح الكتاب المدرسي من أهم الوسائل الثابتة للتربية، وبالتالي من أخطرها، خاصة في المرحلة الابتدائية حيث ينطبع في فكر الطفل وذهنه ونفسيته وانفعالاته كل العالم الخيالي الملون بأشخاصه وتصرفاته وردود أفعاله وقيمه.

ويكتسب الكتاب قيمة مطلقة في حال عجز المدرسة أو الأستاذ عن ابتداع تربية متحركة متطورة، فيصبح هذا الكتاب أداة تجميد وتعطيل للتلميذ

---

(١) دراسة للدكتورة الهام كلاب بساط قامت بها لمعهد الدراسات النسائية في العالم العربي ـ كلية بيروت الجامعية، ١٩٧٨، نشرت ١٩٨٣.

الصغير. وبدل أن يسهم في تطوير عقله وانفعالاته يقوده إلى تكوين بلادة ذهنية مثالية.

ومن خلال نظرة نقدية سريعة إلى هذه الكتب، نستنتج أن صورة الوطن والعمل والأخلاق والقيم والتراث والمرأة والرجل، تحتاج إلى دراسات وافية لتظهر، من جهة، «قاموس الألفاظ» المستعمل تكرارياً لإنشائها، ومن جهة ثانية الايديولوجية المباشرة والجامدة التي تحتويها هذه الألفاظ، والتي تحكم عقل الولد الطري والمتقبل لأي تأثير.

ولكني توقفت عند صورة المرأة ومفاهيم الأنوثة والرجولة في هذه الكتب، متمنية أن يقوم غيري بدراسات مشابهة، لأن هذه الصورة لا تنفصل عن غيرها.

فكل المفاهيم مترابطة من حيث العلاقة.. وحلقة وراء حلقة، تتفكك السلسلة الصدئة.

ولذا هدف هذا البحث إلى إجراء «مسح شامل» لكل ما يرد في هذه الكتب عن الأنموذج الأنثوي المفروض تربوياً على عقول التلاميذ في المرحلتين الابتدائية والتكميلية، لفظاً ومعنى، في تعرف موضوعي يظهر تناقض هذا النموذج مع الصورة الواقعية الحالية ويظهر جمود وتكرارية هذا النموذج إذا توافق معها.

وتلتقي كل النصوص غالباً في نهاية الأمر عند هاتين الفكرتين المعاكستين لأي تطور إنساني ولأي تطور نسائي:

أ ـ إن محتوي التعليم ومجمل ألفاظه، ومنطقه الداخلي يرتكز دوماً ويتدرُّج ساذج على متضادين: المدينة والقرية، العمل اليدوي والعمل الفكري، الكبير والصغير، الشحاذ والملك، الرجل والمرأة، في لا مساواة واضحة وطبقية محقّرة.

ب ـ إن ثبات النموذج التربوي المؤسسي حيال التحرك الاجتماعي، وحصول تناقض كبير بينهما، يؤدي إلى ازدواجية مشتّتة لعقل التلميذ بين ما يقرأ وبين ما يعيش، بين أجوبة الكتاب وأجوبة الحياة.

وهذا ما يجعل من الكتاب ورقاً مدرسياً أصفر بعيداً عن نبض الحياة، حتى وإن رفضه وعي التلميذ، فهو مؤثر في لا وعيه.

أتوقف عند هاتين الفكرتين لأظهر الحاجة إلى تصحيح الرؤية التربوية دون الوقوع في الدوغماتية، وإلى ضرورة تأليف الكتب المدرسية الجديدة بعقل منفتح غير محصور في نطاق فرديته أو في نطاق التقليد المريح، يغامر دون خوف، بالتفكير الجديد المتطور.

وهذا النموذج الجديد يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي، مع تبدلها، يحصل تبدله.

مراجع ومصادر البحث

ليس في لبنان كتاب مدرسي موحد، والمحاولة التي بدأها المركز التربوي للبحوث والإنماء في ١٩٧٣ حتى ١٩٧٧ لم تؤد بعد إلى نشر وفرض كتابه، تحت شعار الكتاب المدرسي الوطني، في كل المدارس.

فللمادة الواحدة عدة مؤلفات، ولكل مدرسة لائحة خاصة، والانتقال من مدرسة إلى أخرى، انتقال من كتاب إلى آخر مختلف تماماً.

ولكن توزع الكتب على مؤلفين عديدين وعلى دُور نشر عديدة يحصره توحيد المناهج، وضرورة الالتزام بها. ولذا فقد استخدمت كعينة اختبارية حوالى ٥٢ كتاباً مدرسياً، مقررة رسمياً حسب المنهج اللبناني ومعتمَدة في غالبية المدارس اللبنانية. توزعت هذه الكتب حسب المواضيع الآتية:

كتب قراءة عربية
كتب محادثة
كتب قواعد
كتب تربية مدنية
دفاتر العطلة الصيفية
دفاتر تمارين
دليل المعلم

دُور النشر لبنانية، ويمتد تاريخ طبع هذه الكتب خاصة من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٧. مؤلفو الكتب ينتمون أفراداً أو جماعات إلى طوائف مختلفة بينما يخضع محتوى الكتب لعقلية وأخلاقية واحدة، لا تتخطى المعاني التقليدية والموقف التقليدي وتزين هذه الكتب صور، قليلها موفق وكثيرها مظهر خارجي لا يعد وسيلة مكملة لمادة تربوية وتعليمية صحيحة.

قسمتُ هذه الدراسة إلى جزأين، كي أخصص الجزء الثاني بأكمله لعرض وتحليل وتقييم الصور والرسوم، متبعة تقسيم الجزء الأول. ويبقى الرافد الثاني لهذه الدراسة، أي المراجع المشابهة أو المساندة وتتلخص في الأبحاث، وهي غير موجودة بالعربية، ولكنها توجد الآن بكثرة في أوروبا وفي فرنسا خاصة حيث صدرت دراسات عديدة عن أدب الأطفال وصورة المرأة.

وبمراجعة دراسات مماثلة عن صورة المرأة في الكتب المدرسية في فرنسا وايطاليا وأميركا، اتضح لنا بمقارنة نتائجها، انها قريبة من نتائجنا.

أما منهجياً فقد كان بإمكاني معالجة هذا الموضوع من خلال اختيار نصوص نموذجية معبرة من كل الكتب التي اعتمدتها، وتحليل هذه النماذج وبسط نتائجها على مجمل الكتاب.

ولكني فضلت اعتماد كل النصوص والألفاظ والتعابير اللغوية كمياً ونوعياً، للوصول إلى نتائج أصحّ وأشمل.

وأخضعت محتوى هذه الكتب الخمسين المذكورة آنفاً لمراحل عمل ثلاث:

١ ـ عمل تسجيلي، لكل ما يرد بصدد المرأة والأنوثة، في التعابير وفي الصور والرسوم.

٢ ـ عمل تبويبي: ثم بوبت البطاقات والأمثلة من خلال هويتها (أم، جدة) ومن خلال دورها (خادمة، ست بيت، عاملة).

وبسبب تقاطع هذه المواضيع وتكررها، فقد بوبتها في الدراسة حسب الوجوه النسائية المتعددة على مدى الأجيال والأدوار، والتي قادتني في خلاصة

أخيرة إلى التطرق إلى الوضع النسائي من خلال محاور وجودها المذكورة آنفاً.

عمل تبويبي من خلال هويتها وصفاتها وأدوارها يقودنا إلى التعرّف على الوجه النسائي وبالتالي على الوضع النسائي. فالوجه النسائي هنا ينتمي إلى دائرتين:

دائرة الواقع
ودائرة الحلم

في دائرة الواقع نجد المرأة في محورين:
محور داخل البيت أو القريب
محور خارج البيت أو الغريب

في محور داخل البيت نلتقي إجمالاً ثلاثة نماذج متتالية:
الجدة (كائن الماضي والحنان المفتقد)
الأم (كائن الخدمة المستمرة والمتنوعة)
البنت الصغيرة (مستقبلها هو حاضر الأم كما أن مستقبل الصبي هو حاضر الأب)
وأحياناً ذكر بسيط للأخت الكبيرة أو للخالة أو للزوجة التي تخفيها وتستهلكها صورة الأم.

هذه النماذج الثلاثة تكرر ذات الحركة الوظائفية، وتؤدي ذات الأدوار على مدى أجيال ثلاثة دون أخذ علم بتطور العصور. فالجدة ذات التجربة الكبيرة في مجال عمل البيت سلمت الشغل إلى الأم التي تقوم بعملية تمرين وتحضير لابنتها كي تقوم بذات الدور من خلال وظائف الترتيب والترميم والتغذية والتربية.

وتعتبر الكتب هذه الوظائف مواهب طبيعية لا تحتاج إلى جهد كبير، بينما هي تدخل في نطاق تشغيل القاصرين (البنت) واستغلال جهد البالغين (الأم) واستهلاك الكهول (الجدة) لما تورده الكتب من مهام وخدمات يعجز عنها فريق كامل.

في محـور خارج البيت نلتقي عـدة أجيال متـداخلة مقسمة حسب طبقـاتهـا الاجتماعية وتتوزع إلى:

إمرأة عاملة

وامرأة متنزهة

فـالمرأة العـاملة هي المـمرضـة والمدرّسـة وقاطفـة الزيتـون والخبازة والأرملة الفقيرة.

وهي تؤدي الأعمال اليدوية خاصة لأن الأعمال الفكـرية مختصـة بالـرجال، ولا تعمل إلا بسبب الحاجة وقصر ذات اليد وأغلب المهن التي تتعاطاهـا متعلقة بمهاراتها في داخل البيت، ولكنها إذ تؤدّى للغريب وتخضع للقـانون الاقتصـادي الخارجي تصبح ذات أجـر، فتنخفض قيمة تقـديرهـا وتصبح مـدعاة شفقـة أو حاجة.

والمرأة المتنزهة هي المتأنقـة، المسافـرة إلى البحر أو إلى الجبـل، الجالسـة في الحديقة العامة، ووجودها قليـل في الكتب. والمرأة لا تتنزّه إلّا برفقـة أولادها، فإذا تنزهت لوحدها في المدينة، أثارت الشكوك.

أمـا في دائرة الحلم فنجـدها في صـورة أنثى خارج الـزمن والعمر والحـاجة مثل:

الجنية، الساحرة، الملكة والأميرة، لاعبة السيرك.

ولكن لـلأسف يتضـاءل وجـود النسـاء ـ الحلم في هـذه الكتب، وتختفي المخيلة، التي تغذي الولد، ليحل محلها واقع فقير مسطّح.

أما في الإطار العلائقي، فنركز على موقعها في التجمعات العائلية، وخاصة في أعياد العائلة حيث تكون مسؤولة عن التغـذية، وفي السهـرات حيث تشتغل دوماً بالتطريز بينما يقرأ الأب الجريدة. ونتطرق في النهاية إلى مقارنـة في الصفات والأدوار بين أنثى الانسان وأنثى الحيوان في الكتب المدرسية حيث يظهر التشابـه بين الفضائل والنقائص الانسانية والحيوانية من خلال موقف أنثوي أو ذكَري.

الوضع النسائي:

إن محاور الوجود النسائي متعددة نجدها في كل وجـه من الوجـوه المذكـورة

آنفاً، ولكن تجميعها على أساس العلاقة التي تـربطهـا بمحيطهـا يقودنـا إلى إلقاء الأضواء على النقاط التالية:

المحور العلائقي: العائلة ـ الزواج ـ التربية
المحور الاقتصادي: العمل ـ الوظيفة
المحور الثقافي: الفكر والعلم
المحور الاجتماعي: الأنوثة
المحور الفلسفي: النموذج
المحور التقابلي: أنثى الحيوان

ولقد اعتمدت التقسيم نفسه لمعالجة الصور والرسوم المقتطعة والتي تشكـل الجزء الثاني من الدراسة والمعبّر البصري عنها.

٣ ـ عمـل تحليلي: إن كـل الأفكار والتصنيفـات الـواردة في هـذا التصميم الأولي خضعت لنوعين من التحليل. الأول هو تحليل الألفاظ والتراكيب اللغوية المستخدمة في وصف المرأة أو الأنثى أو في تسميتها أو في الكلام معها وعنها.

ولذا فقد بذلت جهدي لكي أذكر كل الأمثال بألفاظها كما وردت مع تحديد المصدر، لأن الدلالات اللفظية جد مهمة في الموضوع لإظهار ما هو مقصود وما هو ضمني، ولاستخدامها كشارات مضيئة تقودنا إلى نقطة الضعف الأساسية.

ويكفيني أن تعتمد هذه الدراسة كقاموس أساسي لكل المفـردات والتراكيب اللغوية المستخدمة في تكوين الشخصية النسائية في الكتب المدرسية وفي تـرسيخ مضامينها، كي اعتبرها دراسة متحركة، كنافذة مفتوحة، تستطيـع أن تكون أداة عمل جديدة وجدية بين أيدي آخرين.

الثاني هو تحليل الأفكار حسب المحاور المذكورة آنفاً مـع التعبير من خـلال منطقها الداخلي عن مـدى قربهـا أو ابتعادهـا عن الواقـع، عن مدى تكـراريتها وجمودها، عن تمثلها لعقلية خاصة تحدد صفاتها وطريقـة مواجهتهـا للعالم، وعن جذورها المتعددة تاريخياً أو اجتماعياً واقتصادياً.

وخضعت الصور أيضاً لذات الطريقة في التحليل مع إمكانية إلقاء أضواء،

لا توجد في النص، وتؤمنها مباشرة الصورة الملونة.

وكنت أود أن أضيف إلى هذه الدراسة تجربة حقلية جديدة، حالت ظروف الحرب دون تحقيقها، وهي التقاط هذه الصورة من خلال حياة التلميذ العفوية اليومية، ومن خلال اصطدامه بالنص المفروض في الكتاب، وتعبيره عنها كتابة ورسماً في محاولة لاستخراج صورة جديدة نابضة وصادقة ومعبرة عن عالم الأطفال الغني.

فعسى أن تعتمد رؤية الطفل قبل رؤيتنا نحن لعالمه في الكتب التي ستؤلف حديثاً ولذا أترك هذه الدراسة نافذة مفتوحة وسهلاً مبسوطاً، لكل من أراد أن يجعل من الكتاب القديم نقطة انطلاق لتساؤل نقدي يقوده إلى فهم تشابك وتنوع الحقيقة الانسانية، ولكل من أراد أن يخدم أطفال بلادي، بكتاب مبدع، حساس، حقيقي.

الهام كلّاب بساط

الرائدة. العدد ٤، أيار (مايو)، ١٩٧٨، ص ٦ و٧.

صورة المرأة في الصحافة اللبنانية:[1]
بين ١٩٣٥ و١٩٧٥

لريشار علوش

دراسة تعتمد أصول الطريقة العلمية الحديثة مطبقة على البحوث الاجتماعية. من ميزاتها استعمال «العينات» أي مجموعات من النماذج التي تؤلف موضوع الدرس، تبويبها وتصنيفها في جداول وبيانات إحصائية تشير إلى قيمتها العددية، أنواع محتوياتها، المؤشرات الحاصلة من درس الجداول، النسب المئوية للمؤشرات، أخيراً عرض النتائج العامة والخاصة، التي استخلصها الباحث، وفائدة هذه الطريقة أنها أكثر التزاماً للتحقيق والبرهان، وأقرب من سواها إلى الدقة والموضوعية، لأنها تعتمد التحديد أو تعريف المصطلحات، تجتنب الانفعال، المبالغة، الكلام الجارف والتعميمات التي لا تستند إلى براهين كافية وتجارب واقعية، تميز بين النظريات والحقائق وتخضع النتائج للقياس والتقويم الحسابي.

قام بالدراسة ريشار علوش، الاستاذ المساعد في «جامعة ليون II»، بتكليف من معهد الدراسات النسائية في العالم العربي، الغرض منها تقديم «مركز المرأة وصورتها خلال مدة محدودة، في صحف ومجلات لبنانية معينة».

---

(١) دراسة للدكتور ريشار علوش قام بها لمعهد الدراسات النسائية في العالم العربي ـ كلية بيروت الجامعية، ١٩٨٠.

ويعرف الباحث المركز أو المكان بكونه «المساحة التي يشغلها الموضوع في الصحيفة التي يتناولها الدرس» والصورة بأنها «مجموعة الوظائف التي يسندها المجتمع إلى المرأة، نظرياً أو علمياً، والتي تضطلع بإبرازها الصحافة أو غيرها من وسائل الاعلام».

قبل الخوض في صلب البحث ونتائجه، يجب الإشارة إلى المبادىء التي يلتزمها الباحث. أولها: إن مهمته تحديد دور الصحافة في ربط المرأة بوظائف معينة وقوالب جاهزة أو تحريرها من تلك الوظائف والقوالب. ثانياً: تحديد مقدار اعتماد الصحافة على البورجوازيات في تكوين الدور والقاعدة. وعلى هذا الأساس، يقول الباحث إن المرأة العادية، بنت الشعب، لا تجد مكاناً في هذا المجال. ثالثاً: في عرض دور المرأة في السياسة، يرى ضرورة التمييز بين صاحبة النضال الذاتي وتلك التي ينحصر عملها في مساندة زوجها والتصفيق له، وضعها كوضع الدمية التي يحركونها بخيط. رابعاً: كذلك يجب التمييز بين الدعوة المستقلة لتحرير المرأة والانجراف وراء التيار الغربي ـ أو ما نسميه بالتمغرب ـ أو وراء الايديولوجيات المستوردة من الخارج.

مكانة المرأة في الصحف اليومية بين ١٩٣٥ و١٩٧٥: من الصحف اليومية، يختار الباحث ست صحف ذات اتجاهات منوعة: العمل، النداء، بيروت، صوت العروبة، لسان الحال، الأوريان. ويلاحظ أن بعض هذه الصحف توقف عن الصدور منذ حين.

يقوم بعملية حساب للمساحة التي تشغلها المرأة في هذه الصحف ويتضح فيه ما يأتي: ١ ـ وجود علاقة إيجابية بين الحجم الإجمالي للعينة وحجم المادة المخصصة للمرأة بحيث أن تأرجح كمية الأولى يقابله تأرجح في كمية الثانية وبالتالي تأرجح في المؤشرات. ٢ ـ اتساع رقعة المادة المخصصة للمرأة اللبنانية واطراد عملية «لبننة» القسم النسائي، ابتداء من ١٩٤٥ أي منذ عهد الاستقلال في حين أن معظم الصفحة النسائية قبل هذا التاريخ كانت تدور حول المرأة الغربية أو الأجنبية إجمالاً. ٣ ـ وجود علاقة إيجابية بين موضوعات داعية إلى تحرير المرأة، سياسياً واجتماعياً، وموضوعات مناقضة لها مثل أخبار

جرائم الشرف ونقل الأقاويل والخرافات النسائية، بمعنى أن ازدياد حجم الأولى يستتبع ازدياداً في حجم الثانية.

قد تبدو هذه الظاهرة المتناقضة موضوع استغراب في نظر القارىء لكن استغرابه يزول إذا عرف أن موضوع المرأة يؤلف في نظر الصحيفة وسيلة تسلية وترفيه للقارىء، سواء أكان محتواه إيجابياً أم سلبياً، أي سواء كان تقدمياً يستهدف تحريرها، أم رجعياً يبرز سيطرة التقاليد، وحصر عمل المرأة في المنزل. ويلاحظ هنا تأثير الظروف وتلاعبها بحجم صفحة المرأة. فاتساع رقعتها في الصحيفة دليل انفراج ورخاء، أما في الظروف الصعبة فتضيق مساحة الموضوعات النسائية لتقدم عليها موضوعات الساعة والقضايا التي تستأثر باهتمام المجتمع.

تشغل المساحة الخاصة بالمرأة في الصحف اليومية التي سبق ذكرها ٨٨,١٪ من مجموع مواد الصحيفة، ٧٧,١٪ من هذا المجموع يؤلف إعلانات نسائية وبهذا تقتصر المساحة الخاصة بالمرأة وأخبارها على ٦٥,٣٪ من مجموع المساحة المطبوعة فيكون نحو نصف هذا المجموع مخصصاً للإعلانات التجارية الموجهة إلى المرأة المستهلكة أو التي تستخدم المرأة وسيلة إعلان ولفت نظر.

في المدة الواقعة بين ١٩٤٥ و١٩٦٥ ازداد عدد الصحف اللبنانية إجمالاً، بتأثير الرخاء الوقتي الذي تمتع به لبنان خلال هذه المدة وشملت الزيادة جميع الأبواب بما فيها صحيفة المرأة التي تضاعف حجمها بمقدار ١٢ ضعفاً عما كان سنة ١٩٣٥.

أظهرت الدراسة أن مقدار المساحة التي تشغلها المرأة خاضع لتبدل الظروف بين شدة وانفراج، أو لمؤشرات حزبية سياسية. ولا يعكس بالضرورة تبدلاً أساسياً في موقف المجتمع.

في الصحف المعتدلة أو المحايدة سياسياً، تنعكس صورة المرأة في التركيز على أخبار المجتمع، في صحف اليمين البورجوازية، نظرة رومنطيقية تحصر وظيفة المرأة في الحب والأمومة وعملها في الأعمال الانسانية التطوعية. ونلاحظ

محدودية دورها في الصحف المحافظة، وبالعكس، في صحف اليسار، تركيز على دورها في حقل السياسة والنضال الاجتماعي.

صورة المرأة في الصحف الأسبوعية: يخص الباحث دراسته بثلاث مجلات اسبوعية. «الصياد»، «الأسبوع العربي»، «ريفو دوليبان»، مقتصراً على الأعداد التي صدرت سنة ١٩٦٥ وسنة ١٩٧٥ على سبيل المقارنة.

الصياد: مجلة اسبوعية تعطي المرأة مساحة تقارب ربع مجموع المادة المطبوعة لكن الرسوم تشغل ٧٠٪ من هذه المساحة بينما الموضوعات الأخرى تخص الرسوم بربع المساحة المخصصة للنصوص الكتابية. فكأن عرض المرأة في نظر الصحيفة أهم من الحديث عنها أو إعطائها فرصة للكلام.

في أعداد ١٩٦٥ من **الصياد** شغلت المرأة ٧٦,٣٣٪ من مجموع مساحة رسوم الإعلان. المساحة الخاصة بها ٢١,٦٩٪ من مساحة المطبوع لكن الرسوم في هذه المساحة تجاوز أربعة أضعاف المساحة الاجمالية الخاصة بالمرأة. ومضمون الصفحات النسائية في **الصياد** في باب عنوانه «الجعبة» يستعرض نشاطات المرأة في العمل الاجتماعي، الكتابة، التحصيل الجامعي، الفن، خصوصاً في الغناء (أم كلثوم، فيروز)، المرأة والسياسة في الغرب، أخبار المجتمع: حفلات الاستقبال، التبرج والتجميل، الأزياء، طرائف نسائية. وفي باب «هو وهي» (١٩٦٥) سلسلة محاورات حول الحب، الغيرة الزوجية، مؤهلات الزواج، الوفاء والشرف.

موقف المجلة إجمالاً محافظ فيما يتعلق بالمرأة، يرى أن الحياة العصرية فتحت أمام المرأة مجالات تنويع في أحوال معيشتها لكن هذه المجالات محصورة في طبقة معينة والمرأة في كل حال مرهونة بطبيعتها النسائية، عاجزة عن المجازفة. وفي القصص والمقالات دعوة ضمنية إلى حجز المرأة في البيت، في مملكتها، وإلّا أضاعت فرصة الزواج أو أضاعت نفسها. وفي محاورة «هو وهي» تبرز فكرة التمييز بين الجنسين. الرجل مشرِّع، مستهلك نساء، يعتمد على الذكاء بينما المرأة تستهدي بالحدس. تتزوج بدافع المصلحة بينما الرجل يختار التي يحبها لأنه أكثر حرية.

سنة ١٩٧٤ زاد عدد صفحات المجلة وبالتالي حجم الإعلان والرسوم ومنها رسوم النساء. وفي أعداد هذه السنة لا نلاحظ تطوراً بارزاً في الأبواب التي تعالج موضوع المرأة، سوى أن بعض المقالات أكثر تعبيراً عن نشاط المرأة في أعمال خارج البيت. نضال الجزائريات في الثورة، اشتراك السودانيات في الانتخابات، معرض رسوم الملكة السابقة فريدة.

موقف المجلة من السنة العالمية للمرأة (١٩٧٥) موقف شك واستخفاف، يبرز محدودية عمل المرأة وإمكاناتها. في بعض الأعداد نقد للقانون الذي يمنح المرأة التونسية حقوقاً تجاوز مستواها الفكري. ودعوة رومنطيقية إلى بعث الأنوثة الخالدة. وفي مقالة أخرى دفاع إنساني عن الأمهات غير المتزوجات اللواتي يظلمهن القانون والمجتمع. «الجميلات ماذا فعلن في الحريق» موضوع مقالة عن عمل النساء في الحرب اللبنانية.

إحدى الصور تمثل عضوات المجلس النسائي ينزلن إلى الساحة، ينزعن البنادق من أيدي المقاتلين. في مقالة أخرى، نرى المرأة أثناء الحرب خائفة، جزعة على أسرتها، تلجأ إلى الصلاة، تسعى لتهدئة الأوضاع ولكن من غير جدوى.

الأسبوع العربي ١٩٦٥: مجلة أسبوعية عربية تحاول اتباع المجلات الغربية الكبرى في المضمون والإخراج، صفحة المرأة فيها تبلغ ٣٦,٩٩٪ من مجموع المطبوع، وتتوزع توزعاً غير منتظم بين النصوص والرسوم. صورة الغلاف تحتلها المرأة في أكثر من ثمانية أعشار الأعداد الصادرة في ١٩٦٥.

أبرز المقالات اللبنانية فيها مقالات غادة السمّان التي تتميز بالنقد الاجتماعي العنيف، تتناول أحداثاً واقعية بالوصف والتعليق وتقيسها بمقاييس الانسانية والتقدمية. من هذه المقالات واحدة تتضمن تعليقاً عنيفاً على صورة الحاكم الافريقي موبوتو جالساً على كرسيه بينما تقوم إمرأتان بمسح حذائه. وأخرى تهاجم فيدال كاسترو الذي يطلب مقايضة عشرين إمرأة سجينة في بلاده بسجين واحد ذكر في الولايات المتحدة. ومقالة ثالثة تحتج فيها على عالم ديني يؤيد فكرة

ضرب المرأة عند الضرورة. ورابعة تهاجم تقاليد الأفراح والنفقات الجنونية في الأعراس بينما الناس في حداد الكوارث السياسية.

في المجموعة مقالات لكتاب آخرين، إحداها تعالج موضوع الزواج المدني وأخرى تصف متاعب المرأة الفنانة التي تشق طريقها والتي تصطدم بالواجبات الزوجية.

الإعلانات المعتمدة على المرأة في **الأسبوع العربي** تشغل ٥٩٪ من مجموع النصوص الإعلانية والصور الإعلامية التي تشغلها المرأة تبلغ ٨٤,٩٤٪ من المساحة الخاصة بالإعلام، والنصوص الإعلانية الخاصة بالمرأة المستهلكة ٤٢,٦١٪ والنصوص الإعلانية الخاصة بالمرأة أداة إغراء ٥٧,٣٩٪.

عدا المقالات الجريئة التي تعقدها غادة السمان في «كلمات بيضاء»: أي صورة أخرى للمرأة نجدها في **الأسبوع العربي** ١٩٦٥؟ تزيين الغلاف بصورتها في ثمانية أعشار الأعداد، السعي لتثبيتها في وظائف نسائية أو مناسبة للمرأة وفي الأعمال الاجتماعية التطوعية، محاولة إبعادها عن النشاط السياسي، إظهار المصاعب التي تعترض الفنانة خصوصاً إذا كانت ربة بيت. مع هذا تمثل صفحات المرأة في **الأسبوع العربي** ١٩٦٥ خطوة تقدمية بالنسبة لمجلة «الصياد» فهي غير مطرودة طرداً كاملاً من مملكة الرجل ولا خاضعة خضوعاً تاماً لحكمه ما دامت قادرة على التفاني والعطف الأمومي. مقالات غادة السمان التي تشغل ٤٠٪ من النصوص الخاصة بالمرأة، تنفرد بكونها تتكلم بلسان المرأة ولا تترك هذه الوظيفة للرجل وحده.

الأسبوع العربي ١٩٧٥: في هذه المرحلة يزداد حجم المجلة.. يحدث هبوط ضئيل في حجم الاعلان وزيادة ضئيلة في الصور، هبوط يسير في حجم المساحة المكرسة للمرأة مع ازدياد بسيط في مساحة الرسوم الخاصة بها. والمقالات النسائية لم تعد مقصورة على النساء بل يحررها أيضاً الرجال وتبرز أهميتها بمناسبة السنة الدولية للمرأة. وصورة الغلاف التي كادت تحتكرها المرأة سنة ١٩٦٥ تنفتح لموضوعات أخرى عديدة سنة ١٩٧٥. تنكمش أبواب نسائية تعالج إنتاج المرأة في الفن والأدب وترتفع نسبة أخبار المجتمع: حفلات،

استقبالات، ريبورتاجات، ومثلها الأزياء ووسائل التجميل. ومقالات غادة السمان تتجه أكثرها اتجاهاً سوريالياً يجعل فهمها محتاجاً إلى التأويل والتفسير.

هناك مقالات تتناول موضوع السنة العالمية للمرأة والمؤتمرات التي لا تنتج سوى «كلمات كلمات» عن دور المرأة وضرورة تحريرها ومساواتها بالرجل. وفي مقالة طويلة لعفيف فراج عنوانها: «الفكر العربي والصراع لتحرير المرأة» يقدم الكاتب بحثاً مطولاً بمناسبة السنة العالمية للمرأة، يعالج فيه حواراً جدلياً بين أنصار الغزالي والأشاعرة الايمانيين وأنصار ابن رشد العقلانيين، في دائرة الفلسفة وعلم الكلام. قيمة هذه الدراسة في رأي ريشار علوش التأكيد على أن «وضع المرأة في المجتمع يتصل اتصالاً قوياً بمفهومه الفلسفي الشامل وبالمستوى الفكري الذي يميّز العصر». في نظر الغزالي وسواه من أهل التيار الايماني أن المرأة كائن ناقص بطبيعته. مركزها البيت. فضيلتها السكوت أو الاقتصاد في الكلام. لا تخرج من المنزل إلاّ بإرادة زوجها. ومن أنصار هذا التيار المعارض لحرية المرأة عباس محمود العقاد وعلي الوافي رئيس دائرة الفلسفة والعلوم الاجتماعية في جامعة القاهرة. والتيار الآخر العقلاني، هو الذي تزعمه ابن رشد وبعده نيتشه، كارل ماركس، برتراند رسل، دارون، برنارد شو، ستندال، سلامه موسى، طه حسين وسائر دعاة تحرير المرأة.

يتوسع عفيف فراج في بحث مواقف الفريق العقلاني وخصومه. منوها بتقدميّة الأول، مستنكراً رجعية الثاني وجموده. ومع أن ريشار علوش يمتدح منهج صاحب الدراسة في إظهاره الصلة الوثيقة بين تحرير المرأة وتحرير المجتمع بأسره، وإنكاره للفكرة التي تربط استعباد المرأة بقدر طبيعي لا مرد لحكمه، نراه يذكر الخطأ الذي وقع فيه الباحث حين عد نيتشه بين أنصار المرأة، ويشير إلى محدودية القوة الإقناعية في براهينه التي تعتمد مراجع واقتباسات بعيدة عن ذهن القارىء العادي، ضعيفة التأثير في عصرنا الذي يميل إلى الأخذ بآراء أحدث مصدراً وأقرب إلى الواقع الذي نعيشه في الوقت الحاضر. ويضيف ريشار علوش ان من واجبنا الالتفات إلى ما تقوله المرأة في المرأة. مثلاً آني لوكليرك الكاتبة المعاصرة، التي تقول في مؤلف لها «إن الحضارة الغربية بمجموعها هي نتاج الرجل الذي فرض على المرأة ما لم يفرضه على ذاته، وجعل

أسس هـذه الحضارة نسخـة للمطامـح والقيم التي ابتـدعهـا فمن الضروري أن نعيد النظر في تلك الأسس ونفتح أمام المرأة مجال التعبير وإثبات الذات».

في أحد أعداد ١٩٧٥ مقالة عن السينما العربية لوليـد شميط يقول فيهـا إنه منذ اختراع السينما احتكر الأفلام موضوع الحب وجعل المرأة أداة متعة للرجـل. أمـا مشكلاتهـا الخاصـة فمهملة أو منسية كـذلك مـوضوع جـرائم الشرف يحتل شطراً كبيراً من اهتـمام الاقلام ويجعـل هم المرأة في الحيـاة الاحتفاظ بشرفهـا مما يدل على موقف تحجر واستعباد.

النصوص الإعلانيـة النسائيـة تشغل ٥٧٪ من مجمـوع نصوص الإعـلان. الرسوم الإعلانية النسائية: ٨٥٪ من المجموع. نسبة المـرأة المستهلِكة من المـادة الإعـلانية النسـائية: ٤٤,٢٥٪. نسبـة المـرأة وسيلة إغـراء: ٥٥,٧٥٪. هـذا التضخم في مادة الإعلان النسائي يدفع غادة السمان إلى وضع مقالة تهاجم فيها استخدام المرأة أداة إعلان.

لاريفو دولييان الفرنسية: سنة ١٩٦٥ كان عدد صفحات هذه المجلة ١٠٨ إلى ١٢٤، المساحة الكاملة ١٢٣ سم[٢]. مساحـة الرسـوم تكاد تعـادل مساحـة النصوص. النصوص الخـاصة بـالمرأة تعـادل ١٧,٤٥٪ من مجموع النصـوص، الصور الخاصة بالمرأة تعادل ٨٢,٥٥٪ من مجموع الصور. في ثمانية موضوعـات على تسعة تجاوز مساحة الصور مساحة النص.

في باب المرأة، تقرأ أحياناً مقالات تخالف سواهـا في كون حجم النصـوص فيها أكبر من حجم الرسوم. من هذا الصنف مقالة لويس ارمـان من الأكاديميـة الفـرنسية، التي عنـوانها «دور المرأة المستقبـلي» والتي يعتبرهـا صاحب الـدراسـة نموذجية لأنها تبحث موضوع المرأة بحثاً شاملاً غير مرتبط بنـماذج وأفراد. يعتقـد لويس ارمان أن المرأة مهيأة للقيام بدور كبير في المستقبل على الصعيد الاجتماعي والعاطفي والفيزيولوجي. على الصعيد الأول، يجب تـطوير الأنـظمة التي انفـرد الـرجل بـوضعها لكي تشـترك المرأة في إنشـائها وتضـع عليها بصـماتهـا، وعـلى الصعيد الثاني تستطيع المرأة بما لها من طاقة عاطفية انسانية موروثـة من ماضيهـا أن تسعى لتعديل وتقويم الصورة التقنوقراطية الجامدة التي فرضهـا الرجـل على

الحياة المعاصرة. وعلى الصعيد الثالث يرى أرمان أن البحوث الالكتروكيميائية الخاصة بالدماغ أظهرت التفاعل والاعتماد المتبادل بين الفيزيولوجي والنفسي. «ومن دواعي السرور أن الفيزيولوجيا النسائية تسمح بتكوين ظواهر نفسية مكملة للرجل. فبينما تمتاز طبيعة الرجل بالمخاطرة والاقتحام، تبدي المرأة اهتماماً لا واعياً (أو طبيعياً) بموضوع ولادة الأطفال وتغذيتهم. ان التربية وظيفة مهمة لا يجوز تركها للمدارس بل إن من واجب الوالدين الاضطلاع بها».

رأي الباحث في المقالة: يقول ريشار علوش إن رغبة لويس ارمان في تعديل الأنظمة لمصلحة المرأة تنقصها العوامل العاطفية والفيزيولوجية التي يقول إنها من طبيعة المرأة والتي يتذرع بها الرجل لإثبات سيادته. لأنه بذلك يربط المرأة بطبيعة خاصة لا ينجح التطوير الاجتماعي في تبديلها. ويضيف قائلاً: إن موضوع النسل والأمومة يحتل في عصرنا مكانة جزئية في حياة المرأة إذا اعتبرنا مقدار استفادتها من امتداد العمر وتحديد النسل، أما الطاقة العاطفية فليست وقفاً على المرأة. والذي نستخلصه من المقالة أن الكاتب يهدف بأسلوب مبطن إلى إثبات الفرق (العاطفي والفيزيولوجي) بين الجنسين أي إلى اختلاف طبيعتهما.

نساء فنانات: يحتل هذا الموضوع «نجوم الغناء والسينما والتمثيل في الغرب والشرق» مساحة واسعة من المجلة تعادل ثمانية أضعاف المساحة المخصصة للأدبيات. كذلك رسومهن تحتل ما يعادل ٢٨ ضعف المساحة التي تشغلها رسوم الفئة الثانية. لكن المادة التي يحتويها موضوع «نساء فنانات» لا تجاوز نطاق الأخبار المثيرة التي قلما تلامس قضايا المرأة. كذلك باب الاعلام الخاص بالمنجزات النسائية يكاد ينحصر في أخبار الحفلات، الأوسمة، الأسفار، ترشيح نساء للنيابة ينتهي بالخيبة.

استنتاج خاص بالمجلات الأسبوعية: بين ١٩٦٥ و١٩٧٥، لا يظهر في الأبواب التي تفردها المجلات للمرأة قواسم مشتركة تبرز المقارنة بين عهدين واستخراج نتائج إجمالية من المقارنة. هناك مقالات متفرقة لا يجمع بينها جامع

ولا تمكن مقارنتها بأجوبة خاضعة لاستجواب ميداني لا تعالج موضوعاً واحداً يظهر من خلاله تطور الموقف من المرأة.

الجداول البيانية والمقالات المتعلقة بالمرأة لا تختلف نوعاً عن تلك التي نشرتها الصحف. والمساحة التي تشغلها المرأة في المجلات، وإن فاقت تلك التي تشغلها في الصحف بما يجاوز ثمانية أضعاف، لا تشير إلى تبدل في وظيفتها فهي ما تزال محدودة بأبواب معينة: أزياء، جمال وتجميل، عمل اجتماعي، اجتماعيات.

في المقالات التي نشرتها المجلات حول المرأة لاحظنا اتفاقها على التمييز بين طبيعة الجنسين ووظيفة كل منهما. نستثني «كلمات بيضاء» لغادة السمان التي تناقش بجرأة غريبة المواقف التقليدية الراسخة في مقالات أسبوعية نشرتها مجلة «الأسبوع العربي».

المرأة في الصحافة النسائية: لا شيء يميز مادة الصحافة النسائية في موضوع المرأة عن تلك التي تنشرها الصحف والمجلات الأخرى حول هذا الموضوع. ففي هذه كما في تلك يشترك في الحديث عن المرأة وبحث مشكلاتها رجال ونساء.

سنة ١٩٥٢ منحت المرأة اللبنانية حق التصويت. وعالجت هذا الموضوع مجلات نسائية معاصرة مثل صوت المرأة كما تناولته مجلة نسائية قديمة سنة ١٩١١. «حقوق النساء» موضوع مقالة ظهرت في مجلة الحسناء (القديمة) سنة ١٩١١ بقلم المطران بولس أبي عضل. خلاصتها أن الكاتب (المطران) يعارض بشدة ما تقوم به نساء الغرب من حملات للحصول على الحقوق السياسية ومشاركة الرجل في الانتخاب والوظائف... يرى أن طبيعة المرأة، التي منحها إياها الله، إنما هيأتها لإدارة المنزل ورعاية الأطفال وبذل الحنان لأعضاء أسرتها وأفراد مملكتها التي هي البيت الخ...

وفي سنة ١٩٥١، نشرت صوت المرأة مقالة لكعدي كعدي نائب لبنان الجنوبي يدعم فيها حق المرأة في التصويت ببراهين منطقية، تاريخية وعلمية تسعفه عليها ثقافته الحقوقية. وفي ذيل مقالة كعدي كعدي، في العدد نفسه من

المجلة مقالة لنائب آخر من نواب الجنوب، يؤيد فيه حق المرأة في الانتخاب «لأنها الأم والزوجة والأخت». هنا يعلق الباحث بقوله: «هذا يعني أن ليس لها ذاتية مستقلة، قائمة بنفسها، أو أنها بدون الرجل صفر».

الحقوق السياسية والمؤتمرات: بمناسبة الحملة التي جردتها النساء وبعض أنصار المرأة من الرجال، قبل ١٩٥٢، في سبيل منح النساء حقوقهن السياسية، نشرت ادفيك شيبوب رئيسة تحرير «صوت المرأة» في هذه المجلة نفسها، نص محاضرة ألقتها حول هذا الموضوع، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥١، حللت فيها الأسباب التي خلقت هوة واسعة بين المرأة والرجل في الحقوق والوظائف، فقالت إنها نتيجة عشرة قرون من سيطرة الرجل في ميدان السياسة والاجتماع. إن الرجل وزن المرأة بموازينه فوجدها دونه ثقلاً ففرض عليها الانزواء في البيت وقصر دورها على الحمل وتربية الأطفال والرضى بأن تكون له آلة لهو وترفيه. ثم تؤكد الكاتبة أن انفراد الرجل بالسياسة والادارة هو سبب تخلفنا السياسي والاجتماعي لأن المجتمع لا يمكن أن يسير برجل واحدة ولا أن يطير بجناح واحد. وتضيف أن إشراك المرأة في السياسة لن يدفعها إلى إهمال بيتها ما دامت مزودة بغريزة الأمومة ورهافة الشعور.

كذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر النسائي في بيروت سنة ١٩٥٤ كتبت روز غريب في «صوت المرأة» مقالة تستبعد فيها الأفكار التقليدية الجاهزة بشأن المرأة وتحبذ نهجاً علمياً حديثاً وخططاً مدروسة تحل محل الخطب الرنانة والمقالات الانشائية وجداول التوصيات والمطالب التي تبقى حبراً على ورق.

استنتاجات بخصوص الصحافة النسائية: لا يلاحظ الباحث فرقاً كبيراً بين منشورات الصحافة الأسبوعية والصحافة النسائية بشأن المرأة. لكنه آثر عرضها في فصل خاص لأنها تخاطب المرأة مباشرة وتتناول موضوعاً جديداً هو موضوع الحقوق السياسية التي يمارسها الأميون من الرجال وتحرم المرأة المتعلمة والجامعية ممارستها. في ما عدا هذا لا تختلف هذه الصحافة عن غيرها في الاشارة إلى الفروق الطبيعية التي تميز المرأة عن الرجل والتي تجب المحافظة عليها وإن أدت إلى التمييز بينهما في الوظائف والأعمال.

أما موضوع رفض الأفكار الجاهزة والاحتكام إلى نتائج البحث العلمي ـ كما جاء في مقالة روز غريب ـ فإن الباحث يعلن تمسكه به بدليل انصرافه إلى البحث العلمي الذي اتخذه مهنة العمر. مع هذا نراه يحذر من قبول نتائج البحث العلمي على علاتها، لأن اساتذته عودوه الشك حتى في فرضيات العلم ونظرياته لأنها دائمة التعرض للتغيير والتبديل.

يختم الباحث رسالته بما يأتي:

١ ـ الصحافة الأسبوعية وإن أعطت المرأة مكاناً أرحب مما تعطيه الصحافة اليومية، ما زالت تحصرها في أبواب مختارة وفي دائرة تبعدها عن عالم الرجل، عن السلطة، عن الأعمال الجدية، لتربطها بأعمال ونشاطات «نسائية».

٢ ـ المقالات التي تعالج موضوع المرأة والسياسة تتدرج في موقفها من العداء الصريح إلى التحفظ الذي يعتمد على خصائص المرأة أو ما يسمونه بالطبيعة الأنثوية التي تجعلها مختلفة عن طبيعة الرجل.

٣ ـ هذه «الطبيعة» تتخذ صورة نظرية تبرز في المرأة وظيفة النسل والخصائص الانفعالية والعاطفية، يؤيدون وجودها حيناً بأقوال دينية ووصايا إلهية وحيناً آخر بنظريات بيولوجية أو بأبحاث الكتروكيميائية.

٤ ـ إن دعوى «الفرق الطبيعي» بين الجنسين هي السلاح الذي يشهره دعاة التمييز بينهما في التوجيه والمعاملة. هي الحجة التي يتذرعون بها لدعم التقليد الذي يحلل للرجل تعدد الزوجات ويطالب المرأة بالوفاء الأبدي لزوجها، والارتباط بواجب الحب له، مع صرف النظر عن حقيقة شعورها.

■ ـ لا تنفرد صحف لبنان بعرض هذه القضية، لكنها قضية شاملة تثير اهتمام أوساط عديدة من العالم. والدراسة التي قام بها الباحث محدودة بالزمان والمكان: لبنان بين ١٩٦٥ و١٩٧٥، تعرض ما نسميه ايديولوجية المحافظين، أنصار التقليد الذي يريد حصر المرأة في دائرة محدودة، تقابلها تلك التي تعارض الموروث التقليدي، كما في «كلمات بيضاء» لغادة السمان.

إن قضية المرأة لا تزال مدار بحث، وهو في حاجة إلى أضواء أخرى

ودراسات أشمل وأوسع نطاقاً. كل ما بينته الدراسة عن صورة المرأة في الصحف اللبنانية في هذه الفترة تمثل دعوة مجددة إلى تعليم المرأة وتحريرها ولكن ضمن الحدود التقليدية المرسومة. أما تحديد موقف الباحث من الفرق بين طبيعتي الذكر والأنثى الذي يتخذه الباحثون وغيرهم حجة لتحديد دور المرأة وإنكار مساواتها بالرجل، فلا يدخل في نطاق البحث ولا في أهداف الدراسة.

قضايا عربية. كانون الأول (ديسمبر)، ١٩٨٠.

٦٢٣٣ مليوناً في أقطارنا النامية سنة ٢٠٠٠ :
أخطار تزايد السكان وكيفية تلافيها

سنة ٢٠٠٠ سوف تشهد تضاعف عدد السكان في الأقطار المتخلفة وارتفاع عدد سكان المدن الرئيسية في العالم العربي إلى أربعة أضعاف.

المشكلات التي تواجهها منظمة الأمم المتحدة، في سعيها لإقرار السلم والطمأنينة في العالم، كثيرة ومتنوعة. هناك عدا المشكلات السياسية المعقدة التي تبرز بينها قضايا الشرقين الأوسط والأقصى، مشكلات اقتصادية ملحة منها الاهتمام باللاجئين والمهجرين والمنكوبين الذين يتكاثر عددهم في أقطار كثيرة من العالم. ومنها توفير الأغذية ووسائل العناية الصحية لأطفال المناطق الفقيرة، ومساعدة ضحايا الكوارث من طبيعية وغيرها.

إلاّ أن مشكلة تحتل مكانة أولية في نظر قادة المنظمة ولأجلها يُدق الناقوس، هي التزايد الهائل المتوقع في عدد سكان العالم، لاسيما في الأقطار المتخلفة، وما يخلقه الانفجار السكاني من مشكلات عالمية وأزمات غذائية وسكنية وصحية في المدى القريب والبعيد.

بياناً لذلك تقدم دوائر الاحصاء التابعة لمنظمة الأمم المتحدة[1] الجدول

---

(١) عن نشرة وين نيوز. مجلد ٥، رقم ٣، صيف ١٩٧٩، ص ١٩.

الآتي لعـدد السكان ونسبـة نموهم في الأقـطار المتطورة ثم في الأقـطار الناميـة أو المتخلفة:

١ ـ عدد السكان في الأقطار المتطورة:

سنة ١٩٧٥ : ١,١ مليار (مليار وعشر مليار).
سنة ٢٠٠٠ : ١,٣ مليار (مليار وثلاثة أعشار)

٢ ـ عدد السكان في الأقطار النامية:

سنة ١٩٧٥ : ٣,٠ مليارات.
سنة ٢٠٠٠ : ٥,٠ مليارات.

من هذا الجدول يتبين لنا أن سكـان الأقطار المتخلفـة يؤلفون ثـلاثة أربـاع سكان العالم وأن استمرار النسبة الحالية في نسلهم سيؤدي إلى مضاعفة عـددهم تقريباً سنة ٢٠٠٠ حين أن عدد الأقطار الأخرى يحتفظ بنسبة تكاد تكون ثابتة إذ لا تجاوز الزيادة عندهم عُشْرَيْن (٠,٢) من المليار.

إن الانفجار السكاني المشار إليه يهدد الأقطار العـربية كـما يهدد سـواها من الأقطار النامية. فالإحصـاء الصادر عن الـدوائر الخـاصة بمنـظمة الأمم المتحـدة لسنة ١٩٧٨ يقدر عدد سكان الأقـطار العربيـة العشرين بـ ١٥٢,٤ مئة واثنـين وخمسين مليوناً وأربعة أعشـار من أصل مجمـوع سكان العـالم الذي يبلغ ٤٢١٩ مليوناً. وتراوح نسبة الولادات بين ٣٦ و٤٠ في الألف سنوياً في تـونس، مصر، لبنان، وبين ٤٥ و٤٩ في الألف في الأقـطار العربيـة الأخرى، بينـما تقتصر هذه النسبة على ١٥ في الألف أو أقل من ذلك في الأقـطار المتطورة. ونسبـة الوفيـات بين ٥ و٩ في الألف في الكويت، البحرين، ليبيا، ومن ١٣ إلى ٢١ في الباقي.

يتوقع أن يصل عدد سكان الأقطار النامية إلى ٦٢٣٣ مليوناً سنة ٢٠٠٠ إذا استمرت نسبة الولادات على ما هي الآن.

عوامل الانفجار السكاني

قد يبدو مستغرباً أن يسجل سكان الأقـطار المتخلفة هـذا النمو السريـع في العـدد بينما يـظل سكان المنـاطق الأخـرى في مـأمن من خـطر الانفجـار. لكن

استغرابنا يزول إذا علمنا أن الشعوب الواعية هي التي تمارس خطة التحديث ومجاراة التطور على ما يقتضيه العصر فتستبق الأحداث وتخطط للمستقبل وتتلافى خطر التزايد السريع في عدد السكان وما يجره من مشكلات سبقت الإشارة إليها. تمارس وسائل تحديد النسل على شكل يضمن بقاء عدد السكان مثالياً، لا يتعرض في مرور عشرين سنة إلّا لزيادة طفيفة لا تجاوز ٢/١٣.

هناك عوامل أخرى مهدت لحالة الاستقرار السكاني التي يتمتع بها الغربيون. منها هجرتهم المستمرة إلى أقطار أخرى افريقية واوسترالية استوعبت عدداً كبيراً منهم. ومنها ارتفاع مستوى الثقافة والعيش عندهم بحيث يصبح تحديد عدد الأولاد أمراً ضرورياً للمحافظة على ذاك المستوى.

في الأقطار العربية كما في سواها من أقطار، يعتبر انخفاض نسبة الوفيات بين الأطفال والبالغين على السواء من أهم عوامل الزيادة السكانية. سبب هذه الظاهرة هو التقدم الباهر الذي أحرزه الطب خصوصاً في مكافحة الأمراض المعدية والقضاء على الجراثيم. فكان من نتائجه في هذه الأقطار إطالة الأعمار من جهة والحد من وفيات الأطفال وتضخم عدد صغار السن المحتاجين إلى من يعولهم ويهتم بتثقيفهم.

مقابل هذه الزيادة لم يطرأ تحسن مماثل على الأوضاع التعليمية والتثقيف التكنولوجي في هذه الأقطار وسواها من بلدان العالم الثالث، وفي أكثر الأحيان تبين عجزها عن مواجهة الأعباء الاضافية التي خلقتها الزيادة الحالية في عدد السكان، لاسيما في عدد الأطفال.

لذلك اهتمت منظمة الأمم المتحدة بتشجيع حركة تحديد النسل وتأسيس جمعيات تنظيم الأسرة. وساعدت على إنشاء «الاتحاد الدولي لتنظيم الوالدية» (IPPF) فانضمت إليه جمعيات تنظيم الأسرة في الأقطار العربية، وهذه تؤلف كذلك قسماً من «المجلس الاقليمي لجمعيات الشرق الأوسط وشمال افريقيا» ومكتبه الرئيسي في قرطاج، تونس، ويصدر نشرة فصلية في اللغات الثلاث، العربية، الانكليزية، الفرنسية.

أهداف هذه الجمعيات

هدفها الأساسي توفير الإرشاد للمتزوجين في شأن موضوع الوالدية،

واجباتها ومشكلاتها، عدد الأولاد الذي يناسب الزوجين ويوافق ميزانيتهما، وسائل تحديد العدد والمسافة الفاصلة بين ولادة وأخرى، معالجة العقم، صحة الأم والطفل وشؤون العناية بهما. وتشمل برامج هذه الجمعيات موضوعات أخرى تتصل بالموضوع الأساسي منها الدعوة إلى مكافحة الجهل والأمية ورفع مستوى الثقافة لارتباطه الوثيق بتحديد النسل.

بلغ عدد جمعيات تنظيم الأسرة في الأقطار العربية عشراً سنة ١٩٧٦(١) وتتميز بنشاط ملحوظ تدل عليه المؤتمرات التي تعقدها والنشرات التي توزعها. وفي الإحصاءات أن حركة تحديد النسل تبلغ قمة نشاطها في مصر وتونس والمغرب لكنها أكثر نجاحاً في القطرين الأولين. وتروي المعلومات أنها تنتمي إلى القطاع الخاص وتعمل بالتضامن مع الاتحاد الدولي المار ذكره ومركزه لندن ونيويورك. أما الحكومات فبعضها يرعى نشاط هذه الجمعيات رعاية كاملة. كما في مصر، البحرين، الأردن، المغرب وتونس. وفي باقي الأقطار توليها اهتماماً جزئياً.

جمعية تنظيم الأسرة في لبنان

تأسست جمعية الأسرة في لبنان سنة ١٩٦٩. من أعمالها إنشاء عيادات خاصة بتنظيم الأسرة يبلغ عددها ١٦، موزعة على المحافظات الخمس لكنها لم تكتف بهذا العدد بل نجحت في إنشاء عيادات أخرى تطوعية في مناطق مختلفة من لبنان، بالتعاون مع السلطات المحلية ومجالس البلديات وسواها من مؤسسات.

قامت الجمعية بدراسات ميدانية أهمها دراسة صدرت في جزأين عام ١٩٧٠ - ١٩٧١، تناولت أوضاع الأسرة اللبنانية من حيث الخصوبة أو نسبة عدد الأولاد في الأسرة، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومقدار تأثيرها في معدل الخصوبة. ودرست موقف الأسرة من وسائل منع الحمل، أنواع تلك الوسائل ومقدار انتشارها في لبنان.

---

(١) الأقطار العشرة هي مصر، المغرب، السودان، لبنان، سوريا، العراق، تونس، الأردن، اليمن الديمقراطية واليمن الشعبية.

ومع أن معدل الخصوبة في لبنان يعتبر نسبياً أقل مما هو في بعض الأقطار العربية الأخرى (النسبة في لبنان بين ٣٠ و٣٤ حتى ٤٠ في الألف سنوياً)، أظهرت الدراسة أن هذا المعدل مرتفع بالقياس إلى الأقطار المتطورة، ولاسيما أن عدد سكان لبنان في مساحته الضيقة يؤلف أكبر نسبة سكانية في الشرق الأوسط ما عدا بنغلادش. وأعلنت أن اللجوء إلى وسائل تنظيم الأسرة أمر لا بد منه في لبنان كما في سائر الأقطار العربية، خصوصاً في الأقطار التي يجاوز معدل خصوبتها السنوي أربعين في الألف (موريتانيا، المغرب، الجزائر، سوريا، الأردن) وكذلك مصر، رغم نجاحها في تخفيض معدل خصوبتها إلى ٣٨ في الألف.

الأقطار التي يعتبر عدد السكان فيها قليلاً بالقياس إلى مساحتها: ليبيا، العراق، العربية السعودية، فجمعياتها (حيث توجد) تشجع نمو السكان وتعمل لتخفيض نسبة وفيات الأطفال.

من نشاطات جمعية تنظيم الأسرة في لبنان المؤتمرات المتوالية التي تعقدها لتدريب القادة والأعضاء المتطوعين، لبحث السياسة السكانية وعرض المشكلات التي تواجهها أو لتقديم محاضرات ودروس عملية تتعلق بصحة الأم والطفل. منها مثلاً، الحملة التي نظمتها في أيار ١٩٧٩ لتشجيع الإرضاع من الثدي والتنويه بفوائده.

موجة التحضر وأخطارها

للتحضر معنيان: الأول يعني الهجرة من الريف إلى المدن ويكون مقبولاً إذا جرى بنسبة محدودة لا ينجم عنها أضرار اقتصادية واجتماعية. أما التحضر غير المرغوب فيه فهو الذي يؤدي إلى انفجار سكاني في المدن ويخلق فيها أزمات السكن والبطالة وتزايد الحاجة وصعوبة توفيرها. كما يؤدي إلى حرمان الريف من الأيدي العاملة. واستنزاف المهارات التي هو في أشد الحاجة إليها.

أما التحديث أو العصرنة فيعني اقتباس مظاهر المدنية العصرية من تصنيع وتثقيف وعمران على صورة تراعي حاجات البلاد وتعتمد التخطيط والدراسات العلمية.

إن الهجرة المتزايدة من الأرياف إلى المدن في الأقطار العربية، مع أنها لا تبلغ نسبة عالية تؤلف مع هذا مؤشراً خطراً للمستقبل، أولاً لأن المدن الكبرى في العالم العربي مزدحمة على شكل يجعلها غير قادرة على استيعاب موجات المهاجرين. فالحجم المثالي للقاهرة، مثلاً، هو ٤ ملايين لكن عدد سكانها الحالي ■ ملايين. سكان بغداد يجاوزون مليونين مع أن المدينة لا تتسع لأكثر من مليون. في بيروت ٨٠٠ ألف ساكن مع أن حجمها، إذا استثنينا الضواحي، لا يتسع لأكثر من ٣٠٠ ألف.

ثانياً إن نسبة النمو السكاني في المدن لا يقابلها نمو مماثل في الخدمات والتنظيم كما هو الحال في المدن الأميركية والأوربية. فموجات المهاجرين تفرض مضاعفة الخدمات المطلوبة من المدينة لسد حاجات السكان الجدد إلى المدارس والطرق ووسائل الترفيه.

ثالثاً يتوقع استمرار تدفق المهاجرين إلى المدن نتيجة ازدياد معدل الخصوبة أو النمو الطبيعي وقلّة فرص التعليم والعمل في المناطق الريفية.

رابعاً باستمرار التدفق المتوقع ينتظر أن يرتفع عدد السكان في المدن العربية الرئيسية إلى أربعة أضعاف أو أكثر من ذلك في سنة ٢٠٠٠. فيرتفع عدد سكان بيروت الكبرى من مليون إلى ثلاثة ملايين ونصف مليون. القاهرة من ٥,٧٠٠,٠٠٠ إلى ٢٠ مليوناً. بغداد من ٢,٢٠٠,٠٠٠ إلى ١٢ مليوناً. دمشق من ٨٥٠,٠٠٠ إلى ٣ ملايين[1].

الخلاصة

لتلافي الأخطار المشار إليها، أخطار الانفجار السكاني وعلى الأخص في المدن لا بد من تطبيق برامج منظمة الأمم المتحدة ومقترحاتها في هذا المجال. وهنا أهم محتوياتها:

١ ـ السعي لمحو الأمية ونشر الثقافة والوعي بين السكان لأن نسبة الولادات تقلّ بمقدار انتشار العلم وازدياد عدد الوالدين المثقفين. لذلك لا

(١) **المجال**. العدد ١٠٣، تشرين الأول (اكتوبر)، ١٩٧٩، ص ١٠.

يؤلف تحديد النسل مشكلة في الأقطار المتطورة. لكن المشكلة تكاد تنحصر في الأقطار المتخلفة.

٢ ـ تشجيع النساء على ممارسة وظائف وأعمال خارج المنزل، ذلك يحد لديهن فرص الاهتمام بأسرة كبيرة ويدفعهن إلى تحديد عدد أولادهن.

٣ ـ إدماج النساء في أعمال التنمية الاقتصادية المؤدية إلى زيادة الإنتاج الضروري لسد حاجات السكان لاسيما في الأقطار النامية التي تشكو قلة الإنتاج وكثرة الاستيراد.

٤ ـ تحسين أحوال الريف للحد من هجرة السكان. ولنذكر هنا أن من وسائل هذا التحسين إدماج المرأة في عمليات التنمية الريفية على نطاق أوسع وأكثر فائدة بإعطائها فرص التثقيف والتدريب وإنصافها من ناحية الأجور والترفيه وحق التملك.

٥ ـ تعميم جمعيات تنظيم الأسرة ومؤازرة نشاطها بجميع أشكاله. وفي هذا الميدان تستطيع المرأة أن تقوم بدور أساسي كمرشدة ومتطوعة للعمل الاجتماعي وربة بيت قادرة على تحديد عدد الأولاد وإقناع زوجها بموافقتها.

٦ ـ اعتماد الدراسات السكانية والاحصائية التي تؤلف الأساس والدليل الصالح للتخطيط والتصميم المدروس محل التصرف العشوائي والفوضى الإدارية.

النهار. ١ كانون الأول (ديسمبر)، ١٩٧٩.

الحركة تواصل مَسيرتها:
كتاب ومؤتمر

بين ١٩٨٤ و١٩٨٥ سجّلت الحركة النسائية العالمية خطوتين بارزتين في ميدان تطورها، الأولى إصدار كتاب مرجعي من ٨١٥ صفحة كبيرة الحجم، عنوانه «أخوّة النساء عالمية» والثانية عقد مؤتمر نسائي عالمي في نايروبي عاصمة كينيا (افريقيا) للنظر في منجزات «عشرية الأمم المتحدة للمرأة» وتقويمها وصياغة استراتيجيات العمل المستقبلي.

١ ـ أخوّة النساء عالمية[1]

هو مجموعة مقالات وأبحاث وتقارير تاريخية جغرافية قامت بجمعها وتحريرها نساء عاملات في حقل المرأة يمثلن سبعين دولة من دول العالم، بينهن ٩ دول عربية و١٢ اسلامية. اضطلعت بوظيفة التخطيط للمشروع وجمع مواده روبن مورغن، شاعرة، صحافية، مؤلفة شغلت مدة عشرين سنة مركزاً قيادياً في الحركة النسائية في الولايات المتحدة. شاركت في إعداد المواد مئات من النساء المعنيات بقضية المرأة بينهن ممثلة فرنسا، سيمون دو بوفوار، التي تعد من أركان الفلسفة الوجودية المعاصرة، صاحبة مؤلفات فلسفية ونسائية قيّمة، وممثلة

---

(١) Morgan, Robin, Ed. *Sisterhood is Global*. New York: Anchor Press/Doubleday, 1984.

البرتغال، ماريا دو لورد بنتاسيلغو، المهندسة والباحثة في لجنة الطاقة النووية الوطنية التي شغلت مناصب ثقافية وسياسية منها وزارة الشؤون الاجتماعية وسفارة البرتغال في الأونيسكو وكانت أول امرأة تترأس الوزارة في بلادها سنة ١٩٧٩ ولها مؤلفات في موضوعات تحرير المرأة والتجدد الروحي الكنسي.

أما المشاركات في إعداد الكتاب من النساء العربيات العاملات في حقول الثقافة والكتابة والفن، فمنهن المقيمات في أميركا: عزيزة الهبري (لبنان)، فاطمة المرنيسي (المغرب)، أمل رسام (العراق)، ديانا تقي الدين (لبنان)، ليلى أبو سيف (مصر)، منى مخائيل (مصر). ومنهن المقيمات في الأقطار العربية. صاحبات المقالات في وصف الحركة النسائية في تلك الأقطار: فاطمة الصديق (الجزائر)، نوال السعداوي (مصر)، نوره الفلاح (الكويت)، روز غريب (لبنان)، فريدة اللاغي (ليبيا)، فاطمة المرنيسي (المغرب)، فوزية فوزية (فلسطين)، عايشة المانع (العربية السعودية)، آمنة الصادق (السودان).

مضمون الكتاب

يقدم معلومات إحصائية عن البلدان الممثلة في المجموعة: جغرافية البلاد، ديموغرافيتها أو الدراسات الإحصائية حول الشعب وتكوينه، نوع الحكومة، الاقتصاد، أوضاع الأسرة، القوانين العامة، الأحوال الشخصية، التقاليد والميثولوجيا. يلي ذلك مقالة عن الحركة النسائية في كل من الأقطار السبعين: تاريخ الحركة، قائداتها، منجزاتها وتطلعاتها.

تقول محررة الكتاب روبن مورغن:

«إن نساء العالم اللواتي يؤلفن نصف سكانه وثلث القوة العاملة فيه لا يحصلن إلاّ على عشر ($\frac{1}{10}$) الدخل العالمي ولا يملكن إلاّ أقلّ من واحد في المئة من مجموع أملاك الأرض... إن ثلثي الأميين في العالم نساء. وهناك نساء منفردات يتولين إعالة الثلث من أسر العالم... في الأقطار النامية، تقوم المرأة بتحضير نصف الإنتاج الغذائي وفي الأقطار الصناعية تنال المرأة نصف أو ثلثي الأجرة التي ينالها الرجل في حال تساويهما في العمل. فوق هذا، تقدم المرأة ٤٠٪ من مجمل الانتاج المنزلي أو الصناعات البيتية بدون أجرة مقابلة. وأكثر من ٩٠٪

من اللاجئين والمهجرين في العالم هم نساء وأطفال. وأكبر قسم من فقراء العالم والعجزة والجائعين هم أيضاً نساء».

وتضيف الكاتبة: إن الأخطار التي تهدد العالم في الوقت الحاضر هي أولاً الحروب التي تجنّد الشبان وتشل الأيدي العاملة وتبتلع القسم الأكبر من ميزانيات الدول، والحروب يصنعها الرجال الذين يحتكرون الحكم، أما الخطر الثاني فهو تزايد عدد السكان خصوصاً في الأقطار النامية القليلة الموارد وهذا يعني انخفاض مساحة الأراضي الزراعية التي تحل محلها المشاريع السكنية وبالتالي تناقص الانتاج الغذائي وبروز شبحْ الضيق والمجاعة. هنا نلاحظ أن الخطر الأول يستوجب نشاط المرأة وإسهامها في شؤون الحكم والإدارة لتكافح امتداد تيار الحرب والقتل والإرهاب. كذلك خطر تزايد السكان يقتضي توعية المرأة لأنها هي مصدر النسل ولها في الموضوع الكلمة الأولى إذ تستطيع إقناع الرجل وكسب معاونته في الحد من هذا الخطر الذي يكاد ينحصر وجوده في الأقطار النامية والفقيرة المتخلفة في حين تنجح الأقطار المتطورة في تلافيه بوسائل الإحصاء وتنظيم الأسرة.

أشرنا فيما سبق إلى بعض ما جاء في مقدمة الكتاب التي تبلغ ٣٧ صفحة، تعبّر فيها الكاتبة عن طموحات الحركة النسائية التي تؤلف شبكة هائلة الحجم تستطيع دخول كل بيت والتأثير في جميع وجوه الحياة والمجتمع. ثم تعدد أنواع الظلم والاستغلال التي ما زالت تعاني منها النساء في مختلف الأقطار: استغلالها البيولوجي، استغلالها في أعمال المنزل وفي دوائر العمل الأخرى، ضغط التقاليد والقوانين الرجعية، وتختم ببعض المقترحات التنظيمية والإصلاحية.

١ ـ مؤتمر نايروبي النسائي العالمي

انعقد هذا المؤتمر في ١٥ ـ ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٨٥، بدعوة من منظمة الأمم المتحدة (الأونيسكو)، في نايروبي عاصمة كينيا (افريقيا). شاركت فيه مندوبات ١٥٦ دولة من دول القارات الخمس، وحضرته ممثلات لجنة التمييز العنصري ومنظمة التحرير الفلسطينية بصفة مراقبات.

هدف المؤتمر أولاً مراجعة وتقويم منجزات «عشرية الأمم المتحدة للنساء»

في مختلف الأقطار الممثلة ومناقشة تلك المنجزات في ضوء الأهداف الثلاثة الأساسية التي يتبناها المؤتمر: «التنمية، المساواة والسلم» وما يتفرع منها كالتربية، والعمل والتوظيف والصحة، ثانياً عرض ما تتضمنه الأنظمة الاجتماعية المرعية الاجراء من وجوه نقص وإجحاف بحقوق المرأة في الميادين المشار إليها، وبحث وسائل معالجتها.

افتتح المؤتمر الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة، بيريز دو كويلار، بخطاب عن هدف المؤتمر فأشار إلى المراحل التمهيدية المهيئة له وهي:

أولاً إعلان وثيقة حقوق الانسان سنة ١٩٤٥ وتأسيس لجنة الأمم المتحدة الخاصة بوضع المرأة، التي بواسطتها جرى إعلان مساواة المرأة بالرجل في الحقوق.

ثانياً إعلان سنة ١٩٧٥ السنة العالمية للمرأة، وذلك في الجمعية العمومية للأمم المتحدة في جلستها المنعقدة في ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٤.

ثالثاً عقد أول مؤتمر عالمي للمرأة في مدينة مكسيكو، ١٩ حزيران (يونيو) - ٢ تموز (يوليو) ١٩٧٥، حضرته أكثر من ألف مندوبة من ١٣٣ دولة وافقن على تبني «خطة العمل العالمية» الواجب اعتمادها لتحسين أوضاع المرأة، وتم الحصول على إعلان سنوات ١٩٧٥ - ١٩٨٥ «عشرية النساء» أو السنوات العشر التي يجري فيها تطبيق «خطة العمل العالمية» والتقرير عنها أولاً في ١٩٨٠ (مؤتمر كوبنهاغن) وثانياً في مؤتمر ١٩٨٥ وهو المنعقد في نايروبي. (تراجع ص ١٨٣ من هذه المجموعة حول مؤتمر كوبنهاغن والخطة العشرية).

في مؤتمر مكسيكو أيضاً وضعت اتفاقية تنص على الغاء جميع وجوه التمييز بين الجنسين في الحقوق والمعاملة وحازت الاتفاقية موافقة الجمعية العمومية للأمم المتحدة سنة ١٩٧٩.

تقرير المؤتمر

في ٣٠٠ صفحة كبيرة مطبوعة بالاستنسيل، عرض مؤتمر نايروبي تقريره

المعتمد الذي سيجري نشره مطبوعاً بشكل عادي بين مطبوعات الأمم المتحدة المعروضة للبيع.

يتضمن التقرير مقدمة طويلة في عرض توجهات وتطلعات المؤتمر للمدة القادمة الواقعة بين ١٩٨٦ و٢٠٠٠، مع اشارة إلى الضائقة الاقتصادية التي تكتنف الدول النامية منذ إعلان «عشرية المرأة» سنة ١٩٧٥، والتي كانت أحد أسباب تراجع قضية المرأة في تلك الأقطار خلال السنوات العشر الماضية.

ثم في نحو ٢٤٠ فقرة، يبسط الطريقة المعتمدة لتقرير الاستراتيجيات أو الخطط الأساسية المؤدية إلى معالجة الأهداف التي يتبناها المؤتمر: التنمية، المساواة والسلم - فيعرض أولاً مفاهيم هذه الأهداف بصورتها الموسعة ثم العقبات القائمة في وجه تحقيقها والتدابير اللازمة للتنفيذ. مثلاً في موضوع المساواة، يجري تعريف هذه الكلمة بأنها لا تعني فقط المساواة في القوانين والتشريعات بل تشمل الحقوق والمسؤوليات والفرص والمعاملة. كذلك كلمة التنمية، لا ينحصر معناها في الاقتصاد بل يشمل السياسة، الاجتماع والثقافة، فوق هذا، أظهرت التجارب أن الأهداف الثلاثة المذكورة معتمدة بعضها على بعض بحيث لا يمكن معالجة الواحدة بمعزل عن الآخر وان هذه الأهداف الثلاثة متصلة اتصالاً وثيقاً بالأهداف الفرعية أي العمل والصحة والتربية، لذلك يبدو ضرورياً أن نلاحظ هذا الترابط ونراعي امتداداته وتفرعاته، مثلاً في موضوع المساواة، لا يكفي إحداث تغييرات في القوانين الموضوعة فحسب، بل إن التغيير يجب أن يشمل البنى والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية بما فيها أوضاع التربية والصحة والتدريب والعمل والأجور، بحيث تؤدي التغييرات إلى إنصاف النساء عموماً دون تمييز بين العازبات منهن والمتزوجات.

في وصف العقبات المعترضة، جرى ذكر التخلف والجهل والأمية، سيطرة عقائد وخرافات متعلقة بما يسمونه قدر المرأة، والزعم بأنها خلقت لكذا وكذا. هناك أيضاً إقصاؤها عن العمل السياسي والإداري، بحيث يجري توجيه القوانين لمصلحة الرجل دون المرأة، ثم التناقض بين محتوى القانون ووجوه تطبيقه، والخلاف على تفسير القوانين، والإصرار على حفظ البنود والمواد التي

تميز بين الجنسين في الأحوال الشخصية، في قوانين العقوبات والتجارة والشؤون المدنية ونحوها.

في عرض الاستراتيجيات الأساسية للعمل، ذكر، عدا مساواة الجنسين في فرص التعليم والخدمات الصحية والأمن والعمل، ما يلي:

إيجاد مراكز بحث لعوامل اللامساواة بين الجنسين.

إلغاء التقاليد والقوالب الجاهزة التي توجه تفكير الناس بصورة ميكانيكية عشوائية.

إيجاد آلية أو هيئة حكومية خاصة تهتم بشؤون المرأة.

وضع إحصاءات ودراسات حول قضايا المرأة.

تعاون أعضاء الأسرة على العمل المنزلي للدلالة على عدم احتقارهم له وعدم حصره في المرأة.

في باب التدابير الواجب اتخاذها:

عدا ما سبق ذكره في العقبات والاستراتيجيات،

أولاً توجيه وسائل الإعلام ومراكز التربية توجيهاً يعزز مبدأ المساواة بين الجنسين.

ثانياً دعوة الدول التي لم توقع بعد على اتفاقية المساواة المعلنة في سنة ١٩٧٩، إلى الإسراع في التوقيع.

ثالثاً في مشاريع الإصلاح الزراعي، تأييد حق المرأة في التملك والدخل بنسبة مشاركتها في العمل والانتاج.

قدمنا في ما سبق عرضاً موجزاً لبعض الاستراتيجيات أو المخططات الأساسية الصادرة عن المؤتمر بخصوص مبدأ المساواة تشكل نموذجاً لما اتفق عليه بصورة كاملة أو جزئية بشأن المبدأين الآخرين، التنمية والسلم، وموضوعات أخرى فرعية تشمل النساء المسنّات وضحايا البغاء والمتاجرة بالجنس والحرمان المعيشي والبؤس والتهجير وسائر النكبات الاجتماعية والطبيعية التي تعاني منها المرأة بصورة خاصة.

جرى بعد ذلك مناقشة عامة عرضت فيها تقارير الهيئات الفرعية للمؤتمر واتخذت قرارات بشأنها. ثم تقويم التقدم الذي تم إحرازه خلال العشرية وذكر العقبات التي أدت إلى بطء التنفيذ.

وعرضت المقررات والتوصيات التي قدمتها الدول المتخلفة بشأن تحسين أوضاع المرأة فنوقشت وجرى تعديلها عند اللزوم وأوردت أسماء الدول الموافقة والدول المتحفظة والممتنعة، ولوحظ التشديد على نقاط منها إزالة التمييز العنصري في افريقيا.

اخيراً دعا أعضاء المؤتمر إلى شكر منظمة الأمم المتحدة على جهودها في سبيل المرأة، وإلى اعتبار الخمس عشرة سنة القادمة حتى سنة ٢٠٠٠ مدة تنفيذ الاستراتيجيات المقترحة لتحقيق أهداف المؤتمر.

النهار. ٢٤ كانون الثاني (يناير)، ١٩٧٩.

مؤتمر دمج المرأة العربية
في التنمية الاقتصادية ينعقد في قبرص ١٩٨٥

انعقد المؤتمر الاقليمي لدمج المرأة العربية في التنمية الاقتصادية الذي نظّمه معهد الدراسات النسائية في العالم العربي ـ كلية بيروت الجامعية في نيقوسيا، قبرص من ٢٤ ـ ٢٩ حزيران ١٩٨٥، ولقد حددت الدكتورة جوليندا أبو النصر مديرة المعهد أبعاد المؤتمر: يهدف المؤتمر إلى دراسة إمكانيات التخطيط لإشراك المرأة العربية بشكل أكثر فاعلية في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في البلدان العربية، حيث إن رفع مستوى المرأة يشكل أهم عامل مستقل في التنمية. أما الأهداف المباشرة فهي:

١ ـ إلقاء نظرة شاملة على الاتجاهات التي تتحكم في الانتاجية الاقتصادية للمرأة في الشرق الأوسط.

٢ ـ تكوين ملفّ من المعلومات الأساسية التي تساعد على التخطيط لدمج المرأة العربية في التنمية الاقتصادية.

وقد عرضت الأديبة روز غريّب المراحل التي مرت بها حركة تحرير المرأة في الشرق العربي، وتوصلت إلى أن الحركة النسائية المعاصرة ظاهرة عالمية ونتيجة محتومة لتطوّر العصر.

ولقد نظّم المؤتمر ثماني حلقات نقاش تمحورت حول أربعة مواضيع هي:

١ ـ العوائق القانونية التي تحد من اندماج المرأة في التنمية.

٢ ـ دور برامج التربية في تغيير وضع المرأة والتمهيد لفوزها بنصيبها العادل واللائق في المشاركة في التنمية.

٣ ـ المعطيات الاقتصادية ومدى تأثيرها على دور المرأة في التنمية.

٤ ـ العوائق الاجتماعية الثقافية التي تحد من مشاركة المرأة في عملية التنمية الاقتصادية.

وقد بيّنت المناقشات المؤشرات الإيجابية المشجعة التي تحدد أوضاع المرأة في العالم العربي عموماً وإبراز لمحة عن الخصائص التي تميز المرأة في بعض البلدان العربية. ونعرض فيما يلي مواضيع الدراسات التي قدمت في المؤتمر والتي ستنشر تباعاً في أعداد «الرائدة» القادمة.

ـ دراستان عن مدى تأثير العوامل الفكرية والسياسية على مشاركة المرأة في التنمية الاقتصادية ـ د. ثريا التركي، د. سهى عبدالقادر.

ـ أربع دراسات لتقويم التطور في وضع المرأة بالنسبة لفرص العلم والعمل في الأردن، البحرين، المغرب والسودان ـ د. ثمرة طنوس، د. فائزة الزياني، د. مليكة البلغيتي، د. العجيب.

ـ دراستان عن عمل المرأة والتشاريع القانونية ـ المحامية لور مغيزل، د. دليلة حنوش.

ـ دارسة عن الإطار الاقتصادي لعمل المرأة ـ إرما مجدلاني.

ـ ثلاث دراسات عن العلم كعامل مهم في تحديد دور المرأة في العمل. وقد قدم د. بايرون ماسياليس وجميلة ميقاتي الدراسة الإقليمية الأولى ـ وقدمت د. لبنى القاضي الدراسة الثانية ود. عائشة بلعربي الدراسة الثالثة.

ـ دراستان عن دور المرأة في العمل في لبنان وتونس ـ د. ليلى شيخاني ناكوز، د. ليليا شابي لبيدي.

ـ ثلاث دراسات عن عمل المرأة في قطاع الزراعة ـ د. مارلين نصر، منى خلف، د. برسيلا باسون.

وفي نهاية المؤتمر تقدمت لجنة ببعض التوصيات والاقتراحات نوجزها بما يلي:

توصيات لجنة القانون

- أن تتضمن الدساتير العربية مبدأ المساواة في الحقوق الاقتصادية وحظر التمييز المبني على أساس الجنس.
- توقيع الاتفاقات الدولية والعربية المتعلقة بعمل المرأة.
- اتخاذ التدابير اللازمة لتعريف المرأة بحقوقها.
- تشجيع المرأة على الانضمام إلى النقابات.
- فصل الأحكام القانونية المتعلقة بحماية المرأة في العمل عن تلك المتعلقة بحماية الأولاد.
- منح إجازة والدية بالإضافة إلى إجازة الأمومة.
- تعديل قوانين الأحوال الشخصية وفقاً لمبادىء العدالة والمساواة المكرّسة في معظم الدساتير العربية.

توصيات لجنة التربية والتعليم

يشكل العامل التربوي مركزاً هاماً نظراً لتأثيره في تحسين وضع المرأة وفرض متغيرات معينة. وقد تبين من الدراسات والأبحاث الميدانية التي أجريت أنه كلما توافرت للمرأة فرص التعليم اتسعت أمامها مجالات العمل وبالتالي الاندماج في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولذلك يتوجب إعطاء تعليم المرأة أهمية أولية والعمل على زيادة الوعي الاجتماعي بقيمه وضرورة تعليم المرأة، بالإضافة إلى تعزيز وضع برامج خاصة لتطوير المستوى الثقافي والمهني في مجالات التعليم المنهجي والتعليم اللامنهجي. ويتضمن التعليم اللامنهجي برامج تدريب خاصة في المهارات المؤثرة في البنية الاجتماعية والاقتصادية وهذه البرامج تهدف إلى محو الأمية بكافة وجوهها مع مراعاة بعض الحاجات الخاصة التالية:

- تسهيل استئناف الدراسة للمرأة التي انقطعت عنها.
- استخدام وسائل الإعلام في البرامج مع مراعاة البيئة عند اختيار المواد التعليمية المناسبة لكل بيئة، ريفية كانت أم حضرية.

ـ تدريب رائدات محليات وإعداد وسائل تدريب للموظفات والسعي لزيادة التحاق النساء العاملات والموظفات بمراكز التدريب التي تؤدي إلى تحسين أوضاعهن.

ـ تدريب المعلمين والمعلمات على تعليم البالغين من نساء ورجال.

توصيات اللجنة الاقتصادية

كانت المرأة دائماً أفقر من الرجل من حيث امتلاك الدخل الذي يمكن التصرف به، ومن حيث الممتلكات ومن حيث توزيع الأغذية. ويستدل من الأبحاث التي أجريت عن الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية في وقتنا الحاضر أن هذه الهوة تزداد اتساعاً، وحيث أن معظم سكان العالم يعيشون في الريف، فإن دعم القطاع الزراعي يأتي في طليعة التدابير التي تصحح هذا الوضع. وقد اتخذ المؤتمر التوصيات التالية:

ـ تشجيع تأمين تمويل على نطاق إقليمي لإجراء أبحاث حول دور المرأة الاقتصادي في العالم العربي داخل المنزل وخارجه، بالإضافة إلى اعتبار عمليات الإنتاج المنزلية الصغيرة النطاق سواء في الزراعة أم تربية الماشية مشاريع تستحق الاهتمام والدعم العملي من قبل الحكومات والمؤسسات الدولية والإقليمية.

ـ تشجيع المؤسسات المستقلة غير الحكومية، مثل معهد الدراسات النسائية في العالم العربي، على القيام بمثل هذا النوع من الأبحاث.

ـ البحث والإرشاد حول كيفية الإفادة إلى الحد الأقصى من الدخل خصوصاً في ما يتعلق بمستويات التغذية.

ـ التعرف على العوائق التي تقف بوجه استخدام المرأة وإزالتها عن طريق تأمين الخدمات وتدابير الحماية من أجل جعل المرأة في عداد القطاع المحتسب في الدخل القومي.

توصيات لجنة الثقافة والحضارة

يمر العالم العربي بمرحلة انتقالية حالياً، وتجد المرأة العربية نفسها في صراع للتأكد من هويتها. فالقيم التقليدية لا تلبي دائماً متطلبات الحياة الاجتماعية

المعاصرة والقيم المستوردة غالباً ما لا تستجيب لتطلعاتها، لذلك يجب أن يتاح لها الخيار لتحديد هويتها دون أن تغترب عن أصالتها. ويجب مراعاة الإطار الاجتماعي والحضاري والاقتصادي السائد في المجتمع عند التخطيط لتعزيز مشاركة المرأة في التنمية الاقتصادية. وقد اتخذ المؤتمر التوصيات التالية:

- إلغاء التمييز بين الجنسين في سائر المجالات، وإقرار المساواة في المواطنية بين الجنسين.
- تقويم عمل المرأة المنزلي واعتباره عملاً منتجاً في ميدان الخدمات الاجتماعية.
- توعية المرأة لحقوقها وواجباتها مع التشديد على دفعها إلى ممارسة حقوقها التي يمنحها إياها الدستور.
- تشجيع الأبحاث العلمية المتعددة الاختصاص لدرس وضع المرأة وكذلك إجراء دراسات عن المرأة في الأدب والفنون والتاريخ.
- دعوة وسائل الاعلام لوضع برامج محلية سمعية - بصرية تظهر المرأة في الأدوار الإيجابية التي تقوم بها.
- القيام بمسح دقيق ونوعي في الأقاليم المختلفة قبل تنفيذ أي برنامج تنموي خاص بالمرأة وتشجيع التطور الحاصل أثناء التطبيق والتقويم.

الرائدة. العدد ١، ١٩٨٦، ص ١٣ و١٤.

القسم الثاني

- ١ -

كلمات توجيهيّة في التربيَة والاجتماع

١٩٤٣ - ١٩٨٠

مقدمة

تدور هذه المجموعة من المقالات حول موضوع التوجيه التربوي والاجتماعي، ينعكس فيها اهتمام المرأة، منذ الأربعينات من هذا القرن، بالمشكلات الاجتماعية التي حسبت يومذاك من اختصاص الرجل دون المرأة، لكن هذه وجدت سبيلاً الى التعبير عن رأيها من خلال المنظمات والجمعيات النسائية التي كان لها في تلك الآونة نشاط بارز ومنها استوحيت قسماً غير يسير من موضوعات المقالات وتوجيهاتها. كذلك انفسح للمرأة مجال المشاركة وإبداء الرأي بواسطة الأندية الثقافية، الصحافة، الكتابة، التربية والتعليم ووجوه أخرى من الاندماج في أعمال التنمية.

القسم الأول من المقالات يعبّر عن مرحلة تمهيدية من مراحل الوعي الاجتماعي عند المرأة، يوم طالبت بإقرار التعليم الإجباري المجاني ودعت الى توحيد مناهج التعليم للبنين والبنات من غير تفرقة، وحثت على جعل التربية قسماً أساسياً من التعليم وعلى إنشاء مراكز تدريب للمعلمين والمعلمات ورفع مستوى أسرة التعليم فكرياً واقتصادياً. وفي مجال الانتاج الثقافي اهتمت بترقية الصحافة وتشجيعها كما طالبت بمنع الشحاذة والقضاء على عادة إطلاق الرصاص في الأعياد والحفلات ومضاعفة الاهتمام بالصحة العامة.

نلاحظ اليوم أن قسماً كبيراً من هذه المطالب جرى تحقيقه بفضل التطور

الثقافي وتجاوب المسؤولين. إذ تمّ إقرار التعليم الإجباري وتنمية المعاهد الحكومية وتوحيد مناهج التعليم للجنسين وأنشئت دور المعلمين والمعلمات وتقلّص ظل الشحاذة. لكننا لا نزال بحاجة إلى مزيد من الاهتمام بالصحة العامة ورفع مستوى التعليم وتوسيع مجالاته وتطويرها ونحن إذا أنعمنا النظر في مقالات القسم الأول يبدو لنا ان كثيراً من العلل التربوية والاجتماعية التي تشير اليها تلك المقالات ما زال حتى اليوم موضوع شكوى وقيد المعالجة.

في المجموعة مقالات أحدث عهداً من التي أشرنا اليها، تعالج مشكلة التوفيق بين العلم والعمل عند نساء اليوم، تصف أوضاعهن واهتماماتهن ومطالبهن. وأبحاث أخرى في موضوع الأسرة وتقاليدها وما يكتنفها من إيجابيات وسلبيّات، والوسائل المؤدية الى تطويرها واصلاحها.

كل من يعنى بقضية المرأة وما يتصل بها من قضايا اجتماعية كالتربية والتوجيه الاجتماعي والتشريع الخاص بالمرأة والتقاليد الاجتماعية المسيطرة، يلاحظ ضآلة الأبحاث العلمية التي تتناول هذا الموضوع وهزال المصادر الضرورية لمعالجته. لذلك جمعنا في هذه المقالات ما تيسّر الحصول عليه من موادّ معتمدة على دراسات وأبحاث سابقة. وهدفنا السعي لإثارة مقدار من الوعي الاجتماعي لموضوعات أساسية في تكوين تفكيرنا وأهدافنا الاجتماعية، أملاً بأن يكون في هذه المجموعة، رغم إيجاز موادها ومحدوديتها، حافز لبعض القراء المؤهلين للبحث العلمي، على القيام بدراسات موسّعة لموضوعات حيوية هي من صلب اهتمامات العصر.

التربية قسم أساسي من التعليم

منذ سنوات قليلة قررت وزارة المعارف في هذه البلاد أن تستبدل اسمها القديم باسم «وزارة التربية الوطنية». ولم يكن التبديل مجرد تجديد لغوي ولا حدثاً مستغرباً في بابه، فقد سبقتها اليه حكومات غربية. لكن هذا التبديل يهمنا بنوع خاص لأنه يشير ـ ولو بصورة اسمية ـ الى تبديل خطير بل شديد الخطورة في تاريخ التربية، واتجاه حديث في فلسفتها، حملت لواءه الحكومات الراقية وحاولت تطبيقه، لا بتبديل الأسماء فقط، بل بإصلاح طرق التعليم في مدارسها وتعديل مناهجها وتجديد أساليبها باستخدام النتائج التي أقرها العلم التجريبي الحديث. أي فرق بين لفظتي «معارف» و«تربية»؟ ولماذا كانت الثانية أصح دلالة من الأولى؟ . . . المتفق عليه عند الباحثين ان التعليم أو نقل المعارف يعني تلقين الدروس أو المواضيع المتنوعة كالحساب واللغة والطبيعيات وما شاكلها من المواد التي لا يهم المعلم فيها سوى ان يحفظ الطالب الدرس أو يفهمه حتى اذا سئل في الموضوع يستطيع إجابة السائل، هذا إذا لم يكن قد نسي ما تعلمه. أما التربية فتتناول غير هذا: هي عمل أبعد وأوسع جداً من تلقين المواد أو حشو ذهن الطالب بها. التربية تعنى بالانسان كله، لا بالذاكرة ولا بالعقل فقط. ولا تتخذ التعليم غاية بل وسيلة للنمو العقلي وسبيلاً لتغذية موهبة الخلق والابتكار. فان لم يحقق التعليم هذا النمو عدلت طرقه ليأتي بالنتيجة المطلوبة. التربية عملية متصلة تتناول العمر كله. لكن معظمها يتم بين

الولادة والبلوغ. وهي ترمي الى النمو المتصل المطرد في جميع نواحي الحياة العقلية والروحية والاجتماعية والبدنية. أما التعليم فنماء محدود في ناحية واحدة محدودة من حياة الفرد.

هذا ما تعنيه لفظة «تربية» اذا قوبلت بلفظة «تعليم». ولذا كان استبدال لفظة «معارف» بلفظة «تربية» أمراً مستحسناً، بل لازماً على شرط أن يكون التبديل فعلياً لا اسمياً فقط.

هدف التربية الحديثة اذا ـ وأعني هنا الابتدائية والثانوية لا التعليم المهني والاختصاصي الذي يليهما ـ هو أولاً ان لا تكون تعليماً بل تربية شاملة متوازنة تتناول جميع نواحي حياة الطالب. ثانياً ان تكون هذه التربية ذات صبغة وطنية. فكيف تحقق هذين الطرفين؟

لا يتسع لي المجال في هذه السطور القليلة لأتناول الجواب بالبحث المسهب، لكني أشير الى ناحيتين من التربية جديرتين باهتمامنا الخاص، ومع هذا لا تلقيان منا سوى الاهمال، لأنهما لا تدخلان في منهج الدروس ولا في نطاق الكتب. أعني بهاتين الناحيتين: التربية الاجتماعية والتربية الخلقية. فكلتاهما مكمل لا بد منه للتربية العقلية، وكلتاهما تؤلف الجزء الأكبر من التربية الوطنية التي نرمي اليها.

أما التربية الاجتماعية فمعظمها درس عملي قلّما يعتمد على الكتب أو النظريات، وهي تعني أن يتمرن الطلاب تحت إرشاد معلمهم على درس محيطهم القريب، واكتشاف حاجاته المادية والمعنوية، ومعرفة ما فيه من إمكانيات قابلة الاستغلال ومن أدواء قابلة الإصلاح، فيخلق بذلك صلة بين المدرسة ومحيطها ويدفع الطلاب الى مساعدة المجتمع والاندماج به وهم بعد طلاب، فيزيد بذلك استعدادهم للحياة المنتجة. والتربية الاجتماعية تتناول أيضاً تمرين الطالب على التكلم في المجتمع بجرأة وصدق. كما تتناول تمرينه على العمل المجموعي أو التعاوني الذي يرقي أخلاقه ويعلمه حسن السياسة والاهتمام بالمصلحة العامة. أما الأعمال التعاونية فهي الجمعيات المدرسية والنوادي التي يديرها الطلاب بأنفسهم، والفرق الرياضية والمشاريع الأدبية

كالتمثيل وتفوقها أهمية. مشاريع الخدمة الاجتماعية كإنشاء مكتبة تعاونية أو ساحة رياضية أو القيام بحملة صحية أو تنظيمية أو تهذيبية كتعليم الأميين وما شاكل ذلك. ويدخل في التربية الاجتماعية التثقيف المدني الذي يوقف الطالب على أحوال بلاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويطلعه بطريقة المشاهدة والرحلات والدروس العملية على مشاكلها وتقاليدها وتاريخها وجغرافيتها، فيشعره انه ليس فرداً بل جزء من مجموع عليه أن يتعاون وإياه على العمل والكفاح. والخلاصة أن التربية الاجتماعية تعني ان لا نعزل الطالب عن الحياة، فنقيم بينها وبينه حواجز ونرغمه على الانعزال في عالم الكتب، حتى اذا ترك المدرسة وخرج الى الحياة الواقعية رأى الفرق شاسعاً بين حياته في المدرسة وحياته خارجها.

أما التربية الخلقية فتعد جزءاً من التربية الاجتماعية، لكنها، تستوجب منا عناية خاصة، لانها دعامة التربية كلها وأساس الأهداف جميعها. ولنذكر هنا ان التربية الخلقية في المدارس الابتدائية والثانوية هي الغرض الأول من التربية الانكليزية وان هذه المكانة التي تحتلها الأخلاق في مدارس بلاد الانكليز سر من أسرار نجاحهم. فالتربية الخلقية هي أهم ما ترمي اليه دروس العلم الطبيعي والمختبرات عندهم حيث يتمرن الطالب على الدقة في التحليل والتبصر والأناة، والتفكير العلمي المجرد من العاطفة ووزن القول قبل إلقائه. فالعلم هناك ليس لمجرد المعرفة فحسب بل لتكوين الخلق. ومثل ذلك دروس الأدب والتاريخ فجميعها ترمي الى الاصلاح الأخلاقي وتربية الذوق والشعور بالجمال.

أما عندنا فالتربية، كثيراً ما تعتبر وسيلة لتحصيل الخبز، وقد فاتنا ان تحصيل الخبز انما يتم بواسطة الاختصاص والمهنة، لا بالتعليم الابتدائي أو الثانوي. وان التعليم عندنا قليل الفائدة اذا كنا لا نتخذه وسيلة لمحاربة الشرور والآفات التي أورثتنا اياها عصور الظلمة والانحطاط التي نحاول الخروج منها. فهناك النزعة الاتكالية التي تنعدم معها ميزة الابتكار والاستقلال في التفكير والعمل. ثم التقليد الأعمى لما مضى أو لما نراه حولنا. ومنها التفرّق المذهبي الذي يشل فينا كل حركة. ومنها الميل الى الكذب والرياء، والخنوع من جهة والاستبداد من جهة أخرى. أليس من واجب التربية والحالة هذه أن تقوم

بنصيبها في محاربة هذه العِلل؟ ولكن كيف يتسنى لها ذلك؟ أبالمواعظ والدروس النظرية أم بالتهديد الصارم؟ لا هذا ولا ذاك. فالتربية الخُلقية في معظمها درس عملي يتوقف على طُرق عملية منها تمرين الطلاب على الحكم الذاتي والعمل المستقل لكي يتعودوا تسيير أمورهم ويحسنوا التصرف في غياب المعلم لا في حضوره فقط. فالضغط والمراقبة الشديدة ينفِّران الطالب من التمسُّك بالنظام. فوق هذا، يترتب على المعلم أن يعطي تلاميذه فرصة التعبير الذاتي شفهياً وكتابياً فلا يكون هو المتكلم الوحيد في الصف، ولا يفرض على الأولاد آراءه، ولا يُملي عليهم دروساً جاهزة يسمّيها «محاضرات» بل يطلب منهم التحصيل والتلخيص والنقد الذاتي ويشجعهم على مناقشة ما يقرأون ونقد ما يكتبون أو يكتبه غيرهم فلا يكونوا مقلّدين ناقلين بل باحثين خالقين لأن أهم علامات المثقف القدرة على التفكير والخَلق الذاتي.

ثانياً تقوم التربية الخُلقية على **خلق الجو الصالح** في المدرسة وهذا يتوقف على شخصية المدرس وطريقته في التدريس ومقدرته على اكتساب احترام الطلبة وثقتهم وذلك بما يلمسونه من إنصافه واستقامته وصراحته وصدقه وعدم محاباته، بحيث يسود المدرسة روح العدل والرضى والوفاق والنظام. وهنا لا بد من تعاون **أسرة الولد** مع المعلم على خلق الجو الصالح لتربية الأخلاق والا فان الوالدين بمثلهم السيء يهدمون ما يبنيه المعلم. لذلك وجدت في الأقطار المتطورة «جمعيات الوالدين» التي يتصل أعضاؤها بأسرة التعليم بصورة منتظمة ويتعاونون وإياهم على حل مشكلات الأولاد.

والآن يحق لنا أن نتساءل: **هل يصلح كل فرد لمهنة التربية؟** والجواب هو ان مهنة التربية كغيرها من المهن تستدعي التدريب المهني أو التخصص في مؤسسات التربية، ولا شك في أن بعض الناس أصلح لها من بعض لا سيما أولئك الذين اتصفوا بشخصية قوية شاملة التكوين. ويرى البعض ان المرأة أصلح لها من الرجل. والواقع ان المرأة أصلح من الرجل لتربية الطفل في سنيه الأولى فقط. والعلم الحديث يرى أن قصر تربية الولد على المرأة وحدها أمر غير مستحسن فالولد يجب أن يشترك في تربيته الأم والأب لاسيما إذا جاوز سني

الطفولة، ويجب أن يستفيد من خبرة المربي والمربية والمجتمع بأسره فلا تستبد بتربيته الأم وحدها ولا الوالد وحده ولا المربية. لأن لكل من الجنسين ميزات تكمل نقص الآخر. ولذا يصح القول إن الإلمام ببعض أصول التربية يجب أن يكون جزءاً من الثقافة العامة للفتاة والفتى فان لم يصبح الرجل معلماً احتاج الى معارفه التربوية حين قيامه بدور الأبوة والأمر نفسه يصدق على المرأة.

أما وأهداف التربية كما رأينا من الدقة والتشعب فقد أصبح مترتباً على من يتخذها مهنته أن يكون من أهل الثقافة الشاملة والخلق الرفيع والضمير الحي والغيرة على المصلحة العامة هذا عدا اختصاصه في فن التربية، سواء في ذلك معلمو الابتدائية والثانوية. ومن الخطأ أن نعتقد ان التربية الابتدائية يمكن تسليمها لأي كان فهي تتطلب من الكفاءة والاستعداد ما يتطلبه التعليم الثانوي. وليس من العدل أن تصبح مهنة التعليم ملجأ للعاطلين عن العمل أو من سدّت في وجوههم أبواب الارتزاق فليس كل من عرف القراءة صالحاً للتربية. ولا يجدر بأولى الأمر أن يتخذوا لهذه المهنة غير أهل الكفاءة. فما أحوجنا الى توسيع أبواب العمل وتكثير المهن في هذه البلاد لكي يجد كل منا المهنة التي تليق به ولا يقبل على مهنة التربية الا من يليق بها. وانه ليقع على عاتق الحكومة أن ترفع مستوى التربية في هذه البلاد برفع مستوى القائمين بها وذلك يتم اذا اهتمت الحكومة بتقدمهم المهني ومن وسائله أن تنظم لهم الدورات التدريبية وتنشىء لهم المكتبات الغنية بالكتب العامة والخاصة لا سيما في القرى النائية عن العاصمة التي يسود فيها الجمود العقلي وتقل وسائل النمو الثقافي، ثم بأن تشجع نشوء المجلات التربوية فهي خير حافز للمعلم على التقدم والتثقيف المستمر سواء بمطالعتها أم بالاشتراك في انشائها.

ويدخل في نطاق التقدم المهني التقدم المادي فراتب المدرس يجب أن يتناسب مع الجهود الشاقة التي تنتظر منه. وكيف ننتظر من المعلم أن يقبل على عمله برغبة وإخلاص وأن يسعى للتقدم والابتكار اذا كان يشعر انه مغبون مهمل وانه لا يلقى المعاملة التي يلقاها أهل طبقته من المثقفين، فالغبن يحط بمنزلته الاجتماعية وينشىء فيه روح الذل والصغارة أو يدفعه الى الجمود واللامبالاة الا اذا كان من غير طينة البشر. وهذه الحالة تقف حائلاً دون تقدم

التربية والمربين وتمنعهم من توحيد صفوفهم وانشاء النقابات المنظمة القوية أسوة بـالمحامـين والصحافيـين وأمثالهم من أصحـاب المهن الثقافيـة. فعسى أن تنـظر «وزارة التربية الوطنية» الى هذا الأمر بعين الاهتمام فتتابع الإصلاح الذي بـدأته في مـدارسها وفي المـدارس الأجنبية والأهليـة، وتواصـل الجهود لـرفـع مستـوى المربين وتوفير سبل تقدمهم المعنوي والمادي(*).

الأديب. الجزء الثالث، السنة ٢،
آذار (مارس)، ١٩٤٣، ص ٦، ٧ و٨.

(*) وضعت هذه المقالة جواباً على سؤال «مهنتي وأثرها في بناء الأمة» طـرحته مجلة الأديب عـلى عدد من المسؤولين في دوائر الفن والأدب والاجتماع والتربية في لبنان.

اقرار التعليم الاجباري المجاني حاجة ملحة

ماذا تنتظرون . . . ؟

ماذا تنتظرون لتجعلوا التعليم في لبنان إجبارياً مجانياً؟

أردتم أن يكون لبنان بلد الثقافة والعلم لأنه لا يستطيع أن يكون شيئاً آخر. فماذا عملتم لتحقيق هذه الأمنية؟

هل قضيتم على الأمية في لبنان؟ ان نسبة الأميين هنا لا تقلّ عن ٥٠ في المئة بين الرجال و٨٠ في المئة بين النساء وان شككتم في صحة هذا القول فراجعوا الاحصاءات[١].

أبهذه النسبة المحزنة تريدون أن يصبح لبنان مركزاً ثقافياً؟

الناس حولنا تسير ركضاً ونحن لا نزال نزحف كالأطفال. في الأقطار المحيطة بنا أصبح التعليم الابتدائي والثانوي أيضاً ـ منذ عهد بعيد ـ حكومياً مجانياً. وهنا يبيع الوالد أرضه ويشقى ليعلّم أولاده. وبدلاً من أن يعمّم التعليم المجاني يزداد عدد المدارس ذات الرواتب والتي لا يختلف أصحابها عن التجار وأصحاب المصانع. يفتحون المدرسة ويستخدمون المعلمين والمعلمات بأجور

(١) Hourani, Albert. *Syria and Lebanon: a political essay*. London: Oxford University Press, 1946, pp. 93-94.

هزيلة ضئيلة ـ اذ لا قانون يمنعهم من ذلك ـ ويجمعون من الطلاب ما يمكنهم جمعه من مال ويحققون ما يمكن تحقيقه من أرباح.

العلم أصبح اليوم من ضروريات الحياة ولا يجوز أن تعبث به أيدي النفعيين. لهذا تتحمل الحكومات الناهضة مسؤوليته وتقدم للشعب تعليماً مجانياً ـ في المرحلة الابتدائية والثانوية ـ مقابل الضرائب التي تجمعها. وان وجد هناك مدارس خاصة، تفرض عليها رقابتها الصارمة، تراقب ميزانيتها وأجورها ومناهجها ونوع تعليمها ومعلميها، لكي تمنعها من أن تصبح مراكز دعاية واستثمار.

وهنا، أي رقابة تفرض على المدارس التي تعطي معلماتها ومعلميها ثلاثين ليرة في الشهر؟ وعلى التي تستخدم موظفين يرضون مثل هذه الأجور لأنهم لا يصلحون لعمل ما؟ وعلى التي يجمع أصحابها الثروات من دخل المدرسة؟ وعلى التي توزّع شهاداتها الخاصة على المستحقين وغير المستحقين وبذلك تضلل الطلاب والذين يستخدمونهم في الأعمال؟ وعلى التي همّها تمكين النفوذ الأجنبي أو الدعاية لبعض الأحزاب؟

ان لمشكلة التعليم والمعلمين في لبنان حلاً واحداً لا ثاني له: ان يجعل التعليم الابتدائي والثانوي المجاني عاماً، أي أن تكثر المدارس الرسمية حتى تفي بحاجة البلاد وتقضي على الأميّة. وأن يكون التفتيش في المدارس الرسمية أكثر تدقيقاً وفاعلية ليرتفع فيها مستوى التعليم ويقضي بذلك على مزاحمة المدارس الخاصة. وأن تلغى المدارس المدعوّة «مجانية» التي تجمع ما يمكن جمعه من أهل الطلاب وتتناول من الحكومة مساعدات مالية فتؤمّن لنفسها الأرباح من ناحيتين. وأن تخضع المدارس الخاصة لمراقبة الحكومة. مراقبة ميزانيتها ونوع تعليمها ومعلميها ومقدار رواتبهم. وبذلك يطبق على الجميع قانون موحد ويصبح رئيس المدرسة موظفاً عند الحكومة. وتتحمل هذه مسؤولية العجز المالي إذا حدث وتمنع الأفراد من المتاجرة بالعلم وتحصيل الأرباح.

أما المال اللازم لتحقيق هذا المشروع ـ أعني التعليم الابتدائي والثانوي المجاني للجميع والرقابة الحكومية على المدارس ـ فيمكن توفيره بالحد من وجوه

التبذير، وخصوصاً بأن تجعل نسبة الضرائب أكثر اتفاقاً مع نسبة الدخل السنوي. وما على الحكومة الا أن تراجع نظام الضرائب الذي تتبعه الدول المتطورة في أنظمتها لترى كيف أن معظم الضرائب عندهم يجبى من أصحاب الثروات بعكس الحالة عندنا.

يقولون إن القانون إرادة الشعب. فأين الشعب يرفع صوته ويفرض إرادته؟

صوت المرأة. العدد ١٠، السنة ٨،
تشرين الأول (اكتوبر)، ١٩٥٢، ص ٦.

اصلاح التعليم في لبنان

لقد مرّ علينا سنتان أو أكثر ونحن نضع الخطط لإصلاح التعليم في لبنـان. وهذا التخطيط ـ وإن كان لم يخرج بعد إلى حيّز العمل والتطبيق ـ هـو بلا شـك بادرة خير ومدعاة أمل ورجاء.

لكن الذي نلاحظه على هذه الخطط انها أولاً ضيقة المدى لا تتعدى إصلاح المناهج وأنه يعوزها الشمول واتساع الأفق. ثانيـاً انها غير مسـترشدة دائـماً روح العلم، روح التجرد الخالص والـترفع عن العـاطفة والنعـرات الشخصية ولعـل هذا هو السر الأكبر في فشلها.

ولنترك النقطة الثانية يحـل مشكلتها الـزمان ولنبحث في النقـطة الأولى. قد كنت أتساءل ـ كلما سمعت بحركة إصلاح المناهج ـ لماذا تثار هذه الضجة حـول المنـاهج ولا تثـار حول أمـور لا تقـل عنهـا أهميـة. وأردت أن أسـأل القـائمـين بالحركـة: تريـدون اصلاح المنـاهج وهـذا ضروري ولكن هل عنـدكم معلمون يطبقونها؟ هل عندكم كتب تدريس صالحة؟ هل عندكم مدارس؟

وإذا لم أسمع جواباً حاولت الجواب بما في استطاعتي.

أولاً: هل عندنا معلمون ومعلمات؟

من صفات الأميركيين المستحسنة ولعهم بالإحصاء وليتنا نأخـذ عنهم بعض

هذا الميل فنقوم باحصاء للمعلمين والمعلمات في لبنان لنعرف عـددهم وأصنافهم ودرجـاتهم ونطرح عليهم مثـل هذه الأسئلة التي تـطرح على محـترفي التعليم في باقي أقطار العالم: لماذا احترفت مهنة التعليم؟ أأنت من حملة الشهادات وما نوع شهادتك؟ هل تخصصت في التربية والتعليم، وما هي وسائل نموك المهني؟

قـد لا يكون من الخـير أن نعطي أجـوبـة جـازمـة ولكن الـراجـح اننـا لن نخطىء إذا قلنا إن القسم الأكبر من محترفي التعليم عندنا ـ وأكثره ابتدائي ـ إنمـا يحترفونه حين تسد في وجوههم سـائر أبـواب الارتزاق لأسبـاب أهمها ضعف في الثقافة أو قلّة في الكفاءة الشخصية. ومن الأخطاء الشائعة ان أياً كـان يستطيـع تعليم الأطفال والأولاد. والواقع ان للتعليم الابتدائي من الأساليب الحديثـة ما يجعله عملاً معقداً لا يستغني عن التخصص.

ان المعهد الوحيد لإعداد المعلمين عندنـا هو المعهـد الحكومي الـذي يحضّر للتعليم الابتدائي وينقسم الى دار المعلمين ودار المعلمات. ولكن أي جـزء بالمئـة من معلمينا ومعلماتنا تثقفوا في هذا المعهد؟ انه بحكم الـطبع جـزء ضئيل وليس من يجهل ان مئات من معلمي المدارس الابتدائية والمتوسطة ـ وحتى الثانوية ـ لم يحصلوا على أصغر الشهادات المدرسية، إما لأنهم نـالوا مـراكزهم بـالوسـاطات ـ وهم العـدد الأكبر ـ أو لأنهم قـدماء وُظفـوا قبل أن تنتـظم في البلاد شهـادات وقوانين مدرسية.

وأكبر شاهد على ضعف الهيئـة التعليمية في لبنـان انها ـ رغم كثرة المـدارس عنـدنا بصـورة نسبية ـ لم تتمكن من إصـدار مجلة واحـدة تـربـويـة، وانها وهي الـطبقة المثقفـة وربما الأكـثر عدداً[1] بـين طبقات أصحـاب المهن، لم تتمكن من تـأليف نقابـة في حين ان للخيـاطين والحـلاقين والـطهاة نقـابـاتهم، فضـلاً عن المحامين ومحرري الصحف ومستخدمي الصناعة والتجارة.

وقد حاول بعض القائمين بشؤون التربية عندنا أن يحصلوا عـلى إحصاءات وتقارير وافيـة عن حالـة التعليم في لبنان فلم يجـدوا في وزارة المعارف مـا يصح

(١) في لبنان ٨١ ألف طالب وطالبة وفـوق ١٥٠٠ مدرسة وعدد المعلمين لا يقل عن ثلاثة آلاف إذا حسبنا المعدل اثنين في كل مدرسة.

الاعتماد عليه ولا استطاعوا الحصول على بيان واضح بالقوانين المتعلقة بالمدارس والمعلمين والتفتيش وعلاقة الحكومة بالمدارس الخاصة والأجنبية. وليس هناك قانون يفرض على الأحداث اللبنانيين درس لغتهم فتجد في المدارس الخاصة الابتدائية أطفالاً وأولاداً يحملون الجنسية اللبنانية ولا يدرسون العربية. وليس في أقطار العالم المتمدن من يقبل توظيف معلمين ومعلمات من غير شهادات مدرسية ولا امتحانات الا حكومة لبنان. فالواسطة هي الشهادة والامتحان.

في فلسطين ـ وهي قطر حديث في تنظيمه الثقافي ـ لا يقبل للتعليم في مدارس الحكومة الا حاملو الشهادة التعليمية وان قبل غيرهم من ذوي الشهادات العادية فرضوا عليهم تقديم امتحان بيداغوجي في خلال مدة معينة. وباب الترقية مفتوح للمعلمين بصورة مستمرة ولكن على أساس الامتحان فقط وهو قانون جدير بالاعتبار لأنه يستهدف حمل المعلمين على النمو المستمر والاتصال الدائم بالحركة العلمية والتطورات البيداغوجية في العالم، مما لا بد منه لكل مدرس لئلا يتعرض للجمود والتحجر الفكري.

انه لجدير بلجان الإصلاح أن تقوم بإحصاءات دقيقة عن حالة المعلمين والمعلمات في مدارس لبنان من حكومية وخاصة، أي عن شهاداتهم ومؤهلاتهم وكفاءاتهم، وقبل أن تفرض عليهم المناهج الجديدة، أن تفرض عليهم وسائل الدرس والنمو، لأنهم بدونها لا يستطيعون تطبيق المناهج ولا يستفيدون منها. وحينئذ يستطاع تنظيم سلسلة من امتحانات الكفاءة التدريسية تعتبر وحدها وسيلة للتثبيت ووسيلة للترقية والتصنيف ومن لم يجزها بنجاح يصبح عرضة للصرف بعد مدة محدودة.

تبقى مسألة زيادة دور المعلمين الابتدائية وإنشاء دار تعدهم للتعليم الثانوي وإرسال بعثات الطلاب الى الخارج للتخصص في التربية والعلوم واللغات وهو موضوع كثر الحديث عنه فلا نعود اليه.

ثانياً: هل عندنا كتب تدريس؟

قد تعثر على المعلم الكفء. ولكن أندر منه وجوداً الكتاب المدرسي

الصالح. ومعنى هذا انه اذا اجتمع المعلم الضعيف والكتاب السيء الحال ـ وكثيراً ما يجتمعان ـ فهناك الطامّة الكبرى.

ومعنى هذا أيضاً ان المعلم الذي يستعمل كتب التدريس العربية عليه وظيفة مضاعفة: القيام بواجبه كمعلم والاهتمام بتعديل كتب التدريس وسد نقصها ولهذا يجب أن يكون من ذوي الكفاءة الحقة.

تقسم هذه الكتب الى قسمين: كتب العلوم (الرياضيات والأشياء الخ) وهي قليلة وغالباً منقولة عن اللغات الافرنجية فهي لذلك أفضل حالاً من غيرها. وكتب اللغة (قواعد وقراءة) والتاريخ والجغرافية، وهي التي لا تزال في حالة نقص شديد ولنذكر بعض وجوه نقصها:

ان معظم كتب القواعد المستعملة في لبنان لا تزال قديمة الأسلوب لا تختلف في موادها وأساليبها عن كتب القرن التاسع عشر. فنحن نفتقر الى كتب قواعد حديثة الطراز تسهل القواعد بالتبسيط والتوضيح والإكثار من تمارين التطبيق وتحذف النوافل وتزيد مواضيع أساسية هامة في الإنشاء والبيان. ولا ننكر أن هناك محاولات لا تزال برعمية، ولا ندري أتكون مما يسد فراغاً أم لا.

كتب القراءة، منها ما يحتوي القطع الركيكة العبارة أو التي يعوزها الذوق الأدبي. ومنها ذات القطع القديمة الأسلوب الوعرة الألفاظ والضعيفة المادة. ومنها التي يعوزها التمارين والشروح والأسئلة العصرية النهج أو تنقصها الصور المناسبة ذات اللون المحلي. ومنها ذات المواضيع البالية أو المعاني الخاطئة. ولأضرب لك مثلاً يدل على ذهنية بعض المؤلفين: في كتاب قراءة حديث للأولاد حكاية طفل مريض «وأمه تبكي وتقول للطبيب اني أموت اذا طال مرض ولدي» وفي وصف الأم مظهر ضعف لا يحسن عرضه على الأولاد الذين نريد تنشئتهم على رباطة الجأش. وفضلاً عن ذلك نجد بين كتب القراءة ما لا يخلو من دعايات مذهبية ونحوها.

وهناك كتب التاريخ والجغرافيا التي تنساق أكثر من غيرها لأصناف الدعايات وهي فوق ذلك شديدة الافتقار الى الطريقة العلمية يغلب فيها أسلوب الحكايات والأساطير وتكثر الأخطاء والمغالطات. وهاك نموذجاً من

الأساطير في كتاب تاريخ (تقرر تدريسه في المعاهد الرسمية حسب قول المؤلف): «الأشوريون أبناء أشور بن سام بن نوح»! «الفرس قوم يافثيون». «بنى رومولوس أول ملوكهم مدينة رومة» «في الجيل الثاني للمسيح» بدل «القرن الثاني». «الملكة زينب» بدل زنوبيا. «أول من غزا سوريا ولبنان ملوك بابل الكلدان». والواقع ان الكلدان جاءوا بعد الأشوريين. «فلسطين اختص بها الانكليز ليقوموا بوعدهم لليهود بإعطائهم اياها وطناً قومياً»! ومن ركاكة التعبير: «تقارير اللجان المولجة درس مشاكل هذه القضية». «بنى المساجد الدينية» ومعروف ان المسجد ديني. ومن الأقوال الجارفة: «كان الفلسطينيون أولاً ضعفاء لكنهم تقووا مع الأيام» كيف، لماذا، انها «الأيام».

أما كتب الجغرافية فينقصها الخرائط الحسنة الدقيقة الصنع والاحصاءات والشروح والصور. أي ينقصها أهم موادها. ومعظمها ذات أسلوب غير علمي جارف التعبير.

«أصبح لديهم عدد لا يستهان به» أي عدد. «في لبنان عدد كبير من الصحف»؟؟ «مياه لبنان تنقي الدم وتشفي من الأمراض» وهو من نوع كلام العامة. وتقرأ في مكان آخر: .«وهي مقر آل. . . زعماء جبل عامل» «وهي مقر آل. . . زعماء الشيعة» ألا نزال في عهد الزعامات الوهمية المبنية على الأنساب، حتى في كتب الجغرافية؟؟

ومن التحديدات الساذجة الخاطئة: «المستعمرة بلاد تملكها حكومة غريبة». وأيضاً: «الأديان قسمان قسم يعرف أتباعه الإله الحقيقي وقسم لا يعرف أتباعه الاله الحقيقي» وهو تقسيم خاطىء يرجع الى القرون الوسطى. ومثله تقسيم أجناس البشر حسب ألوانهم. . .

أما كتب المطالعة ـ لا سيما مطالعة الأطفال ـ فأكثر اتكالنا فيها على الكتب المصرية وفيها الغث والسمين وفيها الحكايات المنقولة عن الغرب بطريقة مشوهة أو بعبارة وعرة ومع ذلك فهي حكايات للأطفال: هذا ونضرب صفحاً عن كتب الأناشيد وما فيها من نقص.

ألا يرى أرباب الاصلاح انه يجدر بهم الالتفات الى فوضى الكتب والسعي

لحذف الركيك والضعيف والمشوه وإصلاح ما يمكن إصلاحه وإيجاد شيء من التلاؤم والانسجام؟ ألا يرون ضرورة تأليف اللجان للتأليف والنشر والمراجعة والتشطيب؟ هذه أيضاً نغمة قديمة ولا ندري متى تلاقي آذاناً مصغية.

ثالثاً: هل عندنا مدارس؟

يؤخذ من إحصاءات تقريبية ان عدد مدارس الحكومة ثلاث مئة وست مدارس ابتدائية يضاف اليها دارا المعلمين والمعلمات. أما باقي المدارس وهي نحو ألف وثلاث مئة فالقسم الأكبر منها إرسالية أجنبية (فوق الألف) والقسم الأصغر طائفي أهلي (١٣٤).

من هنا نرى اننا في الناحية الحيوية من حياتنا الاستقلالية لا نزال عالة على الأجانب نعتمد عليهم في بناء أسس الاستقلال.

ان لكل من مدارسنا المتنوعة مشاكلها وعيوبها. فالافرنسية ـ وهي تؤلف أكبر قسم منها ـ يهمها في الدرجة الأولى تحضير الطلاب للشهادات الافرنسية. وقد تقحم في مناهجها الخاصة المنهج اللبناني وحينئذ يضطر الطالب الى درس ثلاث لغات ويصبح مرهقاً بمنهج مزدوج يكلفه ما لا يطيق.

والمدارس الأميركية قد اتخذت لنفسها منهجاً خاصاً لا هو بالأميركي ولا باللبناني وتصرفت فيه كما شاءت فلا تتقيد بامتحانات رسمية ولا بشهادات حكومية وانما تزيد في بلبلة المناهج.

والمدارس الطائفية والأهلية تنحاز لهذا الجانب أو ذاك وتتأرجح بين فريق وآخر لكنها تتفق بصورة عامة على بذر التعصب الطائفي ونجاحها في ذلك غير قليل.

يبقى مدارس الحكومة وأكثرها قابعة في القرى وكأنها تعيش على هامش الحياة التعليمية.

أليس على أولي الأمر أن ينظروا بأسرع ما يمكن في مشاكل هذه المدارس وما يجب إصلاحه فيها ثم أن يحددوا مدى تصرفها في شؤون التعليم ومقدار

تقيدها بالمناهج الرسمية ويروا ما يجب القضاء عليه من نزعاتها وانحرافاتها؟

إن هذه اللمحة السريعة في حالة المدارس والمعلمين والكتب ترينا أن هناك عللاً أساسية تجب مداراتها وأن الإصلاح يجب أن يسير أعمق مما يظنون وأبعد من المناهج. فان نحن أغفلنا هذه النواحي الهامة كنا كمن يداوي الصداع بالمسكنات حين يكون سببه دمل في الرأس.

الأديب. الجزء الثالث، السنة ٥،
آذار (مارس)، ١٩٤٦، ص ٤٠، ٤١ و٤٢.

التفريق الخاطئ بين منهجي البنين والبنات

كنتُ أطالع بعض المقالات في موضوع «إصلاح التعليم في فرنسا» وتبينّ لي ان هذه المشكلة ما زالت منذ عشر سنوات تشغل أذهان الفرنسيين وتتناولها بالبحث أقلام كتّابهم من أساتذة ومعلمين وصحافيين وإداريين واختصاصيين في فن التربية. وما زالت حتى اليوم تُنشَر حولها المقالات المبنية على الاختبار من جهة وعلى التنقيب الأحصائي من جهة أخرى. وللآن لم يصلوا فيها الى نتائج حاسمة، لأنها تتخذ عندهم من الخطورة مقداراً يفرض عليهم الانتظار ريثما يكتمل احتكاك الآراء حول الموضوع، ويجتمع لديهم أكبر عدد ممكن من المقترحات والتوصيات.

أما هنا، حيث يشغلنا الموضوع نفسه منذ مدة، ونتناوله بالكلام دون الدرس والتنقيب الكافيين، فقد تقرر بين ليلة وضحاها وضع منهج ثانوي جديد للبنات، وفي برهة من الزمن ظهر في هذا السبيل منهجان مختلفان لكل منهما نزعته ومواده.

أيُّ دراسات تمهيدية سبقت الاقتراح وما ولَّده من مناهج؟ وإلى ماذا يستند أولئك الذين يريدون التفريق بين منهج البنات ومنهج البنين في الصفوف الثانوية؟ هل استندوا الى نتائج البكالوريا؟ وهذه لا ترينا أن معدل النجاح عند البنات يقل عمّا هو عند الصبيان.

أم استندوا إلى احصاءات أَرَتْهم تناقص عدد اللواتي يدخلن الجامعات؟ والأمر على العكس تماماً فطالبات الاختصاص الجامعي في نمو مستمر وإن كان عددهن ما يزال قليلاً(١).

أم انهم استعانوا بخبرة الشعوب التي سبقتنا في مضمار التعليم؟ وليس بين هذه الشعوب واحد يرى فائدة التمييز بين البنات والصبيان في المنهج الثانوي. إذ ليس هناك فروق عقلية أساسية بين الجنسين تقتضي هذا التفريق، إلاّ في ناحية التمارين الرياضية التي تمارس منها البنات أنواعاً أقل خشونة مما يمارسه الصبيان.

وبعدُ، لو استوحى أولياء الأمر مقررات هيئة الأمم المتحدة لوجدوا أنها تُلحّ على أن يكون «التعليم العام الذي تتلقاه البنات معادلاً من حيث القيمة والمستوى لما يتلقاه الصبيان».

أما الذين يستنكرون كثرة السقوط في امتحانات البكالوريا ويؤلمهم أن لا يحصل عليها جميع المرشحين والمرشحات، فإلى هؤلاء نقول: ليس ضرورياً أن يصل جميع الطلاب والطالبات إلى البكالوريا. بل من الضروري أن يقف قسم كبير منهم عند نهاية التعليم الابتدائي العالي للاستعداد لمهنة أو لدرس فنٍ من الفنون.

إن التعليم في مدارسنا ما يزال معظمه نظرياً، كحالته في أول نشأته. والبلاد في تطور سريع يحتم علينا زيادة الاهتمام بالتعليم المهني. وما زال هذا التعليم يلقى اهمالاً كبيراً في توجيه الصبيان وإهمالاً أشد في توجيه البنات. ولأذكر على سبيل المثال حاجاتنا إلى الممرضات وإلى المعلمات المدرّبات في رياض الأطفال والصفوف الأولية لنعلم شدة افتقارنا إلى التوجيه المهني.

أما إذا كان بين الراسبات في التعليم الثانوي مَنْ يرغبن في زيادة التثقيف النظري، فقد يُتاح للمدرسة أن تنشيء لهن فرعاً خاصاً تتناسب دروسه مع مستواهن. لكن لا يجوز أن نسمي ذلك إتماماً للدراسة الثانوية أو منهجاً يقود

---

(١) هذا المقال يرتكز على معلومات احصائية لم يتسع المجال لإثباتها.

إلى شهادة ما. بل يكون بمثابة دروس خصوصية في مواضيع معينة.

إذا تخلّينا عن الأغراض التي أوحت إلينا بفكرة التفريق ودرسنا الموضوع على ضوء العلم والاختبار والتمحيص، سَهُل علينا الاقتناع بخطأ الفكرة وكنا حينئذ من المنصفين.

صوت المرأة. العدد ٤، السنة ١١،
نيسان (ابريل)، ١٩٥٥، ص ٦.

التثقيف الشعبي

مما يأخذونه على منهج التعليم أنه يعزز اللغات الأجنبية على حساب العربية، مع أن منهج الأدب العربي هو في رأيي أفضل ما يمكن أن يصل إليه مستوى الدراسة الثانوية. والمنهج يفسح في المجال لتدريس العلوم باللغة العربية. لكنه يتيح للطالب فرصة درسها باللغات الأجنبية ما دامت كُتب التدريس العربية في هذه المواضيع مفقودة. فإذا استمر تدريس العلوم في المدارس الثانوية بلغة أجنبية فليس الذنب ذنب المنهج بل ذنب السلطة التي لا تكلف عدداً من الاختصاصيين وضع كتب علوم عربية صالحة لاستعمال الطلاب.

هنا يعترض بعضهم قائلين: إن تدريس العلوم في العربية من شأنه أن يضيّق أمام الطالب مجال التعمق في العلوم لأن المراجع التي يجب عليه اللجوء إليها للتوسع إنما هي مراجع أجنبية. وسيَجد طلاب التخصص الجامعي صعوبة كبرى في درس العلوم وغيرها من المواضيع الجامعية في لغة اجنبية إذا كان درسهم لها في الصفوف الثانوية مقصوراً على كتب عربية.

ويجيب عن هذا الاعتراض فريق آخر فيقول: ليس جميع طلاب الثانوية مرشحين لدخول الجامعة بل إن ذلك مقصور على جزء منهم لا يجاوز عشراً في المئة. وبما أن أفراد هذا الفريق يكونون ـ أو يجب أن يكونوا ـ من الطلاب

المتفـوقين، لن يصعب عليهم إتقـان اللغة الأجنبيـة بصـورة تمكنهم من متـابعـة التخصص في العلوم عن طريق تلك اللغة.

لا يُنكَر أن إتقان لغة أجنبية أمر مستحسن لكل طـالب شرقي. لكن تحقيق هذه الأمنية متعذر باعتبار أن ثمانين في المئة من الطلاب اللبنانيـين لا يجاوزون في دراستهم صف الشهـادة الابتدائيـة. أي أن ثمانـين في المئـة منهم يعجـزون عن مطالعة الكتب الأجنبية ويقصرون مطالعتهم على العربية.

والـذي يسترعي الانتبـاه في الآونة الأخـيرة إقبال الـطبقـة العـاملة، وأهـل الثقـافة المحـدودة على التثقف بـواسـطة الـراديـو والجـرائـد والمجـلات الخفيفـة والقصص من مترجمة وغير مترجمـة وسائـر ما تنتجـه مطابـع مصر ولبنان لـمطالعة العامة من القراء.

وتلك ظـاهرة طيبـة تستحق الاهتمام وتفـرض على المسؤولـين أن يـرعـوهـا بالوسائل التالية:

أولاً مراقبة الكتب العـربية التي تنتشر بـين أصحاب هـذه الطبقـة لتكون ذات مستوى حسن من ناحيـة اللغة والمعلومـات ولتخلو من الأخبار والحكـايات الـرخيصة التي يعمـد تجار الكتب إلى نشرهـا بـين المـراهقـين وغـيرهم من روّاد الترفيه العقلي والتسلية الفكرية.

ثانياً تـأليف كتب العلوم بالعـربية للصفـوف المتوسـطة على الأقـل. لكي يتـاح للطلاب الذين لا يتقنـون لغة أجنبيـة أن يسـتزيـدوا من المعـرفـة العلميـة اللازمة لكل فرد في هذا العصر العلمي.

ثالثاً تشجيع انشاء المجلات وتأليف الكتب التي تنشر المعلومات التطبيقية في الصحة والفيزياء والكيمياء والزراعة وعلم النفس، في الشكل المبسّط السهل المتنـاوَل الذي يسمـونه العلم الشعبي(Popular Science)ولهـذا التدبـير أهميتـه عندنا منعاً لطغيان الصحافة السياسية التي تكاد تستأثر باهتمام السكان ونظراً إلى تزايد الحاجة إلى العلم التطبيقي في البيت والمعمل، في المزرعة وفي سـائـر دوائـر العمل.

رابعاً السعي لتأليف كتب المطالعة للصغار والمراهقين في جميع فروع الثقافة من علوم وتاريخ ورحلات وقصص وأخلاق واجتماع. لأن كتب التدريس العربية التي بين أيديهم قليلة محدودة القيمة والموضوع ولا بد من سد نقصها بواسطة كتب المطالعة.

هذه ملاحظات أثارها في ذهني حديث جرى بيني وبين معلم في مدرسة قروية سألني عن كتب يطالعها في العربية ومن بينها كتاب في علم النفس. فتحيرت في الجواب ولم يمكني أن أشير عليه بمطالعة كتب أجنبية لأن معرفته للانكليزية اقتصرت على مبادىء قليلة لا تسمح له بالمطالعة.

إن المقياس الصحيح لمستوى الثقافة في البلاد ليس النخبة القليلة من الجامعيين بل الانسان الوسط الذي يمثل الأكثرية الساحقة. وما دامت الأكثرية عندنا عاجزة عن التثقف بواسطة المطالعة فستؤدي هذه الحالة إلى جمود المستوى الثقافي أو تدهوره بالقياس إلى الأقطار الأخرى المجاورة التي أخذت تسبقنا في وسائل تعميم العلوم ونشر الثقافة العامة.

وقد أشرت في مقال سابق إلى ضرورة المحافظة على مستوى ثقافي رفيع في لبنان حيث تتوفر الرغبة في العلم وتتعدد مراكزه من مطابع ومدارس. أفلا يجدر بنا أن نتّعظ بمثل الأرنب والسلحفاة؟

صوت المرأة. العدد ١١، السنة ١٣،
تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٥٧، ص ١٠ و١١.

الرياء في تربيتنا

عادت الطفلة من المدرسة عند المساء وما إن خلعت عنها المريول ومحفظة الكتب حتى جاءتها الأم بالعصرونية. وسألت:

ـ هل أكلت الفطائر التي أخذتها صباحاً؟

ـ نعم وأطعمت منها سهام.

ـ لماذا لم تأكليها وحدك؟ يا لك من بلهاء!

ـ لكن سهام صديقتي و.. وحين تأتي إلى هنا مع أمها... ألا تطعمينها الفطائر والشكولاتا؟

ـ إنها تأتي حينئذ زائرة مع أمها. نحن نقدم المأكولات للزائرين فقط... ألا تفهمين؟

وأخذت الطفلة تقضم عصرونيتها ساكتة، حين قالت الأم: كلي ما أعطيتك هنا ولا تخرجي لتوزيعه على صويحباتك. وإذا خرجت للعب لا تتعوقي.. عليك أن تدرسي مشائلك لتكوني الأولى في الصف. أليس عاراً عليك أن تسبقك هند وسلمى وانعام؟

وحين انتهت البنت من الأكل قالت الأم: لا تذهبي قبل أن تمشطي شعرك وترتبي ثيابك. أتريدين أن تكون سميرة أجمل منك؟

وتحدّثت إليّ نفسي بعد هذا قائلة: ألا يمكن هذه الأم أن تربي في بنتها

الحرص والطموح من غير أن تثير فيها روح المنافسة والحسد وبدون أن تقتل فيها غريزة الألفة والحب والتعاون؟

ها هنا «مسطرة» من مساطر التربية الشائعة عندنا. العطاء فقط للمباهاة، للظهور، في أحوال الضيافة، في الظروف التي تنص عليها التقاليد ـ أما العطاء التلقائي فلا يلاقي تشجيعاً. ونشاطنا أيضاً يجب أن يرتكز على المنافسة والرغبة في التفوق. نسعى لا حباً بالسعي، بل رغبة في قهر فلان وسحق غيره. كأننا لا نستطيع أن نشعر بلذة العمل مجرّدة، خالصة من أدران الغَيرة والأنانية.

واني لاستعرض جيوش الأولاد الذين نشأوا وينشأون على هذه الأساليب التقليدية. عالمهم عالم أشخاص، يكاد يخلو من صور الطبيعة ومتعها، من محاسن النبات والحيوان، والجبال والأنهار، يدرسونها ويلهون بها عن مناظرة بعضهم بعضاً ومراقبة بعضهم بعضاً.

إذا اقتنوا هرّاً شغلوا بضربه وتعذيبه عن درسه ومؤالفته. وإن أرادوا اللهو في الأحراج حملوا بندقية صيد يقتلون العصافير المسكينة، أو قضيب دبق يمسكون به الحساسين المغردة ليحبسوها داخل قفص.

وليست علاقتهم مع البشر أفضل حالاً، رغم شغفهم بالعشرة والمؤانسة.

وإني إذا ذكرت جماعات الصغار والكبار الذين عشت بينهم في صغري، رأيت نساء وأولاداً، شباناً وشيوخاً يلهون بسرد حكايات الغير وكشف عيوبهم؛ ويجدون متعة كبرى في السخر والهزء من كل ما يرون أو يسمعون حتى إذا حضر أولئك الذين اتخذوهم موضوع سخرهم. عكسوا الآية وحولوا الكلام من ذم إلى مدح ومن سخر إلى لطف ومجاملة.

لقد تعلمنا في صغرنا أن نسيء الظن في الناس وبالتالي أن نجتنبهم ونحتقرهم. وتعلمنا في صغرنا أن نلهو بنقد الناس في غيابهم ومجاملتهم في حضورهم. وتعودنا أن نبني أعمالنا على المنافسة بدل التعاون.

وأني حين أذكر هذا كله، أفهم سر هذه الانقسامات التي تشلُّ في بلادنا حركة التقدم، ويتضح لي سرُّ العداوات التي تعصف بسكان هذا القطر والأقطار المجاورة.

ويلوح لي بارقة أمل في الحركات الكشفية والألعاب الرياضية التي تنتشر وتزدهر. فأود أن تزداد انتشاراً وازدهاراً في كل بلدة وكل ناحية، لعلها تنشر بيننا روحاً جديدة ينشأ عنها جيلٌ جديد.

صوت المرأة. العدد ٩، السنة ١٢، أيلول (سبتمبر)، ١٩٥٦، ص ١١.

مـاذا نقـرأ ؟

للأديب الشاعر يوسف غصوب مقال نشره منذ عهد غير بعيد في مجلة المينا يبحث فيه أسباب ضآلة الانتاج الأدبي في لبنان وينتهي من بحثه إلى استنتاج رئيسي وهو أن طغيان الثقافة واللغات والصحف الأجنبية في هذا القطر وإقبال أهله على مطالعة آداب الغربيين وعلومهم في لغاتها الأصلية، وتأثير الهجرة والتفرنج من جهة أخرى، كل ذلك يقف حائلاً دون الانتاج الأدبي فيه، في حين أن الأقطار المجاورة التي لم توفق إلى هذا العدد الكبير من المؤسسات والمعاهد والمؤشرات الأجنبية التي يعج بها لبنان لا تزال بصورة عامة أقل اتصالاً مباشراً بثقافات الغرب، وأدبها أقل تعرضاً لمنافسة الأدب الأجنبي، ولهذا يستطيع أدباؤها حين يكتبون بالعربية أن يجدوا قراء لأدبهم وإن كان محدود القيمة.

ومع أن أسباب الركود الأدبي في لبنان عديدة لا تقتصر على واحد، لا يسعنا إلاّ القول بأن في هذا التعليل كثيراً من الصحة، وما عليك لإثباته إلاّ أن تقوم بإحصاء لعدد الكتب والمجلات الأجنبية التي تباع كل يوم في بيروت، بينما المكتبات العربية تكاد تقصر نشاطها على بيع الكتب المدرسية التي يقرأها طلاب السرتيفيكا والبكالوريا اللبنانيتين.

ليس عدد القراء قليلاً في لبنان والنشء الجديد كثير الاقبال على المطالعة لا

سيما الشبان والشابات الذين نالوا ثقافة كلاسيكية تغلب فيها النظريات على العمليات. لكن أهل الطبقة المثقفة عندنا أكثر إتقاناً للغات الغرب منهم للغتهم بل إن كثيرين منهم ينفرون بطبعهم من كل لون محلي ويحتقرونه رغم تبجح البعض منهم بلبنانيتهم وليس لهم من العزة القومية ما يدفعهم إلى تجشيع الانتاج المحلي وإن كان هزيلاً.

وهب أنهم اتقنوا لغتهم حتى أصبحوا يرون الكتابة فيها أمراً متيسراً فهم لا يجدون لهذا الاتقان فوائد عملية واضحة. فأماكن العمل ـ المؤسسات والشركات الأجنبية التي يزخر بها لبنان ـ تتطلب منهم إتقان اللغات الأجنبية. وإن هم انصرفوا إلى الكتابة في العربية فقد لا يجدون بين اللبنانيين قراءً، والأقطار الشقيقة أشد حرصاً على تشجيع أدبائها منها على تشجيع أدباء لبنان، وهذا أمر طبيعي. وقد يضحي بعضهم بوقته وماله ونشاطه مدة من الزمن ثم يصبح عاجزاً عن التضحية أو كارهاً لها. ثم ها هم تجار الأدب، لجان الكتب المدرسية، محطات الاذاعة، شركات النشر ومؤسسات التعاون الثقافي بين الشرق والغرب، جميع هذه الوجوه الجديدة تمد إليهم يدها وتغريهم بالأدب التجاري الذي يجعل من المتأدبين أدباء، فلماذا لا يهرع إليها الكتّاب الناشئون؟

زد على ذلك ان دخول ميدان الأدب الصرف يصبح أشد صعوبة كل يوم بارتفاع مستوى الثقافة وتعنت القراء، وشيوع السأم في نفوس النخبة المثقفة. فماذا يقرأ هؤلاء؟ المقالة، لقد ابتذلت لسهولة مأخذها، فهي لا تقرأ الا إذا برزت في شكل مغر طريف، في شكل اختبارات وإحصاءات عملية على الطريقة الأميركية، أو حقائق فلسفية ودرس عميق أو عرض فني على الطريقة الأوروبية، ولا نلوم هؤلاء القراء اذا أعرضوا عن المقالة الخفيفة التي جاءت بنت ساعتها وخلقت من غير عناء. وفي ما سوى ذلك يريد المثقفون قصصاً حديثة الأسلوب نظير قصص أو. هنري وتشيكوف أو مسرحيات على طريقة مترلنك أو غابرييل مارسيل أو شعراً على طريقة الرمزيين والسورياليين. هذه الألوان الأدبية المغرية لا يحذقها الأديب العربي الا اذا انقطع لخدمة الأدب ووقف عليه حياته واجتاز في سبيله الطريق الوعرة الشائكة التي تدمى فيها

الأقدام وتتقطع الأنفاس ومن لنا بمثل هذا المتصوف الذي يأتيه الرزق بلا تعب فينفقه على الأدب؟

نقرأ في العربية الأخبار المحلية والتطورات السياسية. وحينئذ لا يستطيع من تعوّد قراءة الصحف الأجنبية إلا أن يقابل بين أسلوب هذه وأسلوب تلك.

يقرأ مثلاً في مجلة «تايم»: «ولد لفلان صاحب معامل كذا ولزوجته فلانة صبيّ وزنه كذا». وفي صحيفة عربية: «أنعم الله على التاجر المعتبر فلان وزوجته الراقية بمولود ذكر قرت به عيون الوالدين وقد دعي كذا تيمناً باسم جده الطيب الذكر فنسأل الله أن يجعله من أبناء السلامة ويصونه في ظل والديه الكريمين ويجعله قرة عيون البيت السعيد الخ».

هنا أتساءل: كيف يحتمل مثل هذا الهذر من تعود قراءة الصحف الأجنبية؟

وقد نقرأ الأدب المترجم ولكن على غير لذة لأن من استطاع أن يقرأ قطعة أدبية في أصلها الأجنبي لا يمكنه أن يسيغها في الترجمة. لهذا لا أرى فائدة في نقل الروائع العالمية الى العربية لأن من بلغ من الثقافة مقداراً يمكّنه من تفهّم هذه الروائع منقولة، لا بدّ أن يعرف من لغات الغرب ما يجعله قادراً على فهمها في لغاتها الأصلية. وأي ثقافة تنتظرها في انسان لا يعرف سوى العربية؟ وكيف تنتظر منه أن يفهم الروائع الغربية المترجمة في حين انه يجهل روح الغرب وحضارته لأنه لا يعرف من لغاته شيئاً؟

بقي هناك المجلات والصحف الشعبية التي يقرأها العامة وأهل الثقافة المحدودة وقد تلقى السياسية منها رواجاً، أما الأدبية والاجتماعية فتروج اذا سلمت من مزاحمة زميلاتها المصرية الزاخرة بالصور والأخبار والفكاهات والألوان.

أخيراً أين نجد حلاً لمشكلة الأديب اللبناني؟ قد يأتي الحل بتعريب المدارس مع الحرص على إتقان لغة أجنبية واحدة. وهذا يؤلف فقط جزءاً من الحل لأن أدبنا يظل عاجزاً عن منافسة الأدب الأجنبي. وتبقى المشكلة المالية التي قد يكون حلها عن طريق المهاجرين اذا تبرعوا باقامة وقفيات خاصة بالأدباء

وبالمجلات الأدبية الرصينة، والأمل بذلك ضعيف لأن معظم الناس يرون حاجة لبنان الى تبرعات المهاجرين في سبيل الأمور المعاشية أشد من حاجته اليهم لأجل الكماليات.

وقد يأتي عن طريق الحكومة أو بواسطة اللجنة الثقافية للجامعة العربية التي لم يظهر منها حتى الآن نشاط ملموس. وفي كل حال لا تزال المشكلة تستوقف نظرنا وتستدعي تفكيرنا.

صوت المرأة. العدد ١، السنة ٦،
كانون الثاني (يناير)، ١٩٥١، ص ١٢ و١٣.

نريد صحافة راقية

إن فقرنا في الصحافة الأدبية والعلمية أمر معروف. فبينما تطغى عندنا الصحافة السياسية حتى تستطيع بيروت أن تتحمل خمساً وأربعين جريدة سياسية كل يوم، نجد الصحف الأدبية في لبنان كله لا تبلغ عدد الأصابع، والصحف العلمية معدومة. أما أسباب هذا الفقر فأهمها ضآلة التشجيع وصدوف الناس عن اقتناء الكتب ومشترى الصحف التي تبحث في العلم والأدب. تراهم يقرأون الصحف السياسية رغبة في الاطلاع على الأخبار المحلية والتطورات السياسية في العالم أما غير ذلك فلا يهمهم أن يقرأوا. وليس الفقر المادي الذي نتذرع به هو العلة الأولى التي تمنعنا من تشجيع الصحافة والإنتاج الأدبي. بل اننا لم نتعود بعد أن ننفق على هذا النوع من الكماليات! ألاحظ مثلاً في المدارس ان الطلاب والطالبات ينفقون جزافاً على الحلويات وأن والديهم يشجعونهم على الأكل حتى التخمة والإفراط لكنهم قلما يضعون في أيديهم ما ينفقونه على مشترى الكتب ومطالعة الصحف. فهم لا يعتبرون من الأغذية سوى الغذاء المادي.

وسبب آخر هو مزاحمة الصحف والمجلات الأجنبية التي تطغى على أسواقنا كطغيان البضائع الأجنبية فتخنق إنتاجنا وتشل حركتنا. ولو كانت صحافتنا المحلية على شيء من القوة لما قدرت صحف الأجانب على منافستها اذ لا يخفى

ما للطابع المحلي من الجاذبية، لكن الضعيف لا يثبت للقوي وان توافرت له وسائل الإغراء والفتون.

لكن الى جانب هذه الأسباب جميعاً سبباً رئيسياً يجعل صحافتنا الأدبية والعلمية هزيلة ضئيلة ـ وهو شيوع طريقة الارتجال وقلة التعمق عند أدبائنا جرياً على طريقة الصحفيين السياسيين الذين يسودون جريدة بكاملها في بضع ساعات ويدفعونها للمطابع.

يقول الجاحظ في رسالة له يدافع بها عن العرب: وكل شيء للعرب فهو بديهة وارتجال وكأنه إلهام وليس هناك معاناة ولا مكابدة وما هو إلا أن يصرف همّه الى الكلام... فتأتيه الألفاظ أرسالا وتنثال عليه المعاني انثيالاً...

وأعتقد ان الجاحظ كان مخطئاً في هذا الوصف الذي ظن انه يرفع من شأن العرب. فلقد كانوا في الجاهلية يتدارسون أشعار من سبقوهم ويتنافسون في الرواية والحفظ ولم ينبغ منهم شاعر لا في المتقدمين ولا في المتأخرين الا بعد أن جهد نفسه في الدرس والإطلاع وطول الصبر والمعاناة حتى قيل إن أبا نواس روى لستين امرأة من شواعر العرب ما عدا الرجال.

ولو فرضنا ان الارتجال قد صح في بعض العصور فهو لا يصح في عصرنا. ان القارىء المثقف ـ ومن يريد قرّاءً جهلة؟ ـ يطلب منا اليوم أن نثير تفكيره وتطلعه على أشياء يجهلها ونصقل ذوقه وشعوره ونملأ نفسه بالغبطة والأحلام، وهذا كله يتطلب عملاً شاقاً وجهداً طويلاً واختزاناً للمعارف وثقافة واسعة متزنة وارتقاء ونمواً في الشخصية عند الكاتب الذي يضطلع بمسؤولية تثقيف القراء وتوسيع معارفهم.

الصحافة السياسية فنٌ يتطلب خبرة وذوقاً في تنسيق الأخبار وحسن الانتخاب والتعليق وجذب الانتباه بالعناوين والعبارات القصيرة المغرية. لكن صحافة العلم والأدب شيء غير هذا. صحيح انها تتطلب ذوقاً وفناً في الترتيب وإتقان المظهر لكن هذا أمر جدّ ثانوي وأهم منه ثقافة عميقة عصرية تعتمد أحدث الكتب العلمية وأفضل المصادر الأولية يرفدها الاختبار الواسع الدقيق لأحوال المجتمع وحاجاته، مع قوة الملاحظة ونفاذ البصيرة وذوق صقلته الثقافة

فهو غير فطري ولا مرتجل بل ثابت الاتجاه متين الأساس.

عدو الصحافة نوعان: الأول الصحافة الخطابية المتهوسة التي تستغل سذاجة القارىء وتسحره بعبارات طنانة وخطب رنانة فيقرأها وهو مندهش مسحور ويحكم لا على المعاني بل على الألفاظ فيظل تحت تأثيرها من غير أن يشعر ان ما قرأه كلام فارغ وعبارات جوفاء. والنوع الثاني الصحافة التجارية وهي التي تكثر من التزويق والتنميق فتستعمل الألوان والتهاويل وتضرب على نقاط الضعف في القارىء وتنحط الى مستوى العامة فتنشر كل ما من شأنه أن يثير الفضول أو يحرك العواطف ويهيج الإحساس. مثل هذه الصحف تصلح لألوان الدعاية لانها لاتعمل لغاية ثقافية مثلى بل للتجارة والكسب والإعلان وقد كثر أمثالها في عصر الدعايات الذي نعيش فيه. أما النوع الأول ـ الصحافة الخطابية ـ فقد كثرت في أول عهد النهضة ولا يزال منها اليوم آثار.

أذكر عدداً من الصحف النسائية ظهرت في آن واحد في لبنان وسوريا فعاشت طالما استطاعت أن ترضي جمهوراً يقدم اللفظ على المعنى ويرتاح الى المقالات الخطابية ويطربه وابل الألفاظ وسيل العبارات. لكنها أخذت تضمحل حين أخذ القراء يفتحون عيونهم، ولا شك في ان العجز المادي قد عجّل في زوال هذه الصحف ولولا ذلك لاستطاعت أن تعيش مدة أطول اذ لا يزال كثير من قرّائنا حتى اليوم يحكمون على المقالة من ألفاظها دون معانيها. ولعمري كم يكون فقرنا عظيماً في الصحافة النسائية لو لم تنهض جامعة نساء لبنان الى إنشاء مجلة «صوت المرأة»، فأفسحت بذلك للمرأة مجال المساهمة فيما ينبغي أن تكون عليه الصحافة العربية.

وعلى الرغم من ذلك فلا يزال فقرنا شديداً في الصحافة النسائية.

ولا أنسى هنا أثر المدارس ومسؤوليتها إزاء هذا الفقر. فمدارس البنات عندنا تعجز عن تقديم النوع الصالح من المثقفات. والذي نلاحظه بأسف ان ولع بناتنا بالتفرنج يفوق ولع البنين وأن شغفهن بتكلم اللغات الأجنبية ـ دون مطالعتها أحياناً ـ يقتل فيهن كل ميْل الى إتقان لغتهن أو مطالعتها والكتابة فيها. ونلاحظ من جهة ثانية أن القليلات اللواتي أتيح لهن إتقان هذه اللغة

بوسيلة من الوسائل لم تتح لهن ثقافة عصرية غنية يستوحينها عند الكتابة فتبقى أفكارهن هزيلة يغلب فيها التقليد والابتذال.

نحن لا نطالب مدارس البنات بأن تهيء لنا صحافيات. ذلك شأن مدارس الصحافة. لكن واجبها أن تهيء نساءً يتقنّ لغتهن بصورة عصرية تصطبغ بالذوق والتجديد الحديث في الأسلوب وتستمد من علوم الأجانب وآدابهم غذاءً وغنى كما تستمد من علوم أسلافنا وآدابهم قبساً ووحياً.

ولكن أين مدارسنا؟ وهل لنا مدارس ننشئها ونسيطر عليها أو نتصرف بها؟ أخشى أن يجرنا هذا الموضوع الى الإفاضة في حديث مؤلم فلنقف فيه عند هذا الحد.

صوت المرأة. العدد ٣، السنة ٣،
آذار (مارس)، ١٩٤٧، ص ٦ و٧.

هــذا الداء القــديم

قرب منزلنا شارع يكثر فيه المرور ويألفه الشحاذون لأنهم اختبروا فائدة التمركز فيه. وبينهم امرأة قد اتخذته مقرها الدائم فهي تتربع على أحد رصيفيه الضيقين وتعرض للمارة طفلين تفوح منهما روائح القذارة والنتن، وقد جعلت الأصغر في حضنها وأضجعت الآخر أمامها على الرصيف وبهذا سدّت طريقه على المارة واضطرتهم الى الانحراف عنه كلما مرّوا بها.

المرأة سليمة من أية عاهة أو مرض، إلّا مرضاً مزدوجاً قتالاً يفتك بها ويمنعها من الشغل هو مرض الجهل والكسل الذي أسبغ عليها منظر قذارة تشمئز منها النفوس ودفعها الى الاحتيال على العيش بإذلال نفسها واذلال ولديها على هذه الصورة.

لماذا تشحذ هذه المرأة؟ يرجح ان لها زوجاً تعايشه لأنها كانت في العام الماضي ذات طفل واحد فأصبحت ذات طفلين فالزوج هو المسؤول الأول عن حالتها هذه. أما جهلها وكسلها ـ وهما السببان الرئيسيان في دفعها الى الشحاذة ـ فمن تراه المسؤول عنهما؟ يقولون هو فقرنا في المدارس والعلم المهني فلو كانت المرأة أقلّ جهلاً لما انساقت الى هذا الهبوط.

أما إذا كانت لاجئة فاننا نلوم أولياء الأمر الذين يسمحون بأن يتسرب الى

البلاد ـ وخصوصاً الى عاصمتها التي تكاد تختنق بالسكان ـ طوائف من هذا الصنف الطفيلي.

أما المسؤولون الأخر، الذين يستحقون أشد اللوم ويحملون أهم جزء من المسؤولية فهم المارة. هم سكان العاصمة السذّج الذين يعطون الشحاذين رغبة في الأجر ويشجعون أمثال هذه المرأة على امتهان هذه الحرفة الشائنة.

قد نغتفر للعميان وسائر المعاقين هبوطهم الى مهنة الشحاذة ما دامت الحكومة غافلة عن إنشاء مأوى لهم. ولكن كيف يستطيع أهل بيروت ـ وهم في جملتهم من ذوي الثقافة ـ أن يعطوا امرأة قادرة على الشغل. وكيف يشجعونها ـ هي وزوجها ـ على استغلال أطفالها على هذه الصورة بإرغامهم على الاضطجاع على بلاط الرصيف طول النهار دون حركة، في البرد وفي الحر، لا يسترهم غطاء ولا يؤويهم فراش؟ وماذا ننتظر في المستقبل من مثل هؤلاء الأطفال الذين يضطجعون بلا حراك على الرصيف، أمواتاً بصورة الأحياء، وأية جريمة بحق الأولاد يرتكبها أولئك الذين يعطون الوالدة المجرمة التي كان عليها أن تشتغل لتطعمهم وتؤويهم في البيت أو المدرسة بدلاً من أن ترميهم على رصيف الشارع.

ولا يقلّ جهلاً عن المارة المتصدقين أولئك المعلمون والمعلمات الذين يشجعون الشحاذة بترغيب الطلاب في الإحسان الى الشحاذين وإعطائهم موضوعات إنشائية قديمة بالية كهذا الموضوع: «وجدت شحاذاً مسكيناً يمد يده بالسؤال ماذا عملت له؟ كيف ساعدته وخففت بلواه؟».

ألا يعلم هؤلاء الأساتذة انهم بذلك يشجعون التطفل والذل وانحطاط النفس والاتكالية، جميع هذه الأمراض التي يجب أن نحاربها؟ ألا يعلمون ان الإحسان على هذه الصورة لا يحل مشكلة الفقر وانما هو كالتداوي من داء بداء أسوأ منه. ان التصدق على الشحاذين يزيد الفقر والاتكالية وهو كالمسكّن الذي يخفف الوجع برهة ليزيده بعد انتهاء مفعوله. انه طريقة قديمة بالية للعلاج وقد آن لنا أن نقلع عن المسكّنات ونستأصل الداء من جذوره.

لنحارب الكسل وذلّ النفس بالامتناع عن إعطاء الشحاذين. فاذا امتنعنا

نحن امتنعوا هم عن الشحاذة واضطروا الى الشغل إذا كانوا قادرين عليه، أما ذوو العاهات بينهم فيضطر ذووهم وأهل الغيرة من السكان الى السعي لإيوائهم في الملاجىء إما بملاحقة الحكومة لهذا الغرض أو بتوسيع المشاريع الخاصة التي تقوم بمثل هذا العمل كمشروع الأب يعقوب مثلاً. بهذا ترتاح بيروت من بعض أثقالها.

صوت المرأة. العدد ٣٥، السنة ٢،
عدد كانون الأول (ديسمبر)، ١٩٤٦
مع عدد كانون الثاني (يناير)، ١٩٤٧، ص ١١.

مظاهر عقلية قديمة

إن العقلية المسيطرة علينا هي عقلية العصور البائدة. ففي مقال نشره العالم الاجتماعي الاميركي الاستاذ «ضود» باحثاً فيه الفروق بين العقلية الشرقية والعقلية الغربية، يذكر الكاتب أنه من الفروق البارزة بين العقليتين أن الأولى عقلية اتكالية والثانية تتميز بالاعتماد على النفس. فالطالب الشرقي مثلاً اذا عرضت له مشكلة أو صعوبة راح يطلب حلها عند أستاذه أو عند شخص آخر يثق به بدلاً من أن يعمد الى حلها بجهوده الخاصة أو بالتنقيب في المعاجم والكتب.

هذه الظاهرة التي حللها الاستاذ في مقاله لا تشير فقط الى اتكالية الشرقي ـ هذه الاتكالية التي أورثتها إياه عصور الاستعباد ـ لكنها تشير أيضاً الى صفة التعلق بالأشخاص» التي تميز الشعوب قبل بلوغها طور النضج. صفة الانقياد للزعيم ذي الصوت الجهوري، سواء أظهر بصورة محارب فاتك أم رجل دين أم اقطاعي أم معلم.

جميع ذلك من آثار العصور البائدة. ولكنك لو أنعمت النظر في مظاهر حياتنا وجمعت ما لا يزال عالقاً فيها من آثار تلك العصور، لهالك الأمر وراعتك كثرة تلك الآثار وزادت دهشتك حين تتحقق ما لها من سلطان على النفوس حتى أن بعضنا يود لو فارقته الحياة ولا يفارقه سلطان الجهل.

خذ مثلاً عادة تعليق التعاويذ على صدور الأطفال لوقايتهم من العين. ألا ترى ممارستها شائعة حتى عند الطبقة التي تدّعي العلم والثقافة.

ومن صنف التعاويذ هذه العبارات المبتذلة التي يرددها المثقفون وغير المثقفين في أحاديثهم دفعاً لشر العين أو مجاراةً للتقليد أو رغبةً في التملق والمجاملة: اسم الله. من غير شر. انشاء الله. الله يسلمه.

وهناك الإكثار من ذكر الله في الكلام وترديد الأقسام والأدعية: والله. وحق دينك. وحياة أبي. الله يخليك. الله يحفظك. كل ذلك أثر ظاهر من آثار القرون الوسطى التي سيطر فيها الدين على النفوس. لكن الأمر الذي لا سبيل الى إنكاره أن الروح الدينية التي ميّزت تلك العصور قد زالت اليوم ولم يبقَ منها سوى هذه الأقسام والأدعية الجوفاء التي تتردد على كل لسان. وقد أصاب ميخائيل نعيمة حين قال: نحن أمة دينها في فمها.

ومثل الأدعية التقليدية هذه المجاملات التقليدية وهذه الألقاب التي تزخر بها الرسائل العادية وعناوين المكاتيب وتقاريظ الجرائد: السيد الأفخم والأكرم والمحترم والمجاهد الكبير والشاعر الملهم والأديبة الكبيرة والآنسة الرفيعة التهذيب وصاحبة الصون والعفاف. وهي إن دلّت على شيء فإنما تدل على انحطاط في الذوق. وهناك الذين يلصقون لقب «بك» بكل أسم على الطريقة المصرية. والبكوية في نظري رمز الرجعية والاستبداد من عهد بائد. وأولى بمن يحمل اللقب حقيقة أن يتخلى عنه فكيف بمن يتباهون بانتحاله أو بمنحه مجاناً؟

نعود الى مباحث الاستاذ «ضود». يرى هذا الباحث في بعض مقالاته أن بين القيم التي ورثها العربي عن ماضيه اثنتين جديرتين بالحفظ، الأولى عزة النفس والثانية الضيافة.

ماذا نعني بعزة النفس وماذا يقصد بها الكاتب؟ يُرينا التحليل أن العبارة تعني الترفع عن كل ما يشين الانسان أو يعيبه قولاً وعملاً. وإنها بالتالي كلمة عامة واسعة المدلول رجراجة المعنى وليست مما يصح استعماله في كتاب علمي لأنها تجمع مكارم الأخلاق وتحتمل شتى التأويلات. والذي نلاحظه أن الشرقيين يجعلونها مرادفة لكلمة الشرف وهو في نظرهم مقياس الأخلاق ثم

يحصرون معاني الشرف في موضوع واحد هو صون العرض أي صون المرأة والتضييق عليها ومنعها من التبذل. وهم يسكتون عن عيوب كثيرة لا يحسبونها مناقضة للشرف. يتغاضون عن الكذب والمراوغة والنميمة والافتراء ونهب أموال الناس عن طريق الخداع والنفاق وتبذُّل الرجل وتهتكه وارتكابه المحرمات. وإنما تقوم القيامة وتفور الدماء ويلعلع الرصاص حين يصبح سلوك المرأة موضع شك وحين تتلاعب بصيتها ألسنة السوء فلا يتحرج الأخ أو الزوج من الفتك بها لمجرد تهمة ولا يجد من القانون ولا من الرأي العام ما يُشعره بأن عمله جريمة وأثر من عهود الهمجية. بل ـ على النقيض من ذلك ـ كثيراً ما يسمع حوله عبارات الاستحسان والتشفي فيحسب نفسه بطلاً من أبطال الأساطير. وهكذا تضحي المرأة دون الرجل لأنها العضو المستضعف في الأسرة وتتجدد عندنا حكاية الحيوانات المرضى بالطاعون.

أما الضيافة فإن كانت لها حسناتها عند أجدادنا الذين خلت بلادهم الصحراوية من الفنادق ووسائل الارتزاق فقد غلبت مساوئها على محاسنها في عصرنا الحاضر. لقد أصبحت الضيافة اليوم وسيلة لتشجيع الطفيليين ومظهراً للبذخ والتبذير عند الأغنياء وطريقاً للرشوة وشراء النفوس من باب قولهم: «اطعم الفم تستح العين»، وتقليداً يدفع الفقراء الى تبديد مالهم القليل حباً بالظهور والتمويه وستر الواقع. باسم الضيافة نُحل الأجانب المستثمرين على الرحب والسعة وباسمها نجعل بلادنا ملجأ للمشردين وشذاذ الآفاق. وباسمها تتبدد أموال الخزينة وتنفق على المآدب والحفلات بدل المدارس والمؤسسات.

منذ مدة زار توفيق الحكيم ـ الكاتب المصري المعروف ـ أحد الأقطار العربية متفرجاً. وما إن نزل في أحد الفنادق حتى أبلغته الحكومة أنها تعتبره ضيفاً عليها وأنها تسدد عنه حساب الفندق. لكنه رفض قبول هذه المجاملة. وعندما امتنع صاحب الفندق عن قبض المال المتوجب على الكاتب أرسله هذا الى الحكومة بصورة حوالة بريدية.

كان بوسع توفيق الحكيم أن يقبل من الحكومة أن تعتبره ضيفاً عليها وأن تدفع عنه القيمة الزهيدة التي انفقها في الفندق، لكنه أراد أن يلقي على رجال

الحكم درساً ويريهم أن أموال الخزينة إنما وجدت لتنفق في المشاريـع العامـة وأن بـلاداً يفتك بشعبهـا الجهـل والأميـة تحتـاج إلى أي مبلغ من المـال ـ مهـما كـان زهيداً ـ أكثر مما يحتاج إليه توفيق الحكيم.

ولكن مَن مِن المتزعمين عندنا يتعظ بأمثولة توفيق الحكيم؟

صوت المرأة. العدد ١٠، السنة ٣،
تشرين الأول (اكتوبر)، ١٩٤٧، ص ٣ و٤.

العناية بالصحة العامة

صحتنا أيها الحكام نفسية، المناظر القبيحة تدمّر مناعتنا

ميزانية الضمان الصحي - أو الاجتماعي - في لبنان، تتضخم يوماً يوماً. وتقرر أن يزاد للمضمونين حق الضمان الحكومي لتطبيب أسنانهم. ومع أن مشروع الضمان الاجتماعي لا يزال في أولى مراحله باعتبار أنه مقصور على موظفي الحكومة وقد هزته الحرب هزاً عنيفاً، ينتظر أن يجري تطبيقه على سائر السكان فيشمل المسنّين والمعاقين وموظفي القطاع الخاص، حالما يتم للبنان أن ينهض من كبوته ويستكمل ازدهاره الاقتصادي.

إن الدول التي سبقتنا مراحل في ميدان الضمان الصحي، وجدت نفسها، خلال السنوات الأخيرة، أمام مشكلتين: الأولى مشكلة التضخم المستمر الذي خلقه ارتفاع الاسعار وازدياد السكان في ميزانية الضمان، بحيث ترى أنها بعد قليل ستضطر الى إنفاق سدس دخلها القومي على هذا المشروع.

الثانية أن الفوائد التي يجنيها الشعب من الضمان لا تعادل الأموال الضخمة التي تنفق عليه.

ذلك لأن مفهوم الصحة العامة يتطور نظير سواه من المفاهيم الاجتماعية. والصحة كما نفهمها اليوم لا يمكن تأمينها بتأمين الأطباء والأدوية والممرضات ودور الاستشفاء فحسب لأنها تعني «حالة انسجام جسدي ونفسي وعقلي وليس فقط انعدام الأمراض الجسمية أو اختفاءها كلية أو شبه كلية».

في مؤتمر صحي انعقد منذ سنة في مركز داغ همرشولد ابسالا، اسوج، تبين للأعضاء الذين بحثوا موضوع الصحة العامة من مختلف وجوهه، أن التخلف الصحي لا يقتصر على الأقطار النامية أو الفقيرة بل يشمل الأقطار الغنية المتطورة. كما تبين لهم أن الوقاية أفضل من توفير الأدوية والعلاجات الطبية، وأن مكافحة الاجرام والمخدرات ومظاهر التمرد والعصيان تؤلف جزءاً من تدابير الوقاية الصحية.

تركز مؤتمر ابسالا على موضوع الصحة في الأقطار النامية، فرأينا أن نوجز مقرراته في هذا الصدد كما يأتي:

في الأقطار النامية ما زال المسؤولون عن الشؤون الصحية يعتمدون الأساليب عينها المعتمدة في الأقطار المتطورة من غير مراعاة للفروق الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجغرافية القائمة بين الفريقين. وهذا خطأ يحتاج الى تصحيح ومعالجة فورية.

من أخطائهم ايضاً سوء توزيع الخدمات الصحية بحيث تتمركز معظمها في المدن دون الأرياف.

ومنها الاعتماد على دراسات ونماذج غربية مع إهمال نسبي للدراسات المحلية التي تكشف حاجات الشعب ومطالبه الأساسية. بذلك يصبح التوجيه الصحي الراهن نوعاً من الاغتراب.

إن انفجار الغلاء وارتفاع أسعار الأدوية والأجور في كل مكان ضاعفا نفقات التطبيب والضمان الاجتماعي على شكل يقصر عنه ازدياد الدخل الوطني العام.

برهنت التجارب أن الاعتماد الكلي على العلاجات والأدوية المتكاثرة سنة فأخرى في النوع والعدد لم يعط الا نتائج هامشية. وأخذ الناس يتساءلون عن فوائد التلقيح لشعب يعاني البؤس وسوء التغذية.

اتضح للمؤتمرين أهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به الشعب الذي يدرك حاجاته ويحاول الاستفادة من تقاليده الطبية القديمة ريثما يتم الحصول بالدرس

والتجربة على وسائل مستحدثة انجع وأهم فائدة من تلك التقاليد. يبدو اذن من الضروري إشراك الشعب في عملية تخطيط صحي جديد يراعي ظروف الشعب وإمكاناته وعلاجاته التراثية. وبالشعب يُقصد الطبقات المحرومة وليس فقط النخبة المميزة، كما يُقصد بالطبع الموظفون المسؤولون عن الصحة.

العدالة الاجتماعية

إن تحسين الصحة في أي بلد أو شعب، ليس إلّا تعبيراً عن العدالة الاجتماعية فيهما، إنه عملية مستمرة تحقق ذاتها بفضل إيمانها العميق بإمكان التقدم والتطوير المستمر. من مبادئها الأساسية الإيمان بأن أمراض الجسم كثيراً ما تنشأ من أمراض النفس وكثيراً ما يكون سببها الهمّ والقلق، والحقد والنقمة، النهم والجشع والبطر، فيجب معالجة هذه قبل تلك، وتأمين الراحة النفسية وسيلة الى الراحة الجسدية. ذلك يقتضي، في جملة ما يقتضيه، تحسين الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن ضمنها تطوير الأنظمة التربوية، توفير وسائل اللهو المفيد والرياضة والمطالعة والثقافة الحرة والحدائق العامة وملاعب الأطفال. كذلك يدخل فيها توفير أسباب التفاهم بين الجيلين القديم والجديد، بين الوالدين والأولاد، بين العمال وأصحاب العمل، بين التجار والمشترين، بين الهيئة التعليمية والطلاب والطالبات كما بين الحكام والمحكومين.

لأن الشعب الناقم على حكامه، الشاكي من الغبن والإهمال، الحاقد على ظالميه والمعتدين عليه، لا يستطيع أن يتمتع بصحة نفسية ولا بد من أن تتأثر أحواله الجسمية بما تعاني نفسه من أوجاع.

إن رؤية الأقذار المتكدسة والجدران المطلية بالخطوط والألوان الصارخة المتنافرة، والمباني المهدمة، والمنازل القبيحة الشكل، والمجارير المسدودة والأوحال المتراكمة، والأكواخ والأبنية التي تحجب مناظر الطبيعة، ليست مصادر للجراثيم والأمراض فحسب بل إنها مصادر للتقزز النفسي والنقمة التي تترك في الجسم آثارها القبيحة وتهيئه للأمراض وتقضي على مناعته.

كذلك إباحة الضجيج والأصوات الخشنة المنكرة، وإطلاق الزمامير

والمفـرقعات والـرصاص والمتفجـرات في المواكب والأعيـاد، كـل هـذه المـظاهـر البـدائية شـأنها أن تدمـر الأعصاب، وتحـدث في النفس والجسم أضراراً تعـادل أضرار سوء التغذية وجهل القوانين الصحية.

كانوا قديماً يقـولون: «العقـل الصحيح في الجسم الصحيـح». هذا القـول يصح أيضاً إذا عكسناه وقلنا إن الجسم الصحيـح حصيلة نفس صحيحة تتـوافر لها أسباب الهدوء والاطمئنان.

وفيما نحن نلاحظ بالشكر والإهتمام جهود الساعين لتعميم الضمان الصحي في لبنان، لا يسعنا الا أن نذكر المنكـوبين والعـائشين في ظـل الخوف والخـطر، الذين ما زالوا يضعون أملهم في الدولة ولسان حالهم: لكي تستفيدوا من المبالغ الباهظة التي تنفقونها على معالجة علل الأجسام، عالجوا مصادرها النفسية.... اقضوا على الظلم والإهمال والإرهاب والتمرد والجريمة أيها الحكام!

النهار. ٩ كانون الثاني (يناير)، ١٩٨٠.

انقلاب خطير في عالم التربية الحديثة

في أواخر القرن الثامن عشر حدث أول إنقلاب في عالم التربية، حين وضع روسو كتاباً عنوانه «اميل» دعا فيه إلى تربية الولد حسب الطبيعة، وتحريره من أساليب الضغط والإرهاق، ومراعاة ميوله الذاتية في تخطيط مستقبله.

والانقلاب الثاني يحدث اليوم في عصرنا، في دوائر التربية المتطورة، ويستهدف القضاء على أساليب التربية التقليدية التي برغم جمعها بين الجنسين، ابتداء من صفوف الحضانة، تقيم حداً فاصلاً بينهما في التوجيه والتدريب العاطفي والأسري والرياضي، مما يؤدي إلى إضعاف شخصية البنت وحرمان الصبي من خبرات نافعة وترسيخ معتقدات تقليدية خاطئة بشأنهما معاً.

من جهة أخرى، تستهدف التربية الحديثة إعطاء الأولاد من خلال الدروس والكتب صورة واقعية للمجتمع الحديث، تبرز التطور الذي أصاب أعمال المرأة ومركزها الاجتماعي والفكري، كما تظهر وضعها في الأسر الحديثة التي يمارس أعضاؤها مبادىء المشاركة في العمل والشورى في اتخاذ المواقف والقرارات.

المرأة في الأدب القديم

تحقير المرأة ظاهرة عامة في الأدب القديم، شرقياً كان أم غربياً. يحفظ أدبنا العربي للبحتري رسالة يعزي بها صديقاً له رزق بنتاً، معترفاً بأن ولادة البنت مصيبة. ومن شعر المتنبي في رثاء والدة سيف الدولة:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال
ولو كل النساء كمن فقدنا لفضّلت النساء على الرجال

فالشاعر هنا يحاول هدم الرأي الشائع حول المرأة لكن رده مبني على التزلف لممدوحه لا على عقيدة ذاتية خالصة.

الا أن مفردات اللغة العربية الدالة على التأنيث لا توحي بهذه الظاهرة ولا تربط الكلمات المؤنثة بمعاني الضعف والحقارة، بخلاف ما نلاحظه في بعض اللغات الأجنبية.

فالعرب استعملوا التاء ـ علامة التأنيث ـ للتعظيم والمبالغة في الوصف، فقالوا: رجل علّامة، نابغة، راوية، رحّالة. أنّثوا كثيراً من الكلمات التي توحي بالقوة والبطش: شمس، حرب، ريح، عاصفة، داهية، بطولة، روعة، كارثة، دولة الخ. وأجازوا تأنيث الكلمات الدالة على مهن هي في الغالب من اختصاص الرجال: طبيبة، محامية، صيدلانية، دكتورة، مهندسة، فنانة الخ.

هذا مما يمهّد للانقلاب الذي ندعو الى إحداثه في عالم التربية والذي يتلخص بتكوين ذهنية متطورة بشأن المرأة.

في كتب القراءة والمطالعة التي تؤلف للأولاد يجب حذف العبارات التي تحقّر المرأة. كذلك في عبارات التخاطب والمجاملة والدعاء مثل قولهم: «فرحة عريس». ومن المستحسن إلغاء عادة الكنية: «أبو فلان وأم فلان» لأنها تحقر المرأة اذ تحصر الكنية بالذكور. وهي عادة آخذة في التلاشي في الأوساط المثقفة وسيأتي يوم تزول فيه تماماً من قاموس عاداتنا.

الأزياء

أزياء اليوم تراعي مبدأ عدم التمييز بين ملابس المرأة وملابس الرجل أو تقليل الفروق القائمة بينهما. وهذا ما يجب أن تراعيه الكتب المصورة العصرية.

لا ريب أن المربّين يرحبون بهذا الاتجاه الذي يؤدي الى إهمال طابع الزخرفة في الملابس النسائية وإثقالها بالشرائط والعقود والمجوهرات والكشاكش وما أشبه ذلك.

إن الشرط الأساسي في ملابس الأطفال ان تكون مريحة، تسهل الحركة، متينة تحتمل الضغط والمخاشنة، ومن السخف أن نحول الولد الى دمية مزخرفة نعرضها للناس ونباهي بجمالها المصنوع. لأن أجمل شيء في الولد هو الطبعية والبساطة والعفوية في حركاته وتصرفه ومظهره.

الدمى

الدمية لعبة مقصورة على البنات منذ أقدم العصور يقصد بها توجيههن الى الأمومة وتدبير المنزل وتنمية مشاعر الرقة والعطف وحب الخدمة في نفوسهن. في مقابل هذا، يشجع الصبيان على استعمال اللعب التي تدرّبهم على الخشونة والفروسية. تماثيل الجنود والفرسان، الخيول، الشاحنات، الآلات الزراعية والسكك الحديدية، الأسلحة على اختلافها.

إن مقداراً من التفكير يرينا هنا خطأ الفصل بين الجنسين في ناحية اختيار اللعب. لأنه كما يستحسن إعداد الطفلة للأمومة والعناية بالآخرين كذلك يستحسن توجيه الصبي نحو الأبوة وتذكيره بالدور الذي يقوم به الرجل في الأسرة وذلك بإعطائه دمية ـ ذكراً أو انثى ـ يجد فيها نوعاً جديداً من التسلية وتثير فيه مشاعر العطف والرغبة في الخدمة.

وبما أن نساء اليوم يمارسن ركوب الدراجة، وسوق السيارات وتحريك الآلات الزراعية، أصبح من الضروري إدخال هذه الآلات على اللعب التي تصنع لهن والتي تزودهن بها المدارس ودور الحضانة والأهل والأصدقاء.

من وجوه التطور العصري في هذا المجال، منع الأولاد، ذكوراً وأناثاً، من اللهو بألعاب الحرب كالدّبابات والمدافع والبنادق وتماثيل الجنود وذلك مراعاةً للتوجيه السلمي الذي تتبنّاه منظمة الأمم المتحدة، كما أن بعض الدول الغربية تمنع مصانع الألعاب من إنتاج لعَب حربية.

تحضير الأطعمة

الطبخ مهنة يمارسها الرجال كما تمارسها النساء ومع هذا يلصقها التقليد

بالنساء وحدهن. بالرغم من أنها في حياة كل فرد، رجل أو امرأة، ذات أهمية أساسية. وكل منا يحتاج الى ممارستها في بعض ظروف حياته أو جميعها.

الطبخ إحدى المهارات التي تشغل قوى الفكر والحواس والذوق ومن الخير للولد - بنتاً كان أم صبياً - أن يمارس في المدرسة طبخ بعض الصحون السهلة بمساعدة المعلمة أو بمعاونة شخص يتطوع لهذا العمل والأفضل أن يكون رجلاً، يستدل به على أن الرجال أيضاً يطبخون.

لا ريب أن الأولاد يجدون في الطبخ لذة كبيرة ولهواً طريفاً لا سيما اذا اشترك فيه أولاد من الجنسين.

إن تعليم الطبخ للأولاد، ولو في أصوله البدائية، يمهد لهم طريق الاعتماد على الذات ويطلعهم في سن مبكرة على مبادىء التغذية الصحية والطعام المتوازن.

مكعبات البناء

تكون عادة من خشب، يلعب بها الأولاد على اختلاف أعمارهم لأنها تصلح لصنع أبنية وعمارات شديدة التنوع، بسيطة ومعقدة، سهلة وصعبة: منازل، مدارس، جسور، كاراجات، مصانع الخ.

يشترك في عمليات البناء صبيان وبنات، يتعرفون معاً الى مبادىء طبيعية مهمة تتعلق بأصول البناء والأشكال الهندسية والحساب. يقومون برحلات الى بعض أحياء المدينة أو القرية، يتعرفون الى أشكال جديدة من المباني ويحاولون أن يصنعوا مثلها.

إن معلمي الصغار ومعلماتهم يلاحظون أن البنات لسن أقل رغبة من الصبيان في ممارسة هذا اللهو المفيد. وإذا كانت مشاركة البنات فيه تثير استغراب الصبيان أو اعتراضهم، فمن الممكن دعوتهم الى زيارة المصانع وغيرها من أماكن العمل لمشاهدة النساء يعملن في التجارة، في صنع الأحذية، في الهندسة، في دوائر الشرطة، والبيولوجيا البحرية، حينذاك يزول استغراب الأولاد فلا يعارضون إشراك البنات في أعمال تعتبر خاصة بالرجال.

الرياضة والألعاب

المرأة في عصرنا تمارس تقريباً جميع الألعاب الرياضية التي يمارسها الرجل وهذا ما يجب أن تظهره الكتب والنشاطات المدرسية.

إن الألعاب من أهم وسائل رفع التمييز بين الجنسين لأنها تهيء للبنات مجال النمو وتكوين جسم رياضي منيع يمتاز بالرشاقة وخفة الحركة، ومشاركة الصبيان في ألعابهم تعودهن القيام بأعمال تقتضي مقداراً من الخشونة والتكيف المفيد. ومن واجب المعلم، أو المعلمة، حينذاك تشجيع الأولاد الموصوفين بالحياء والتردد، على اكتساب عادة الإقدام والتحرر من جبنهم، كما أن من واجبها تقدّم الصفوف وتنظيم اللعب وتعديل هياجه ومنع المتعنترين من الأولاد من الإسراف في الصياح والخشونة.

الخلاصة

إن كتب وأبحاث التربية الحديثة تقدم لنا أمثلة وتجارب ناجحة في مكافحة التقاليد التي تحدد لكل من الجنسين ميدان عمل لا يتعداه. وقد أظهرت تلك التجارب أن اختلاف الميول عند الفريقين يعتمد على التوجيه أكثر من اعتماده على فروق طبيعية وراثية.

من هنا نستنتج أن النشاطات التي يمارسها الأولاد في المدرسة والكتب التي توضع بين أيديهم يجب أن تعكس واقع الحياة العصرية، أي تعاون الجنسين في مجالات الفكر والعمل اليدوي. فالأعمال المنزلية ليست وقفاً على المرأة ولا المهن الحرة وقفاً على الرجل. هناك رجال طباخون وممرضون وخياطون. كما أن هناك نساءً طبيبات، ومديرات ومهندسات ومحاميات وجميع أنواع العمل جديرة بالاحترام بما فيها الأعمال المنزلية.

الرائدة. العدد ٤، أيار (مايو)، ١٩٧٨، ص ٤ و٥.

ـ ٢ ـ

المـرأة بـين العِـلم والعَـمل

١٩٤٨ ـ ١٩٨٠

المرأة اللبنانية والتعليم العالي

حين فتحت الجامعة الأميركية في بيروت دوائرها العليا للنساء فتخرجت منها أول طبيبة سنة ١٩٣١ كانت بعض اللبنانيات المغامرات قد سبقنها الى درس الطب خارج لبنان. أولهن الدكتورة أنس بركات باز قرينة الاستاذ جورج باز نصير المرأة. وفي الوقت نفسه كانت شقيقتها السيدة زهية بركات قد نالت شهادة الصيدلة من إحدى جامعات الولايات المتحدة وعقبتها الدكتورة سنيه حبوب نقاش في الحصول على شهادة الطب من جامعة أخرى في الولايات المتحدة.

في سنة ١٩٣١ تخرجت الدكتورة أدما أبو شديد من الجامعة الاميركية وكانت أول طبيبة تخرجت من لبنان فكان نيلها الشهادة فاتحة عهد جديد للمرأة اللبنانية وحلقة أولى في سلسلة من طالبات وخريجات الطب والصيدلة والمحاماة في الجامعتين الاميركية والفرنسية.

بين ١٩٣١ و١٩٤٤ تخرج من الجامعة الأميركية تسع طبيبات لبنانيات وطبيبتا أسنان وصيدلانية واحدة(١).

والذي نلاحظه ان إقبالهن على المهن الحرة يسير ببطء وبنسبة واحدة لا

---

(١) لم نتمكن من الحصول على احصاءات الجامعة الفرنسية.

تتغير وان رغبتهن في مهنة الصيدلة دون رغبتهن في الطب والمحاماة، في حين أننا لا نجد بينهن مهندسة واحدة قبل ١٩٤٤، إذ أخذن يقتحمن ميدان الهندسة المعمارية والزراعية منذ الخمسينات.

جميع الطبيبات يمارسن المهنة عازبات أم متزوجات، إلا واحدة تشغلها الأعمال المنزلية بعض الوقت ولا تمنعها من القيام بأعباء وظيفة طبيبة لإحدى مدارس البنات.

أما المحاميات فأولاهن بلانش عمون وقد مارست المهنة مدة ثم انقطعت عنها. وغيرها ثلاث يمارسنها في بيروت في الوقت الحاضر والباقيات يحترفن أعمالاً ثقافية وقد قطعن صلتهن بالمحاماة.

سألت محامية فتية من هؤلاء: لماذا درست المحاماة؟ فقالت: «لقد دفعني والدي الى الدرس لأنه لم يرزق صبياً يعلمه المهنة التي يحبها». قلت: «وإلى ماذا تميلين انت؟» قالت: «الى الرياضة وسوق السيارة».

لكني لا أشك في أن أكثر طالبات الحقوق يدرسن هذا الموضوع من باب الطموح والرغبة في التثقف والنمو الشخصي، ومزاولة مهنة الكلام والدفاع التي تبرع فيها كثيرات منهن.

إلى جانب المهن الحرة تنصرف بعض خريجات المعاهد الثانوية الى تحصيل التعليم العالي اللامهني في الجامعات، كالتخصص في بعض فروع العلم أو الأدب وتحصيل درجات علمية من رتبة ليسانس أو الدكتوراه، أما الفرق بين نوعي التخصص فهو ان التعليم المهني أقرب إلى التكسب والاستثمار المادي في حين أن التخصص اللامهني هو دراسة بحتة وتعمق في موضوع محدود، يؤهل صاحبه للانصراف إلى التأليف والبحث العلمي الصرف. وهذا النوع من الدراسة لا يقل أهمية عن الدرس المهني إن لم يكن أعظم منه أهمية لنمو المعرفة وتشجيع الإنتاج الثقافي في البلاد.

كانت الدكتورة نجلا عز الدين أول فتاة لبنانية حملت شهادة الدكتوراه من جامعة شيكاغو في أميركا متخصصة في البحث التاريخي، وقد خدمت القضية

الفلسطينية بمحاضراتها وأبحاثها كعضو في المكتب العربي في واشنطن وألّفت كتاباً في الموضوع وتلاها عدد من المتخصصات في جامعتي بيروت بعضهن في العلوم الطبيعية وغيرهن في الآداب والتاريخ. وبعضهن أتممن دراستهن خارج لبنان أخص بالذكر الدكتورة سلوى نصار التي قضّت في جامعات اميركا ست سنوات متخصصة في أحد فروع علم الفيزياء وقد زاولت التعليم هناك بعد حصولها على شهادة الدكتوراه.

على أن مجال العمل أمام هؤلاء النساء لا يزال ضيّقاً رغم قلّة عددهن. فالتي تتخصص في موضوع ما قلّما يتاح لها متابعة التنقيب والتأليف في الموضوع لفقد معاهد البحث العلمي عندنا فتضطر إلى تحصيل معاشها بالتعليم أو غيره، متناسية موضوع اختصاصها، لا تعود إليه إلاّ لماماً.

وبعد فإن نشاط المرأة عندنا لا يقاس فقط بعدد اللواتي يمارسن المهن الحرة أو يحصّلن الدرجات والرتب العلمية بل بعدد اللواتي يعملن خارج بيوتهن في المصانع والمعاهد وسائر دوائر العمل، لا سيما في الأعمال التي تستدعي عمل المرأة كالتعليم والتمريض وأعمال المكتب والعمل الاجتماعي والادارة المدرسية والحضانة والصحافة النسائية والشؤون الصحية ورفع المستوى الأدبي، ويتضح لنا أن عدد النساء يزداد ازدياداً مطرداً في المدارس والمصانع والمستشفيات والمكاتب، وحاجتنا لا تزال شديدة الى المتخصصات في المواضيع التي سردتها بل إنها أشد من افتقارنا الى ذوات التعليم العالي لأن أبواب العمل أرحب أمام تلك الفئة والحاجة اليهن أشد ظهوراً وإلحاحاً.

صوت المرأة. العدد ١١، السنة ٤،
كانون الأول (ديسمبر)، ١٩٤٨، ص ١٠ و١١.

المـرأة العـربيـة والتعـليم العـالي

بتكليف من «معهـد الدراسـات النسائيـة في العالم العـربي» قـامت السيـدة ايدث حنانيـا[1] بإجـراء دراسة حـول المرأة العـربية والتعليم العـالي، نشرها المعهـد سنة ١٩٨٠ أي بعد ثـلاثين سنـة من ظهور المقـال السابق حـول المرأة اللبنـانية والتعليم العالي. في هذه المدة حدثت تطورات في هذا المجال تشير إليها الدراسة التي تشمل تعليم المرأة الجـامعي في لبنان وسـائر الأقـطار العربيـة. وفي ما يـلي تلخص جين ليسر من أسرة المعهد المذكور، مضمـون هذه الـدراسة الـواقعة في ٥٤ صفحة من القطع الوسط.

* * *

سنة ١٩٢٥ فتحت الجامعة الأميركية في بيروت أبوابها للنسـاء الراغبـات في درس الطب وطب الأسنان والصيـدلة. أمـا اللواتي اخترن التخصص في فـروع أخرى فكان عليهن قضـاء مرحلة تمهيـدية مـدتها سنتـان في كلية نسـائية دعيت يـومذاك «الجـونيور كـولدج» وتـدعى اليـوم، بعـد أن أصبحت مختلطة، «كليـة بيروت الجامعية».

حوالي هذه السنة عينها، منحت النساء حق دخول جامعة القـديس يوسف الفـرنسية في بـيروت. وفي ١٩٢٨ تخرّج منهـا أول متخصصة في الصيـدلة. وفي

(١) Hanania, E. *Arab Women and Education*. Beirut: Institute for Women's Studies in the Arab World, Monograph No. 2, 1980.

١٩٣١ حصلت امرأتان على شَهادة الطب واثنتان أيضاً على شهادة الحقوق.

في ١٩٢٦ سمحت الجامعة السورية للنساء بالالتحاق بدوائرها. وحذت حذوها الجامعة المصرية في ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠.

بين ١٩٣٠ و١٩٧٠ كثر عدد الجامعات التي قبلت طلاباً من الجنسين في العراق، الاردن، الكويت، العربية السعودية وأقطار أخرى عربية من شمالي افريقيا. وفي غضون ذلك، ازداد عدد الجامعات في العالم العربي من ١٢، سنة ١٩٥٠ الى ٥٠، سنة ١٩٨٠، وبعد أن كان وجودها يكاد ينحصر في بيروت والقاهرة قبل ١٩٥٠، تدل الدراسة على توزعها الجغرافي بشكل واسع النطاق، كما تدل على تنوّع في حقول الاختصاص ومقدار من الارتفاع في مستوى التعليم. أما نسبة النساء الملتحقات بدوائر التعليم العالي في العالم العربي فقد بلغت سنة ١٩٧٧، ٢٨٪ من المجموع بينما النسبة العالمية هي ٤١٪.

حتى عهد قريب، كانت الحقول التقليدية التي تجتذب النساء في التعليم العالي اللامهني (Liberal) هي التربية والعلوم الانسانية كالتاريخ واللغات والآداب، وفي التعليم المهني العلوم الطبية. إلّا أن الاحصاءات التي قامت بها منظمة اليونسكو في السنوات الخمس والعشرين الأخيرة، حتى الثلاثين، بيّنت اتجاههن نحو العلوم لاسيما الهندسة والزراعة. ففي مصر، مثلاً، ارتفع عدد المتخصصات في العلوم وما يتصل بها من ١٨٪ من المجموع سنة ١٩٥٥ الى ٢٩٪ سنة ١٩٧٤. مثل آخر نجده في تونس حيث بلغت نسبة النساء المتخصصات في العلوم ٤٠٪ سنة ١٩٧٦ بدلاً من ٢٩٪ سنة ١٩٦٥.

في **الاردن**، يبدو أن الأولوية في حقل الاختصاص النسائي يحرزها موضوع التربية. كذلك في **الكويت**، حيث تلحّ الحاجة إلى معلمات مدرّبات في القطاع التربوي، في حين شهد العراق مؤخراً ارتفاعاً دراميّاً في حقل اللغات الأجنبية. **في مصر**، حدثت خطوة تقدمية بارزة حين سمح للنساء سنة ١٩٥٣ بدخول معهد الدراسات الدينية (دار العلوم) وجامعة الأزهر، وكان قبول النساء في هذين المعهدين محظوراً قبل ذلك.

في مجال العمل خارج البيت، سجّلت المرأة تقدماً كبيراً ولكن بنسب متفاوتة من حيث القطاعات ومعدّل الزيادة. في مصر زاد عدد الموظفات في

مراكز أستاذية وتقنية من أقل من ٥٠ ألفاً سنة ١٩٦٠ الى مليون ونصف سنة ١٩٧٦. في العراق، من ٢٢ ألفاً سنة ١٩٥٧ الى ١٥٠ ألفاً في ١٩٧٨ (عدا القطاع الزراعي) وبهذا تكون نسبة الارتفاع من ٢ إلى ١٢٪. إلاّ أن تقرير ١٩٧٥ - ١٩٧٦ يدل على أن عدد النساء اللواتي يشغلن مركز أستاذ كامل الوقت لا يجاوز ٤٪، ومركز أستاذ مشارك ومساعد ٥٪، أما المدرّسات فنسبتهن ١٥٪ بينما في المرحلة الابتدائية والحضانة تبلغ نسبة المعلمات ٣١٪.

في الجزائر لا يزال وضع المرأة متخلفاً في المهن الحرة والوظائف الجامعية. في تونس تسعى الحكومة لتطبيق مبدأ المساواة بين الجنسين الذي يقرّه التشريع الحديث في تلك البلاد، على كل الصعد.

في الكويت، مع أن النساء الملتحقات بالدوائر الجامعية أكثر عدداً من الرجال، لأن كثيرين من هؤلاء يهجرون البلاد للدرس في الخارج، لا تزال التقاليد المسيطرة تحدّ من دمجهن في الأعمال والوظائف العليا.

* * *

ان النهضة العلمية التي ترعاها الحكومات في الأقطار العربية نجحت في إحداث مقدار كبير من التغيير الاجتماعي. وذلك يبدو في تبدّل بنى الأسرة العربية، حيث ارتفعت نسبة سن الزواج عند النساء، وسادت فكرة الزواج المبني على التعاون والتراضي بين طالبي الزواج، وحلّ نظام الأسرة النواتية في أكثر الأقطار محل الأسرة الممتدة العشائرية، وعمّت الرغبة في تحديد عدد الأولاد وتشجيع طموحاتهم ورعايتها.

كذلك يصحّ القول إن التعليم الجامعي للنساء أصبح راسخ الجذور في الأقطار العربية وإن مهامّ المرأة المنزلية والعائلية لا تحول دون إقبالها عليه بصورة متزايدة. إلاّ أن مدى تأثيره في المجتمع وفي أوضاع المرأة، لا يمكن تقويمه إلاّ بصورة اجمالية ولا بد من مرور حقبة أطول من الزمن على انتشاره واختباره ليصبح قابل التقويم بصورة مفصّلة ودقيقة.

مترجم عن مقال جين ليسر في: **الرائدة.** (النشرة الانكليزية) العدد ١٧، المجلد ٤، آب (اغسطس)، ١٩٨١، ص ١٠.

المـــرأة والعـــمَل المـــنزلي

س ـ أمتزوج أنت؟

جـ ـ نعم

س ـ هل زوجتك تشتغل؟

جـ ـ لا

س ـ كيف تنفق وقتها؟

جـ ـ تنهض باكراً لتهيىء فطور الأولاد وترسلهم الى المدرسة، تـذهب الى العين لجلب المـاء. تجمـع الحـطب من الحـرج. تعجن وتصنـع الخبـز. تهيىء الـطبخ. تنـظف البيت. تخيط الثياب. تسقي بستـان الخضر والبقـول المـلاصق للبيت. تحلب البقرة وتقوم بأعمال أخرى.

س ـ كيف تقول إنها لاتشتغل؟؟

جـ ـ أعني أنها ربة بيت. لا تمارس مهنة خاصة.

الأجـوبة المـدرجـة في هـذا الحـوار تعكس مـوقف أكـثر النـاس من ربـات البيوت. ترينا أن شغل البيت في نظرهم ليس شغلاً، مـع أنه كثيـراً ما يعـرّض المـرأة للإرهـاق لا سيما في الأوسـاط الريفيـة التي تكاد تنعـدم فيها التسهيـلات الحديثة وحيث تنفق في أعمال المنزل ضعفي الوقت الذي ينفقه الرجـل في أعمال المصنع أو الحقل. مقـابل هـذا، ينكرون عليهـا صفة «العمـل» ولا تتقاضى أي

أجر سوى المأكل والملبس. إذا مرضت فكثيرا ما لا تجد من يعتني بها لأن الزوج مشغول بعمله وإذا لم يكن بين أولادها من يستطيع خدمتها فقد تموت من الإهمال.

هذا الوصف لا يشمل المرأة المثرية التي تعتمد على الخدم لتدبير منزلها وخدمة أولادها والتي لا تؤلف سوى جزء ضئيل من نساء المجتمع. لكنه يتناول الأكثرية اللواتي لا تؤهلهن أوضاعهن المالية لاقتناء الخدم. كيف تجابه هؤلاء النساء مشاكلهن وما الذي يمكن فعله لإسعافهن على معالجتها؟

١ - في القرى والأرياف، كثيراً ما يقوم الزوج والأولاد في أوقات فراغهم بمعاونة الزوجة على القيام بأعمال المنزل. ويزداد التعاون بين أعضاء الأسرة في مواسم القطاف وأوقات تخزين الغلال وتهيئة المؤن للشتاء. في هذه المواسم عينها، كان التقليد الشائع في قرى لبنان أن يتعاون الجيران، نساءً ورجالاً، على تنقية القمح، صنع البرغل، صنع الكشك (طعام مصنوع من تخمير اللبن والقمح وتحويلهما إلى دقيق يطبخ مع اللحم أو القورما)، طبخ التين والمربيات. لكن هذا التقليد أخذ في التقلص تحت وطأة التطورات الحديثة التي مهدت لانتشار المعلبات والأغذية المحفوظة وحدّت من أهمية تحضير المونة وخزنها لأوقات الحاجة.

٢ - في الأقطار التي اعتمدت نظام الضمان الاجتماعي للعمال الصناعيين والزراعيين، يعطى الرجال العاملون تعويضات عائلية تشمل الزوجة والأولاد، يضاف اليه الضمان الصحي لأفراد الأسرة في حال المرض والحوادث. بذلك يحق للمرأة الحصول على نصيب من المال تنفقه على حاجاتها أو تضعه جانباً لأيام العسر والمرض أو تودعه باسمها في احد المصارف. لأن من حقها أن تتسلم التعويض الخاص بها، باعتبار أنه يمثل اعترافاً ولو محدوداً بأتعابها اللامحدودة في خدمة الأسرة ولا يجوز أن تتركه للزوج يتصرف به كما يشاء.

هل تكفي هذه الوسائل لمعالجة مشاكل ربه المنزل؟

لا. لأن الضمان الاجتماعي لم يطبق بعد في جميع البلدان النامية. ولأن هناك المرأة التي تعمل في الزراعة زيادة على عملها المنزلي. هذه المرأة تؤلف في العراق - مثلاً - أكثر من ٤٠ في المئة من مجموع العاملين في الزراعة. وفي

الأقطار الآسيوية إجمالاً نحو ٥٢٪ من النساء يعملن في القطاع الزراعي[١]، ومع هذا لا يتقاضين أجراً على عملهن إلاّ في ظروف معينة. لأن عمل المرأة الزراعي يعد قسماً من عمل الزوج الذي يملك الأرض أو يعمل فيها كمستأجر، أو مرابع. لذلك يصبح من واجب الحكومة والمسؤولين في المجتمع، ان يسعوا لإنصاف المرأة العاملة في الزراعة بأن يحملوا الزوج على إعطائها قسماً من دخله أو تسجيل قسم من أملاكه باسمها. ومن ناحية أخرى، في حال حصول هذه المرأة على أجر مقابل عملها الزراعي تجب مساواتها بالرجل إذا ساوته في العمل.

كل هذا لا يكفي لرفع مستوى المرأة المرتبطة بأعمال المنزل ما دامت مكبّلة في الآن نفسه بقيود الجهل والأمية والغبن في القوانين المدنية.

يؤخذ من التقرير الصادر عن «مكتب النساء في التنمية، وكالة التنمية الدولية في واشنطن» أن دور المرأة في التنمية يزداد خطورة في الوقت الحاضر، لا سيما في القطاع الزراعي لأن ارتفاع نسبة الطلاق في بعض الأقطار وكثرة الرجال الذين يهجرون الريف إلى المدن سعياً وراء زيادة الدخل وبهارج الحياة الحضرية، كل هذا يؤدي الى انفراد النساء بمسؤولية العمل المنزلي والزراعي وبوظيفة الإنفاق على باقي أعضاء الأسرة. وقد بينت الاحصاءات الأخيرة أن ٣٠٪ من الأسر الزراعية في العالم الثالث تدير شؤونها النساء، وأن ٤٠ ـ ٧٠٪ من العمل الزراعي في هذه الأقطار تضطلع به النساء. وان قسماً منهن يعملن في صناعات منزلية كالخياطة والحياكة والتطريز وانتاج المأكولات. وذلك بقصد الإسهام في إعالة الأسرة أو تحصيل جميع نفقاتها في حال غياب الرجل.

يؤخذ أيضاً من الإحصاءات أنه خلال الخمس والعشرين سنة المقبلة، سوف تواجه بلدان العالم الثالث نقصاً في الأغذية بمقدار مئة مليون طن، كنتيجة للانفجار السكاني الذي يهدد بالدرجة الأولى أقطار العالم المذكور. فوق هذا، تدل الدراسات الحديثة على أن مئة مليون طفل يعانون الجوع باستمرار وأن ١٥ مليوناً منهم يموتون كل سنة من المرض وسوء التغذية. ففي مكافحة

---

(١) Kelly, E.O. *Rural Women: Their Integration in Development Programs*. 1979.

الانفجار السكاني لا بد من اللجوء إلى جمعيات تنظيم الأسرة التي تعتمد بدورها على المرأة. وفي مكافحة الجوع وسوء التغذية نعتمد كذلك على المرأة التي تؤدي دوراً مهماً في الانتاج الزراعي، كما سبق القول.

ان الاعتماد المتزايد على المرأة والأم، لا كربة بيت وعاملة في المنزل فحسب بل:

كمدبرة للأسرة في حال غياب الرجل ومسؤولة عن إعالتها.
كمنتجة في القطاع الزراعي.
كمنتجة في صناعات منزلية وغير منزلية.
كعاملة في إنتاج الأغذية وتحسين نوعيتها وزيادة كمياتها.
كمشاركة في تحصيل نفقات الأسرة وتنظيمها وتحديد عدد الأولاد.

هذه الأسباب جميعاً تحتّم على الحكومات، كما على المنظمات العالمية والمحلية، أن تبذل جهوداً متضافرة ومكثفة لتأهيل المرأة للمسؤوليات القديمة والجديدة، الملقاة عليها. وذلك بالسعي لتنفيذ التوصيات والمقررات الآتية الصادرة عن المؤتمرات العربية والعالمية التي بحثت موضوع المرأة ودورها في التنمية:

أولاً محو الأمية التي تفتك بنساء العالم الثالث بنسبة تتراوح بين ٥٠ و٩٠٪، لأن الأمية تؤلف عائقاً مهماً في طريق تقدم المرأة وإسهامها في التنمية على الوجه الأكمل.

ثانياً تدريب المرأة على زيادة دخلها بتحسين نوعية الانتاج الزراعي الذي تقدمه، وذلك بتدريبها على استعمال الآلات والوسائل التقنية الحديثة في الأعمال الزراعية التي تقوم بها والتي منها العناية بالماشية والطيور الداجنة، تربية النحل، تحضير الأغذية والمعلبات ونحو ذلك.

ثالثاً إعداد دروس وبرامج في تدبير المنزل للفتيات والنساء القرويات.

رابعاً تدريب النساء على ممارسة مهن منتجة، غير الفنون التقليدية المقتصرة على التطريز والخياطة وشغل الإبرة والصنارة، منها على سبيل المثل صنع السجاد (في تونس وسوريا مثلاً) وصنع الجلود (في المغرب والسودان).

خامساً مساواة المرأة بالرجل في الأجور لدى تساويهما في العمل. واعطاؤها نصيباً عادلاً من دخل الأرض الزراعية التي تعمل فيها مع الرجل ومساواتها به في حق الضمان الصحي في حال المرض والعجز.

سادساً مكافحة التقاليد التي تظلم المرأة وتحول دون نموها السوي. منها الاعتقاد بأن العلم إذا كان ضرورياً للرجل فهو غير ضروري للمرأة. ومنها ظاهرة الزواج الباكر الذي يرغمها على ترك المدرسة قبل التزود بمقدار كاف من العلم. ومنها عادة تكثير الأولاد التي تنهك صحتها وتؤلف عبئاً اقتصادياً على الأسرة وتؤدي الى الانفجار السكاني المشار اليه.

سابعاً إجراء تعديلات في قوانين الأحوال الشخصية تراعي حقوق المرأة وتضمن لها الاستقرار والراحة النفسية. تلك القوانين المتعلقة بالطلاق وتعدد الزوجات والنفقة والحضانة. وقد اهتمت بعض الدول العربية بإجراء هذا التعديل، منها تونس والعراق وجمهورية اليمن الديمقراطية. وفي الأقطار الأخرى ما زال موضوع التعديل قيد الدرس والمراجعة.

ثامناً تعديل القوانين الزراعية بصورة تضمن للمرأة حق امتلاك الأرض. ان الأقطار العربية تختلف في معالجتها هذا الموضوع، لأن بعضها يعطي المرأة حق استملاك الارض بينما البعض الآخر يحرمها هذا الحق، لا استناداً الى قوانين مكتوبة بل عملاً بالتقليد الشائع.

تاسعاً تشجيع المرأة على دخول الجمعيات التعاونية والنقابات العمالية وممارسة الأعمال والوظائف الإدارية.

الرائدة. العدد ٩، المجلد ٢، آب (اغسطس)، ١٩٧٩، ص ٢.

مراجع

١ - جامعة الدول العربية - ادارة التنمية الاجتماعية «لجنة المرأة العربية - الدورة السابعة» مراكش ١٩٧٨.

٢ - الاتحاد العام لنساء العراق - سكرتارية الدراسات والبحوث، المؤتمر الفني الدوري الثالث لاتحاد المهندسين الزراعيين العرب: «المرأة العربية وبعض العوامل المؤثرة في دورها في التنمية الريفية» بغداد ١٩٧٧.

دمج المرأة في التنمية الزراعية في منطقة الشرق الادنى

في منطقة الشرق الأدنى تضطلع النساء بما يقارب نصف الإنتاج الزراعي وتبلغ نسبة العاملات في الزراعة أكثر من ٦٠٪ من مجموع نساء المنطقة.

فوق هذا تدل الاحصاءات على تزايد عدد النساء المسؤولات عن إعالة أسرهن في أرياف العالم الثالث حتى بلغ مؤخراً ٣٠٪ من المجموع.

إن الدور الذي تؤديه المرأة في تنمية الأسرة والمجتمع، يحتم على الحكومات والمنظمات الاجتماعية تزويدها بالمساعدة التي تضمن لها حسن الاضطلاع بمهمتها وتمنحها مزيداً من الكفاءة والنمو.

البرامج الهادفة إلى إدماج المرأة في التنمية الزراعية

هذه البرامج كثيرة ومنوعة في كافة أقطار المنطقة. نذكر منها على سبيل المثل المنظمات والمراكز الاجتماعية في باكستان حيث يزيد عددها على العشرة ومنها: الرعاية الاجتماعية، تنظيم السكان، مراكز نساء الأرياف، منظمات الشبيبة، برامج القرية، مراكز العيادة الصحية، مراكز العناية بالطفل، اتحاد جمعيات نساء باكستان، الجمعيات الخيرية، مراكز سكنية صناعية.

---

(١) خلاصة دراسة اقليمية أعدها بالانكليزية السيد حسن داود بموجب اتفاق خاص مع منظمة الفاو (الاغذية والزراعة) التابعة للأمم المتحدة، القاهرة، حزيران ١٩٧٨.

في مصر برامج مماثلة لا تقل عن اثني عشر، وكذلك في سوريا، والأردن والسودان. تضاف اليها محطات الإذاعة والتلفزيون التي تقدم برامجها الخاصة بالأسر والمجتمعات الزراعية.

إلّا أن الجهود التي تبذلها المنظمات والمراكز المذكورة لم تأت بسوى نتائج محدودة. معدل الأمية بين النساء ما زال مرتفعاً، وأطفال المنطقة ما زالوا يشكون سوء التغذية بنسبة كبيرة والتقاليد الضاغطة تسد منافذ التطور.

عوامل التأخر

١ ـ فقدان التنسيق بين البرامج الريفية. والأمر نفسه فيما يختص ببرامج التنمية إجمالاً ومراكز العمل الاجتماعي.

٢ ـ نقص الموظفين والعاملين المدربين.

٣ ـ نقص الآليات اللازمة لتسيير العمل.

٤ ـ نقص الدراسات التي تكشف واقع المرأة وحاجاتها.

نذكر هنا أن «منظمة الأغذية والزراعة» التابعة للأمم المتحدة قامت ببعض الجهود في هذا المجال فاهتمت بتمويل دراسة أجراها أحد الباحثين اللبنانيين حول «توزيع الموارد بين سكان قرى زراعية»(١) ودراسة أخرى أجريت في الريف السوداني. وهنالك مشاريع دراسية أخرى يجري تنفيذها في الأردن، مصر، السعودية. وينتظر إنجازها في ختام ١٩٧٨.

٥ ـ من عوامل التأخر أيضاً نقص المساعدات المالية التي تخص بها الحكومات مشاريعها الإنمائية.

٦ ـ محدودية الموارد المالية التي تحصل عليها المنظمات غير الحكومية.

التنمية الزراعية في مصر

سنة ١٩٥٢ صدر في مصر قانون الإصلاح الزراعي الذي لم يحرم النساء حق تملك الأراضي المصادرة من أملاك كبار الاقطاعيين. لكن القانون بتركيزه

---

(١) **الرائدة**. العدد ٣، شباط (فبراير)، ١٩٧٨، ص ٦.

على الأسرة مكان الفرد في هذا الحق، أدى الى حرمان المرأة منه، بناء على أن الدوائر العقارية أخذت تسجل الأراضي المشار اليها باسم الرجل لأنه سيد الأسرة.

تعرضت النساء للون آخر من ألوان الغبن في مجال التعاونيات الزراعية التي كادت تحصر عضويتها في الرجال.

غير أن مراكز الإسكان الحديثة التأسيس أتاحت للنساء فرص الدخول في عضوية «لجان تنمية المجتمع».

وتألفت جمعيات خاصة بالتنمية الاجتماعية، أعضاؤها رجال ونساء محليون، يتوزعون على لجان مختلفة غايتها الاهتمام بشؤون الصحة المحلية والاقتصاد والحياة الثقافية في القرية، وفي رأس اهتماماتهن شؤون المرأة والطفل.

نشاطات تستهدف تأمين الدخل

من مظاهر النشاط التنموي في مصر إنشاء وحدات صناعية يبلغ عددها تسعاً وثمانين، لتدريب النساء على الخياطة، حياكة السجاد والأحرمة، الحصر المصنوعة من قش، إنتاج الألبان والأجبان ونحو ذلك من صناعات منتجة.

في خلال ذلك، تتكثف وسائل التعليم ومكافحة الأمية وتشمل الجنسين دون تفرقة.

كما يزداد عدد دور الحضانة التي تستقبل الأطفال وتعتني بهم في غياب أمهاتهم العاملات.

المرأة الريفية العراقية

في العراق صدر قانون الإصلاح الزراعي الجديد سنة ١٩٧٠، وهو ينص على خطة إنمائية يجري تطبيقها ابتداء من ١٩٧٤ حتى ١٩٨٠.

غير أن دراسة أجريت سنة ١٩٧٦ أظهرت الغبن اللاحق بالمرأة التي تؤلف ٤٤٪ من القوة العاملة في القطاع الزراعي ومع هذا تحرم حق ملكية الأرض الا

بنسبة ضئيلة لا تستحق الذكر[1].

في المزارع الجماعية تحرم النساء حق العضوية في ادارة هذه المزارع، وفي المزارع التعاونية تعمل النساء بدون أجر الا في المواسم التي تستدعي استئجارهن لزيادة الأيدي العاملة لأن المرأة تحسب تابعة لزوجها وعملها قسم من عمله.

لم تستفد المرأة العراقية شيئاً من قانون الاصلاح الزراعي الأول الصادر سنة ١٩٥٨ ولا من الثاني (١٩٧٠)، لأن المشرفين على تطبيق القوانين حصروا حق التملك في الأسرة التي يتزعمها الرجل، في العراق كما في مصر، وبذلك حرموا المرأة هذا الحق.

الخلاصة

تؤلف المرأة في المناطق الزراعية طاقة هائلة تحتاج الى إطلاق وتثمير، عن طريق التعليم والتدريب المهني وزيادة فرص العمل، هذه الوسائل الثلاث كفيلة بتكثيف مشاركة المرأة في عمليات التنمية ورفع مستواها المادي والمعنوي.

إن بعض الحكومات العربية سعت الى تحسين أحوال المرأة الريفية، في الأردن، مصر، والسودان، مثلاً، أنشئت دوائر خاصة بشؤون المرأة. وفي أقطار أخرى: العراق وتونس وسوريا واليمن الديمقراطية، تساند الحكومات جهود الاتحادات الانسائية وتتبنى مطالبها.

على الصعيد الاقليمي، تقوم «الأكوا» (اللجان الاقتصادية لافريقيا وغربي آسيا) بوضع تصاميم عمل لإدماج المرأة في التنمية.

على صعيد التشريع، لا بد من إحداث التعديلات اللازمة في القوانين التي تعيق عمل المرأة التنموي، لا سيما قوانين الإصلاح الزراعي والجمعيات التعاونية التي ما زالت تحرم المرأة حق الاستفادة منها.

وتبرز الحاجة الى خبيرات يضطلعن بوظيفة توجيه وتعديل البرامج الزراعية

---

(١) راجع **الرائدة**. العدد ٧، المجلد ٢، شباط (فبراير)، ١٩٧٩، ص ١٣.

التقليدية المعتمدة في التوظيف والتربية والإنتاج.

أما اللجان والمنظمات المحلية ففي وسعها القيام بالأعمال الآتية:

- تمكين النساء من الحصول على مزيد من الثقافة والمعلومات التقنية.
- تشجيع دخولهن في الجميعات التعاونية والمؤسسات المصرفية.
- مساعدتهن على توسيع وتحسين إنتاجهن الزراعي وتسويق مصنوعاتهن اليدوية.

من الواضح أيضاً أن الإقدام على أي مشروع تنموي يجب أن تسبقه دراسات محلية أو دولية تبرر وجوده وتمهد لتصميمه.

الرائدة. العدد ٩، المجلد ٢،
آب (أغسطس)، ١٩٧٩، ص [illegible] و٥.

المـرأة والصحـافـة

بين المهن التي مارستها النساء ابتداء من القرن العشرين، حظيت مهنة الصحافة لديهن بشعبية كبيرة، سواء ذلك في الشرق العربي أم في الأقطار الغربية. في خلال الاربعينات لمعت أسماء صحفيات غربيات أحرزن شهرة عالمية. منهن جنفياف تابوي، الفرنسية التي لعبت دوراً بارزاً في ميدان الصحافة السياسية والمراسلة الأجنبية، في الوقت الحالي يبرز إسم الصحفية المكسيكية ماريا أوجينيا مورينو، رئيسة «الجمعية العالمية للصحفيات والكاتبات» التي تشغل هذا المنصب منذ ١٩٧٣. تتميز هذه السيدة بنشاطها الواسع في ميدان الشؤون الاجتماعية وتأييدها المطلق لقضية المرأة. وحين ترأست دائرة الخدمة الاجتماعية التابعة للمعهد المكسيكي للضمان الاجتماعي قامت بتنظيم حملة ناجحة لمكافحة تعاطي المخدرات بين الناشئة.

أما في الشرق العربي فقد سجلت الصحافة النسائية ازدهاراً كبيراً في مصر ولبنان وسوريا خلال النصف الأول من هذا القرن. بين ١٨٩٢ و ١٩٥٠ ظهرت نحو أربعين مجلة نسائية قامت المرأة بتأسيسها وتحريرها. واستهدفت تأييد الدعوة لتعليم المرأة وتحريرها من التقاليد الضارة[١].

---

(١) راجع «الاتجاهات الادبية في العالم العربي» جزء ٢ لأنيس المقدسي، بيروت ـ لبنان، ١٩٥٢، ص ٦١ ـ ٦٤.

أما في المدة الأخيرة فقد تضاءل عدد المجلات النسائية في الأقطار العربية حتى أصبح دون العشر. في مقابل ذلك تكاثر عدد النساء الصحافيات اللواتي يسهمن في تحرير المجلات والصحف العربية والأجنبية. في لبنان يزيد عددهن على الخمسين ويؤلفن ٢٢٪ من مجموع الأسرة الصحافية. وهنّ على الغالب من ذوات الثقافة الرفيعة، بعضهن يمارسن كتابة الشعر والقصة الى جانب الصحافة.

الا أن كثرة عدد الصحافيات لم تنجح في إيصالهن الى مراكز قيادية مسؤولة. فالأكثرية بينهن يحتللن وظائف ثانوية كالريبورتاج، مراجعة الكتب، نقد المعارض الفنية، معالجة شؤون المرأة. وقلّما نعثر بينهن على واحدة تضطلع برئاسة تحرير صحيفة لا سيما في الميدان السياسي.

أما سبب تخلفهن في هذا الميدان فهو أولاً سيطرة التقليد القائل إن المرأة لا تصلح للسياسة ولا لمعالجة شؤونها في الصحف. ثانياً أن النساء، جماعات وأفراداً، لا يبذلن جهداً كافياً ومتصلاً لتعزيز مركزهن في المهنة الصحفية وفي سواها من مهن. لأن الفتاة التي نالت ثقافة جامعية أو مهنية ما زالت، في بدء حياتها العملية، حائرة بين الاستقرار على مهنة تمارسها مدى العمر والاكتفاء بعمل وقتي تتخلى عنه حالما تتهيأ لها فرصة الزواج، إن موقفها المتردد يحول بلا ريب، دون تبلور جهودها حول المهنة وسعيها الجدي في سبيل الترقية التي يطمح اليها كل موظف.

رغم هذا، أخذت تنتشر بين النساء والرجال، في المدة الأخيرة، الفكرة الحديثة القائلة إن الزواج والأمومة لا يمنعان المرأة من مزاولة عملها أو مهنتها مدى العمر، وإن هناك وسائل عديدة تسعفها على حل مشكلة الجمع بين الزواج والعمل، بهذا المعنى تصرح دنيز عمون، التي تشغل وظيفة سكرتيرة التحرير في جريدة «لوريان ـ لوجور» اليومية، بأن النساء اللواتي اتخذن الصحافة مهنة العمر يشملن المتزوجات والعازبات، وأن هؤلاء جميعاً أظهرن من الكفاءة ما يجعلنا نعتقد انه لن يمر زمن طويل حتى ينجحن في بلوغ المراكز العليا في المهنة. مطالب هؤلاء النساء، تقول دنيز عمون، لا تختلف عن مطالب

الرجال. وتتلخص في أن المرشحين للعضوية في نقابة المحررين يجب أن يستوفوا الشروط التي تضمن رفعة مستوى المهنة. ثانياً إقرار الضمان الاجتماعي الذي يشجع الصحافيات على الاستقرار في المهنة والتغلب على المصاعب التي تحول دون ذلك[1].

الرائدة. العدد ٩، المجلد ٢،
آب (أغسطس)، ١٩٧٩، ص ١٣.

(١) جريدة لوريان ـ لوجور. ٢٣ أيار (مايو)، ١٩٧٨.

المـَرأة والعَـمَل
مشكـلات ومعوقـات

لماذا تعمل المرأة؟

يبدو أن العامـل الأول عند كثـيرات هو الاستقـلال الاقتصادي الـذي يعد ظاهرة جـديدة في العـالم العربي بـالنسبة إلى المـرأة لأن عملها في البيت وخـارج البيت ـ في الـزراعـة مثـلاً ـ كـان ولا يـزال عمـلاً غـير مـأجـور لا يضمن لهـا الاستقلال الاقتصادي ولا الاطمئنان إلى مصيرها إلّا من ناحية السكن والمأكل.

إلى رغبتها في العمل والعيش المستقل، هناك الـرغبة في زيـادة دخل الأسرة لمواجهة غلاء المعيشة، الحلول محل الرجل في إعالة الأسرة أثناء هجرة الرجل أو غيـابه، كـما هو الحـال في الأقطار القليلة الـدخل، الأردن، مصر، لبنـان، التي تكثر فيها هجرة الذكور إلى أقطار النفط وغيرها.

قليلات جداً هن اللواتي يعملن لإنماء شخصياتهن وتوسيع آفاقهن ذلك أن منافسة الرجل للمرأة في الوظائف الإدارية والنشاطات الفكرية تكاد تحصر المرأة في دوائر الأعمال الصغيرة التي تقلّ فيها حوافز الخلق والنمو الفكري.

ثم أن صعوبة الجمع بين عملها المنزلي وعملها في الخارج كثيـراً ما يفـرض عليها اللجوء إلى عمل جزئي لا يوفر لها فرص الترقية، أو إلى مهنـة لا تتعارض

مع المنزل ولا مع التقاليد الاجتماعية، مثلاً مهنة التعليم التي تستوعب القسم الأكبر من عمل المرأة في هذه الأقطار.

موضوع عمل المرأة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع توجيهها التربوي ومقدار تشجيعها على التخطيط لمستقبلها باختيار مهنة منتجة كما هو الحال في العالم الغربي. وفي دراسة لباحثة مصرية معاصرة تبين أن ابنة المدينة تسعى أولاً وراء مهنة أو عمل في حين أن الريفية تسعى أولاً وراء زوج. مع هذا يصح القول إن موضوع التوجيه التربوي يحتاج إلى مزيد من الدرس وقد يكون الجواب عنه مفتاح الحل لمشكلات عمل المرأة.

ماذا تعمل المرأة؟

العمل المنزلي تضطلع به الكثرة الساحقة من النساء، يضاف إليه الزراعي والصناعي في الطبقات الفقيرة والمحدودة الدخل، وغالباً يكون عمل المرأة في الزراعة غير مأجور لأنه يعتبر قسماً من عملها المنزلي.

في العصر الحاضر اتجاه إلى تشجيع العمل البيتي المنتج لدى المرأة، مثلاً في مصر، منه الصناعات الغذائية، الإنتاج الزراعي المنزلي، الفنون اليدوية كالخياطة، التطريز، صنع الصابون، والكراسي وأدوات أخرى منزلية. إلاّ أن هذه الأعمال يجب أن تخضع لتنظيم قانوني من ناحية الأجور لئلا تعرض المرأة العاملة للاستغلال بسبب تدخل الوسطاء ومحاولتهم احتكار الأرباح.

تزايد نسبة المتعلمات في المراحل الثانوية والجامعية أدى إلى زيادة نسبهن في العمل خصوصاً في القطاع الحكومي (الكويت والبحرين)، وأدت مشكلة المهجرين وازدياد عددهم في الأردن بعد ١٩٦٧ إلى خروج المهجرات وزيادة الطلب على عملهن في المؤسسات المصرفية، إدارة الأعمال، تدقيق الحسابات، العمل الفندقي. وذلك يعني انتقال الأردن من عهد البداوة الى عهد التحضر.

ونسبة عمل المرأة خارج المنزل في الأقطار العربية بين ١١٪ و٢٠٪ تشمل الوظائف الحكومية والمهن الحرة وقطاع التعليم والأعمال المكتبية والخدمات وعمل المصانع لكن هذه النسبة لا تشمل البيتي والزراعي.

عمل المرأة والتشريع

١ ـ في معظم دساتير الأقطار العربية، كما في القرارات والتوصيات لمنظمة الأمم المتحدة يعتمد مبدأ عدم التمييز بين الجنسين في الحقوق والمعاملة، لكن هذا المبدأ قلّما يجري تطبيقه. هناك مثلاً مبدأ «تساوي الأجور في حال تساوي العمل بين الجنسين» تواجهه صعوبة المقارنة. وهناك خلاف أصحاب التشريع حول مدة إجازة الأمومة ووسائل حماية الأم والطفل التي لا تلقى اهتماماً كافياً في أي مكان.

٢ ـ في العرف والتقليد كما في التشريعات القانونية ما زالت تحسب المرأة مخلوقاً قاصراً يحتاج إلى وصاية أب أو أخ أو زوج حتى بعد بلوغها سن الرشد. فإذا طلقت أو ترملت لا تعطى حق الاستقلال ولو كانت قادرة على تحصيل معاشها، كما في وسع الزوج أن يمنع زوجته من العمل. ومع أن فريقاً من النساء نجح بوسيلة ما، في تخطي هذا الوضع المجحف، فهو لا يزال ساري المفعول في كل مكان وعلى كل المستويات.

٣ ـ عمل المرأة في الزراعة ـ الذي يؤلف القسم الأكبر من نشاطها في السودان، شمال افريقيا، العراق، مصر، سوريا ـ لا يخضع لأي تشريع فهو عادة جزء من عملها المنزلي، وإن تقاضت عليه أجراً فبنسبة ضئيلة وموسمية. كذلك عملها في الخدمة المنزلية لا يحظى بأية حماية حكومية.

٤ ـ أظهرت إحدى الدراسات الحديثة الموضوعة حول الأمهات العاملات في لبنان وجوه الظلم التي تعانيها أولئك النساء اللواتي ترغمهن الظروف الاقتصادية على العمل المرهق بأجور زهيدة، فتبلغ ساعاتهن من ٤٨ إلى ٥٩ في الأسبوع مع انعدام دور الحضانة للأطفال وساعات الراحة وتسهيلات العمل وفرص الترقية لافتقارهن إلى التأهيل المهني.

٥ ـ غياب النساء من المنظمات النقابية يحول بينهن وبين السعي لتحصيل حقوقهن وتحسين أوضاعهن.

عمل المرأة والوضع التربوي

١ ـ ارتفاع نسبة الأمية بين النساء (٥٠ ـ ٨٠٪) في العالم العربي من أهم معوقات عمل المرأة لأنه يحصره في الدوائر السفلى من عملية التنمية، سواء في الزراعة أم الصناعة أم الخدمات.

٢ ـ غرض التربية النسائية عامة إعداد الفتاة لخدمة الأسرة إلّا من حيث يسود التعليم المختلط في المدارس. وعمل المرأة لا يدخل في استراتيجية التوظيف والإعداد المهني لأن المشرفين عليها رجال.

٣ ـ صورة المرأة في الكتاب المدرسي وفي وسائل الإعلام تحصر عملها في المنزل بعيداً عن الاهتمامات الاقتصادية التي يضطلع بها الرجل.

٤ ـ من معوقات علم المرأة وعملها الزواج الباكر، كثرة تسرب الإناث في المدارس الابتدائية والثانوية، تسخير الفتاة لعمل المنزل بدلاً من إرسالها إلى المدرسة.

٥ ـ سيطرة الرجل على القطاع التربوي في دوائر العمل الإداري والتعليم العالي تهيء له فرص التمييز بين الجنسين في المعاملة والتوظيف والتخطيط.

موقف الأهل والمجتمع من عمل المرأة: هذا الموقف بين معارض ومؤيد ونسبة ٧٠٪ للمؤيدين بشرط عدم تعارض عملها مع وظيفتها الزوجية والمنزلية وحصره في التعليم والدوائر الحكومية إذا أمكن. أما موقفها هي فيعبّر عن رغبة أكيدة في العمل على اختلاف أنواعه لكنها تطالب بالتأهيل الضروري لإدماجها في التنمية على نطاق واسع كما تطالب بالقوانين والتسهيلات اللازمة لاستمرارها وترقيتها.

معوقات عمل المرأة

١ ـ الطبقية في العالم العربي وسوء توزيع الدخل القومي، ظاهرة تؤكد وجودها الأبحاث وتشير إليها بصورة متواترة في كل قطر عربي: فئة من الحاكمين وكبار الملاكين والتجار والموظفين تكاد تحتكر خيرات البلاد في حين أن أكثرية السكان، من أصحاب الدخل المحدود وصغار الموظفين والعمال، يتعرضون

للإهمال على صعيد التربية والتعليم، التأهيل المهني، قانون العمل وغير ذلك.

٢ ـ ضعف التأهيل المهني للمرأة العاملة. المدارس المهنية للبنات قليلة أو غير موجودة والمدارس الرسمية والخاصة لا توجّه الفتيات نحو المهنة والعمل إلّا حيث يكون التعليم مختلطاً في الجامعات والمدارس المهنية. لذلك يجب تشجيع التعليم المختلط الذي لا يميّز بين الجنسين في التوجيه والمستوى التعليمي. كما تمسّ الحاجة إلى برامج تعليمية خاصة يجري فيها تثقيف النساء العاملات بتعليم القراءة والكتابة للأميات منهن وتدريب الجميع على الخبرات والأساليب العملية لتوسيع معلوماتهن وتأمين ترقيتهن وتطوير أجورهن.

٣ ـ انتشار البطالة في بعض الأقطار العربية يؤدي إلى إقصاء المرأة عن دوائر العمل لتخلي مكانها للرجل.

٤ ـ انعدام التخطيط والتوجيه المهني يؤدي إلى تراكم الاختصاصات في بعض القطاعات دون غيرها، وهذا يؤلف عاملاً من عوامل البطالة بين الرجال كما بين النساء.

٥ ـ اعتبار عمل المرأة في المنزل وفي الزراعة غير منتج مع أنه يستهلك القسم الأكبر من طاقتها وأوقاتها. وفي حال ارتباطها خارجياً يصبح عملها مزدوجاً مقابل عمل الرجل ويعرضها للغبن والإرهاق.

٦ ـ ظاهرة العودة إلى الأصول. في المدة الأخيرة ظهرت في كثير من الأقطار العربية حركة تناهض خروج المرأة وتشجع تقييدها بالمنزل وتفرض عليها تغطية الرأس والذراعين والساقين باستعمال لباس خاص. يقول دعاة الحركة إن لذلك أسباباً اقتصادية واجتماعية منها منع المرأة من مزاحمة الرجل في الأقطار التي تشكو البطالة، والاقتصاد في نفقة الملابس والحد من موجة البذخ التي تفرضها مجاراة الزي الحديث والانجرار وراء «آخر موضة». إلى هذا، فرض احترام المرأة على الرجل ومقاومة ظواهر التبذل وفقدان الحشمة في اللباس.

ويرد الباحثون على الأصوليين بقولهم إن هذا اللباس المفروض يعيق خفة الحركة اللازمة للمرأة في البيت وخارجه وبذلك يضعف قدرتها على العمل

ويضر بصحتها التي تتطلب تعـريض جسمها للشمس والهـواء. وإنه من الممكن أن تراعي المرأة مبادىء الحشمة والبسـاطة في اللبـاس من غير أن تستعبـد للزي الأخير أو تتقيد بزي تقليدي يعيق حركتها وإنتاجها.

الرائدة. العدد ١، ١٩٨٦، ص ٨.

المـرأة والعـمل في لبـنان

موجز دراسة عن وضع المرأة العاملة

في غضـون الحرب اللبنـانية، زادت نسبـة النساء العـاملات لاسيـما في الأسر المهجرة إلّا أن أوضاع عملهن والمؤثرات التي تتحكّم في هذه الأوضاع لم يطرأ عليها تبديل يُذكر[1]. ما زالت مهنة التعليم تجتذب القسم الأكبر من النسـاء العامـلات، ثم المهن المكتبيـة أي السكرتـاريـة والضرب عـلى الآلـة الكـاتبـة، أخيـراً الأعـمال الصناعية في معامل الغزل والسجاد.

ترينا الدراسات القليلة التي تتناول عمل المرأة في لبنان، والتي مصـدرها وزارة التصميم ١٩٧٢، تقارير الأونسكـو ١٩٧٣، الأكوا (اللجنـة الاقتصاديـة لافريقيـا وغربي آسيا) ١٩٧٨، السرمـوك (مركـز دراسات الشرق الأوسط)١٩٧٨، أن عمـل النسـاء يؤلف ١٧,٥٪ من مجموع القـوة العاملة وقـد ارتفـع مؤخـراً إلى ٢٥٪ وأن عملها ما زال محصوراً في القطاعات التقليدية التي سبق ذكرهـا. وقد عمـد «معهد الدراسات النسائية في العالم العربي» الذي مركزه كلية بـيروت الجامعيـة، إلى إجراء دراسـة حول المـوضوع، سنـة ١٩٨٠، باعتـماد عينة للدرس شملت ٢٤٠ مؤسسة تربوية وصناعية، جرى اختيارها من أصـل ٨٠٠ مؤسسة يعمـل فيها ٢٠٣٤٦ من العـمال في بيروت وضـواحيها. وقـد أسفرت الـدراسـة عن النتـائج التي نـوردهـا باختصار في ما يلي:

(١) يراجع حول هذا الموضوع: «مؤتمر سنغافـورة » ١٩٧٩، التربيـة المهنية النسـائية» ص١٧٧ من هـذا الكتاب، رقم (٤) من القسم الأول، «مؤتمرات ودراساتٌ»

١ ـ تبينَّ للباحثات أن **عدد** العاملين الذكور إجمالاً **يفوق** عدد العاملات بنسبة **الثلثَين**. وأن أكبر نسبة تقع في السلك **الاداري** (٣٣٪) بناء على أن ٩٩٪ من الموظفين في السكرتارية والضرب على الآلة هم نساء. في القطاع التجاري، ٢٩٪ من الموظفين نساء معظمهن من صنف البائعات، بينما تؤلف النساء ١١٪ من المشرفين على مبيعات الجملة والمفرق. في قطاع الخدمات، تبلغ نسبتهن ٢٤٪، وأجورهن في أدنى المراتب. في الأعمال المهنية تبلغ نسبتهن ٢٠٪ لكنهن يؤلفن أكثرية في دوائر التعليم حيث نسبتهن ٦٧٪ في المدارس الثانوية و٩٣٪ في المدارس الابتدائية. أدنى نسبة لعمل النساء تقع في الدوائر الصناعية، حيث لا تزيد نسبتهن على ٢٠٪ في الأعمال التي تستدعي الإعداد والتدريب. أما نوع عملهن فهو أيضاً تقليدي: ٦٣٪ في الغزل والتطريز ٩٠٪ في الخياطة وصنع السجاد، نسبة الأمية بينهن تراوح بين ١٤ و٤٧٪.

٢ ـ **أوضاعهن العائلية**: دلّت الدراسة على أن ٨٢٪ من العاملات في الوقت الحاضر هن عازبات. وبصورة إجمالية، تبلغ نسبة العازبات في جميع الحقول اكثر من النصف. في الأعمال المهنية، ٦٩٪ عازبات، أكبر عدد من المتزوجات يقع في دوائر التعليم، الصفوف الابتدائية، بينما أكبر عدد من المعلمات العازبات يقع في الصفوف الثانوية.

في الأعمال الادارية، أكثر من ثلاثة أرباع النساء عازبات، والقسم الأكبر منهن في السكرتارية والضرب على الآلة، حيث نجد ١٨٪ متزوجات و٨١٪ عازبات. في الأعمال التي تتطلب تدريباً، ٨٪ متزوجات، أكثرهن يتناولن أجوراً منخفضة. نحو ٩٠٪ يعملن في صناعات الغزل، التطريز، الخياطة والحياكة.

استنتاجات

تبين الدراسة أن أكبر نسبة من النساء العاملات تقع حالياً في الحقل الاداري حيث بلغت ٣٣٪ من المجموع أي بزيادة ٣,١٠٪ عما كانت سنة ١٩٧٢. أما في المصانع فقد انخفضت نسبتهن من ٢٠ إلى ١٥٪ بسبب ظروف الحرب التي اضطرّت عدداً كبيراً من المصانع إلى الإقفال في حين زادت عدد النساء المسؤولات عن إعالة

أولادهن وأسرهن بسبب تناقص عدد الرجال. كذلك زادت نسبة المتزوجات العاملات خصوصاً في الأعمال التي تحتاج إلى تدريب.

من جهة أخرى، لم يطرأ تبديل يُذكر على موقف أصحاب المصانع من النساء العاملات. فهم ما زالوا يفضّلون العازبة الصغيرة السن لأنها غير مدرّبة وبالنتيجة ضئيلة الأجر، مرشّحة لترك عملها في حال الزواج. هذا الموقف لا يشجّع النساء على الاستمرار في العمل ولا يؤهلهن للترقية.

من ناحية التدريب المهني، يطالبون الموظّفات في دوائر التعليم بحيازة البكالوريا، والموظّفات في المهن التي تحتاج إلى تدريب بالحصول على البكالوريا التقنية، مثلاً في دوائر السياحة والضيافة في الطائرات.

أما المساعدات الاضافية، فالحد الأدنى المفروض حكومياً هو بدل الانتقال وبدلة العمل، في حين أن تأمين مراكز حضانة لأطفال العاملات لا يُعَد من اختصاص أرباب العمل.

مقترحات خاصة بتحسين أوضاع المرأة العاملة:

١ ـ إجراء دراسات تلقي ضوءاً على مشاكل المرأة العاملة وتثير اهتمام الحكومة والرأي العام بمساعدتها باعتبار أن الظروف الحاضرة تدفعها إلى العمل وتستدعي دمجها في أعمال التنمية.

٢ ـ نشر الدراسات الموضوعة وإتباعها بدليل يرشد الفتيات إلى المهن القديمة والجديدة المفتوحة أمامهن.

٣ ـ الاهتمام بالإرشاد المهني في المدارس الثانوية والكليات وذلك بإنشاء مكتب خاص بإرشاد الطالبات إلى المهن المناسبة وإطلاعهن على أفضل الوسائل اللازمة للاستعداد والتدريب والترقية.

٤ ـ تشجيع طالبات العمل على ولوج ميدان المهن الحرة، والعمل المستقل

مثلاً انشاء عيادات ومختبرات فحوص طبية، تأسيس مدارس ورياض أطفال، مشاغل خياطة، إنشاء صُحف، ممارسة الفنون الجميلة والكتابة الحرة.

إيفلين رِتشردز

المصدر:

ايفلين رِتشردز، ايريني لورفنغ، وجوليندا أبو النصر. **المرأة والعمل في لبنان**. (في الإنكليزية). رقم ١ من منشورات «معهد الدراسات النسائية في العالم العربي». بيروت، ١٩٨٠.

المـرأة كاهنـة أو قسّيسـة، ألا يحـق لهـا أن تكـون؟

في المؤتمر الذي انعقد في مدرسـة اللاهـوت للشرق الأدنى، حول مـوضوع «المـرأة ومشاركتهـا في أعمال الكنيسـة والمجتمع»، كـان المتكلمـون أربعـة أولهم المطران جورج خضر الـذي اتخذ في محـاضرته مـوقفاً سلبيـاً من إدماج المـرأة في سلك الكهنوت لاعتقاده أنها وإن ساوت الرجل أمام الخـالق الذي يسـاوي بين البشر، ذكوراً كانوا أم اناثاً، في حق الخلاص والانتـماء الى الملكوت السـماوي، لا تساويه في المؤهلات والامكانات الوظيفيـة لأن الرجـل والمرأة يكمـل أحدهمـا الآخر ولا يصح أن يكون الواحد بديلاً للآخر.

وعارضه القس ونيس سمعان الذي حاول أن يثبت بطريقة التفسير اللاهوتي ان منع المرأة من ممارسة وظيفة كاهنـة أو قسّيسة لا يستنـد الى نصوص انجيليـة بل الى تقاليد مجتمعية. أما المحامية الدكتورة نهاد رزق الله فلم تعالج الموضـوع من وجهة نظر قانونية بل استرسلت في وصف حيرة المـرأة العصرية وتمزقها بـين القديم والجديد، بين المحافظة والتحرر، بين الوظيفة الجديدة والوظيفة التقليدية التي تربطهـا بالبيت والأسرة. وكـانت المحاضرة الأخـيرة لوائـل خير الـذي قدم عرضاً موجزاً لقوانين الأحوال الشخصية في العالم الإسلامي مشيراً الى ما أصابها من تطور حديث بفضل الاجتهاد والتأويل. فكأنه اراد أن يقول إن حل مشاكل المرأة ممكن عن طريق الاجتهاد في تفسير النصوص الدينية وغيرهـا، وإخضاعهـا بهذه الوسيلة لمسايرة أحكام التطور ومقتضيات العصر.

«التطور أمر واقع ولا مفر منه». يلوح لي أن هذه الفكرة هي التي أوحى بها كلام القس ونيس سمعان ووائل خير. وهي بالتالي الفكرة التي هيمنت على جو المؤتمر ومناقشات الحضور. فالتاريخ يبيّن لنا أن وظيفة المرأة كانت وما تزال تخضع لتأثير العصر والظروف. لقد مارست المرأة أعمال الزراعة في العصور البدائية حين كان الرجل صياداً متنقلاً. وفي العصر الجاهلي أتيح للمرأة العربية أن تمارس الكهانة التي مارستها أيضاً المرأة اليونانية والرومانية. ووجد عند اليهود نبيات مثل دبورة وحنة النبية وكذلك عند اليونان والرومان. وفي بعض العصور القديمة وجدت نساء محاربات دعين بالأمازونات وروت أخبارهن الأساطير.

إن عصرنا هذا يفرض على المرأة النهوض بوظائف جديدة أو الرجوع إلى وظائف سبق لها الاضطلاع بها. فنرى بعض الدول تلجأ إلى تجنيد النساء، في أميركا مثلاً، في فرنسا، في اليمن الجنوبية وغيرهما وبذلك تجدد عهد الامازونات، مع تسليمنا بأن الحرب والقتال وظيفة مستهجنة في عصرنا.

في عصرنا الحاضر أكثر من ٥٠٪ من نساء العالم الثالث، في افريقيا وآسيا، يمارسن الزراعة. لأن تكاثر حوادث الطلاق وهجرة الرجال من الأرياف إلى المدن وضعا على عاتق المرأة مهمة إعالة الأسرة بالانكباب على العمل الزراعي أو باللجوء إلى مهن أخرى جديدة وقديمة.

تطور العصر يضع أمامها مسؤوليات جديدة. منها، مثلاً، مسؤولية الاهتمام بتنظيم الأسرة وتحديد النسل لمنع الانفجار السكاني المنتظر. هذه المشكلة التي تثير قلق رجال السياسة والاجتماع في كل مكان، تعتمد في الدرجة الأولى على جهود المرأة لإنجاح المساعي المبذولة ومواجهة الانفجار.

من المشاكل العصرية التي تستهدي اهتمام المرأة ومبادرتها: مشكلة العناية بأيتام الحروب وضحاياها والاهتمام باللاجئين والمهجرين الذين يتكاثر عددهم في جميع أقطار العالم. وقد يكون من أبرز اهتمامات المرأة التي شهدت تصعيد الحروب وتفاقم ويلاتها أن تتجند للدعوة الى كفاح العنف وإقرار السلم ووقف جنون التسلح والصراعات الدامية بين الأحزاب والشعوب.

لماذا لا يحق للمرأة أن تصبح كاهنة أو قسّيسة إذا كان لديها الرغبة الدافعة والمؤهلات اللازمة لأداء هذه الوظيفة؟

المرأة التي مارست قديماً وحديثاً الإرشاد التربوي والصحي، وبلسان النبيات والكاهنات والشاعرات قرأت المستقبل، حذرت وأنذرت وخطبت في الجماهير. لماذا لا يمكنها أن ترفع صوتها الآن لنصرة الحق وإرشاد النفوس وكبح جماح الأهواء؟

كل ما تحتاج إليه هو العلم الكافي والتوجيه الذي يمنحها ثقة بالنفس وقوة على تحدي التقاليد الجامدة وينفث في صدرها الإيمان الذي ينقل الجبال.

النهار. ٢٤ كانون الثاني (يناير)، ١٩٧٩.

الفن النسائي الأفضل

كل بلد يعتمد على السياحة والاصطياف كمورد من موارده الهامة عليه أن يعنى عناية خاصة بالشؤون الصحية وما يتصل بها، كتأمين النظافة العامة، وتدريس الأصول العلمية الحديثة لفن تحضير الأطعمة وإدارة المنازل والفنادق، وتهيئة وسائل الوقاية والتمريض والتطهير والإسعاف. وليس أجدر من النساء بالقيام بمثل هذه الأعمال.

ان نساءنا يلهجن كثيراً بموضوع التصويت والانتخاب ويطالبن بحقوقهن السياسية فضلاً عن الانخراط في الأعمال العامة لكي ينفسح لهن مجال الخدمة الاجتماعية خارج بيوتهن. ويجدر بنا أن نسأل كلا من هؤلاء المطالبات بحقوقهن: ما هو العمل الذي تحسنينه؟ ما مقدار استعدادك للخدمة الاجتماعية التي تطالبين بها؟ ما هو عدد نسائنا المتخصصات في علم الاجتماع أو في الخدمة الاجتماعية أو العلوم المدنية ونحوها من مؤهلات العمل خارج البيوت؟ بل ما هو عدد النساء اللواتي يتقنّ العمل داخل البيوت، أعني تدبير المنزل وما يتضمنه من فنون عملية كفن تحضير الأطعمة والخياطة وعلم الصحة وترتيب الأثاث؟

كل يسلّم بأن بلادنا تحتاج إلى اختصاصيات يدرّبن نساءنا على شتى الأعمال والفنون التي ذكرتها، قبل أن تقذف بهن في ميدان الانتخاب والسياسة، لكن هناك عملاً في متناول جميع النساء لأن في بلادنا عدداً من المؤسسات المجهّزة

بالعُدد الكاملة لتدريسه ومع هذا لا يزال الاقبال عليه قليلاً بين نسائنا. أعني به فن التمريض الذي أدعوه الفن النسائي الأمثل لأنه يفتح أمام النساء أكبر مجال للخدمة داخل بيوتهن وخارجها. ومن دواعي الأسف أن تكون قلّة الإقبال عليه عائدة في الأكثر إلى جهلنا لإمكاناته ومكانته في العصر الحاضر. وهناك أسباب أخرى أذكر منها احتقارنا للعمل اليدوي ورغبتنا في تحريك الألسن دون الأيدي مع أن الثاني أفضل من الأول وأكثر فائدة. ومنها سوء فهمنا لمتطلبات هذا الفن وواجباته واعتقادنا خطأً أنه نوع من التنظيف والتمسيح، مع أن الدروس التي تعطى للممرضات تفرض عليهن قبل الإقدام على درسه إنهاء التعليم الثانوي والحصول على شهادته، لأنها على مثال الطب تشمل دروساً نظرية وعملية في العلوم الآتية: التشريح والفيزيولوجيا، الكيمياء، العقاقير، التغذية، البكتيريولوجيا، الباثولوجيا أو علم الأمراض وأعراضها، التمريض النسائي والتوليد، السيكولوجيا، الإسعاف الأولي، التنظيف والتطهير، الصحة العامة، الجراحة، تمريض ذوي الأمراض العقلية، تمريض الأطفال... إلى ما هنالك. لقد سمّوا الممرضة بحق ساعد الطبيب الأيمن وهي فوق ذلك ركن الصحة العامة، وليس من بلاد تتباهى بارتفاع مستواها الصحي إلا إذا كثر فيها عدد الممرضات وكان أكثر نسائها ذوات إلمام بفن التمريض.

ليس التمريض من أشرف الأعمال النسائية وأشدها نفعاً فحسب لكنه أيضاً من أقدم الأعمال التي زاولتها النساء في التاريخ. تطيل الاخبار والسير في الحديث حول نساء العرب اللواتي رافقن رجالهن في الحروب لخدمة المرضى والعناية بالجرحى ومنذ القديم عُدَّ التمريض أو العناية بالجرحى والمرضى عملاً نبيلاً مصدره الرحمة والعطف الانساني مارسته النبيلات وفضليات النساء، لذلك رأينا أميرات العصر الحاضر ـ كارمن سيلفا الرومانية والملكة ماري وأميرات ايطاليا وغيرهن ـ ينخرطن في سلك الممرضات لمساعدة جرحى الحرب.

في القرون الوسطى اصبح التمريض من شؤون الراهبات ورهبان الأديرة، واشتهرت به فيما بعد راهبات المحبة والفرنسيسكان ثم الراهبات الانجيليات Diaconesses في المانيا. لكنه لم ينتظم كمهنة نسائية علمانية الا في القرن التاسع عشر أي في عهد فلورنس نيتنكال الانكليزية التي اشتهرت منذ طفولتها بعطفها

على المرضى ورفقها بالحيوان ومؤاساتها للضعيف المتألم. كانت فلورنس من أسرة شريفة وقد نالت من العلم قسطاً وافراً، ورغم أن التمريض لم يكن في عهدها مهنة علمانية ولا عملاً جديراً باهتمام المثقفات، درسته في المانيا عند راهبات الدياكونيس وعكفت على ممارسته في مدينتها ثم في حرب القرم، ونالت من النجاح نصيباً شهر اسمها في اوروبا فمنحتها الملكة فكتوريا أرفع لقب يمنح لنساء انكلترا وأهداها الشعب الانكليزي مبلغ ٥٠ ألف ليرة انفقتها في بناء مستشفى باسمها. وبواسطة فلورنس نيتنكال ارتفعت مكانة فن التمريض واصبح الناس ينظرون إليه لا كعمل شفقة ورحمة بل كمهنة مرتكزة على العلم والمران الطويل. ومنذ أواخر القرن الماضي بدأ تنظيم هذه المهنة في اوروبا حين تألف في انكلترا مجلس رئيسات التمريض ووضع أساس اتحاد دولي للممرضات. وانتشرت الجمعيات المحلية التي عالجت مشاكل الممرضات وسعت لتنظيم أجورهن وتحديد مدة دروسهن ومواضيع الدرس وساعات عملهن ومسألة تأمينهن الاجتماعي في حالتي المرض والعجز وقد أصبح اليوم في أكثر الدول الغربية شهادات حكومية للممرضات والحائزة عليها تدعى ممرضة مسجّلة R.N.

ما هي الأعمال التي يمكن أن تقوم بها الممرضة وما هي الأبواب المفتوحة أمامها؟

أولاً في بيتها - تستطيع ان تعيش عيشة صحية وتؤمّن هذه المعيشة لأهلها، لزوجها، لأولادها، ولكل من يحيط بها. ان وجود الممرضة في البيت، كوجود الطبيب، من شأنه أن يضمن لسكان البيت حسن الوقاية وحسن العلاج، غذاء مناسباً ونظافة كافية، ملابس صحية وحياة منتظمة، وقاية من الجراثيم والأقذار والذباب والبرغش وسائر ناقلات الأمراض.

ثانياً تستطيع الممرضة أن تكون ذات فائدة في الحي الذي تقيم فيه وأن تساعد على رفع مستوى الصحة بأن تعطي جيرانها وأصدقاءها ما يمكنها من إرشادات تتعلق بطرق الوقاية والعلاج وتربية الأولاد. وهي من هذه الناحية ذات فائدة في كل مكان تحل فيه وكل أسرة تحتك بها.

ثالثاً ان الحاجة الى الممرضات في الأعمال العامة تزداد بازدياد عدد المستشفيات وتقدّم علوم الطب والصحة وزيادة اهتمام البشر بمكافحة الأمراض وإطالة العمر ورفع المستوى الصحي في كل بيئة، في طبقة العمال كما في الطبقات المميّزة.

ولهذا أصبح عمل الممرضة المنخرطة في سلك الخدمة الاجتماعية عملاً متشعباً متعدد الوجوه. فهي أحياناً عاملة في المستشفى أو في المصحّ، وجودها هناك ضروري كوجود الطبيب. وحينا موظفة حكومية تعاون طبيب المنطقة في تأمين وسائل الوقاية والعلاج. أو موظفة في الفنادق والمدارس والشركات وسائر مراكز العمل الجماعي التي رأى أصحابها ان استخدام طبيب وممرضة للسهر على صحة الطلاب والعمال ورفع مستواهم الصحي وتلقيحهم ضد الأمراض وتزويدهم بوسائل الوقاية والاسعاف، كل ذلك كفيل بزيادة انتاجهم وتحسينه في النوع وفي الكمية، وأن الفائدة المادية والمعنوية التي يجنيها أرباب العمل من تحسين صحة عمالهم تعوضهم من الخسارة التي يكلفهم إياها وجود طبيب وممرضة دائمين في مراكز أعمالهم.

يظن الناس خطأً أن كل من استطاعت تطهير إبرة وحقن مريض اصبحت ممرضة. والواقع أن الممرضات درجات مختلفة. منهن التي لم تنل من الثقافة العلمية شيئاً يذكر لكنها حصلت على بعض المعلومات العملية بفضل الممارسة والمران. والفرق شاسع بينها وبين التي دخلت مدرسة التمريض بعد تخرّجها من مدرسة ثانوية، ونالت شهادتها بعد درس ثلاث سنوات أو أكثر، ثم اصبحت ممرضة مسجّلة أي حائزة على شهادة حكومية في هذا الفن. وتعلوها في الدرجة تلك التي نالت شهادة من احدى الكليات ثم دخلت مدرسة التمريض للتخصص في احد فروع الفن، وتلك التي تابعت الدراسة في بعض العلوم بعد نوال شهادة التمريض، وحصلت على الشهادات العالية التي تؤهلها للتدريس أو للادارة أو لرئاسة احدى دوائر المستشفى والإشراف على بعض الأعمال التقنية الهامة.

وهنا قائمة بأهم الوظائف والأعمال التي يمكن أن تشغلها حاملة شهادة

التمريض في الأقطار العربية، بالقياس الى استعدادها واختصاصها: الادارة، التعليم، الاعمال التقنية، الأعمال الاجتماعية، التوظيف في دوائر الصحة العامة، التفتيش الصحي في السجون والبيوت العمومية، أعمال الوقاية في المدارس وبيوت الأطفال، العناية بالمجانين وأصحاب العاهات، أعمال الوقاية والاسعاف في المصانع، في الشركات الصناعية، في شركات ضمان الحياة للسهر على صحة المضمونين، في الجيش والدفاع الوطني، في دوائر رعاية الطفل، في شركات النقل والسفر للاعتناء بصحة الركاب والمسافرين.

وبالنظر لتزايد أهمية هذا الفن في العصر الحاضر وتشعب فروعه وشدة الحاجة اليه في بلادنا وسواها من الأقطار، يجدر بنا ان نشجّع أكبر عدد ممكن من الفتيات على درسه، ومن الضروري أن تهتم الحكومة بتشجيعه وذلك بتنظيم أحوال الممرضات ووضع قانون خاص بهن وإنشاء شهادة حكومية لهن على مثال الأطباء، وبذلك يمكن التفريق بين ممرضة متمرنة وأخرى ذات شهادة رسمية معترف بها في هيئة الممرضات العالمية.

وإذا ذكرنا ان الفوائد المادية التي تجنى من ممارسة هذا الفن قد تصبح بفضل تفرّعه وتزايد إمكاناته أكثر إغراء مما تدرّه أية مهنة نسائية أخرى، وأنه يتيح للمرأة أن تزاوله في بيتها وخارجه، لا يمكن أن نذكر فنّاً أو مهنة ترقّي المرأة شخصياً وتماشي نهضتها وتقدمها الاقتصادي والاجتماعي أكثر من فن التمريض، لأنه يعوّدها النشاط والدقة والنظام ويثير فيها شعور الاهتمام بغيرها والرغبة في مساعدتهم والمساهمة مع الرجل مساهمة فعّالة في بناء عالم أفضل.

إذا استطاعت الممرضة أن تقوم بعمل واحد وهو أن تعلّم من حولها أصول النظافة العصرية، فقد قامت بعمل من أجلّ الأعمال.

صوت المرأة. العدد ٣، السنة ٨،
آذار (مارس)، ١٩٥٢، ص ٨ و٩.

المـرأة اللبـنانيـة المعاصرة أمـام مفـترق

منذ أواخر القرن التاسع عشر أصبح وضع المرأة التقليدي مثار نقاش ، حين اخذت تنتشر في البلاد مدارس عصرية يوحي وجودها بالدعوة الى التغيير ولو بمقدار محدود ، عبّرت عنه الأغاني الشعبية بمثل هذا القول :

شِلدُم بِلدُم يا ليلى   عيـونـا سـود مكحلة
في بلدنا فنّ جديد   البنت بتخطب لحالا !

في ذاك الحين ، أتيح للبنان أن يتصل بثقافات متطورة جعلت نساء لبنان أسبق من أخـواتهن في الأقطار العـربية إلى وعي أحـوالهن والسعي لزحـزحة كـابـوس التقليد عن صدورهن والحصول على مقدار من الاستقلال الاقتصادي .

إن وضع لبنان الجغرافي يجعله نقطة اتصال بين أقطار شرقية وغربية. هناك عوامل أخرى، نظير صغـر حجمه وقلة مـوارده الطبيعيـة، جعلته مـركزاً تجـارياً مفتوحاً للتجارة الحرة والمبادلات الثقافية، كما أن طبيعـة أرضه الجبليـة، الوعـرة المسالك، هيّأته لأن يكون ملجأ للأقليات العـرقية والـدينية المعتصمـة بجبالـه . على مساحة عشرة آلاف كيلومتر مربع يقيم سكانه الذين يبلغون ثلاثة مـلايين، يتوزع أكثرهم عـلى مئات القـرى المنتشرة فوق الهضـاب والقمم، يؤلفون سبـع عشرة طـائفة دينيـة، قد حشروا في البقعـة الأشد ازدحـاماً بـالسكان في منـطقة الشرق الأوسط .

منذ العهود الفينيقية (٣٠٠٠ سنة ق. م.) ، مارس اللبنانيون الهجرة الى الغرب عبر المتوسط، وإلى مناطق أخرى مجاورة. بين القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كان فخر الدين الثاني ، أحد حكّامهم المشاهير في العصر التركي الذي دام منذ ١٥١٧ حتى ١٩١٨ ، يقيم صلات اقتصادية وثقافية بين بلاده وايطاليا وفرنسا . بذلك مهّد الطريق لانتشار المدارس الاجنبية التي قام بتأسيسها في القرن التاسع عشر المرسلون الفرنسيون والأميركيون والإنكليز، للبنين والبنات، في عدة مناطق من لبنان. ومنذ ذلك الحين أخذت نساؤه يمارسنَ عدا أعمال المنزل والزراعة والغزْل، اعمالا جديدة كنسج الصوف وصناعات التطريز والتخريم وانواع اخرى من شغل الإبرة ومنهن من أتيح لهن اتقان اللغات الأجنبية وانفتاح أذهانهن على عالم جديد.

النهضة النسائية وأبعادها

في أوائل القرن العشرين ، قصدت ذوات العلم منهن أقطارا مجاورة ، منها مصر ، فلسطين ، العراق ، للعمل الثقافي والمشاركة في تأسيس مدارس للبنات . في هذه الحقبة نبغت مي زيادة اللبنانية الأصل وأولى اديبات الأقطار العربية ، التي هاجرت الى مصر سنة ١٩٠٨ فمارست الصحافة الادبية والاجتماعية ولمعت في ندوتها المفتوحة للجنسين وفي ما نشرته من كتب جديدة الاسلوب في النقد الادبي والاجتماعي . وكانت قد سبقتها ، في القرن التاسع عشر ، زينب فواز بنت الجنوب اللبناني ، التي شقّت لغيرها من اللبنانيات طريق العمل الصحافي والادبي في مصر .

أدى الوعي الثقافي عند نساء لبنان الى تأليف جمعيات وتأسيس مجلات نسائية كان لها بين الرجال عدد من المساندين . ومن خلال الجمعيات والصحافة عبّرت النساء عن أمانيهن التحررية كالمطالبة بتعميم التعليم للبنات وتعديل قوانين الأحوال الشخصية ورفع الحجاب لكن وعيهن للثقافات الأجنبية المشبعة بروح الوطنية دفعهن الى الجمع بين مطالبهن والمطالب الوطنية العامة التي منها محو الامية ، مكافحة الفقر ، اصلاح السجون ، واتسعت اهتماماتهن لتشمل رعاية الطفل ، الغاء البغاء، انعاش القرية، خدمات الصليب الأحمر، إنشاء دُور حضانة للأطفال ودُور للعجزة.

كان من نتائج انتشار العلم بين النساء انه شجع التقارب والتعاون بين نساء الطبقات البورجوازية المميزة والطبقات الاخرى الأقل حظا من النفوذ الاجتماعي فتطوعت من الفريقين نساء تميّزن بالموهبة والنشاط وتجنّدن للقيام بمشاريع بالغة الأثر

منها مشروع « احياء الصناعة الوطنية » او الأرتيزانا ، الذي قام في الثلاثينات برعاية ماري اده زوجة رئيس الجمهورية وتعاون عدد كبير من سيدات المجتمع، فنجحن في انشاء مراكز لصناعات التطريز وسائر اشغال الابرة والصنّارة في جميع انحاء لبنان . اما المشروع الآخر فهو تأسيس « لجنة مهرجانات بعلبك العالمية » حوالى ١٩٥٥ ، بجهود عدد كبير من اهل الفن والنفوذ الاجتماعي، نساء ورجالا ، وتوجيه زلفا شمعون ، زوجة رئيس آخر للجمهورية . كان من مآثر هذا المشروع تنشيط فنون فولكلورية محلية كالرقص والموسيقى والغناء الى جانب التمثيل وتأليف فرق فنية رفيعة المستوى للمشاركة في الحفلات . كما ان المهرجانات السنوية عرّفت اللبنانيين بعدد من فرق الفن العالمية : فرنسية ، مصرية ، اميركية ، انكليزية وغيرها وحفزت مواهب ادارية ممتازة عند بعض نسائنا منهن ايميه كتانة التي ترأست اللجنة نحو اثنتي عشرة سنة وكذلك سلوى السعيد وسعاد نجار وغيرهن من المتطوعات .

المرأة اللبنانية والتعليم العالي

في غضون ذلك ، واصل التقدم العلمي النسائي سيره فتكاثرت المدارس الأهلية الخاصة ، ابتدائية وثانوية ، تديرها الراهبات او المديرات العلمانيات ، ونمت المدارس الحكومية والمجانية التي تتعهدها الجمعيات .

حوالى ١٩٢٥ ، بدأ قبول النساء في الجامعتين الأميركية والفرنسية، وفي ١٩٢٤ تأسست الكلية الاميركية للبنات (الجونيور كولدج) التي قدمت منهجا جامعيا مدته سنتان ، يعد الطالبات لدخول السنة الثالثة الجامعية . منذ ذلك الحين ، اخذ ينمو باستمرار عدد الجامعيات وتتنوع اختصاصاتهن . بعد اقتصارهن على فن التعليم والسكرتارية والتمريض، شهدت الستينات والسبعينات إقبالاً نسائيا متزايدا على درس الطب والهندسة والصيدلة وادارة الاعمال. وفي ميدان الاختصاص الحر اللامهني ، زاد اهتمامهن بدرس العلوم الرياضية والطبيعية بعد ان كاد ينحصر قبلا في الآداب واللغات . الا ان هذا التطور الظاهر في الاختصاص لم يقابله تطور مماثل في مجال العمل والتوظيف، فنسبة الموظفات في دوائر التعليم الجامعي والوظائف الحكومية العليا لا يجاوز ١٤ في المئة.

المرأة والعمل

خلال الحرب اللبنانية الحالية ارتفعت نسبة إدماج المرأة في القوة العاملة خارج

المنزل من ١٧٪ في ١٩٧٤ الى ٢٥٪ في ١٩٨١ ويشمل اولا عملها في الزراعة حيث تحصل على اجر ضئيل او يحسب عملها قسما من عمل الاسرة واجوره جماعية . ثانيا عملها في المصانع ، الذي ينحصر في الدوائر السفلى ويعطي اجورا زهيدة وتكاد تنعدم فيه فرص الترقية ، كما دلت الدراسة التي أجراها « معهد الدراسات النسائية في العالم العربي » سنة ١٩٨٠ . من هنا نرى ان العاملات في القطاعين الزراعي والصناعي يفتقرن الى التدريب الذي يؤهلهن للتقدم والترقية كما ان كلا من القطاعين يشكو إهمالاً للوسائل الصحية والجو الاجتماعي الصالح الذي يغري العاملات بالمواظبة عل العمل وعدم التخلي عنه لدى اول فرصة . والامر الذي يؤسف له ان نساء الطبقة العاملة في لبنان لا يلقين من المنظمات العمالية والنسائية الاهتمام الذي هنّ في اشد الحاجة اليه .

المهن الحرة والفنون الجميلة

اما على صعيد المهن الحرة والفنون الجميلة ، فإن تكاثر معاهد التعليم العالي في لبنان[1] مهّد لخريجات الجامعات فرص النجاح والتقدم في عدة مجالات نذكر منها ثلاثة :

أولها مهنة الصحافة التي يزداد اقبال المرأة عليها في اللغات العربية والفرنسية والانكليزية وقد اتخذتها بعضهن مهنة دائمة . والأمر اللافت أن هؤلاء الصحافيات اللواتي يبلغن حسب احصاء ١٩٧٩ خمسة وعشرين في المئة من المجموع ، هن من ذوات الثقافة العالية اللواتي نبغن في الشعر او القصة او غير ذلك من فنون ادبية ، الا ان القليلات منهن بلغن في المهنة مراكز قيادية ، في حين ان اكثرهن يشغلن وظيفة تحرير او ريبورتاج او سكرتارية .

ثانيا حقل الادب الذي شهد مؤخرا ، منذ الأربعينات ، عددا كبيرا من الشاعرات وعدداً أقلّ من كاتبات القصة الحديثة . أبرز هؤلاء ليلى بعلبكي ، اميلي نصر الله وحنان الشيخ . ثلاثتهن عالجن في قِصصهن قضايا نسائية . عدد الشاعرات في لبنان يناهز الثلاثين ، منهن أندريه شديد ، اللبنانية الأصل ، المصرية المولد ، المقيمة في باريس منذ أربعين سنة ، حيث تنشر في الفرنسية أشعارها ورواياتها

---

(١) في لبنان عدا المراكز الثقافية التي تعرّف اللبنانيين بثقافات الغرب والاتحاد السوفياتي وغيره ، سبع جامعات ذات فروع وامتدادات في انحاء لبنان منها ثلاث تحوي اختصاصات في الطب والهندسة .

ومسرحياتها التي تستوحي مصادر شرقية وغربية، قديمة وحديثة، للتعبير عن فلسفة حياتية تمتاز بالتفاؤل والبطولة والايمان بقدسية الحرف وسلطانه الذي لا يقهر. أما باقي الشاعرات فيعالجن موضوعات ذاتية كالحب والألم والذكريات، وأخرى وطنية انسانية أو ثورية تهاجم التقاليد أو تدعو إلى رفض الواقع واللجوء إلى عالم خيالي، عالم الطفولة والبراءة، كما تراه ناديا تويني في «نصوص شقراء» ومي ريحاني في «اسمي سواي». أو عالم لم تطأه قدم انسان فيه تسعى فينوس خوري وراء آلهة اخر ووجوه أخر: «وجوه غير مكتملة» تصنعها بيدها وتتقمص ذاتها، في الوحل، في الطين، وتكون إلهة نفسها. من وجوه الثورة عند هؤلاء النساء، التزامهن أسلوباً ثورياً متحرراً من الوزن والقافية، يلوح فيه تأثير الرمز والسوريالية وغيرهما من فنون الشعر الحديث.

هناك حقل ثالث أتاح لنساء لبنان فرصة التعبير الابداعي، هو حقل الرسم والتصوير والنحت وصنع الخزفيات. في دراسة للرسامة هلن الخال حول هذا الموضوع، وضعت بتكليف من «معهد الدراسات النسائية في العالم العربي»، وهي حاليا قيد الطبع، تقول المؤلفة ان نسبة الفنانات البارزات في لبنان تفوق نسبتهن في معظم اقطار الشرق العربي بل أيضا في اقطار الغرب. بين اثني عشر فنانا مشهوداً لهم بالتفوق، تؤلف النساء ثلث هذا العدد. من ذلك يلوح لنا أن الفن لديهن وسيلة للتنفس، ومصرف للطاقة المخزونة، في بيئة مغلقة يفتح لهن الفن نافذة على البعيد والمجهول، فوظيفته هنا كوظيفة الشعر.

السياسة والمساواة في الحقوق

ان اليقظة الباكرة التي خبرتها المرأة اللبنانية في القرن التاسع عشر، والتطور الذي حققته خلال القرن العشرين، افسحا لها في مجال القيام بنشاطات متنوعة خارج المنزل، فأصبح ظهورها في الشوارع، في المحافل والمجتمعات، في دوائر العمل المختلفة، أمراً مألوفاً غير مستغرب، لكن المعنيين بشؤون المرأة الذين تتبعوا تطورها الثقافي والاجتماعي، لا بد ان يطرحوا الاسئلة الآتية: هل ان هذه النهضة حققت لهن المشاركة في العمل السياسي، ومن جهة أخرى، هل نجحن في الحصول على التعديلات اللازمة في القوانين المتعلقة بالمرأة، وهل أن الدعوة إلى المساواة بين الجنسين في قوانين الأحوال الشخصية، التي أطلقها فريق منهم، لقيت تجاوباً لدى المسؤولين؟

في الحقل السياسي يمكن القول ان نشاط المرأة يكاد يكون معدوما. رغم

حصولها على حق التصويت سنة [illegible] ظلت التقاليد تفرض عليها ، بوجه عام ، تبعية الرجل في الانتخابات وتحول بينها وبين تكوين رأي مستقل . مع ان بضع نساء أقدمن على ترشيح ذواتهن للنيابة ، فقد حالفهن الفشل لعوامل تقليدية منها الـطائفية التي منعت الاتفاق على مساندة مرشحة واحدة ومنها عجز النساء عن التكتل لمساندة احدى المرشحات .

في قانون العقوبات ، لم تنجح الحركة النسائية حتى الآن في الغاء القانون الجائر الذي يبرر مرتكبي «جريمة الشـرف» ويقصد بها قتل الاخت او الزوجة او قريبـة اخرى في حال اتهامها بتشويه سمعة العائلة .

كذلك القوانين المدنية التي تجعـل شهادتهـا في المحاكم غـير مساويـة لشهادة الرجل ، والتي تفرض عليها استئذان زوجها اذا ارادت السفر او فتح تجارة ، لم يطرأ عليها تبديل يذكر .

جمود الاوضاع في القوانين المشار اليها يقابله جمود في التقاليد العائلية التي تعزز مبدأ التمييز بين الجنسين وتبعية الاناث للذكور . تدعم سيطرة الأسر الاقطاعية التي تحتكر لزعامة في كل منطقة وتجعلها وراثية في ابنائها وبالتالي يصبح استمرار زعامتها منوطا بمحافظتها على التقاليد التي تعطيهـا حق القيادة . وفي رأس تلك التقـاليد تشجيع الاتكالية العائلية ، الانحياز لاعضاء الاسرة في حملات الانتخاب ودوائر التوظيف، ومنها أيضاً تبعية المرأة للرجل وحصر وظيفتها في أعمال المنزل وخدمـة العشيرة .

شخصية تقليدية

الى هذه الظاهرة يشير الباحث د. منير شمعون في دراسة اجراها سنة ١٩٧٢ خلاصتها ما يلي : ان المرأة اللبنانية تواجه الحياة برغبة غير معلنة في تكرار صورة امها ، يدفعها توجيه مبكر وعوامل اجتماعية تراثية الى حصر نشـاطها الجنسي في وظيفة النسل والتغذية التي تستقطب وجودها وتحولها الى كائن لا جنسي ، لا خيار لها الا العيش في ظلال امومة أزلية .

يبدو مما سبق ان العوامل التي تقف في وجه الوحدة الوطنية اي الانقسام الطائفي والنظام العشائري هي نفسها التي تقف في وجه تحرير المرأة لأنها تؤدي الى ترسيخ

الاستعباد للتقليد . لذلك يصبح من واجب المرأة الراغبة في التحرر أن تكافح على جبهتين : الجبهة الذاتية والجبهة الوطنية . هذا التشابك بين حريتين ، ذاتية وجماعية ، حد من قدرة المرأة على الاستفادة من علمها وعملها وحال دون نجاحها في تكوين شخصية جديدة ، متحررة من سلطة التقاليد الموروثة ومن التقليد الاعمى للنماذج الاجنبية .

إذا كان العلم والعمل قد مهدا لها سبيل الاستقلال الاقتصادي ، فقد أخضعاها ايضا لسلطة المديرين والمديرات واصحاب العمل ، وعرّضاها لمنافسة زملاء حاسدين . وفي احيان كثيرة ، اصبحت الوظيفة لديها آلة لاجتذاب الخاطبين الطامعين في راتبها، وصارت امتداداً لتقليد «الدوطة» أو البائنة، هذا التقليد الذي تحتقره المرأة التي تحترم نفسها.

في مجتمعها، عليها أن تُجاري التقاليد التي تلزمها التزمّت الشديد في علاقتها بالجنس الآخر. على ان موقفها المحافظ لم يمنعها من التقليد الاوهج للاساليب الغربية في العيش والتفكير حتى ضياع الشخصية والانحراف في تيار الايديولوجيات الحديثة ، فهي من جهة أسيرة التفرنج ومن جهة اخرى أسيرة عادات تقليدية في تراثها منها الاستعباد المريض لزوج او أخ او ولد او رئيس عمل . نخلص الى القول ان المثقفة اللبنانية العادية تفتقد الثقة بالذات والقدرة على المطالبة بحقوقها واثبات شخصيتها . فهي موزعة بين عوامل متناقضة ، مضطرة الى ملاحقة العلم والعمل والزواج في آن ، او الى التخلي عن احد هذه الاهداف في سبيل الآخر . وهي بالنتيجة فريسة القلق وعدم الاستقرار يساورها الخوف من حياة الانفراد فترضى بتسوية ذليلة وتضحّي بطموحاتها في سبيل مسايرة الرأي العام. ما تكتبه أو تعلنه لا يعبر دائماً عن واقعها ولا ينطبق دائماً على ممارستها واختباراتها. فهي في حاجة إلى مزيد من الخبرة والجرأة والواقعية في التفكير.

الحركة النسائية في لبنان تتأرجح بين نجاح واخفاق . تنتظر ظهور قائدات متكرسات ، يحرّكهن ايمان عميق بالحرية وتحقيق الذات ، يعملن بموجب هذه المبادىء التي تستهوي جيلا جديدا من الفتيات يناضلن نضال السابقات ويكملن رسالتهن .

Ghurayyib, Rose. «Lebanon: The Harem Window». In Morgan, Robin (Ed.) *Sisterhood is Global*. N. Y.: Anchor Press/Doubleday, 1984, p. 419.

مراجع أخرى:

١ - عبدالسلام شعيب، عدنان مروّة، ايريني لورفنغ وجوليندا أبو النصر. «المرأة والعمل في لبنان». رقم ٢ من منشورات «معهد الدراسات النسائية في العالم العربي». بيروت، ١٩٨٠.

٢ - **المرأة في التشريع اللبناني**. للمحامية لور مغيزل، بيروت: معهد الدراسات النسائية في العالم العربي، ١٩٨٥.

احصاءات حول عمل المرأة في العالم

«نحو ٣٠ في المئة من الأسر في جميع أقطار العالم ترئسها النساء بدلاً من الرجال. وأكثر من ٤٠ في المئة من المحاصيل الغذائية في العالم تنتجها النساء. وفي بعض الأماكن يتجاوز إنتاجهن منها ٨٠ في المئة.

في كل مكان يزداد إقبال النساء على العمل بدافع الحاجة المادية ورغم هذا لا تلقى النساء العاملات إنصافاً كافياً من ناحية الأجور. وبرامج التنمية إجمالاً لم تعن بمراعاة حاجات النساء ومصالحهن».

NFE: Non Formal Education عدد ١٣، ٣/١٩٧٨

مقتطفات من «بيان اتجاهات بحثية في شؤون المرأة».

في كانون الثاني ١٩٧٣ كانت نسبة المتزوجات العاملات في الولايات المتحدة ٤٠٪ وهي منذ تلك السنة في ازدياد مستمر. في ١٩٧٠ كانت نسبة المتزوجات العاملات أربعة أعشار مجموعهن. ونسبة الأمهات اللواتي أولادهن دون السادسة ومع هذا يعملن خارج منازلهن، تبلغ ثلاثة أعشار مجموعهن.

النساء العاملات يزيد عددهن على الرجال في دوائر الخدمات الصحية والتربوية والمنزلية. وفي الدوائر السفلى من مؤسسات المالية والضمان والعقارات والتجارة الصغيرة.

رغم هذا لا تزال المرأة تناضل للحصول على المساواة بالرجل في حقوق التوظيف والترقية في دوائر العمل.

في ص ٢٦ من المصدر نفسه.

المرأة العازبة والمنفردة سواء، التي لم تتزوج أم التي ترملت أم طلقت، تحتاج الى دراسة خاصة، في كتاب يصدر قريباً في نيويورك، تتحدث مرغريت آدمز عن المتاعب التي تلاقيها المرأة العازبة والمرأة المنفردة في بيئة متزوجين ومتزوجات يفرضون عليها قاعدة التمييز الفئوي. تتطرق الكاتبة أيضاً الى موضوع الوسائل التعويضية التي تلجأ اليها المرأة في هذه الحال.

كلمة «عانس» في رأي مرغريت آدمز تحمل معنى التحقير، وتقترن في نظر الناس، بظاهرة العصاب والتعقد النفسي والقصور الفكري، مع أن الاحصاءات تدل على أن هذه الفئة من النساء يتميزن بنسبة عالية من الذكاء وعمق النظر.

كلمة «عانس» ذات معنى خاطىء لغوياً لأنها تعني، حسب المعجم، المرأة التي طال مكثها في بيت أبيها ولم تتزوج، في حين أن المرأة غير المتزوجة في عصرنا هي التي تترك البيت وتمارس الأعمال والمهن، بخلاف المتزوجة التي ترغمها واجباتها المنزلية على ملازمة البيت في أكثر الأحيان. لهذا يفضل استعمال امرأة عازبة بدلاً من «عانس».

وكما يجب تبديل المصطلح القديم لأنه يخالف الواقع، يجب كذلك تبديل موقف المجتمع التقليدي من المرأة العازبة.

Daniels, A.K. «A Survey of Research Concerns on Women's Issues» Washington D.C.: Association of American Colleges, pp. 17 and 26.

ـ ٣ ـ

الأســـرة والوطـــن

١٩٤٦ـ ١٩٨٦

الأسرة ووظائفها

لا نخطىء إذا زعمنا ان أكثر الناس عندنا لا يزالون، في بعض نواحي تفكيرهم الاجتماعي، يعيشون في العصر الماضي. فكأنهم أقاموا حاجزاً بينهم وبين تطورات العصر الحالي من اقتصادية وعلمية وسياسية، فلا يستطيعون أن يشهدوا تأثيرها القوي الشامل في جميع ميادين الحياة ولاسيما ناحية الاجتماع.

وقد يزول عجبنا لهذا الأمر إذا ذكرنا أن التطور المادي كان وما زال سابقاً للتطور الروحي. وإن تطور الانسان العصري في ناحية الاختراعات والعلوم التطبيقية يفوق كثيراً تطوره في النواحي الاجتماعية والأخلاقية. أي أن المجتمع يتقدم مادياً بسرعة عظيمة ويبقى تقدمه الاجتماعي والاخلاقي بطيئاً كمشية السلحفاة. وهذا الإخلال بالتوازن مصدر شقاء المجتمع الحالي وسبب الأزمات والمشاكل الهائلة التي يواجهها العصر الحديث.

وهاكم ما يقوله باحث غربي في هذا الموضوع: «لا يزال الفرق شاسعاً بين نظامنا الاقتصادي ونظامنا الاجتماعي في ناحية التطور. إن دوائرنا الاقتصادية قد فتحت أبوابها لتشغيل النساء المتزوجات. وقد رأينا عدد النساء العاملات يزداد يوماً عن يوم في المصانع والمكاتب وسائر المؤسسات. أما نظامنا الاجتماعي فلم ينجح بعد تماماً في التكيف حسب هذه الظاهرة الاقتصادية ولا يزال يتشبث بالرأي القائل ان محل المرأة هو البيت رغم أن هذا الرأي لم يعد عملياً في نظام معيشتنا الجديد. فيا له من قزم يحاول مصاولة جبار!».

غير أن هذا التطور الاجتماعي واقع حتماً وإن كانت خطواته بطيئة. وقد أصاب رشاشه جميع دوائر الاجتماع ومن ضمنها العائلة التي تعد أقدم وأثبت معهد اجتماعي وبالتالي معقل المحافظة والجمود، وأحياناً معقل الرجعية.

قامت العائلة منذ أقدم عهودها بثلاث وظائف أساسية: التناسل، التعاون الاقتصادي، العناية بالأولاد. وكانت وظائفها تتسع وتتكيف بتكيف المجتمع فأوصلها بعضهم إلى ست: الوظيفة العاطفية أو الودية، الاقتصادية، الملاهي البيتية، التهذيب والتربية الدينية، الحماية. ومنهم من يجمعها في أربع تشمل كل شيء: الوظيفة التناسلية، والاقتصادية، والعاطفية، والثقافية.

أما **الوظيفة التناسلية** فلا تزال من أهم وظائف العائلة لا سيما في الأقطار التي تهتم بتشجيع النسل لغايات وطنية حربية نظير المانيا قبل الحرب الأخيرة. وقد عظمت أهمية هذه الوظيفة في عهد النظام القبلي الذي توقفت فيه أهمية القبيلة على كثرة عددها وكثرة الذكور المحاربين. في ذاك العهد راج تعدد الزوجات رغبة في زيادة النسل وفي إيواء سبايا الحرب. وذلك ما نراه في العهد الجاهلي عند العرب، كما أننا نرى بقايا النظام القبلي ظاهرة عندنا في تكتل العائلة على غرار القبيلة الجاهلية ورغبة أعضائها في استكثار الأولاد الذكور. ومع أن هذه الوظيفة أقل أهمية من ذي قبل في الأوساط المتمدنة فهي لا تزال تلقى تشجيعاً خاصاً من قبل المجتمع بدافع التقليد من جهة وغريزة حفظ النوع من جهة أخرى.

الوظيفة الاقتصادية كانت الوظيفة الاقتصادية أهم عامل في خلق العائلة. فحاجة الرجل الى عمل المرأة في عهد الزراعة الأولى دفعته إلى اتخاذها زوجة دائمة بدلاً من الزواج المتنقل أو الوقتي الذي ساد في عهود الفطرة. وكان هذا العامل الاقتصادي أيضاً من أسباب تعدد الزوجات في الأوساط الزراعية لأن الذي كثرت أملاكه احتاج إلى عدة نساء للقيام بأعمال الزراعة.

والمرأة ضرورية جداً للرجل في المزارع والأوساط الريفية، ولهذا ينتشر الزواج الباكر في هذه الأوساط. وكانت المرأة ضرورية للرجل في عهد الصناعة

البيتيـة Domestic System وكـذلـك الأولاد، لشـدة حـاجتـه إلى عمـل المـرأة والأولاد حين كان البيت هـو المصنع. حينئـذ كان البيت محـل المرأة لأنـه مركـز العمل. أما الآن وقد تحولت الصناعة الى المعامل بفضـل الثورة الصنـاعية فقـد قلّ شأن الـوظيفة الاقتصـادية للعـائلة في المدن. وانحصر عمـل المرأة هنـاك في ادارة البيت أو الخدمة المنـزلية في حـال فقدان الخـدم. وأخذت المـرأة تخرج من البيت لتشتغـل في المصنع. وفي الأوسـاط المدنيـة المتحررة يسـوقها الخـروج من البيت الى أنواع أخرى من العمل المنتج في المكاتب والأوساط الثقـافية وغـيرها. وفي الأوساط المحافظة الغنية التي تقتني الخـدم كثيراً مـا تبقى المرأة طفيليـة قليلة الفائدة لا تشتغل خارج البيت ولا داخله.

الوظيفة الثقافية كانت العائلة في بعض عهودها وسيلة لحفظ الـتراث الثقافي حين كانت وسائل نشر العلم قليلة صعبة. أما اليـوم فوظيفتهـا في هذه النـاحية ضيقة محدودة. ومع هذا لا يزال البيت مصدر الانطباعات الأولى في نفس الولد وليس من ينكر قيمة أثره الثقافي. من مظاهر هـذه الوظيفـة أن بعض العائـلات تحتفظ فيها بينها بأسرار بعض الصناعات وتورثهـا أبناءهـا دون غيرهم. ويـدخل في الوظيفة الثقافية وظيفة تعديل الغريزة الجنسية وترقيتها عند الزوجين وتوسيـع الاختبـار وتكميل الحيـاة بواسـطة العشرة الزوجيـة وتـربيـة الأولاد. ففي ذلـك توسيع لأفق الوالدين وزيادة مواضيع اهتمامهما المعيشية ودفع تفكيرهما من منطقة الذات الى منطقة الأولاد ودوائر المجتمع الذي يجب تهيئته للجيل الجديد.

الوظيفة العاطفية والعائلة وسيلة لخلق الصداقات الدائمـة والروابط الـودية الخالصة بـين الزوجـين وأيضاً بـين الوالـدين والأولاد وهي أيضاً وسيلة انفـراج وراحة بعد عناء الأشغال، واستمتاع بحماية الأولاد وتوجيههم ومبادلتهم العطف والرفاقة الخالصة من الغايات الأنانية إذا أمكن.

هذه هي أهم وظائف العـائلة قديمـاً، وفي فرصـة أخرى أتحـدث عن تطور هذه الوظائف في العصر الحديث.

صوت المرأة. العدد ٤٠، السنة ٢،
تموز (يوليو)، ١٩٤٦، ص ٣٠ و٣١.

وظائف الأسرة في العصر الحديث

لم يكن بدّ للتطور الصناعي والعلمي الحديث من التأثير في العائلة لا سيما في أوساط المدن، التي تزايد عدد سكانها تزايداً مستمراً منذ أن تكاثرت فيها المصانع وأخذ القرويون ينزحون اليها للعمل. فتحولت وظيفة الانتاج الصناعي الى المعمل بدلاً من البيت وهذا ما أحدث في الأسرة ميلاً الى التنقل بعد الاستقرار ونوعاً من التفكك والتباعد بين أعضائها حين أخذوا رجالاً ونساءً يتركون البيت الى المعمل حيث يشتغلون طول النهار. وكان هذا الخروج وهذا التباعد خطوة أولى في تحرير المرأة والأولاد من سلطة الرجل. وبانتشار مبادىء الحرية والمساواة والديمقراطية في القرن التاسع عشر نال العائلة نصيب من تأثير هذه المبادىء، فازداد نصيب المرأة والأولاد من الحرية وتضاءلت سلطة الوالدين وبانتشار التعليم المجاني وانتشار مبادىء الاستقلال والحكم الذاتي ازداد استقلال الأولاد في تخطيط مستقبلهم، واضطر الرجل الى مقاسمة زوجته مسؤولية الادارة البيتية ومشاركتها في أعمال المنزل كما شاركته هي في العمل خارج المنزل لزيادة دخل العائلة.

وبتكاثر أهل الاختصاص وتوسع العلوم على اختلافها ونمو المدارس وانتشار دور الحضانة ورياض الأطفال وترقي الفنون الآلية تحولت وظائف التثقيف واللهو من البيت الى معاهد العلم ودور السينما والمسرح، اذ أصبحت هذه

المعاهد أقدر من العائلة على القيام بهاتين الوظيفتين كما أن أهل الاختصاص أقدر من الوالدين على القيام بهما.

وبانتشار مبدأ الفردية وارتفاع مستوى الثقافة صغر حجم العائلة واستقلّ الأبناء المتزوجون عن والديهم ومال المثقفون الى تحديد النسل، وتحرروا من القيود التي وضعها قديماً شيوخ العائلة وراعوا فيها مصالحهم دون مصلحة الجيل الجديد.

وأصبحت العائلة العصرية النموذجية صغيرة الحجم ذات بيت صغير لا يسمح بإيواء الأقرباء والضيوف غير المرغوب فيهم، ويمتاز أعضاؤها بالاستقلال النسبي، فهي ديمقراطية فردية غير شديدة التلاحم والتكتل كما كانت قديماً. وهذه الصفات جميعاً ينتظر نموّها بصورة مطردة في المستقبل.

هذه التطورات الشاملة دفعت بعض الباحثين في الغرب الى التنبوء بانهيار العائلة بالمستقبل وأشهرهم العالم «مولرلير» الذي يرى في كتابه «العائلة» أن العالم مرّ بدورين، دور القبيلة ودور العائلة وقد انقضى هذان الدوران وجاء الآن دور الفرد.

قال الباحث: في عهد النظام الأول كان الفرد يضحّي لمصلحة القبيلة وأحياناً تضحّي العائلة بأسرها. ولا تزال آثار السيطرة القبلية شديدة النفوذ في البلدان الفطرية ونصف المتمدنة. وفي عهد النظام العائلي كان الفرد يضحي بمصلحته لمصلحة عائلته وكانت المرأة أولى بالتضحية من باقي أفراد الأسرة، ولا تزال التقاليد العائلية عظيمة السيطرة حتى في الأقطار الغربية المتمدنة لكنها أشد سيطرة في البلدان العريقة التقاليد كالصين واليابان وسائر الأقطار الشرقية.

أما الآن فقد دخلنا في دور الفرد وأصبحت مصلحته أولى بالاهتمام والتقديم لأن البيت لم يعد هو الغاية المنشودة بل سعادة الفرد وهناؤه.

ويرى الكاتب أن هناك أسباباً أخرى ـ فضلاً عن الأسباب الاقتصادية ـ تهدد العائلة بالانهيار. منها أن العلاقات الودية التي يعقدها الفتيان والفتيات خارج دائرتهم العائلية تعادل العلاقات العائلية إن لم تفقها أهمية وثباتاً. ثم إن

قيام الاختصاصيين في التربية قد حدّ من وظيفة الوالدين ومثل ذلك موجة تحديد النسل التي تطغى على المتمدنين في العصر الحاضر.

وهناك من يعتقدون بأن العلم سوف ينجح في تخليص المرأة من مشقة الحمل والإرضاع بواسطة التوالد الاصطناعي. وبأن المجتمع سيتولى أمر الاهتمام بالأولاد. ودليل ذلك ازدياد دور الحضانة والأحداث وشدة الإقبال عليها. وهي تجربة بلغت فيها روسيا شأواً بعيداً موفقاً. (انتهى قول مولرلير)

على أن هنالك من يقفون من مستقبل العائلة موقفاً إيجابياً ويرون أن العائلة وإن تطورت فهي ثابتة لا تموت وأنه من الواجب أن ندعم بقاءها بتدريس الوالدين أصول التربية والخدمة المنزلية. فالأم إذا اتيح لها هذا الدرس تصبح أفضل من الاختصاصيين وأجدر منهم بتربية أطفالها، خصوصاً في السنين الأولى حين تشتد حاجة الولد الى العطف. وقد رأى العمال الاجتماعيون أن البيت ـ إذا كان ذا جو صالح مثقف ـ أفضل مكان لتربية الطفل. لهذا يحاولون أن يجدوا للأحداث المشرّدين أو المتروكين عائلات مناسبة تتبناهم. أما الاختراعات الحديثة فقد أعادت الى البيت بعض الأعمال التي انتقلت منذ حين الى الخارج ـ كالغسيل والخياطة. وسيكون انتشار التلفزة عاملاً في استعادة البيت أهميته كمركز لهو واستمتاع. كما أن استعمال الفولاذ لبناء البيوت سيجعل بناءها رخيصاً واقتناءها سهلاً. وفي هذا ما يشجع انفصال الأبناء عن والديهم وبناء منازل مستقلة بعد الزواج.

الخلاصة

رأينا أن العائلة بنيت في بدء عهودها على وظائف مادية: التناسل، التعاون الاقتصادي، تربية الأولاد. وتفرعت هذه الوظائف وارتقت بارتقاء المدنية فظهرت الوظائف الروحية كالوظيفة الثقافية وأهم منها الوظيفة الودية. وبتقدم العلوم والصناعة وانهيار نظام القبيلة وارتفاع شأن الفرد وانتشار الفكرة الاستقلالية أخذت تنكمش وظائف العائلة وتخضع للتطورات التي خضعت لها جميع دوائر المجتمع.

لكن وظيفة واحدة بقيت لها المكانة الأولى والدائمة في نظر الرأي العام

الحديث وهي أن العائلة مركز العطف والرفاقة والمحبة المتبادلة بين الـزوجين أي أن الوظيفة الروحية هي المبرّر الأكبر لوجودها وعلى هـذا الأساس يجب بنـاؤها. أما الوظائف الأخرى كمسألة تثقيف الأولاد ونحوها فتتخـذ أهمية ثـانويـة، وأن الروابط المادية والاقتصاديـة التي تجعل أعضـاء العائلة عـالة عـلى البعض الآخر هي نوع من الاستعباد. أمـا الرابـطة الوديـة فهي تحرر وانعتـاق لأنها اختياريـة ارادية.

ونحن لو أردنا قياس التطور العائلي الـذي حصل في بـلادنا هـذه، لصعب علينا الأمر من غير أن نجري إحصاءات لكننا نستطيع القـول إن التطور عنـدنا يجـري على المنـوال الذي وصفنـا ولكن بصورة بـطيئـة ضيقـة النـطاق. والـذي نـلاحظه أن تـطورنا العمـلي يسبق تطورنـا الفكري أو النـظري. فنحن لا نزال نقيم القيامة لكل خروج على التقاليد العائلية وكل خطوة اجتماعية جريئـة أو غير مـألوفـة. وهذه الخـطوات الجريئـة تحدث كـل يـوم رغـم اضـطراب الـرجعيـين وهياجهم ولكن ما أكثر من يتأثرون بهذا الهياج وذاك الاضطراب.

صوت المرأة. العدد ٤١، السنة ٢،
آب (أغسطس)، ١٩٤٦، ص ١٦ و١٧.

الأســرة وتطورهــا خلال العصور

الأسرة الحديثة مؤسسة ديمقراطية، صورة مصغرة للوطن. والوطن المثالي أسرة كبرى تضم جميع أبنائها رجالاً ونساء، وتمنحهم حقوقاً متساوية من غير تمييز.

سألتني: هل تؤمنين بالله؟ هل أنت متدينة؟

قلت: اذا كان الدين طريقاً الى الخير والحق والجمال فأنا متديّنة. أما اذا حلّل التعصب والعنف والعدوان، فأنا أتبرأ منه.

ثم قالت: والأسرة التي يجعلونها تالية لله في المنزلة، ما هي وما أهميتها؟ أليست الأسرة في طريقها الى التفكك والاضمحلال؟

أجبت: الأسرة كالوطن، كالدين، كأية مؤسسة أخرى، في وسعها أن تكون أداة خير أو أداة شر. وحين يقولون إن الأسرة عماد الوطن يقصدون انها صورة مصغرة له، تعتمد عليه كما يعتمد عليها. وقد اخطأ من قال إن الانسان يجد في الاسرة عشاً هادئاً يأوي اليه بعد متاعب البيئة واضطرابها. فاضطراب البيئة لا بد أن ينعكس داخل البيت وينفي عنه جو الهدوء والسعادة. فكلاهما يتفاعل مع الآخر. وكل إصلاح خارج الأسرة كثيراً ما يبدأ في داخلها أي في البيت، ومنها يمتد الى الخارج ويكون مصدر إشعاع.

ولكن ما هي الأسرة؟ لنقف قليلاً عند هذا السؤال.

الأسرة أقدم ظاهرة حياتية وجدت على الأرض وشملت الكائنات الحية لأنها مبدأ تقسيم العمل. يتعاونون لبناء منزلهم وتحصيل غذائهم. يتولى الوالدون نقل موروثهم الى الأولاد وتعليمهم ما يمارسونه من أعمال غريزية. لكن بين الحيوان والانسان فرقاً. هو أن الأول يكرّر ذاته، يكرر أعماله ونشاطاته بشكل رتيب، لا تطور فيه ولا تجديد. أما الانسان فتراثه تراكمي. يتطور ويتجدد باستمرار. ووظيفة الأسرة في المجتمع تهيئة الجيل الجديد لاقتباس التراث ومواصلة البناء.

وظيفة الأسرة إذن أساسية في حفظ النوع. أما في نقل التراث أو ما نسمّيه وظيفة التربية والتعليم فعملها اليوم جزئي أو تمهيدي لأنها لا تنفرد بالوظيفة بل تتعاون مع مؤسسات أخرى على توجيه الأولاد وإعدادهم لخوض معترك الحياة.

أدوار الأسرة البشرية

قلت إن الأسرة في الحيوان لم يتبدل شكلها منذ آلاف أو ملايين السنين. أما الأسرة البشرية فمرّت بأدوار مختلفة وهي اليوم تواجه تطوراً خطيراً يقلب مفاهيمها ويخضعها للتفاعل مع التيارات المعاصرة.

في الأدوار البدائية كانت الأسرة المؤلفة من الوالدين والأولاد نواة القبيلة التي جمعت عدة أسر يرتبط اعضاؤها برابطة القرابة وكان همّهم تكثير عددهم بالتوالد أو بالتحالف مع قبائل أخرى أو بقبول غرباء تربطهم بالقبيلة رابطة الولاء. فعلاقة الأعضاء فيما بينهم علاقة نفعية، مصلحية، قائمة على التعاضد في سبيل الحماية والدفاع عن النفس. يتقاسمون العمل والمكاسب في نظام شبيه بالاشتراكي.

في الأدوار البدائية، حين كاد ينحصر همّ الأسرة أو القبيلة في تكثير النسل والمحافظة عليه، كانت المرأة، بصفتها حارسة النسل ومصدر التكاثر، هي المحور الذي تلتف حوله القبيلة. لذلك وجدت الأسرة الأمومية، (أو «المتريركية») التي ينتسب أفرادها الى الأم. يلزمون مقرّ أمهم ولو تزوجوا. الأزواج يزورون زوجاتهم المقيمات في قبيلة أخرى ثم يعودون الى قبيلتهم.

ويبقى النسل ملكاً لقبيلة الزوجة وتدبير شؤون الأسرة منوطاً بأهل الأم أي بالإخوة والأخوال.

في ذلك الحين كان نشاط المرأة لا ينحصر في النسل، بل كانت تقوم بمعظم الأعمال الزراعية والمنزلية الضرورية لإعالة الاسرة. في حين كان الرجل يقضي وقته في الصيد والاستكشاف ويتولى مهمة الحماية والدفاع.

لكن ظهور عصر البرونز وما أحدثه من آلات وأسلحة ثقيلة رجّح كفة الرجل لأنه أقدر من المرأة على استعمالها. فانتقل شطر كبير من العمل الزراعي الى يد الرجل وتحوّل النظام الاشتراكي القائم الى نظام تملّك فردي اعتمده الرجل حين أخذ يستأثر بملكية الأرض والآلات ويستأجر العبيد للعمل فيها ويمتلك النساء كزوجات أو كعاملات في الأرض، من ذلك الحين شاع النظام الأبوي، نظام الأبوّة الذي يعطي الرجل حق التسلط والزعامة وأصبح هذا الحق تقليداً تتوارثه الأجيال.

لكن التطور ـ رغم هذا ـ ما فتئ يعمل عمله بالنسبة للأسرة، وظلت أحوالها تختلف باختلاف البيئة. في الأوساط الصحراوية، مثلاً، حيث يسود الاعتماد على العناية بالمواشي والزراعة المحدودة النطاق، وحيث تقوم المرأة بأعمال أساسية من نسج وطبخ وحضانة ومشاركة في رعي إبل، تمتعت المرأة بمقدار كبير من النفوذ، كما كانت الحالة في العصر الجاهلي، حين شاركت النساء في معظم نشاطات الرجال. رافقنهم الى الحروب، اشتركن في تحريض المقاتلين والعناية بالجرحى والمرضى. مارسن الأعمال المنزلية الخشنة كنقل الماء ونسج الخيام ونصبها. هذا في حين انحطت منزلة المرأة في الأوساط المتحضرة التي سيطر فيها رجال المال والأعمال فأنشأوا المصانع والمتاجر واقتنوا العقارات والقصور والجواري وسجنوا نساءهم وحجبوهن عن الأنظار.

في عصور الصناعة البيتية أو الانتاج المعتمد على عمل الأسرة التعاوني، احتفظت المرأة بمنزلة محترمة لأنها كانت تساوي الرجل في الصناعة. تتعاون معه ومع الأولاد في أعمال المنزل كما في الأعمال الصناعية من حياكة، خياطة،

تطريز، دبغ جلود، انتاج زراعي ومصنوعات مختلفة معدّة للتسويق. فكان وضع الأسرة ديمقراطياً الى حد كبير. لكن قيام الثورة الصناعية وانتقال الانتاج الى المصانع أقام حداً فاصلاً بين عمل المرأة وعمل الرجل. انفردت هي بالعمل المنزلي كما انفرد هو بالانتاج الصناعي وتفرّق الأولاد. التحق الصبيان بالمصنع أو بالمدرسة ولزمت البنات البيت لمساعدة الأم وبدأ تفكك الأسرة.

الوطن ينافس الأسرة

وتابع التطور مسيرته. حلّ «الوطن» محل القبيلة أو الأسرة العشائرية. وأصبحت «الدولة» مجموعة أسر مستقرّة، متعايشة في أرض واحدة، تخضع لسلطة واحدة وقوانين واحدة.

بنشوء «الوطن» انكمش دور الأسرة والقبيلة. لأن الوطن اضطلع بقسم من وظائفها. تسلّم وظيفة الحماية: حماية الأفراد والجماعات من الظلم والعدوان. وبنموّ الحضارة تكاثرت معاهد العلم ودُور الحضانة التي انتزعت من الأسرة وظيفة التربية والتعليم. وأصابت الثورة الصناعية دائرة العمل المنزلي الذي معظمه من نصيب المرأة. جاءت الآلات والمخترعات فخففت عنها أعباءه. قدّمت لها الأطعمة والألبسة الجاهزة والماكنات والأجهزة التي تحل محلها في عمليات التنظيف وتهيئة الأغذية وأنواع أخرى من الحاجات المنزلية.

كان لهذا الانقلاب نتائج خطيرة. بزوال الصناعة البيتية أخذت تتقلّص الأسرة العشائرية المؤلفة من عدة أسر تربطها رابطة القرابة، تقيم في دار واحدة أو في حيّ واحد وتتعاون على الانتاج. كذلك مما ساهم في اضمحلالها انتشار الثقافة والأفكار الاستقلالية، واضطرار أعضاء الأسرة الى الانتقال من مكان إلى آخر سعياً وراء العمل في المصانع، فانفرط عقدهم وتبدلت أوضاعهم. الزوج يقضي معظم أوقاته خارج البيت. الأولاد في المدرسة. والزوجة التي لا تذهب للعمل في المصنع تبقى في البيت وحيدة. قد تستعين بالخدم إذا كانت من ذوات الثروة. وإلاّ فهي تقوم بنفسها بالأعمال المنزلية. وفي أي حال تتسع لديها أوقات الفراغ وتقف في وجهها مشكلة إنفاقها.

كيف تنفق المرأة العصرية أوقات فراغها؟

المرأة الخاملة تنفقها في محادثات تلفونية لا تنتهي. أو في لعب الورق وجلسات «الدردشة» التي تفوق أضرارها ومنافعها.

أما المرأة النشيطة فتعمد الى ممارسة فن من الفنون أو مهنة سبق لها أن تعلمتها فوجدت في العودة اليها مصرفاً لنشاطها ومنقذاً من وحدتها.

وربما خطر لها أن تتعلم مهنة جديدة أو فناً تميل اليه. فكثيرات من المتزوجات عدن الى المدرسة أو الى الجامعة لمواصلة العلم أو للاختصاص في أحد الفنون.

ولكن أي الفنون، وأي العلوم تختار؟ وما هي المهن التي يتاح للمرأة أن تمارسها في البيت أو في الخارج؟

اذا لم تكن ذات ثقافة جامعية ولا قادرة على ممارسة احدى المهن الحرة، فهل ترضى بعمل هامشي آلي، هو مجرد وسيلة لقتل الوقت؟

إن المرأة التي نالت جانباً من الثقافة تطمح الى عمل خلّاق، الى وظيفة مسؤولة. وبما أنها مارست، طوال تاريخها الماضي، فن الادارة المنزلية بصورة موفقة، فإن هذه الخلفيّة، الى جانب دروس اضافية تحصل عليها في فن الادارة العامة، تهيّئها للقيام بأعمال ادارية في القطاعين الخاص والعام.

في عملها البيتي تطلب مشاركة الرجل والأولاد رغبة في الحصول على الرفاقة والمؤانسة، ولأنها ترى من واجب الزوج أن يشارك في شؤون التربية التي شارك فيها في عهد الصناعة البيتية. ففي المشاركة فائدة له كما للأولاد.

وخارج الأسرة تريد عملاً إدارياً يصلها بقادة المجتمع ويمكّنها من القيام بدور قيادي في الحياة العامة، ويقضي عادة التمييز بين الجنسين. بذلك يتحقق التبادل وتستقيم المعادلة. فلا يحرم البيت حضور الرجل والأب، ولا يحرم المجتمع حضور المرأة والأم.

هل بين الرجل والمرأة فروق أساسية تبرّر التمييز؟

لا تمدّنا الدراسات بأجوبة حاسمة حول هذا الموضوع الذي لا يزال قيد الدرس. لكن أكثر الدارسين أشاروا الى انعدام الفرق بين الجنسين في نسبة الذكاء. الا أن ذكاء المرأة، في رأيهم، يغلب أن يتمركز حول المعدّل ويلازم النِسَب الوسطى. أما ذكاء الرجل فأكثر اتجاهاً نحو الأطراف، بمعنى أن نسبة أكبر من الرجال هم من صنف العباقرة أو من صنف الحمقى وأهل الشذوذ.

تدل التجارب أيضاً على أن الرجل أميل من المرأة الى المنافسة الهجومية، وأبرع في الأعمال التي تحتاج الى رؤيا واسعة، أو الى ريادة واكتشاف. بينما تبدو المرأة أكثر نجاحاً في وسائل التعبير: في اللغات والآداب وفي الأعمال التي تتطلب رشاقة يدوية.

الرجل أكثر طموحاً وثباتاً بينما المرأة أكثر شعوراً بالمسؤولية وأشد ميلاً الى التعاطف مع الآخرين والاهتمام بهم. وفيما يكاد يقتصر عالم الرجل على الأشياء والطبيعة الجامدة، نرى عالم المرأة يزخر بالأشخاص فهي أكثر منه ميلاً الى العلوم الاجتماعية وما يتصل بها.

قد تكون الفروق التي أشار اليها الباحثون عابرة، غير أساسية، مصدرها اختلاف في التوجيه والتربية. لكن المجتمع في حاجة الى عمل المرأة لتحقيق التوازن والتنويع والتكامل في جميع الدوائر، والاستفادة من المهارات الخاصة بالمرأة خصوصاً في الحقل الاجتماعي الذي تستطيع أن تقوم فيه بأدوار قيادية.

لنأخذ مثلاً موضوع تحديد النسل. إن المرأة مهيأة اكثر من الرجل لمعالجة المشكلة. وقد ذكر الباحثون ان اعطاء المرأة فرصة العمل خارج المنزل كفيل بتحويل طاقتها التناسلية الى عمل منتج. كذلك دلت التجارب على انخفاض نسبة النسل بنسبة ارتفاع المستوى العلمي لدى المرأة والرجل على السواء. من هنا يتبين أن المرأة تستطيع المشاركة بصورة عملية في معالجة مشكلة تزايد السكان فضلاً عن مشاركتها في وضع الخطط ونقل العلاجات الخاصة بهذا الموضوع.

الرابطة العاطفية أقوى روابط الأسرة

في الصين يحاولون تطوير الأسرة التقليدية، وهي الوحدة الأساسية المسيطرة في المجتمع الصيني، وباستبدالها «بشبكة جديدة من الأسر العامة الموحّدة في أمة ـ دولة عصرية لا شخصية» كما يقولون. وهذه المحاولة تؤلف قسماً من التدابير المتخذة لتحديد النسل من جهة وتطوير مفهوم الأسرة من جهة أخرى.

في الدول الاشتراكية التي تقوم فيها الدولة بوظيفة توجيه الناشئة وإرشادها وتعليمها، يحتفظ الوالدون، مع هذا، بأولادهم. يشاركون في تربيتهم ويقاسمونهم متعة الرفاقة والدفء العائلي، لأن الدولة وجدت نفسها عاجزة عن إلغاء الأسرة.

هذا يعني أن الأسرة مهدّدة بالزوال في شكلها التقليدي، متجهة نحو التبلور في شكل جديد.

فهي تتطوّر من وضع يربط الزوجين بحقوق وواجبات تقليدية الى وضع ديمقراطي قائم على الحرية والمساواة في الحقوق والاحترام المتبادل والشورى في اتخاذ المواقف والقرارات، وهذا الوضع يشمل الأبوين والأولاد معاً.

الأسرة الحديثة لا تعتمد كما في الماضي على روابط مادية، مصلحية. فالمرأة العصرية قادرة على الاستقلال المادي. اذا عجزت عن احتمال سيطرة الرجل أو انعدم التفاهم بينها وبينه، سعت الى الطلاق، مع أن الحرية التي تمارسها في هذا المجال تسوقها أحياناً الى التسرّع والندم.

إن الرابطة التي تقوم عليها الأسرة الحديثة المتطورة هي رابطة عاطفية، أساسها الصداقة والألفة، التي ثبت أنها أمنع وأطول عمراً من الحب.

الأسرة الحديثة تنفض عن نفسها غبار الأجيال. تنزع القيود التي تحلّل للأقارب أن يتطفلوا بعضهم على بعض. أو أن ينضووا تحت لواء حزب يتزعمه أحد أقاربهم. ذلك لأنهم يؤمنون بالحرية الذاتية وينكرون الاستغلال، ويرفضون ما رسمه الأجداد من ميول وشعارات منافية للعدل والحرية.

في الأسرة العصرية، ابطلت ألقاب التدليل والتفخيم. لا بابا ولا ماما، لا

سيّدي الوالد ولا سيّدي العم. كل واحد يدعو الآخر باسمه عارياً من اللقب. وبسقوط الألقاب سقطت الروح القبلية، روح التواكل وذوبان الشخصية، وفازت الروح الديمقراطية.

وكما سقطت ألقاب التدليل والتبجيل، سقطت أيضاً عادة التَكْنِيَة أو استعمال الكُنية: أبو فلان، ام فلان. لما فيها من تحقير للاناث اذ تحصر وظيفة الأبوّة والأمومة في ذوي الأولاد الذكور وتحديداً في والدي الصبي البكر. وتهمل تماماً وجود البنات، زعماً بأن من ليس له ولد ذكر هو ابتر أو مقطوع النسل.

وكما أُسدل الستار على العادات الموروثة المخالفة لروح العصر، كذلك يجب التخلّي عن أساليب التخاطب المأخوذة عن الأجانب: مسيو، مدام، مدموازيل، مس، مسز، مستر الخ والعودة الى إطلاق لقب «سيد» على كل رجل، متزوجاً كان أم لا. ولقب «ست» أو «سيدة» على كل امرأة، متزوجة أو عزباء. لأن هذه الطريقة أقرب الى المساواة بين الجنسين. بذلك نتخلّى عن كل تقليد لا مبرّر له ولا يجاري التطور العصري، سواء كان سببه التفرنج أم التعصب للقديم.

في عصرنا تحدّدت وظيفة الأسرة في تهيئة الولد، ذكراً كان أم انثى، لأن يكون عضواً نافعاً في مجتمعه، لا أداة فخر ومباهاة، ولا مصدر استغلال ولا آلة استمرار لمفاهيم ضيّقة، أنانية وتقاليد غير انسانية.

وتحدّدت واجبات الأولاد نحو والديهم في أن يبذلوا جهودهم لتحقيق التفاهم بينهم وبين الجيل القديم وإشاعة روح المحبة في الأسرة وذلك بأن يتخذوا من والديهم موقفاً إيجابياً بعيداً عن المعاكسة العمياء. فلا يحتقرونهم لأنهم دونهم علماً وتطوراً بل يحاولون اقناعهم والتفاهم معهم. يمتنعون عن هَجر المنزل الوالدي الا اذا اضطرتهم الى ذلك ظروف العلم والعمل. ولا ينكرون حق والديهم عليهم في مبادلتهم جميلاً بجميل، والتكفل بإعالتهم اذا احتاجوا والعناية بهم في حال العجز والمرض.

يشهد عصرنا الحاضر ثورة عارمة على استبداد الوالدين بأولادهم وتنقل بعض القصص والمسرحيات مشاهد الصراع بين جيلين قديم وجديد، مثلاً

«الآباء والبنون» لنعيمه، فصل «الأولاد» لجبران في كتاب «النبي»، وغالباً ما نلاحظ انحياز المؤلفين الى الأولاد ونقمتهم على تصلّب الجيل القديم وظلمه للجيل الجديد. لكن من يقف في جانب الأهل حين يظلمهم أولادهم؟ من أمثالنا الشائعة: «قلبي على ولدي وقلب ولدي عالحجر»، «طلعت ذقن ابنك، احلق ذقنك». وفي الأدب الغربي قصص رائعة تعبّر عن عقوق الأولاد واضطهادهم لوالديهم الذين بلغوا سن الكبر، منها مأساة «الملك لير» لشكسبير ورواية «الأب غوريو» لبلزاك. لكننا لا نجد في قصصنا الحديثة اهتماماً بهذا الموضوع مع أن عقوق الأولاد ليس غريباً عن مجتمعنا الشرقي، خصوصاً في هذه الآونة التي تتسع فيها الهوّة بين الأولاد المتعلمين ووالديهم شبه الأميين، وقد أظهرت التجربة أن الأولاد كثيراً ما يقفون من والديهم موقفاً سلبياً، يحتقرونهم، يناقضونهم في آرائهم ومواقفهم وإن كانت قريبة من الصواب.

على من نضع الحق حين تقع الخصومة بين الفريقين؟ الأرجح أن كليهما يحمل جانباً من المسؤولية لكني أضع اللوم أولاً على الأولاد الراشدين لأنهم أكثر وعياً وثقافة من والديهم فينتظر منهم أن يكونوا أكثر تفهماً لأوضاعهم وأشد استعداداً لالتزام أسلوب الملاينة الايجابية والتصرّف العقلاني الذي يمكنه أن يقنع أكثر الناس جهلاً وعناداً.

حدّثتني فتاة قضت عمرها بعيدة عن بيت والديها، قالت إنها حين كانت في سن المراهقة توتّرت العلاقة بينها وبين والدتها التي كانت امرأة متسلطة، سريعة الغضب، ترهق نفسها بالأعمال البيتية في أسرة قليلة الموارد فتعبّر عن نقمتها بمخاصمة زوجها وأولادها. وأضافت الفتاة: قضيت عمري تلميذة ثم معلمة في مدرسة داخلية. فقدت عطف الوالدين ودفء الأسرة، مع أنه كان في وسعي التفاهم مع أهلي لو توافرت لي دماثة الخلق وحسن السياسة. وقد آلمني خصوصاً أني ظللت بعيدة عن والديّ في سن الكبر حين هاجمتها أمراض مزمنة وكانا في حاجة الى عنايتي. لم افطن لخطأي الا بعد فوات الأوان فلازمتني منه حسرة دائمة.

مجتمع اليوم ينكر أن يكون الأولاد ملكاً لوالديهم لكنه ينكر أيضاً سيطرة

الأولاد على الوالدين وإهمالهم في سن الكبر. ولا ننسى أن مطالبة الوالدين بالرّفق بأولادهم في سن الطفولة تستتبع مطالبة الأولاد بالموقف نفسه من والديهم حين يبلغ هؤلاء طور الضعف والذبول الذي يجب أن يثير في الأولاد عطفاً وحنّواً لا تعالياً وتحقيراً.

الرائدة. العدد ٢، أيلول (سبتمبر)، ١٩٧٧، ص ٢، ٣ و١٠.

من مصادر المقال:

Burges, L. & Van Nostrand, T. *The Family From Traditional to Companionship.* (4th ed.) N. Y.: Reinhold Co., 1971.
Tinker, I. & Bramsen, M. B. (Eds.) *Women and World Development.* Washington, D.C.: American Association for the Advancement of Science, 1976.

السلبيات في تقاليدنا العائلية

في غياب الشعور الوطني والوحدة الوطنية، ينفسح أمام الأسرة مجال تكوين دولة داخل دولة وبناء سلطتها على حساب السلطة الشرعية.
الديمقراطية الصحيحة، بمعنى العدالة والمساواة في الحقوق بين الأفراد، ترتكز على أسرة ديمقراطية. والذين يمارسون الديمقراطية داخل أسرهم يمارسونها مع مواطنيهم.

سنة ١٩٥٧، قام اثنان من أساتذة الجامعة الاميركية في بيروت، هما د. مليكيان ود. دياب بدراسة علمية، جدّداها سنة ١٩٥٨، بين الطلاب والطالبات المنتسبين الى أديان وقوميات مختلفة في العالم العربي. كان الغرض من الدراسة استطلاع آراء المستجوبين في المرتبة التي يحتلّها عندهم كل من الانتماءات الآتية: الأسرة، الدين، المواطنية، العِرق والحزب السياسي.

وجاء التصنيف في الدراستين، باستثناء اختلافات طفيفة، على الوجه التالي: الأسرة، العرق، الدين، المواطنية، الحزب السياسي.

في دراسة أخرى أجراها د. حليم بركات سنة ١٩٧٧، اشتملت على عينات مختلفة من الطلاب والطالبات في الجامعات اللبنانية، الأميركية واليسوعية في بيروت، ظهر تأثير المبادىء اليسارية، خلال عشرين سنة، في إبعاد الطلاب الى حدّ ما، عن عائلاتهم. لكن رغم قيام عدة عوامل تقضي على نفوذ العائلة

كعامل توجيه سياسي واجتماعي في الأقطار العربية، ما زالت هذه المؤسسة تحتفظ بسيطرتها على الناشئة. «وبما أنها تحتكر توجيههم الاجتماعي في السنوات الأولى من حياتهم فهي ذات تأثير كبير في تكوين مواقفهم وقيمهم وسائر مبادئهم»[1].

في رأي عدد كبير من الدارسين أن الأسرة في العالم العربي تلعب دور القبيلة أو العشيرة في العصور الجاهلية، لا سيما في المناطق الريفية والقروية وسائر المجتمعات المنعزلة، البعيدة عن العاصمة والمناطق الأخرى الحضرية.

في المجتمعات البدوية، نظير تلك التي ميّزت الحياة العربية في العصور الجاهلية، ساد النظام القبلي المبني على صلة الدم والقرابة، فقسم العرب الى وحدات مستقلة أو عشائر مقابلة لدويلات مستقلة تتحالف أحياناً لكنها في معظم الأحوال تتعادى ويغزو بعضها بعضاً بقصد الفتح والنهب والتسلّط. أفراد القبيلة الواحدة خاضعون لتقاليدها، مقيّدون بالولاء لأحكامها وبالتعاون فيما بينهم مقابل الحماية التي تبذلها لهم. في غياب حكومة مركزية، كانت كل قبيلة تخلق شرائعها ووسائلها المعيشية والدفاعية الخاصة. وقد سيطرت عليهم جميعاً شريعة الثأر التي تقضي بأن الدم يغسله الدم، فإذا رضي الفريقان المتخاصمان بالصلح أوجبا على المجرم دفع الدية ـ وهي كمية من المال أو عدد من الإبل مقابل تبرئته ـ على أن شريعة الثأر كثيراً ما أحدثت حروباً طويلة بين القبائل سالت فيها الدماء سيولاً.

في هذا العصر، نلاحظ أن العوامل التي أوجدت وعزّزت النظام القبلي في الجاهلية تقوم هي نفسها بتعزيز الروابط العائلية في العالم العربي. ضعف السلطة المركزية أدّى الى سيطرة السلطات المحلية في المناطق الخاضعة لنفوذ الزعماء الإقطاعيين الذين يستمدون سلطتهم من مساندة التكتلات العائلية لهم في الانتخابات.

في لبنان مثلاً، يجري استغلال التكتل العائلي من خلال اتحادات أو جمعيات عائلية، يتزعمها وجهاء الأسرة. هذه الجمعيات تعقد اجتماعات منتظمة، تفرض

---

(١) Barakat, Halim. *Lebanon in Strife*. Austin: University of Texas Press, 1977.

بواسطتها على اعضائها ميولاً سياسية حزبية وتوجيهات خاصة بالانتخابات البلدية والنيابية وتعدهم مقابل ذلك بمساعدة فقرائهم وتمييز اعضاء الأسرة ومحاباتهم في عمليات التوظيف والترقية. تتعهد بحمايتهم من انتقام الخصوم ومن ملاحقة جباة الضرائب وغيرهم. بذلك تصبح التكتلات العائلية، نظير الانقسامات الطائفية، أداة تفرقة ومحاباة وعداوات سياسية.

عدا إسهامها في التفرقة بين سكان الوطن الواحد، تمارس الأسرة وسيلة أخرى للمحافظة على هويتها وامتيازاتها، هي التشدّد في المحافظة على التقاليد الموروثة ومقاومة كل تطور يهدّد مركزها ومكتسباتها وبذلك تؤلف حجر عثرة في سبيل التطور السياسي والاجتماعي. في كثير من الأسر المحافظة، لا تزال عادة الزواج اللُّحمي، بين أبناء العم أو أبناء الخال، سارية المفعول، بغية إحكام روابط الأسرة وشدّ أزرها وإبقاء أملاكها في حوزة أعضائها. ولا يخفى ما في هذه العادة من مخالفة لروح الديمقرآطية. أما الشر الآخر الناشيء عن التكتل العائلي فهو تخليد الامتيازات القيادية في أسر تعودّت احتكار السلطة في بعض المناطق ونجحت في استغلال خضوع السكان وتسخيرهم لخدمة مصالحها.

من التقاليد العشائرية التي يشجّعها التكتل العائلي استمرار شريعة الثأر التي سبقت الإشارة اليها. كذلك عادة الانتقام للعِرض أو ما يسمّونه جريمة الشرف وهي تقليد بربري يحلّل للرجل قتل أخته أو زوجته أو احدى قريباته اذا كانت ذات سلوك مشبوه ولا يعاقب على جريمته الا عقاباً تافهاً لا يجاوز بضعة شهور في السجن.

هناك أيضاً عادة توارث ألقاب الشرف، شيخ، بيك، أمير، من غير مبرّر واضح، وتوارث الرتب والوظائف أباً عن جد، وتفضيل الذكور لأن منهم المحاربين وحماة الأسرة وحافظي امتيازاتها. من هنا نرى الآباء والأمهات يعتزّون بالكُنية التي يحملونها: أبو فلان، ام فلان، لأنها تدل على أنهم انجبوا ذكوراً يخلّدون اسم الأسرة، بينما الذين لم يلدوا الا الإناث يحرمون هذا «الشرف».

في الأسرة التقليدية التي حاولنا وصفها تنخفض منزلة المرأة انخفاضاً ملحوظاً لأنها تحرم الامتيازات الخاصة بالرجل. لذلك تناط بها الأعمال التي

يترفع عنها الذكور وتحرم مساواة الرجل بالإرث وكثيراً ما يحاولون حرمانها حقها المشروع في الوراثة. ومع أن عملها في البيت وفي الحقل ذو أهمية أساسية في الأسرة فهم يقلّلون من أهميته ويحصرون مكافأته في المأكل والملبس. إن انحطاط وضعها في الأسرة يرغمها على قبول القاعدة المزدوجة التي تميّز بين الجنسين في المعاملة، على الرضى بسيطرة الرجل وممارسة الفضائل التي تعد خاصة بالمرأة: إنكار الذات والتصاغر والعفة التي بها تحفظ شرف الأسرة. «شرف المرأة يعني عفتها» وشرف الرجل يقاس أولاً وآخراً بقدرته على فرض العفة على نساء أسرته، والويل للمرأة التي تدنس بسلوكها شرف أسرتها فإنها تقتل أو تصبح هي وأسرتها منبوذة كالعنزة الجرباء. أما أعمال الفتك والغش والسرقة والقتل التي يرتكبها الرجل فتحسب اخلاقاً عاديّة لا يحاسب عليها، ومن الأقوال الشائعة: «الشاب عيبه على زر مداسه» و «رجل البطش قبضاي يستحق التأليه».

في غضون الخمسين سنة الأخيرة، حدث تطور ملحوظ في بنية الأسرة في الأقطار العربية إجمالاً. فمن عشائرية موسعة تشمل الوالدين والجدّين والأولاد وربما أفراداً آخرين تربطهم بها رابطة الدم، أخذت تنكمش الى ما نسميه أسرة نواتية، وحدتها الأبوان والأولاد، مستقلة بسكنها وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية. فإذا كبر الأولاد انفصلوا عن والديهم وألفوا أسراً أخرى نواتية[1]. الا أن هذا التطور لم يمنع تكاثر الاتحادات العائلية التي تضم الوالدين، الأولاد، الجدود، الأعمام والعمّات وسائر الأقارب حتى الدرجة الثالثة. لأنها ما زالت تعتبر ملجأ ومعتمداً في الملمّات أو مصدر فوائد ومصالح سياسية واجتماعية سبقت الاشارة اليها. ومن أمثالنا الشائعة: «يا صهري سندة ضهري» و «اللي ما له صهر مقطوع الضهر». لذلك يشتد نفوذ الروابط العائلية في المناطق المنعزلة القليلة الموارد، وبين الاقليات المفتقرة الى حماية، ويقوى هذا النفوذ في الأزمات، كما حدث في الحرب اللبنانية التي انهارت فيها سلطة الدولة فلجأ الناس الى أقاربهم يطلبون مساعدتهم وإيواءهم باسم القرابة، وكان من نتائج

---

(١) زهير حطب. «تطوّر بنى الأسرة العربية»، الرائدة. العدد ٦، تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٧٨، ص ٦ و٧.

هذه الحرب ظاهرتان متناقضتان، الأولى تفتيت اللبنانيين وتشريدهم، والثانية ازدياد عدد الجمعيات العائلية في بعض المناطق.

في كتاب للسيدة سنيه حماده تناولت فيه تحليل الخصائص الخلقية والاجتماعية عند العرب[1]، تقول الكاتبة «إن المجتمع العربي هو مجتمع أسر وعشائر لا أفراد. كل فرد يحسب تلقائياً عضواً في مجتمع عائلي عشائري لا يمكنه الانفصال عنه الا اذا هجر أرضه الى بلاد بعيدة وقطع كل صلة تربطه بذلك المجتمع. فإذا بقي فيه، ظل لكل منهما حقوق يطالب بها الآخر ولا يتنازل عنها، حتى بعد الزواج، يبقى الفرد معتمداً على أسرته وهي معتمدة عليه».

هنا تجدر الملاحظة أن الأقطار التي ما زالت خاضعة للتقاليد العائلية الضاغطة هي التي لم تنفتح للتطورات الاجتماعية الحديثة ولم تنشأ فيها مؤسسات تستطيع القيام بدور الأسرة أو تحديد نطاق نفوذها. نقصد بها أولاً الضمان الاجتماعي الواسع النطاق الذي يمنح الفرد ضمانات اقتصادية كافية في حال العوز والمرض. ثانياً، النظام التربوي الذي يعطيه حق التعلم المجاني ويحرّره من الاتكال على أسرته في الحصول على نفقاته التعليمية. ثالثاً، المراكز الاجتماعية والأندية الرياضية والثقافية التي تقدّم فرص العلاقات الوديّة لأولئك الذين حرموا الدفء العائلي أو حاولوا تخطي الإطار الضيّق الذي ترسمه الأسرة حولهم. لذلك لا نستغرب أن تحتل «المواطنية» مرتبة رابعة بين الأولويات الخمس الواردة في دراسة دياب ومليكيان. فهي دليل واضح على موقف اللامبالاة الذي يقفه الطلاب من الرابطة الوطنية. ولو سألتهم عن سبب هذا الموقف اللامبالي لأجابوا: ما الذي قدّمه لنا وطننا من رعاية واهتمام يكسب بهما ولاءنا؟

إن الرابطة العائلية تستطيع أن تكون بركة ونعمة لكل فرد أولاً اذا حققت حاجته الى الدفء والمودّة الخالصة. ثانياً إذا راعت مقتضيات التطور وأحسنت التوفيق بين المحافظة والانفتاح، نقصد بالشرط الأول ارتباط أفرادها بالمحبة

---

(1) Hamady, Sania. *Temperament and Character of the Arabs*. N.Y.: Twayne Publishers, 1960.

البريئة من النفعية ومعاملة بعضهم بعضاً بروح الاحترام والديمقراطية البعيدة عن الظلم والاستغلال. وبالتالي استعدادها لقبول كل تجديد اثبتت التجربة فائدته لأفراد الأسرة وللوطن.

إن تطور الأسرة وفقاً لحاجات العصر أمر ضروري لتطور وضع المرأة وتحريرها. لأن الهيكلية العائلية القديمة ترتكز على الاعتقاد بعجزها وضرورة إخضاعها للقاعدة المزدوجة التي تضمن سيادة الرجل.

من جهة أخرى، يجب أن نذكر أن كل إصلاح يطرأ على نظام الأسرة يقتضي إصلاحاً في أنظمة الدولة نفسها والعكس بالعكس. وكل خطوة نحو الديمقراطية والعدالة والوحدة الوطنية يجب أن تبدأ في الأسرة.

مما سبق نستنتج أن الوضع المتخلّف الذي تفرضه على المرأة قيود الأسرة التقليدية يحتم على قيادات الحركة النسائية مساندة كل تغيير تشريعي أو اجتماعي يهدف الى إنصاف المرأة ومساواتها بالرجل في الحقوق.

والموقف نفسه من الأسرة التقليدية هو الذي تقتضيه المصلحة الوطنية لأن تحجّر التقاليد العائلية من ناحية وسيطرة التعصب الديني والطائفي من ناحية أخرى يؤلفان العقبة الكبرى في طريق تكوين الروح الوطنية وبناء وحدة الشعب وكيان الوطن.

الرائدة. (في الانكليزية) العدد ١٤، المجلد ٣،
تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٨٠، ص ٣.

مقتطفات من كتاب الدكتور شاهين الصليبي: «صور من الحياة»[1] حول دور التقاليد في إفساد شخصية الصبي:

إن التقاليد المسيطرة على توجيه الأولاد الاجتماعي في بلادنا تؤدي الى إفساد شخصياتهم وتخلق منهم جيلاً معادياً للمبادىء الوطنية وللمواطنية الصحيحة. فالولد، وأعني خصوصاً الصبي، ينشأ على الاعتقاد بأنه معبود الأسرة، ينتظر من كل فرد فيها أن يتكرس لخدمته ويحتمل مزاجيته بطيبة خاطر. وبدلاً من أن

(١) نشر «دار الكتاب اللبناني»، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

يحاول تنمية طاقاته الخاصة، يتكل على منجزات والده وأجداده، بـدلاً من بذل جهوده الذاتية للحصول على ما يريد، يلجأ الى شفاعة القديسين ووساطة الأهل والأصحاب. منذ أن يفتح عينيه عـلى ما حـوله، لا يسمـع الا نشيداً واحـداً: «انشاء الله نحضر عرسك» «انشاء الله وأنت عـريس»، هذه العبـارات الموروثـة من عهود قبلية انحصر فيها اهتمام الناس في تكثير عدد الذكور المحاربين، تحصر أفق الصبي في نطاق ضيق. توهمه أنه محور الأرض وأن الزواج والنسـل هما علة وجوده. بذلك ينذر ولاءه للأسرة التي تدلّله وتؤلّهه، يرضى بالخضوع لتقـاليدهـا التي تجعـل منه كـائناً مميـزاً، وينظر الى سـواها من الأسر نـظرة عداء وبـدلاً من التعاون مع الآخرين يرى من حقه أن يخاصمهم ويعتدي على حقوقهم.

هذه الأساليب التقليدية المهيمنة على تربيتنا تناقض مناقضـة صريحة مفهـوم الـوطنية التي تستهـدف توحيـد الشعب على اختـلاف فئاتـه، تدعـوه الى مجاوزة حدود الأسرة والقبيلة والعمل بمقتضى المبادىء الانسانية والقيم العالمية.

الأسرة والوطن

الوطن يضطلع بوظيفة الأسرة والطائفة من غير أن يلغيها

منذ فجر المدنية أدرك الانسان أن العمل الجماعي أو التعاوني مع بني جنسه أكثر فائدة وأضمن نتيجة من العمل الفردي القائم على المنافسة. فكانت الأسرة أول مظاهر التعاون المثمر، وبتوالي الزمن أصبحت الأسرة للفرد مدرسته الأولى، يتلقى فيها اخلاقاً وتوجيهات ومعلومات ترافقه مدى الحياة، لأنها جمعت بين أفراد مختلفي الجنس والعمر: الأب والأم والاولاد، فوفقت بينهم ولقّنتهم عادات يتفاهمون بها، علّمتهم تقاسم العمل وتنظيمه وتوزيع الدخل حسب الحاجة وتبادل المحبة والمساعدة والتكاتف في سبيل العيش الهنيء المطمئن.

قال لي مرة أحد الوالدين: حياتي العائلية علمتني البذل والسخاء كما علمتني الكدّ لإعالة أسرتي. كنت قبل ذلك أنانياً، شديد الحرص على المال، لا أنفقه إلا على حاجاتي الشخصية، قليل الرغبة في العمل، مكتفياً منه بالمقدار الذي يضمن لي نفقاتي الخاصة. وعندما أصبحت صاحب أسرة، تعودت الجهد والسعي لسد حاجات صغاري، كما رغبت في إنفاق المال، لا على أولادي فحسب بل أيضاً على أولاد الآخرين.

إن المحبة التي تمارسها الأم مع أولادها من شأنها أن تنمّي شخصيتها وتوسّع أفقها بحيث تدفعها بصورة عفوية الى الاهتمام بأولاد غيرها والمشاركة في

تحسين البيئة التي تؤلف مسرح نشاطهم. والأمر نفسه يصدق على الأب.

الأسرة وطن مصغر. كل أسرة تؤلف خلية من مجموعة الخلايا التي منها يبنى جسم الوطن الكبير. إنها الحجر الأساسي في بناء الشخصية لأنها تحتضن الطفل في سنيه الأولى التي تترك في نفسه أثراً لا يمحى. ذكريات الطفولة أبقى الذكريات وأشدها رسوخاً، تطبع حياة صاحبها بطابع التفاؤل والمرح أو طابع التشاؤم والكآبة. تحدّد ميوله واتجاهاته ومن العسير جداً اصلاح ما شوّهته الطفولة في شخصية الفرد ومحو التأثيرات الأولى التي كيّفت تلك الشخصية.

حدثني رجل عن ذكريات طفولته قال: «كانت أمي امرأة متسلّطة، تسيء معاملة ابي. تزجره وتحقّره أمام أولادها، فتدفعهم الى احتقاره والاستخفاف به، مع أنه كان انساناً رقيق القلب، دمث الأخلاق، يستحق منا كل عطف واحترام. الا أن والديّ كانا يشعران بكره ظاهر أو خفي لأقاربهما: للأخوة والأحماء، مصدره خلافات على الإرث أو على نصيب الأم من مال والديها. يمارسون معهم عادة المجاملة في مناسبات الزيارة ونحوها. ويعمدان الى اغتيابهم وهجومهم أمام الأولاد. لذلك نشأنا ـ أنا وأخوتي ـ على كره أقاربنا وسوء الظن في الناس إجمالاً، ونمت فينا عادة العزلة والانطواء».

وهنا مثل آخر على شدة تأثير التربية البيتية وانطباعات الحداثة في شخصية احدى الفتيات.

روت لي فتاة في معرض الحديث عن ماضيها وتجاربها الخاصة، أنها كانت في صغرها مستعبدة لإرادة والديها، لا سيما لإرادة الأم، وحين تركت البيت لتعمل في إحدى المؤسسات حاولت الاستقلال برأيها وتصرفها، ورغبة في إثبات ذاتيتها عقدت النية على مخالفة كل رأي يحاول والداها فرضه عليها، خطأ كان أم صواباً. فإذا نصحاها بالزواج بأحد الخاطبين ردّت نصحهما ورفضت الخضوع لرأيهما والتزمت جانب المعارضة على خط مستقيم. وقد حدث مرة أن شاباً عرفته في صغرها تقدّم للزواج بها وأعلن رغبته لوالديها لكنهما ردّا طلبه من غير مشاورتها، بحجة أنه فقير الحال، عاجز عن بناء أسرة. وحين عرفت بالأمر

ثار ثائرها لأنها عاملاها معاملة ولد قاصر، لا يملك حق تقرير مصيره. وعملاً بخطة المخالفة التي قررت التزامها، عزمت على مقابلة الشاب بمعزل عن والديها، وإعلان قبولها به زوجاً. لكنها حين اجتمعت به وأصغت الى حديثه، شعرت نحوه بنفور مفاجىء. بدت حركاته أمامها سقيمة، مصطنعة، ومظهره رخيصاً مبتذلاً، وكلماته مشحونة بالمبالغة والبهلوانية. وما أن انصرف من عندها حتى ارسلت اليه كلمة اعتذار ورفض، لأنها في الوقت الحاضر، غير راغبة في الزواج.

حين عادت الفتاة الى نفسها بعد ذاك، تساءلت ما الذي بدّل موقفها بتلك الصورة المفاجئة؟ لماذا رغبت في لقاء الشاب وقبول طلبه قبل أن تراه، ثم تحوّلت عن عزمها بعد مقابلته؟

وبدا لها أن موقف أهلها كان يضغط عليها بصورة لا واعية. وانها حين ظنت في نفسها التحرّر والقدرة على القرار المستقل، كانت في أعماق ذاتها مكبّلة، عاجزة عن التنفيذ. وان ذاك النفور المفاجىء كان استجابة للارادة المستبدة التي تركت في نفسها عقدة راسخة لا تتزحزح.

للأسرة وظيفة مزدوجة

لا أريد الإسراف في تضخيم دور الأسرة ولا أزعم أنها العامل الوحيد في بناء الفرد. لكني أقول إن تأثيرها مهمّ لأنه يرافق الانسان طوال عمره. في الطفولة والحداثة. حين يعيش في كنف والديه، في الزواج حين يبني أسرة جديدة. في الكهولة وفي الهرم، حين يعتمد، عادة لا دائماً، على أولاده وسواهم من أعضاء أسرته في حال العجز ودنوّ الأجل.

الأسرة تؤدي في تكوينها وظيفتين. الأولى مادية وهي تأمين العيش المادي لأفرادها وخلق الجو لنموّهم الجسدي. الثانية روحية وتتركز على التوجيه الخلقي وتهيئة الجو الاجتماعي الصالح لنمو شخصيتهم.

في هذا البحث الموجز لن أتناول موضوع الوظيفة المادية، مع اعترافي بأهميتها ومع علمي أن كثيراً من الأسر في مجتمعنا تشكو البؤس والجهل والعجز

المادي الذي يدفعها الى تشغيل أطفالها، وكثيراً ما يؤدي هذا الوضع المؤلم الى تفسّخ الأسرة وهرب الأولاد من البيت لينصرفوا لأعمال الشقاوة والإجرام. هذا موضوع يختص بذوي الاختصاص في البحث الاجتماعي، ومعالجته تقع على عواتق المسؤولين عن الشؤون الاجتماعية، الذين يرسلون من قبلهم من يتفقد الأسر الفقيرة ويراقب تصرّف الوالدين الجهلاء مع أولادهم. كذلك من وظائف هؤلاء المسؤولين إنشاء الإصلاحيات للأولاد الجانحين ووضع القوانين التي تقضي بحصول طالبي الزواج على شهادة صحية وتمنع زواج أصحاب الأمراض العقلية والعاهات الوراثية.

في هذا المقال أحصر الكلام في موضوع الوظيفة الخُلقية التي تؤديها الأسرة، مع أنه من الصعب أن نفصل بين الوظيفتين. وفي هذا المجال، تجدر الملاحظة بأن الدور التربوي الذي تقوم به الأسرة عند الغربيين أخذ ينكمش في الوقت الحاضر. باعتبار أن المدارس الحكومية المجانية عندهم أكثر توافراً، فهي تتحمل عن الأهل نفقات التعليم وبذلك تجعل الأولاد أقل اعتماداً على والديهم وأقدر على الاستقلال عنهم. من جهة أخرى تتوافر لدى الغربيين، لا سيما في المدن، مراكز ثقافية تضطلع بوظيفة التثقيف والتوجيه بمعزل عن البيت. هناك النشاطات اللامنهجية في المدارس. وفي الخارج أندية ثقافية ومنظمات رياضية، فنية وعلمية، موسيقية ومسرحية، فضلاً عن المكتبات العامة ودور المطالعة والمتاحف والمسارح وسواها من عوامل التثقيف الحر.

أما بلادنا فلا تزال مفتقرة الى مراكز من هذا النوع. الأندية الثقافية لا تزال قليلة العدد والتأثير. وكذلك المنظمات الرياضية والكشفية والمكتبات العامة والمتاحف ونحوها. أما المدرسة فتكاد تحصر عملها في تلقين المعلومات وتحضير الشهادات. أساتذتها ومعلموها مرهقون ومناهجها مشحونة لا تعطي مجالاً لتنمية الهوايات والتربية الخلقية. لهذا يقع على عاتق الوالدين قسطاً كبيراً من مهمة التوجيه والإرشاد.

المنهج التقليدي

الأسرة عندنا، كسائر المؤسسات الموروثة، تلتزم في معظم الأحيان خطة

تقليدية في تربية الأولاد وتوجيههم، تراعي المصالح الخاصة بالوالدين وبمركز الأسرة الاجتماعي بناء على أن الأسرة في عصرنا ما زالت تمثل الدور الذي مثلته القبيلة في العصور الجاهلية.

المصالح الفردية والمصالح القبلية وأحياناً المصالح الطائفية هي المحور الذي تدور حوله التربية البيتية فماذا أعني؟

الأم: ترى أن الأمومة واجب عليها تأديته لترفع عنها العار الذي يلحق بالمرأة العاقر. كلنا يذكر قصة اليصابات التي هتفت حين بشّرت بأنها ستصبح أماً ليوحنا. «الحمد لله الذي نظر اليّ لنزع عاري بين الناس». وقد عرفت نساء جازفن بصحتهن أو بحياتهن في سبيل الحصول على ولد.

هذه النظرة تدل على أن المرأة ما تزال مكبّلة بالتقليد القبلي، خاضعة لتوجيه الرأي العام. أما من الناحية الخاصة فهي تريد من الأولاد أن يكونوا لها مصدر فخر واعتزاز، وموردا تعتمد عليه. فهي تقول للبنت: «أنت عكازة آخرتي» وللصبي: «أنت رزقي وأملي».

اذكر أني كنت مرة اعلّم اطفالاً صغاراً بعض الأغاني العربية، وفي أحد الأيام سألتني احدى البنات: لماذا لا تعلمينا أغنية عن الأم؟

وفهمت بعد هذا أن والدة الطفلة لقنتها هذا السؤال لأنها ترغب في أن تكون، كما في العصور التي مارس أهلها تأليه الأمومة والنسل، موضوع عبادة وتعظيم، تنظم في مدحها الأغاني والأشعار.

الموقف التقليدي نفسه يسيطر على الأب الذي يشارك الأم في التحكم بمصير الأولاد وفرض ميوله عليهم وتقديم مصلحته على مصلحتهم، الا إذا كان كلاهما من الفئة التي نالت من الثقافة نصيباً شاملاً وعميقاً أحدث تبديلاً جذرياً في موقفهما وفلسفتهما الاجتماعية، ولم يقتصر عندهما العلم على الاستعداد للمهنة وتحصيل المال.

إن الرغبة في السيطرة على الأولاد لا تنحصر في الأب والأم. هناك الأسرة أو القبيلة، التي يقتحم أعضاؤها حرم البيت ويلقون بثقلهم في الميدان. الجد

والجدة والأعمام والعمات والأخوال والخالات. يتدخلون عادة في شؤون الوالدين. يحاولون فرض رأيهم في موضوع الزواج والتعليم والسياسة. ينتظرون مساعدتهم في الحصول على شهادة أو وظيفة، في إنجاح مشروع قد يخدم مصلحة الأسرة وإن لم يخدم مصلحة الوطن. يوجهون سهام نقمتهم واضطهادهم الى العضو الذي يخالف رأيهم أو يمتنع عن تلبية مطالبهم.

بناء على الأوامر التي تشد أعضاء الأسرة القبلية بعضهم الى بعض، نرى في كثير من الأحوال جميع أعضائها يعتنقون مذهباً سياسياً واحداً، يمارسون عادات اجتماعية واحدة، ويؤثرون التزاوج فيما بينهم على التزاوج مع الغرباء.

في جلسة تداول فيها المجتمعون موضوعات سياسية مختلفة، سألني أحدهم: «من أي أسرة أنت؟»، ظنّاً بأنه يستطيع كشف ميولي السياسية أو انتمائي الحزبي من معرفة الاسرة التي اليها انتمي. لكني طمأنته بأني في تفكيري السياسي مستقلة، غير خاضعة لآراء الآخرين وان كانوا أهلي وأقاربي.

موضوع ذوبان الفرد في الأسرة يذكرني نكتة سمعتها عن رجل كان يملك قطعة ارض لا تزيد مساحتها على فدان واحد في حين كان ابن خالته يملك عشرين فداناً. لكن صاحب الفدان الواحد كان يتباهى أمام الناس بقوله: انا وابن خالتي نملك واحداً وعشرين فدان ارض. القرابة هنا مع اللقب (ابن الخالة) اعطياه ولو بشكل وهمي حق التعاظم وادعاء الثروة.

ستر المظاهر

من التقاليد المتعلقة بالأسرة عندنا التمسك بقاعدة ستر المظاهر. وذلك ان يحاول اعضاء الأسرة الظهور أمام الناس بمظهر الجماعة المتضامنة، المتحابة، وان كان ذلك مخالفاً للواقع.

يدّعي الرجل امام الناس حب زوجته، ويعاديها في الخفاء. وتجاريه الزوجة في الادعاء، وتزعم الأم أن ابنتها سعيدة بزواجها وتوافق البنت على زعم الأم لأن كلتيهما حريصة على ستر المظاهر.

يبالغ بعض الناس في إكرام ضيوفهم فيرهقونهم بأصناف الأطعمة

والحلويات ادعاءً للغنى والكرم، بينما هم لا أغنياء ولا كرماء.

هذه العادة تتخذ أحياناً أشكالاً مضحكة، منها أن يحاول الأهل كتمان عاهة جسمية أو نفسية عند الأولاد ظناً بأنهم يستعطيون إخفاءها الى الابد، اذا كانت البنت حولاء زعموا انه حَوَل الجمال. إذا كان الصبي ضعيف العقل حاولوا تغطية عيبه واصروا على إثبات ذكائه. يتبرأون من بعض الامراض التي يخافها الناس، كالسل مثلاً ـ وإن كانت فيهم ـ ويصبّون لعناتهم على من يتهمهم بها.

ان ستر المظاهر لون من ألوان الكذب وأضراره في التربية مماثلة لأضرار الكذب. صحيح اننا غير ملزمين باعلان عيوبنا وعرض مشاكلنا الذاتية، لكن لا يجوز لنا أن ندّعي عكس الواقع أو أن نشوّه الحقائق بدافع الكبرياء والغرور. لأننا إذا خدعنا الناس حيناً لا نستطيع أن نخدعهم على طول.

اتجاهان متغايران والنتيجة واحدة

التربية التقليدية عندنا تسير في اتجاهين متغايرين، كلاهما مُفسِد للشخصية. الأول يلتزم أصحابه الإسراف في الحنوّ على الولد وإحاطته بعناية مرهقة تجعله اتكالياً ضعيفا، عاجزاً عن الانضباط والاستقلال الذاتي. أو تجعله أنانياً مستبداً ينتظر من سائر الناس ان يسجدوا له ويدلّلوه نظير أهله.

اما الاتجاه الثاني فهو الأسلوب الاستبدادي الذي سبقت الإشارة اليه وهو اتجاه نفعي اناني، يقدم مصلحة الاهل على مصلحة الولد. فيضعف شخصيته او يدفعه الى التمرد.

تأليه الأولاد، لا سيما الذكور، ظاهرة تقليدية قديمة، كان لها ما يبررها في العصور القديمة التي عني أهلها بتكثير النسل لأن الامراض والأوبئة والكوارث والحروب والفتن كانت تحصد كل سنة ألوفاً من البشر من جميع الأعمار، فلا يسلم من الأولاد إلّا النصف أو الربع أو أقل من ذلك. لهذا كانوا يلجأون الى التعاويذ والنذور والأيقونات والحُجُب التي ظنوا انها تحفظ الولد وتقيه شر السحر والشياطين والحاسدين وسائر مسببات الموت في زعمهم.

ونلمح أثر هذه الظاهرة في وقتنا الحاضر حين نرى الاهل يعلقون الخرز

الأزرق على صدر الطفل لردّ العين الحاسدة. وحين يرى الزائرون والمتحدثون ان من واجبهم امتداح ذكاء الطفل والتغني بجماله أمام اهله، وأن يتلفظوا باسم الله أو يقولوا: «من غير شر»، حين يذكرون اسمه.

من عوامل التأليه والعناية المفرطة بالولد في عصرنا، أولاً: كون الولد وحيدا، لا أخ له ولا أخت، فينحصر فيه حب والديه واهتمامهما. ثانياً: الفراغ النفسي عند الوالدين، حين لا تكون لديهم مشاغل فكرية وهوايات تستأثر بنشاطهم في أوقات الفراغ، فيصبح تغنيج الولد وتدليله هوايتهم الكبرى. ثالثاً: العقدة النفسية التي تنشأ عند المرأة التي رزقت ولداً وحيداً في سن متأخرة، أو لقيت مشقة في الحصول على أولاد، أو عاشت تعيسة في طفولتها أو زواجها، فأصبح حبّها لأولادها وخوفها عليهم نوعاً من المرض والوسواس.

ومن عوامله العصبية العائلية الموروثة التي تجعل أبناء الأسرة الواحدة شديدي الحرص على حماية كل فرد من أفراد أسرتهم، والالتزام برعايته والحَدب عليه، والتصدي لكل من يناله بأذى.

النتيجة واحدة مهما اختلفت العوامل وهي تشجيع نشوء الشخصية الاتكالية الجامدة، العاجزة عن التطور والاستقلال.

روى لي شاب من أحد الأقطار العربية كان يدرس في احدى جامعات الغرب، أنه تعرّف هناك بزميل له غربي المنشأ كان يعمل في المطبخ أو يخدم في المطعم لتحصيل نفقات تعليمه الجامعي، مع أن له أخاً ثرياً يملك المتاجر ويدير الشركات، لكنه لا يمده بالمساعدة المالية التي تغنيه عن ممارسة تلك الأعمال الحقيرة. «أما أنا»، يقول الشاب المشار اليه، «فقد ارسلني اخي الأكبر الى الجامعة على نفقته، وأبى أن يصرّح لي بمقدار النفقة لأنه يأبى استردادها».

في رأيي أن الشاب الذي روى لي القصة كان في موقفه مخطئاً، منساقاً بصورة عمياء للتقاليد الموروثة. أولاً لأن عمل الطالب في المطبخ أو في المطعم لتحصيل نفقات تعليمه ليس من الحقارة في شيء. فكل عمل، عقلياً كان أم يدوياً، يعد شريفاً إذا مارسه صاحبه بصدق وإتقان. لكن العمل الذي يستحق

الاحتقار هو المبني على الغش والنفاق، سواء أكان ـ في زعمه ـ وضيعاً، نظير غسل الصحون أم رفيعاً نظير تسلّم وزارة أو رئاسة جمهورية.

ثانياً، ان الطالب الذي يفضل العمل المستقل على استجداء أخيه يستحق كل إعجاب وثناء، لأنه بالعمل يبني شخصيته ويدفعها في طريق المغامرة والثقة بالذات. أما الاستجداء فيضعفها ويمهّد لها سبيل الاسترسال في الجمود والاتكالية.

وفي ظني ان الطالب الذي فضّل العمل الذاتي على استجداء أخيه اصبح فيما بعد مثل أخيه، رجل أعمال وصاحب مشاريع ناجحة في حين ظل الشاب الشرقي قانعاً بوظيفة محدودة الدخل، لا تحتاج الى مغامرة ولا تحرّك فيه قوى الإبداع.

«أولادكم ليسوا ملكاً لكم» يقول جبران «إنهم ولدوا لجيل غير جيلكم. فلا تصبّوهم في قوالب الماضي. لأن الحضارة تنكر الجمود والحياة تنكر البقاء في منازل الأمس».

الوطن في عصرنا أسرة كبيرة يتآخى أعضاؤها على اختلافهم، يتقاربون ويتعاونون رغم تباعدهم لأن توحدهم على هذا الشكل يضمن بقاء الوطن وازدهاره وسعادة أبنائه وبناته في حين أن انقسامهم أسراً وعشائر وكتلاً متنافسة يؤدي بهم جميعاً إلى الاضمحلال.

الوطن في عصرنا يؤدي وظائف الأسرة والطائفة لأنه أثبت كياناً وأوسع مدى. قد يفقد المرء أسرته او لا يجد معيناً أو نصيراً بين أفراد عشيرته وطائفته، أما الوطن فهو المؤسسة الكبرى التي تضم جميع المؤسسات ومنها ينتظر كل فرد حمايته وهدايته وتدبير شؤونه وحاجاته العامة من تعليم وصحة وعمل، لأنها لهذا وجدت وبتضافر أبنائها وتآخيهم تحيا وتزدهر.

ان كبار المفكرين وأصحاب الرؤى الانسانية في العالم لا يقنعون بتحويل الوطن الى أسرة كبيرة موحّدة بل يتطلعون الى يوم يصبح فيه العالم كله أسرة كبرى يعيش أعضاؤها بالتفاهم والوفاق. اذا اصيبت احدى المناطق او البلدان

بضيق او بكارثة هبّ سكان البلدان الأخرىَ لنجدتها وإنقاذها وبفضل التعاون الشامل بين الشعوب تزول الحروب والمنازعات وينعم الناس بالاطمئنان، متفرّعين لشؤون الفكر والتقدم العلمي والفني.

بيروت ١٩٧٦

مشكلة الزواج

للزواج مشاكله عند الجنسين ، ولكن بما ان المرأة لا تزال الجنس الأضعف ، فالمشاكل الناشئة عن الزواج أشد تعقيدا عندها مما عند الرجل لا سيما في ظروف تطورها الحالي ، والتقاليد تجعل دورها فيه سلبيا لا إيجابيا اذ تمنعها من ان تطلب يد من تريد بينما تسمح له بذلك . والظروف تجعل رغبتها في الزواج اشد من رغبته وذلك لسرعة نضجها الفيزيولوجي او لحاجتها الى الحماية او الى من يعولها او الى زيادة التحرر الاجتماعي .

ونلاحظ ان الزواج في القرى الصغيرة والأوساط الفقيرة المتأخرة أمر هيّن لا يؤلف مشكلة وذلك لانخفاض مستوى العيش في هذه الاوساط ولحاجة الرجل الى الزواج الباكر للحصول على زوجة وأولاد يقاسمونه أعمال البيت والحقل، ولانعدام الملاهي والمشاغل العقلية وغيرها، التي تعطي شبان المدن منافذ مغرية لنشاطهم وتصرفهم عن الزواج ولو إلى حين. فالزواج أمر بسيط حيث الحياة بسيطة فطرية لكنه يتعقد ويؤلف مشكلة حيث الحياة معقدة لاسيما في أوساط المدن وفي الطبقات الوسطى والارستوقراطية، وذلك:

١ ـ لارتفاع مستوى المعيشة . ففتاة هذه الطبقة غالبا ما تكون مترفة تحتاج الى الخدم ولا تستطيع القيام بعمل خارج المنزل الا اذا كانت ذات مهنة . ولهذا يضع الشاب نصب عينيه صعوبة القيام بنفقات الزواج والأسرة ويرى في ذلك مغامرة خطرة .

٢ ـ وهذا يخلق مشكلة الدوطة او البائنة . فالشاب الذي يأخذ على عاتقه القيام بجميع نفقات البيت يرفض الزواج بغير دوطة الا اذا كان ذا ثروة واسعة . وقد يجر الطمع الغني الى السعي وراء صاحبة الدوطة عملا بالمثل القائل : زيادة الخير خير .

٣ ـ ضآلة فرص الاختلاط بين الجنسين . ونلاحظ ان الضغط على المرأة في الاوساط الفطرية اقل مما في الاوساط المثقفة وذات التقاليد العريقة، حيث يتراوح الموقف منها بين إسراف في الضغط وإسراف في الحرية .

٤ ـ سيطرة الخوف الاقتصادي على نفس المستخدم حيث لا ضمانات اجتماعية تؤمن مستقبله . فهو في خوف من العزل او البطالة او العجز والمرض . وهو دائم الخشية على مستقبله الخاص فكيف اذا اصبح ذا اسرة ؟ انه يخاف تراكم المسؤوليات ويؤخر زواجه حتى يصبح ذا ثروة وحينئذ يتزوج بمن تصغره بعشر او عشرين سنة ويترك أترابه وشأنهن .

٥ ـ سيطرة تقاليد الاسرة على الشاب . لان فقدان الضمانات الاجتماعية يجعل الأهل العاجزين عالة على ابنائهم فهؤلاء مضطرون الى تأخير زواجهم ريثما تتزوج الأخوات او لاضطرارهم الى إعاشة الوالدين .

٦ ـ تدخل الأهل في شؤون الزواج وهذا قد يكون عاملا في ترويجه اذ يأخذون على عواتقهم مسألة «تدبير مستقبل الأولاد» حين تمنع التقاليد الأولاد من تدبير أمورهم . ولكن كثيراً ما يقفون حائلاً دون الزواج حين يريدون فرض آرائهم على الشاب أو الفتاة ويمانعون في زواجه أو زواجها لأن الفريق الآخر ليس من طبقتهم أو من مذهبهم أو لأن أهله من أخصامهم أو لأنه فقير أو لأن هذا الزواج ليس في مصلحتهم .

٧ ـ سخافة تقاليد الأعراس التي تفرض على العروسين والأهل النفقات الباهظة من شراء مجوهرات وأجهزة وملابس وأثاث فاخر وإقامة الولائم والحفلات . والمؤسف ان الاكثرية بيننا لا تزال مستعبدة لهذه التقاليد حتى ان البعض لا يتورعون من استدانة المال لمشترى الجواهر واقامة الحفلات كي يظهروا للناس بغير مظهرهم الحقيقي .

٨ ـ حواجز الطبقات الاجتماعية التي تمنع اهل الطبقة العاملة من التزاوج مع اهل الطبقة العريقة الأصل والوسطى مع احدى الطبقتين المشار اليهما .

٩ ـ غطرسة الشاب وانانيته كنتيجة لما يلاقيه من تفضيل ووجوه سيطرة في الاسرة والمجتمع . فيصبح معتدا بنفسه مترفعا على من حوله من فتيات .

١٠ ـ تعّنت الفتاة التي نالت جانباً من الثقافة او نصيبا من الاستقلال الاقتصادي أو المركز الاجتماعي . فكل فتاة تنتمي إلى أحد هذه الأنواع الثلاثة تجد صعوبة في ايجاد الزوج الموافق . لأن الأنفة الشخصية ـ فضلا عن التقاليد الاجتماعية ـ لا تسمح لها بأن تقترن بمن هو دونها ثقافة او مركزا اجتماعيا . واذا كان لها عمل او مهنة تسمح لها بالاستقلال الاقتصادي فضلت الحياة المنفردة على الهبوط من مستواها الاجتماعي او الثقافي بمعايشة رجل لا تحترمه او تقدره. والشيء الذي يسترعي الانتباه هنا ان الفتاة من هذا النوع أشد إحجاما وتعنتا من الفتى المثقف . اي انه لا يتردد في الزواج ممن تنحط عنه ثقافة بل قد يفضلها على غيرها . ولا أدري أيكون هذا الفرق لأن التقاليد الاجتماعية تقيّد الفتاة اكثر مما تقيد الفتى أم لأن الفتاة اكثر مثالية وأقل تمسكا بالطرق العملية في الحياة . لقد أتينا فيما سبق على تفصيل العقبات التي تقف في سبيل الزواج وتجعله مشكلة في الاوساط التي ارتقى فيها مستوى العيش الى حد ما وطغت فيها التقاليد . ويتضح لنا من هذه القائمة ان العقبات على نوعين :

اولا اقتصادية ، ثانيا اجتماعية تقليدية . ومكافحتها تقتضي معالجة الأسباب بوسائل بعضها اقتصادية وبعضها تربوية كما يلي :

١ ـ ايجاد الضمانات الاجتماعية بصورة تزيل الخوف الاقتصادي من نفس الشاب وتمنع أباه العامل من أن يصبح عيّلاً عليه في حالة العجز أو الهرم .

٢ ـ تحسين احوال العمال والمستخدمين من اهل الطبقة الوسطى والمثقفين ذوي الاجور الضئيلة والمستوى العالي في المعيشة وذلك بزيادة أجورهم وفتح ابواب التقدم والترقية أمامهم .

٣ ـ زيادة أبواب العمل والإنتاج لمكافحة الفقر واتّقاء البطالة .

٤ ـ تعليم الفتاة الاقتصاد المنزلي الذي يريها كيفية تخفيف نفقات المنزل والاقتصاد في الوقت والطاقة والمال من غير خفض لمستوى العيش .

٥ ـ تثقيف الفتاة والفتى كليهما في شؤون الحياة الزوجية وهذا مهم جدا في برنامج الاصلاح التربوي ويدخل في هذا التثقيف درس مشاكل اختيار الزوج

والعلاقات العائلية وادارة المنزل والاولاد . ويكون من اهدافه مكافحة العادات المضرة كالبذخ في الاعراس وأساليب المساومة في الزواج والسعي وراء الدوطة والاتكال على الوالدين في اختيار العروس او العريس وهلم جرا .

٦ ـ مكافحة الحواجز الاجتماعية بين الطبقات وذلك بتعميم الثقافة ووسائل الاحتكاك ويلاحظ أن هذه الحواجز آخذة في الزوال تدريجياً بانتشار الثقافة وتراجع التقاليد . لأن العامل المثقف لا يقل في مستواه عن الموظف . كذلك الثقافة من شأنها ان تزيل الحواجز الطائفية .

٧ ـ تقويم العلاقات بين اعضاء الاسرة بحيث تكون استقلالية لا استغلالية . فلا تسود بينهم هذه الروح الاتكالية التي تقيّد الاولاد بوالديهم او تجعل الأب متكلا على أولاده أو مسيطرا عليهم ولا تقوم بينهم روابط استثمارية تفيد الواحد على حساب الآخر . والواقع ان تطورنا الاجتماعي متأخر جدا عن تطورنا الثقافي، وليس غريبا ان نجد شابات وشبانا مثقفين يرضخون لارادة اهلهم في مسائل الزواج كأن المسألة تعني الأسرة كلها لا الشاب والفتاة وحدهما ، كما اننا نجد والدين رجعيين يتصرفون بشؤون اولادهم الذين يفوقونهم ثقافة كأنما الثقافة أمر منفصل عن الحياة .

كل هذا يرينا اهمية الثقافة الاجتماعية في المدارس والنوادي وغيرها وضرورة تمهيد وسائل النمو العقلي للجيل الاسبق ونشر الفكرة القائلة إن الحياة نمو مستمر لكي نحث الكهول والمتقدمين في السن على متابعة المطالعة والتثقف لعلهم يفهمون ان اولادهم ولدوا لجيل غير جيلهم ويحاولون التفاهم مع الجيل الطالع فلا يتعرضون لتصادم الأفكار وتناقض الميول على الصورة التي نراها .

صوت المرأة. العدد ٣٥، السنة ٢،
عدد كانون الأول (ديسمبر)، ١٩٤٦ مع
عدد كانون الثاني (يناير)، ١٩٤٧، ص ٢٢ و٢٣

إذا مضى عهد الخدم

في الأقطار المتطورة التي حلّت فيها الآلة محل الانسان ، والثقافة محل الجهل ، أصبح عهد الخدم في البيوت على وشك الزوال، وهي ظاهرة يستقبلها الأحرار بكثير من اغتباط لأنها تعني زوال لون من ألوان عبودية الإنسان للإنسان.

في الأماكن العامة ، في المقاهي والفنادق ونحوها ، تجد الخادم المثقف الذي يعمل بشروط يحددها قانون العمل ، ويرى نفسه مساوياً للزبائن الذين يخدمهم ، فليس عليه ان يظهر امامهم بمظهر الخنوع والتذلل ، لأن الثقافة قد ساوت بين البشر ، ولا تعثر هناك على الحمّال الذي ينوء بحمله . فأكثر المسافرين يحملون حقائبهم بأيديهم . وفي المحطة يسلمونها الى صاحب عجلة يجرها الى التكسي الذي يريدون ركوبه ، او يستغنون عنه وينقلونها بأنفسهم .

أما في المنازل وفي الأُسر ، فالمرأة تتعاون مع الزوج والأولاد ، ومع الآلات الحديثة المختلفة ، للقيام بجميع أعمال البيت ، مستغنية بذلك عن الخدم النادري الوجود ، الباهظي الأجور. وبفضل التعاون بين اعضاء الأسرة ، وبواسطة الآلات والمخترعات التي تخفف العمل المنزلي إلى أقصى حد، تستطيع المرأة الغربية أن تعمل خارج البيت، كل الوقت أو بعضه، وبذلك تشارك زوجها في الإنفاق على الأسرة، وتؤمن لنفسها تنويعاً في العمل واحتكاكاً بالمجتمع.

قد تجد الخادمة في بعض البيوت لكنها من نوع جديد . لا تُدعى كما في السابق « صالحة » اي صالحة لكل الأعمال وعاملة في كل الأوقات ، بل هي الخادمة

المتخصصة التي تخرجت من بعض المدارس المهنية . هي تحمل شهادة في تربية الاولاد وتسمى مربية . او شهادة في التمريض وتسمى ممرضة . او في الطهي وتسمى طاهية . أو في التنظيف والكي والترتيب وتسمى مدبّرة منزل .

مثل هذه الخادمة تعد نفسها مساوية لصاحبة المنزل. يخاطبونها بقولهم الآنسة أو السيدة فلانة . تعمل ساعات محدودة من النهار ، بأجور معادلة لاجور امثالها من العمال . تعود الى بيتها في المساء او تنام في غرفة خاصة بها من غرف المنزل .

حدثتني سيدة لبنانية مقيمة في انكلترا قالت : « اني مضطرة كغيري الى القيام بجميع اعمال المنزل ، يعاونني فيها زوجي عند رجوعه من عمله . وقد الجأتني الظروف في بعض الأيام الى استئجار خادمة تعمل بضع ساعات من النهار ، فدهشت ببراعتها وسرعتها في الشغل . انها تعمل في الساعة الواحدة ما تعمله الخادمة اللبنانية في خمس ساعات وذلك لأنها مثقفة متمرنة . لكني ما لبثت حتى صرفتها لأني لم احتمل اجورها » .

في بيروت حيث مستوى الثقافة العامة أعلى منه في سائر المدن والقرى اللبنانية ، أخذت تلوح لنا تباشير نهضة في الطبقة العاملة ، وحركة تشبه السعي الى التحرر في طبقة الخدم . لكننا بصورة عامة نستطيع القول إن أهل هذه الطبقة لا يزالون يرسفون عندنا في قيود القرون الوسطى .

لا قوانين حكومية تحميهم اذ يستثنونهم من قانون العمل . يجهدون ليل نهار من غير انقطاع ، لا سيما في بيوت الترف والنعيم التي تدوم فيها السهرات حتى بعد منتصف الليل . يأكلون في ساعات متأخرة او غير منتظمة . يخاطبونهم باحتقار ، يرهقونهم بالأوامر ويضطرونهم الى التذلل والخنوع فتسوء اخلاقهم لسوء المعاملة ، وتسوء أخلاق الأولاد الذين يعاشرونهم .

رأيت مرة طالبة في الخامسة عشرة ، معروفة بوداعتها ولطفها في المدرسة ، تخاطب خادمتها بخشونة غريبة فقلت لها : « لماذا لا تخاطبينها بلطف ؟ أليست مخلوقا مساوياً لك ؟ » فنظرت إليّ متعجبة كأنها تقول : « هكذا جرت العادة » .

ان انحطاط طبقة الخدم عندنا يعود الى سببين : اولا ، جهل اصحاب هذه الطبقة وانحطاط مستواهم الثقافي والمهني . فلو كانت الخادمة أفضل استعدادا للقيام بأعمال المنزل لكانت أفضل حالاً وأرفع قيمة . والأمر نفسه يصدق على مربيات

الاولاد ، فهؤلاء يجهلن عادة كل شيء عن أصول التربية ويتبعن فيها طريقة المحاولة والخطأ . ولو كن ذوات اختصاص في الموضوع لكان شأنهن في البيوت شأناً آخر ولكانت لهن الكلمة العليا والأمر المطاع .

ثانياً ، قلة المهن النسائية في بلادنا وندرتها . وذلك ما يضطر بنات القرى والجبال ، الراغبات في العمل ، الى تحمل مشاق الخدمة في البيوت بأجور ضئيلة ، خصوصاً خارج بيروت . فاذا ازداد عمل النساء في المصانع والمستشفيات والمتاجر قلّ عددهن في المنازل وارتفعت هناك أجورهنّ وتحسنت أحوالهنّ .

قد يحدث هذا الامر فعلاً في المستقبل ، اذ يرتقي مستوى الخدم عندنا ويقل عددهم كما في الغرب . ويكون هذا التطور لا في مصلحة الخدم فقط بل أيضاً في مصلحة المرأة . لأن ربة البيت الجديرة باقتناء الخدم هي إما ضعيفة عاجزة عن الشغل ، او مرهقة بأشغال البيت وكثرة الاولاد ، او عاملة تقوم خارج بيتها او داخله بمهمة تفوق اعمال البيت فائدة مادية ومعنوية .

اما التي ترسل اولادها الى الروضة ، او الى المدارس ، وتسلم بيتها للخدم ، وتتفرغ للزينة ولعب الورق ، أتراها جديرة بالخدمة ؟ الجواب طبعاً لا .

ان كثيرات من نسائنا هنّ من هذا الصنف ، اي من اللواتي يقتلن اوقاتهن على المنوال الذي أشرت اليه . وانه لجدير بهؤلاء ان ينتقين احد امرين : إما العمل خارج البيت ، او القيام بأعمال البيت والاستغناء عن الخدم .

هذا اقتراح قد لا يوافق اللواتي تعودن الحياة السهلة الناعمة . ولكن ما رأي هؤلاء السيدات بالمرأة التي تعمل في بيتها وخارج بيتها في آن واحد ، وفوق هذا تجد وقتاً لممارسة الحقوق السياسية والاهتمام بالشؤون الاجتماعية ؟

صوت المرأة. العدد ١١، السنة ٦،
تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٥٠، ص ٤ و٥.

المخـــدّر الجـــديد

الدعوة إلى تحرير الجنس لون من ألوان التجارة والاستغلال يمهد لنشوء جيل يتميز بالخمول وبلادة الذهن والعجز عن الانضباط. يجعل من الحرية الجنسية مخدراً جديداً، أخطر من سائر المخدرات.

منذ ان ظهرت بوادر التحضّر عند الانسان القديم ، رأى ضرورة اللجوء الى تنظيم العلاقات الجنسية تنظيماً يحول دون الفوضى والاقتتال بين أفـراد القبيلة الواحـدة او بين القبائل المتجاورة . وليس بين الشعوب الفطرية في الوقت الحاضر شعب يطلق لأفراده حرية الجنس ، بل إن لكل منها في هذا الصدد عادات وتقاليد وقوانين تتراوح بين الشدة والاعتدال .

في الآونة الحاضرة، نشهد في الأقطار المتحضرة أو المتطورة انقلابات فكريـة اجتماعية تتيح للناس عامة التمرد على كل قديم والتحرر الكامل من قيود الماضي. ترتكز هذه الانقلابات على مذاهب اباحية فوضوية او على نظريات سيكوبيولوجية تؤلف قسماً من علم التحليل النفساني المتفرع من علم النفس .

هنا نود تذكير القارىء بأن علم النفس ليس علما بالمعنى الصحيح اذ لا يزال في طور النشوء وليس له دقة العلوم الوضعية كالرياضيات والطبيعيات . انه مجموعة نظريات وفرضيات هي قيد الدرس والتجربة وليس لها صفة الحقائق الثابتة .

ان علماء النفس انفسهم يعترفون بأن الناس يختلفون طباعا وأمزجـة وان ما

يصدق على الفرد لا يصدق على المجموع ، من هنا صعوبة اطلاق الأحكام وإثبات النظريات ومن هنا القول المأثور الشائع عند الاطباء « سواء عالجوا العلل الجسمية ام النفسية : نحن لا نعالج أمراضا بل مرضى .

عندما اطلق فرويد نظريته التي زعم بها ان الجنس يسيطر على حياة الانسان وتصرفاته منذ اول سنوات الطفولة حتى الشباب والكهولة » لقيت اقواله اهتماما كبيرا لما فيها من جدة وخطورة . وسرعان ما انتشرت بين المتعلمين وسواهم واذاعتها الصحف ومجالس الكلام ، وبنيت حولها القصص التي تبالغ في وصف أضرار الكبت الجنسي وتزعم ان الظواهر السادية والمازوشية ـ التلذذ بتعذيب الآخرين وبتعذيب الذات- إنما ترتكز على عوامل جنسية وكذلك كل تصرف يحمل مقدارا من الشذوذ ، ومع ان تلاميذ فرويد ردوا عليه وفنّدوا نظرياته واضطروه الى تعديلها ، ظلت تلك النظريات قوية التأثير في دوائر العلم كما في عامة الشعب.

ساهم البيولوجيون في تعزيز نظريات فرويد حول اهمية الجنس في حياة المرأة ، حين زعموا ان تكوينها البيولوجي يجعلها اشد خضوعا من الرجل لسيطرة الجنس .فأعضاؤها الجنسية كامنة في تجاويف جسمها ، وأعضاؤها التناسلية تحتل قسماً كبيراً من الحوض . والغدد الجنسية موزعة بين اعلى الجسم ـ الثديين ـ وأسفله ، في حين ان الاعضاء الجنسية في الرجل محصورة في قسم خارجي من جسمه . ومع ان هذه النظرية تعارضها نظرية اخرى تقول ان في تركيب المرأة مصارف للطاقة الجنسية لا يملكها الرجل ، لقيت النظرية الاولى دعاة يطلقون ألسنتهم في وصفها واختلاق البراهين على صحتها. وترد عليهم سلمى جيمس في مقابلة تناولت موضوع « الاسرة الاميركية ، انحطاطها وانبعاثها »[1] : « نحن ما زلنا نجهل طبيعة تكوين المرأة البيولوجي » .

كانت الفلسفة الرومنطيقية في القرن التاسع عشر قد مهدت لنظريات فرويد بالدعوة الى تقديس الحب وتقديس المرأة وتعزيز صفة الانوثة في الجنس الآخر . ولم يجد الرومنطيقيون حرجا في إباحة الحب الحر اذا ارتكز على العاطفةالخالصة الثابتة حتى الموت ولم يكن مجرد شهوة عابرة .

---

(١) يراجع حول هذا الموضوع كتاب:
Altbach, H. (Ed.) *From Feminism to Liberation*. Cambridge, Mass: Schenkman, 1971, pp. 119-124 and 168.

ثم ظهرت فيما بعد حبوب منع الحمل التي فتحت في تاريخ الحب والجنس فصلا جديدا . حررت المرأة ، الى حد ما ، من خوف الحمل في حال عدم ارتباطها بزواج . وبما انها في الوقت الحاضر قادرة على الاستقلال الاقتصادي ، ففي وسعها ممارسة الحب مع الرجل الذي تريده والاستغناء عن زوج يعولها مقابل خضوعها له جنسياً واجتماعياً. وإذا تاقت نفسها إلى الأمومة أمكنها أن تصبح أماً من غير زواج لأنها قادرة على إعالة الولد وتربيته ولأن الحكومات الغربية، على وجه الإجمال، تعترف بالأمومة الحرة.

قد يبدو لمن ينظر الى الامور نظرة سطحية ان الغربيين وجدوا لمشكلة الجنس حلا جذريا سهلا ، مهدت له حبوب منع الحمل وأجواء الحرية الاجتماعية والفكرية التي تهيمن على أقطار الغرب .

لكن التجربة برهنت على فساد النظرية . فتعميم الحرية الجنسية خلق من المشكلات ما لم تخلقه قوانين الانضباط الجنسي . من ذلك ان حبوب منع الحمل ليست دائما مضمونة الفعالية وليس مؤكدا انها غير مضرة بالصحة .

قبل اليوم ، كانت الحرية الجنسية محصورة في فريق ضئيل من الناس ، اكثرهم من طبقة المثقفين الذين اسعفتهم امتيازاتهم الثقافية وتطورهم الفكري على تنظيم علاقاتهم الشخصيةبطريقة معقولة او حللت لهم مقدارا من الفرادة والشذوذ ، الا ان إطلاق هذه الحرية للجميع وتساهل المجتمع بشأنها ، فتح لممارسيها ، ولا سيما لعامة الشعب ، مجال الاسراف وزيّن لهم الفحش والنهم ، اذ اصبح عندهم تحرير الجنس مصرفا ، لا للطاقة الجنسية فحسب ، بل لسائر الطاقات والانفعالات المحمومة ، اصبح مصرفا للنقمة والحقد والثورة المكبوتة ، فصاروا عاجزين عن ضبط غرائزهم ، مستسلمين للخمول وبلادة الذهن .

بيّنت التجارب في الغرب أن ممارسي الحرية الجنسية هم في الغالب جماعة من الأثرياء المتعطلين، أبطرتهم النعمة والثروات المفاجئة، فهم لا يحسنون عملاً ولا التركيز على هدف. أو أنهم ينتمون إلى الطبقات المرهقة بالأعمال الروتينية، تجد في الجنس لهواً رخيصاً يصرفها عن الملاهي الثقافية والهوايات المؤدية إلى تنمية الشخصية وتقويمها[1].

---

(١) راجع م. س. From Feminism to Liberation ص ١١٩ ـ ١٢٤

لذلك اصبح ادمان الجنس عندهم كإدمان الخمر ، عادة مسيطرة ، تكبّل صاحبها وتنحدر به الى طور البهيمية .

ولعبت الدوائر الصناعية والتجارية دورا كبيرا في الترويج لنظرية التحرر هذه . لانها بصرفها الرجل والمرأة عن شؤون الفكر الى شؤون الجسم وبتركيزها على اعتبار المرأة أداة إغراء ومتعة حسية ، نجحت في ترويج مستحضرات الزينة والتجميل التي تلفت النظر إلى جسم المرأة وتغري الرجل بملاحقتها وامتلاكها.

كذلك وسائل الاعلام ـ الصحف والمجلات والقصص والافلام ومراكز الاذاعة ـ سارعت الى استغلال الموجة التحريرية والمتاجرة بها . فتنافست في اصدار المنشورات والأفلام المخصصة لكشف أسرار العلاقة الجنسية وعرض الصور المثيرة للشهوة وتضخيم دور الجنس في حياة الانسان حتى زعمت أنه حيوان جنسي لا حيوان عاقل كما قال أرسطو. بهذا كانت الدعاية الجنسية، كالدعاية السياسية، تدرّ لأصحابها من الأرباح ما لا تدرّه الأبحاث العلمية والمنتجات الأدبية ذات الطابع الكلاسيكي.

إلى جانب الأضرارالنفسية والاجتماعية التي أحدثتها حرية الجنس، يجب أن نذكر الأضرار الصحية والأمراض التي يتعرّض لها مدمنوها، لأن الممارسة الحرة لا تخضع للرقابة الصحية ولأن الحكومات تتنصّل من مسؤوليتها.

اما في الاقطار المتخلفة فالمشكلة تزداد تعقدا وخطرا . لأن الرجل في هذه الاقطار ينشأ على اعتبار المرأة آلة متعة . فهو لا يتورع من إذلالها وامتهان كرامتها حين تصبح لديه فريسة هينة . واذ تقل او تنعدم عنده وسائل الترفيه واللهو الرفيع ، تصبح ممارسة الجنس لهواً سهلا . وبما ان السكان لم يمارسوا الانضباط الذاتي نظير الشعوب المتطورة ولم يتعودوا التركيز على العمل المنتج ، فهم يتعرضون للانغماس في هذه العادة حتى الإسراف ويغرقون في الكسل والخمول الفكري والجسمي(١) .

ان فريقا من المراهقين والمراهقات يحجمون عن الصلة الجنسية خوفاً من الضرر الاجتماعي الذي قد يلحق بالفتاة إذا خسرت بكارتها أو حملت من غير زواج وإذ

---

(١) راجع قصة « أرخص ليال » في مجموعة قصص ليوسف ادريس تحمل هذا العنوان .

ذاك تسعى إلى تحميل الشاب قسماً من المسؤولية. ولكي يستبعدوا المشاكل، يكتفون بالمعانقة والمداعبة ظناً بأن هذا يطفيء الشهوة أو يعدّلها. والواقع هو العكس لأن الملامسة الجسمية تحدث تهيّجاً وتوتراً لا يعقبهما انفراج وتصبح عادة مسيطرة مرهقة للأعصاب ومصدر عذاب لصاحبها في حالتي إهمالها وممارستها. والحل الوحيد لمشكلة هؤلاء الأشخاص هو ممارسة الانضباط إذا لم يتيسّر لهم الزواج.

جميع المساوىء التي حاولنا عرضها دليل على نقص كبير في التربية العصرية. فالمربون - أي الأهل والمعلمون والمعلمات وسائر المشرفين على التربية - يظنون أن مهمتهم تنحصر في إعداد الناشئة للشهادات والوظائف، غير عالمين أن العلم الذي لا يبني الشخصية القوية المتزنة يصبح مصدر ضرر لصاحبه وللمجتمع.

أما العلاج فنلخصه في المقترحات التالية:

١ - اظهرت الدراسات المتعلقة بموضوع الجنس ان الإكثار من عناق الطفل وتقبيله ومداعبة المناطق الحساسة من جسمه وهي اعالي الفخذ والابطان والخدان يؤدي الى ايقاظ الغريزة الجنسية فيه وتنمية رغبته في المداعبات الحسية وتهييج مشاعره الجنسية في سن المراهقة(١). لذلك ينصح المربون وكل ذي علاقة مع الطفل ان يخففوا من هذه المداعبات التي تضر بصحة الطفل نفسيا وجسميا لأنها قد تنقل اليه الجراثيم فضلا عن تأثيرها في توجيهه الجنسي.

٢ - من الضروري ان تتضمن مناهج التعليم برنامجاً خاصاً بالتربية الجنسية - يطلع الطلاب على حقيقة المشكلة وكيفية معالجتها. ويمنع تسرّب الأوهام والأضاليل الى نفوسهم من خلال الإعلام التجاري والعشرة الرديئة. ويبين لهم ان الغريزة او الميل الطبيعي ليس قدرا يستبدّ بصاحبه بل ان كل فرد قادر على إخضاع ميوله والسيطرة عليهاومنعهامن أن تسيطر عليه.

٣ - توجيه الشبان والشابات الى الهوايات الثقافية والرياضية التي تستوعب نشاطهم الجنسي وتحوله الى طاقات وأعمال مفيدة.

٤ - تشجيع النشاطات العلمية والرياضية المشتركة بين الجنسين بحيث يفهمون

---

(١) ظهر حول هذا الموضوع بحث في مجلة سايتز Signs وغيرها.

ان معاشرة بعضهم بعضا ممكنة على غير أساس جنسي . وانه من الممكن عقد صداقات عادية وعلاقات تفاهم واحترام متبادل بين الرجل والمرأة كما بين أفراد الجنس الواحد . بذلك يصار الى تغيير العقلية القديمة التي شوّهت العلاقة بين الجنسين ومنعت تفاهمهما .

أخيرا ، لعله يمكن الاستنتاج مما سبق ان المشاكل والأزمات الجنسية التي يواجهها الفتيان والفتيات هي في معظمها صنيعة البيئة . التي تسيء توجيه الأولاد والمراهقين وتلقي في روعهم الأوهام والوساوس والمعتقدات الخاطئة حول الجنس . وان البيئة الصالحة هي التي تضمن لهم نموا طبيعيا متزنا ، يعوّدهم تفهم مشاكلهم ومعالجتها بما يوافق أوضاعهم الخاصة ويؤمن صحتهم الجسمية والنفسية .

الرائدة. العدد ٦ ، تشرين الثاني (نوفمبر)، ١٩٨٧، ص ٢ .

الوحـــدة في حيـاة المـــرأة :

كيف تتقي المـرأة المنفردة شرّ الوحدة ووحشتها ؟

اذكر اني سمعت مرة احد المربين يتحدث في موضوع : «كيف أربي ابنتي » وقد جاء في معرض كلامه انه يريد لابنته ان تتقن احد الفنون الجميلة كـالموسيقى او التصوير او احدى الهوايات العلمية والأدبية . وذلك لأنه يرى حياة المرأة اكثر تعرضا للوحدة من حياة الرجل فهي تحتاج في اوقات وحدتها الى هـواية تقيهـا شر السأم وتمنعها من تبديد فراغها في لهو ضار .

قلت في نفسي معلقة على هذا الحديث : أيمكن ان تشعر المرأة بالوحدة في هذا العصر الذي تتاح لها فيه شتى الأعمال وتتعدد في وجههـا سبل النشـاط في البيت وخارج البيت، في الجمعية وفي النـادي ، وفي المعهد وفي المكتب ، في الأسفـار والسياحات ؟

لكني ما لبثت ان تذكرت قول سارتر: « الانسان وحيدٌ أبداً مهما كثر أعـوانه وأصحابه ، متروك لنفسه ، مستقـل في تسيير دفـة حياته، لا يستـطيع ان يتلبس شخصية غيره ولا ان يندمج بها مهما كان الاتصال بينهما وثيقاً » .

الوحدة في الاجتمـاع حالة يشارك فيها الرجل المرأة . فكل منا مستقل بأفكاره وحياته الداخلية وآلامه وأحلامه ، يعيشها لنفسه منفصلاً عن سائر الناس ، مهما بلغ اتصاله بهم من العمق والقوة . ونحن حين نقول « فلان وحيد » انمـا نحكم على الظواهر التي لا تتناول الشعور . فقد يشعر الانسان بالوحدة ولـو عاش في وسط

الجماعة وفي أسرة كثيرة العدد. بينما الإنسان الذي يتمتع بحياة داخلية غنية يجرد من نفسه نفوساً تؤنسه في وحدته فلا يشعر بأية وحشة أو سأم.

على ان الوحدة التي أعنيها في هذا المقال هي التي يُنسب اليها كل من لا يتمتع بحياة عائلية أو زوجية.

يؤخذ من الإحصاءات ان النساء عموماً أطول عمراً من الرجال. ففي الولايات المتحدة مثلا دل الاحصاء على ان عمر المرأة يزيد على عمر الرجل بمعدل ست سنوات. وقد يعود هذا الفرق الى اسباب فيزيولوجية، إذ يثبت الاطباء ان جسم المرأة اشد مناعة ازاء الأمراض من جسم الرجل. او يعود الى اسباب بيئية منها ان المرأة اقل تعرضاً للأخطار من الرجل وأبعد منه عن العمل المرهق والمهام الجسيمة. ومهما تكن الأسباب فزيادة عمر المرأة على عمر الرجل أمر يُثبته العلم والتجربة.

يضاف الى هذا ان الزوجة غالباً ما تكون أصغر سناً من الزوج، لا سيما في الأقطار الشرقية حيث يلاحظ أن فرق السن بين الزوجين يتراوح بين خمس سنوات وعشرين سنة.

لهذه الاسباب جميعاً يصح القول ان المرأة معرضة لان تقضي قسما من حياتها وحيدة منفردة.

في إحصاء جرى منذ بضع سنوات في الولايات المتحدة وجد ان هناك اكثر من سبعة ملايين أرملة، متوسط أعمارهن إحدى وخمسون سنة أكثرهن غير مثريات، أي لا تزيد ثروة الواحدة على خمسة آلاف دولار. ثلاثة أرباعهن بدون أولاد وثلثهن فقط يعملن في المصانع والمؤسسات.

ان وجود هذا العدد الكبير من النساء المنفردات يؤلف مشكلة في نظر الباحثين والعاملين في الشؤون الاجتماعية. لا سيما وان عدد النساء الوحيدات لا يقتصر على الأرامل، بل يضاف اليهن مليونان ونصف من العازبات اللواتي جاوزن الخامسة والثلاثين، ونحو مليون ونصف من المطلقات في السن نفسها.

لذلك هبَّ أرباب الرعاية الاجتماعية الى درس أحوال هذه الفئة، وقادهم البحث الى الجزم بأن أفضل مساعدة يمكن تقديمها للنساء المنفردات هي ان تتاح لهن

فرص العمل المنتج الذي يؤهلهن لكسب معاشهن حين الحاجة ويمنحهن سلوى ونشاطاً في حال السأم والهبوط النفسي .

واتُّخِذَت لهذا الغرض تدابير واسعة النطاق فأُنشئت لهن مكاتب الاستخدام والمدارس النهارية والليلية لتدريبهن على بعض الأعمال ، لتعليمهن بعض الحِرَف او لإعادة تدريبهن على أشغال سبق لهن مزاولتها في مطلع حياتهن .

وقد نجحت التجربة . وفي ظرف وجيز ارتفع عدد العاملات اللواتي جاوزن الخامسة والثلاثين حتى زاد مليونا ونصفا عن عددهن قبل ذلك بعشر سنوات . وفي الوقت نفسه تضاعف عدد العاملات اللواتي جاوزن الخامسة والأربعين حتى ازداد أكثر من ثلاثة ملايين في خلال أربع سنوات.

مثل هذه الحقائق جديرة بأن تستوقفنا وتثير تفكيرنا . فكل ما يحدث في الغرب او في اي مكان آخر لا بد ان يكون له صدى في بلادنا ، في هذا العصر الذي يشهد زيادة التقارب بين البشر وتماثل مشاكلهم وتراجُع سياسة الانعزال .

ان المرأة اشد تعرضاً للوحدة من الرجل ، ليس فقط في سني ترمُّلها أو إذا طُلقت أو فاتها قطار الزواج . بل انها في منتصف العمر ، حين يكبر أولادها ويستغنون عن رعايتها ، حين يكون زوجها في أوج نشاطه العملي ، ترى نفسها وحيدة بلا عمل . فتشعر بحيرة وفراغ وتتساءل عن معنى وجودها .

في هذا الدور تمرُّ المرأة بإحدى الأزمات الكبرى في حياتها. لا أعني أن الأزمات النفسية تقتصر على هذا الدور. لكن حوالى منتصف العمر، تكثر الهموم عند الرجال والنساء، إذ تراودهم أشباح الأماني الضائعة ويساورهم القلق على مصيرهم ويعتريهم الخوف من أمراض السن.

وفيما يكون الزوج ملتهياً بعمله والأولاد بدروسهم وأحلامهم ، تصبح المرأة فريسة الهم واليأس ، إلاّ التي احتاطت لنفسها واتخذت مهنة أو هواية تمنحها بهجة ولهواً وفرصة لاثبات وجودها .

لهذا السبب عينه يزداد عدد الأزواج رجالاً ونساء ، الذين يتابعون دراستهم في الجامعة وغيرها ، ليؤمنوا لنفوسهم العمل الذي فاتهم الاستعداد له فيما مضى

وليحوزوا على الكفاءة التي تضمن لهم الاستمرار في الوظيفة وإن تقدمت بهم السن .

في جامعات باريس يزداد عدد المتزوجين والمتزوجات من فتيان وكهول . حتى في أقطارنا الشرقية أخذنا نشاهد بوادر هذه العودة الى الدرس والى المهنة عند عدد من المتزوجات اللواتي سلمن أولادهن إلى المدارس ووجدن في حياتهن فراغاً، فعدن إلى مقاعد الدراسة ووجدن في العمل وسيلة لمضاعفة الدخل وباباً للترويح عن النفس.

لقد دلت التجارب على ان المرأة تستطيع إجادة العمل مهما كانت سنها . والذين اختبروا عملها أظهروا لها كل تقدير وتشجيع ـ وتنادى العمال الاجتماعيون لمناصرة عمل النساء المتقدمات في السن ، مؤكدين لأرباب العمل أن في تشغيل هذه الفئة من النساء فائدة لأعمالهم لان هؤلاء النساء أشد انصرافاً الى عملهن وتمسكا بواجباتهن من الفتيات. وبعد أن كان رجال الأعمال يترددون أو يحجمون عن تشغيل النساء المتقدمات في السن، علّمهم الاختبار أن يبدلوا موقفهم وأن يرحبوا بهن في مختلف المهن والأشغال.

لقد تبين لنا مما سبق ان المرأة اشد حاجة من الرجل الى التسلح بمهنة او عمل او هواية . ومن الخير للوالدين ان يدركوا هذه الحقيقة ، فيعرفوا ان العهد الرومنطيقي قد انقضى وان المرأة أصبحت في جميع أدوار حياتها محتاجة إلى الاعتماد على نفسها والانصراف الى عمل ما ، ليس فقط لدفع الملل ، كما قال المربي الذي أشرت اليه في مطلع هذا المقال، بل لأن رجل اليوم أقل تشبثاً بالتقليد من اسلافه . ومهما كانت علاقته بالمرأة ـ أباً ام زوجاً ام أخاً ـ فهو يأنف من ان يراها عيّلا عليه ويدعوها الى ان تشاطره بعملها اعباء العيش ونفقات الاسرة .

والتي ما زالت حتى اليوم تجهل هذه الحقيقة ما تزال متخلفة عن الركب ، عائشة في غير عصرها .

صوت المرأة. العدد ٣، السنة ١٤،
آذار (مارس)، ١٩٥٨ ، ص ٦ و٧.

المـــرأة والســـنّ

الزمن عدو المرأة تجنّد لمقاومته مختلف وسائل التجميل التي منها المساحيق وانواع الرياضة البدنية ، الى جانب صبغ الشعر ولبس الألوان الزاهية التي توهم الناس انها لا تزال صبية . وهي محقة في موقفها هذا لأن حسن المظهر دليل الصحة والاتزان الخلقي ـ الا اذا شوّهه الاسراف في التصنّع والتبرّج ـ في حين ان قبح المنظر كثيراً ما يكون نتيجة المرض والارهاق وشقاء العيش . يقولون ان عمر المرأة هو ما يدل عليه وجهها وهيئتها الخارجية، فقد تكون في الاربعين او الخمسين لكنها تبدو للناس في الثلاثين او دونها ، وهذا ما يشجّعها على الكذب في عمرها ، اذا نجحت في المحافظة على مظهر الصبا رغم تقدمها في السن ، لكن الكذب مستقبح وان برره المظهر ، لا سيما اذا كان الغرض منه خداع الرجل واغراءه بتزوجها رغم مجاوزتها سن الشباب ووقوفها على عتبة الكهولة .

كان القدماء يعتقدون ان المرأة اذا تخطت الثلاثين صارت عجوزا . ففي حكاية عمر بن الخطاب والعجوز نسمع أنه كان لبطلة الحكاية ثمانية اطفال جياع وأم الأطفال لا تكون عجوزاً الا في نظر الذين أطلقوا عليها هذا الوصف وهي بعد في سن الشباب . اما اليوم فقد تبدل موقف الناس من الموضوع واخذوا يبدلون الاسماء والاوصاف التي عبّرت عن مواقف تقليدية خاطئة .

من الأمثال الدارجة قولهم على لسان المرأة : « حبّوني أهلي وانا قوية ، حبّني زوجي وانا صبية » . هذا المثل يرينا قلق المرأة على ضياع شبابها وقدوم الكبر الذي

ينذرها بتراجع منزلتها في الأسرة، اذ تصبح عاجزة عن العمل والنسل وكلاهما مصدر معاشها . وتدل الاحصاءات التي قام بها علماء الاقتصاد على ان النساء يؤلفن افقر فئة في العالم. إذا استثنينا النساء الوارثات، وهن فئة قليلة جداً، نرى أن معظم ثروات الأرض يملكها الرجال . ذلك لأن المرأة المتزوجة لا تتقاضى اجرا على عملها المنزلي وكثيرا ما يبتدعون الوسائل لحرمانها من الإرث كليا او جزئيا . من هنا ، تبدو قلقة على مصيرها ، خائفة من المرض والعجز تتمنى ان يدهمها الموت فجأة من غير ان يضطرها الى معاناة مرض طويل لا تجد فيه من يعتني بها .

إلى عوامل القلق المار ذكرها نضيف تطور العصر الذي يدفع أعضاء الأسرة إلى التشتت لأن الأولاد يهجرون منازل والديهم طلباً للعلم أو العمل، وإذا تزوجوا آثروا الانفصال عن والديهم وتركوهم يتدبرون أمرهم بأنفسهم.

في القديم ساد النظام القبلي او نظام الاسرة الممتدة التي ضمّت الاولاد وازواجهم واولاد الاولاد او الاحفاد . صغار السن منهم يعتنون بالكبار وهذه العناية تقع خصوصا على المرأة لأنها المسؤولة عن شؤون الصحة والمرض والموت . هذا لا يعني أنها كانت تجد دائماً من يهتم بأمرها، فإذا لم يكن في الأسرة بنات لم تجد بين الرجال من يعتني بها واذ ذاك تحاول الحصول على نجدة من بعض قريباتها . واذا كانت أحوال الأسرة تستدعي التقشف والتضحية فالمرأة هي اول من يطالب بهما . من واجبها ان تجوع لتطعم الاطفال . ان تحتمل البرد لتؤمن لهم الدفء والكسوة . وكثيراً ما تفعل ذلك مختارة.

تضحية المرأة لذويها امر معروف ، لا سيما في اقطار الشرق الاقصى حيث يسود نظام التكتل العائلي حتى اليوم . وتعتبر الاسرة كتلة واحدة متماسكة ، لكن حقوق الافراد فيها متفاوتة ، ومع ان الانظمة الدستورية الحديثة في الصين واليابان تعلن المساواة بين الجنسين، لا يزال تطبيق هذا القانون خاضعاً لمزاجية القضاة وغيرهم من المسؤولين وهذا الوضع يصدق إجمالاً على الأقطار العربية.

قرأت منذ مدة حكاية يابانية الاصل تلقي ضوءاً على الفلسفة الرواقية الصوفية التي تؤلف جزءاً أساسيا من تراث الشرق الاقصى . الموت عندهم مرادف للحياة . كلاهما توأمان لا ينفصلان . الانسان ينتقل من الحياة الى الموت كما ينتقل من مقعد الى آخر . في اسرة كثيرة العدد ، حين ولد للأسرة طفل ثامن ، تبرّعت

الجدة باخلاء مكانها له . كيف ؟ بالموت . حملها ابنها على ظهره الى جبل الموت حيث اضجعها على ارض مفروشة بالثلج ، فأغمضت عينيها منتظرة ، وأخذت رقع الثلج تتساقط فوقها وتؤلف غطاءً ناعماً يسهم في خلق جو الخدر والاضمحلال والعدم الذي أحاط بالجدة.

هذه النظرة البطولية إلى الموت تستحق الإعجاب لكن لماذا تتبناها الجدة دون غيرها؟ لأن المسنّين للموت، لاسيما إذا كانوا نساء، على كل منهن أن تقبل التضحية بسرور، كما كانت الأرامل في الهند يحرقن ذواتهن على أثر وفاة أزواجهن.

أما في الأقطار الاكثر تطورا فان سيادة الفلسفة المادية النفعية يقابلها انبعاث فلسفات روحية تدعو الى التزام الجانب الانساني من الدين وهو معاملة البشر على اختلافهم معاملة واحدة ، ذكورا كانوا أم أناثا ، كبارا في السن أم صغارا ، لأنهم متساوون في القيمة امام الله وجميعهم مخلوقاته التي ينعكس فيها وجهه .

هناك سبب آخر لتراجع فكرة التمييز المشار اليها . هو ان الوعي المنتشر بين الناس أظهر لهم ان المسنّين قادرون على اعالة نفوسهم عن طريق اعمال تناسب قدراتهم العقلية والجسمية، شأنهم في ذلك كشأن المعاقين الذين كانوا قبلاً يعزلونهم عن المجتمع او يتخذونهم أداة سخرية وتهريج ، اما اليوم فتُبذل الوسائل لتأهيلهم للعمل وإعدادهم للعيش المستقل . كذلك المرأة المسنّة اذا لم تبلغ طور العجز يمكنها المثابرة على خدمة الأسرة او القيام بأعمال اخرى منتجة الى ان يقعدها المرض .

الاستعداد لمرحلة الكبر

هذا يعني تأمين المال اللازم لتلك المرحلة ، وهو أمر ضروري للمرأة كما للرجل . فاذا كانت المرأة من أسرة غنية يجب أن يكون حقها من الميراث مساويا لحق الرجل، عملاً بمبدأ المساواة الذي أقرته منظمة الأمم المتحدة في مؤتمر مكسيكو سنة ١٩٧٩ ، كذلك إذا كانت وارثة زوج غني. أما التي لا تعتمد على مال موروث فإما أن تكون ذات وظيفة أو مهنة تضمن لها المعاش في سن التقاعد أو أن تعتمد على ضمان الشيخوخة الذي يؤلف قسماً من الضمان الاجتماعي الشامل لجميع السكان في الدول المتطورة.

موضوع الاستعداد للسن يحظى باهتمام كبير من قبل العاملين والعاملات في حقل الرعاية الاجتماعية ، الذين يطالبون للمسنين والمسنّات بمعاش يكفي حاجاتهم

فلا يكون من الضآلة بحيث يجعلهم يفضلون الموت على الحياة .

بين خيارَين

هنا يواجهنا السؤال : أي أفضل للمسنّين والمسنّات ، دمجهم في الأسرة ام ايواؤهم في منازل من نوع الاستراحات أو في دُور خاصة بالعجزة؟ ان التجارب والاستفتاءات التي تناولت الموضوع دلّت على أنه افضل للفريقين ، اي للأهل وللمسنين، إيواء هؤلاء في مكان خاص لاسيما إذا كانوا عاجزين عن الحركة، محتاجين إلى الخدمة، هذا بشرط أن تتوافر لهم أسباب العناية في المنزل المعد لهم. وهناك من يحلّون المشكلة بإسكان المسنّين في منزل مجاور لمنزل الأهل حيث يظلّون على اتصال بالأحباء والأصدقاء وتقدم لهم الخدمة اللازمة من قبل ممرّضين وممرّضات، هذا إذا كانت أحوالهم الاقتصادية تسمح بذلك.

دَور الجمعيات والحكومات

نظراً لضآلة التعويضات الخاصة بالمسنين ، سواء كان مصدرها الضمان الاجتماعي أو معاش التقاعد ، أخذت تتكاثر في عصرنا الجمعيات المهتمة بنجدتهم والتي تقاسم الحكومة مهمة رعايتهم كما هو الحال في لبنان وأقطار اخرى .

في الأقطار المتطورة تقام لهم منازل خاصة منها ما هو معد لاستقبال العجزة المحتاجين الى عناية صحية دائمة ومنها « الاستراحات » التي سبقت الاشارة اليها . هذه تستقبل المحتاجين الى الراحة الذين لا يشكون اوجاعا تضطرهم الى لزوم الفراش .

في كتاب وضعته سيمون دو بوفوار عن أحوال المسنين سنة ١٩٧٠ تصرّح المؤلفة إن أفضل أقطار العالم عناية بالمسنين هي الأقطار الاسكندينافية فتقول إن معدل العمر في بلاد السويد مثلاً يبلغ ٧٦ سنة. سن التقاعد بين ٥٥ و٦٥ للنساء، ٦٥ و٧٠ للرجال. المعاشات تشمل كل المتقاعدين من غير استثناء وقد أنشئت هناك للمسنين، رجالاً ونساء، مدينة خاصة تتألف من ١٣٥٠ منزلاً تؤوي خمسة وأربعين ألفاً من الأشخاص. كذلك تمتاز سويسرا والمانيا الغربية وانكلترا وأقطار أخرى غربية باعتماد وسائل عصرية، علمية، انسانية في معاملة المسنين فتوفر لهم أسباب الراحة والترفيه والمعالجة الصحية.

الاستعداد النفسي

إلاّ أن توفير الحاجات المادية لا يكفي لإسعاد أصحاب هـذه المرحلة. عـلى كل مسن ومسنّة أن يستعد لها استعداداً نفسياً بـاتخاذ مـوقف ايجابي من الحيـاة. موقف شجاعة وتفاؤل يدفعه إلى الاستئناس بالعشرة، التزام الصبر ومؤالفة الألم. كذلك عليه أن يمارس بعض الهوايات المسليـة والمفيدة كـالمطالعـة، الإصغاء إلى الراديو، حضور البرامج التلفزيونية، المشـاركة في الألعـاب والأعمال غـير المتعبة وبالنتيجة، المحافظة على شخصية متزنة، راضيـة عن الواقـع، تجانب الشكـوى والتذمر والتحسر على الماضي ولا يفوتها الاستمتاع بالنكتة والتعبير الظريف.

هناك ألعاب الورق والطاولة والداما التي يقبل عليها المسنون رجالاً ونساء. إلاّ أن أفضـل هوايـات المرأة المسنّـة هي أشغـال الصـوف (الـتريكـو) والنحيف (الدنتلا) وسائر أشغال الصنارة التي تظهر فيها نساء لبنـان براعـة خاصـة. وقد عرفتُ رجالاً غربيين مسنين يمارسون شغل أغطية ومفـارش صوف بـالصنارة في أوقات فراغهم فلماذا لا يقتدي بهم رجالنا؟

في لبنان

منذ بداية القرن الحالي ، ظهرت دُور للعجزة في هذا القطر ، تم انشاؤها على أساس طائفي وبلغ عددها خمسا .

في الآونة الاخيرة نشط الوعي الاجتماعي في لبنان لا سيما منذ تأسيس الضمان الاجتماعي في الستينات ، فأخذت تظهر دُور من صنف الاستراحات ، ست منها قائمة في مناطق مختلفة من لبنان ودُور اخرى في طور التصميم .

على ان الوعي المشار اليه لا يرافقه دراسات علمية للموضوع إلا في القليـل النادر . هذا ما يقوله د. منير خوري احد اساتذة علم الاجتماع في كلية بيروت الجامعية ، الذي قام بدراسة محدودة النطاق حول العناية بالمسنين في لبنان قبل اندلاع الحـرب اللبنانيـة بسنتين، فتبـين لـه أن أكـثريـة المسنـين والمسنّـات يقيمـون مـع أسر أولادهم ، مع العلم بأن الاسرة النواتية التي ينفصل فيها الزوجان عن الوالـدين آخذة في التكاثر ، خصوصا في المدن والقرى الكبرى ، وان العناية بالمسنين في هذه الاسر يوكل امرها الى المرأة . اما النفقة فمصدرها في أكثر الأحوال مايدخره المسنون من مال وأرزاق لآخرتهم .

أظهرت الدراسة أيضا ان نحوا من نصف المسنين يواصلون العمل بعد بلوغهم سن التقاعد لا سيما اصحاب المهن والأعمال الحرة . وانه رغم الاعتقاد بأن اوضاع المسنين لا تثير القلق ولا تؤلف مشكلة في الوقت الحاضر ، يرى الباحث ان المشكلة لا بد ان تبرز بشكل خطير في المستقبل بسبب ازدياد التفكك في الاسرة اللبنانية كنتيجة لتزايد هجرة الشبان ورغبة الاولاد المتزوجين في الانفصال عن والديهم .

لذلك يتحتم على الجمعيات والمؤسسات الخاصة اجراء ابحاث ودراسات جدية للموضوع ، تؤدي إلى تعرّف احوال وحاجات مآوي العجزة والاستراحات الخاصة بالمسنين ، ويدخل في هذا النطاق معرفة قدرتها على الاستيعاب ، تأمين التعاون والتنسيق بينها ، تفقّد أحوالها الصحية ومقدار مراعاتها لأصول التغذية والمعاملة ، وسعيها لتأمين وسائل التسلية للمقيمين والمقيمات فيها .

أما دَور الحكومات فهو القيام بدراسات اجتماعية واسعة النطاق حول الموضوع تستهدف: ١ ـ توحيد سن التقاعد للعمال والعاملات والموظفين والموظفات . ٢ ـ تأمين اعمال جزئية لمن بلغوا سن التقاعد . ٣ ـ توسيع نطاق ضمان الشيخوخة ليشمل جميع المسنين والمسنات ولا يقتصر على الموظفين والعمال .

الرائدة. (النشرة الانكليزية) العدد ٢٠ ، المجلد ٥ ،
أيار (مايو)، ١٩٨٢ ، ص ١٢ و١٤ .
عدد خاص بالمرأة والسن .

الفهـــرس

مقدمة ٥

القسم الأول

١ ـ تاريخ الحركة النسائية وتطورها ١١

كيف يمكن الفتاة أن تكون عاملاً فعّالاً في بيئتها؟ ١٣

المرأة في الأدوار البدائية ١٩

«الفمينيزم» أو نظرية المساواة بين الجنسين،
لأندريه ميشيل ٢٤

المرأة العصرية بين أنصارها وخصومها: أساطير
حول المرأة ٣٦

في أي وجه من الوجوه يجب إنصاف المرأة:
المساواة في الإرث ٤١

جولة في عالم المرأة الغربية: مقارنـة بين امرأة
الأمس وامرأة اليوم، تركيزها على الحرية الاقتصادية ٤٦

لماذا يصوِّت الأمي ولا تصوِّت المثقفة؟ ٥٠

المرأة والحقوق السياسية ـ بمناسبة حصول المرأة
اللبنانية على حقوقها السياسية عام ١٩٥٣ .... ٥٤

المرأة في كتاب «الجنس الآخر» لسيمون دو بوڤوار
تاريخ المرأة تاريخ استعباد طويل (١) ٥٩

المرأة في كتاب «الجنس الآخر» (٢) ٦٤

٢ ـ شخصية المرأة بين الأنوثة والانسانية ٦٩

إرادة القوة ٧١

من «صوفية الأنوثة» إلى «تحقيق الذات» ٧٣

الحركة الرجعية وعواملها ٧٤

دراسة عنوانها «صوفية الأنوثة» ١٩٦٣ لبتي فريدن ٧٥

معنى تحقيق الذات ٧٧

تعليق على رأي بتي فريدن وسيمون دو بوڤوار ٧٨

المرأة بين الواقع والخيال ٨٠

المرأة بين الأنوثة والانسانية: توحيد منهج
التعليم للجنسين ٨٤

نماذج من التقليد. انقذوا الأسرة! انقذوا الأنوثة! ٨٧

فتاة المدينة وحريتها ٩٢

وأنتِ أيضاً؟ ٩٥

هل دبَّ فيك الهرم؟ ٩٨

المرأة والجهاد الأكبر: بناء شخصية جديدة ١٠٠

خلاصة آراء في علامات تحرُّر المرأة ١٠٦

٣ ـ الحركة النسائية في اتجاه العالمية ١١٣

لماذا تقام سنة المرأة؟ ١١٥

خلفيات الحركة النسائية المعاصرة: مشاكل جديدة ـ
سنة المرأة ـ دور المنظّمات ـ مكافحة الأساطير ١١٧

(أ) عادة ختن النساء ـ أضرار وفواجع ١٢٤

(ب) ثلاثون مليوناً من المبتورات ١٢٥

ثلاث آفات يجب مكافحتها: الختن، الاغتصاب، البغاء ١٢٨

كوخ المرأة للعم «سلام»: المرأة وكفاح العنف ١٣٥

المرأة المعاصرة في اتجاه العالمية. دور المؤسسات
النسائية العالمية في حركة التطوير ـ هناك أربعة
عوالم خامسها المرأة ١٤١

مراحل الحركة النسائية المعاصرة في الأقطار العربية ١٥٤

٤ ـ مؤتمرات ودراسات ١٦٧

المساواة المنشودة: أهمية الدراسات النسائية لتحقيقها ١٦٩

قوانين الأحوال الشخصية في الأقطار العربية: مقررات
المؤتمر النسائي المنعقد في بيروت، أيار (مايو) ١٩٧٤ .... ١٧٤

مؤتمر سنغافورة، ٢٧ حزيران (يونيو) ـ ٣ تموز (يوليو)
١٩٧٩ : التربية المهنية النسائية ١٧٧
مؤتمر كوبنهاغن، تموز (يوليو) ١٩٨٠ : الخطة العشرية
والإعداد للمؤتمر ١٨٣
الدراسات والبحوث النسائية في العالم وفي الأقطار
العربية خاصة ١٨٧
دور الجامعات في الحركة النسائية المعاصرة ٢٠٢
«صورة المرأة في الكتب المدرسية في لبنان»
لإلهام كلّاب بساط ٢١٠
صورة المرأة في الصحافة اللبنانية: (بين ١٩٣٥ و١٩٧٥)
لريشار علوش ٢١٨
٦٢٣٣ مليوناً في أقطارنا النامية سنة ٢٠٠٠ :
أخطار تزايد السكان وكيفية تلافيها ٢٣١
الحركة تواصل مسيرتها: كتاب ومؤتمر ٢٣٨
مؤتمر دمج المرأة العربية في التنمية الاقتصادية
ينعقد في قبرص ١٩٨٥ .... ٢٤٥

القسم الثاني

١ ـ كلمات توجيهية في التربية والاجتماع ١٩٤٣ ـ ١٩٨٠ .... ٢٥٣
مقدمة ٢٥٥
التربية قسم أساسي من التعليم ٢٥٧
اقرار التعليم الاجباري المجانـي حاجة ملحّة ٢٦٣
اصلاح التعليم في لبنان ٢٦٦
التفريق الخاطىء بين منهجي البنين والبنات ٢٧٣
التثقيف الشعبي ٢٧٦
الرياء في تربيتنا ٢٧٩
ماذا نقرأ؟ ٢٨٢
نريد صحافة راقية ٢٨٦
هذا الداء القديم ٢٩٠

مظاهر عقلية قديمة ٢٩٣
العناية بالصحة العامة ٢٩٧
انقلاب خطير في عالم التربية الحديثة ٣٠١

٢ ـ المرأة بين العلم والعمل ١٩٤٨ ـ ١٩٨٠ .... ٣٠٧

المرأة اللبنانية والتعليم العالي ٣٠٩
المرأة العربية والتعليم العالي ٣١٢
المرأة والعمل المنزلي ٣١٥
دمج المرأة في التنمية الزراعية في منطقة الشرق الأدنى ٣٢٠
المرأة والصحافة ٣٢٥
المرأة والعمل: مشكلات ومعوقات ٣٢٨
المرأة والعمل في لبنان ٣٣٤
المرأة كاهنة أو قسّيسة، ألا يحق لها أن تكون؟ ٣٣٨
الفن النسائي الأفضل ٣٤١
المرأة اللبنانية المعاصرة أمام مفترق ٣٤٦
إحصاءات حول عمل المرأة في العالم ٣٥٤

٣ ـ الأسرة والوطن ١٩٤٦ ـ ١٩٨٦ .... ٣٥٧

الأسرة ووظائفها ٣٥٩
وظائف الأسرة في العصر الحديث ٣٦٢
الأسرة وتطورها خلال العصور ٣٦٦
السلبيّات في تقاليدنا العائلية ٣٧٦
الأسرة والوطن ٣٨٣
مشكلة الزواج ٣٩٣
إذا مضى عهد الخدم ٣٩٧
المخدِّر الجديد ٤٠٠
الوحدة في حياة المرأة: كيف تتّقي المرأة
المنفردة شر الوحدة ووحشتها؟ ٤٠٦
المرأة والسن ٤١٠

كلمة المعهد

كان تأسيس معهد الدراسات النسائية في العالم العربي في كلية بيروت الجامعية سنة ١٩٧٣، بمنحة من مؤسسة فورد، بادرة طيبة من الكلية التي كانت رائدة في ميدان توفير فرص التعليم العالي للمرأة العربية. للمعهد أهداف تتلخص بما يلي:

أولاً تقوية العلاقات والاتصالات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات التي تعنى بشؤون المرأة والطفل في العالم العربي وفي أقطار أخرى شرقية وغربية. ثانياً توعية المجتمع العربي بشأن أوضاع المرأة العربية الراهنة وتقييم ما طرأ عليها من تبديلات بتأثير المدنية الحديثة. ثالثاً إثارة الوعي للمكاسب التي يمكن إحرازها من تطوير لإمكانات المرأة وإدماجها في مشاريع التنمية بحيث لا ينحصر نشاطها في البيت ومراكز التربية فحسب بل يمتد إلى كل المجالات ويضمن لها احتلال مراكز قيادية.

أما الوسائل التي يعتمدها المعهد لتحقيق أهدافه فهي: **أولاً** التوثيق أي جمع المصادر والمنشورات التي تؤلف مرجعاً للبحث العلمي في موضوع المرأة العربية، ثانياً إعداد ونشر الأبحاث العلمية التي تعالج موضوعات نسائية مختلفة، ثالثاً إعداد النشرات الإعلامية وفي طليعتها «الرائدة» نشرة فصلية تتناول أخبار نساء العالم عامة ونساء الأقطار العربية خاصة، عقد المؤتمرات المخصصة والندوات لدرس موضوعات المرأة والطفل أو المشاركة في المؤتمرات التي تقام لهذه الغاية في لبنان أو في الخارج إما بتقديم الأبحاث أو بالاشتراك في المناقشات التي تجري فيها، تقديم برامج الدراسات النسائية في الكلية كمادة في قسم الإنسانيات حيث يشترك فيها الذكور والإناث من تلامذة الجامعة. رابعاً أعمال ميدانية تشمل الدورات التدريبية التي تقام بانتظام لمعلمات دور الحضانة ورياض الأطفال والعاملات الاجتماعيات في شتى الميادين.

وكل ما نرجوه أن يتاح للمعهد مزيد من الفرص المؤدية إلى تحقيق أهدافه واستغلال الامكانات العلمية والتقنية التي ينفرد بها بين المؤسسات النسائية في العالم العربي.

بيروت ١٩٨٨

مديرة المعهد

جوليندا أبوالنصر

من مواليد الدامور، لبنان، ١٩٠٩. بدأت تحصيلها الجامعي في كلية بيروت الجامعية («الجونيور كولدج» يومذاك) وتابعته في جامعة بيروت الأميركية، حيث نالت شهادة ب. ع. في الأدب العربي. وفي نطاق التزاماتها الجامعية قدمت سنة ١٩٣٤ دراسة مطوّلة في موضوع تصوّف ابن الفارض. ثم أطروحة لنيل درجة الماجستير (١٩٤٥)، عنوانها «النقد الجمالي وأثره في النقد العربي»، نشرتها في ١٩٥٢ واتبعتها مقالات نقدية في الصحف والمجلات ثم دراسات في كتب منشورة منها «جبران في آثاره الكتابية»، «تمهيد في النقد الحديث»، «التوهج والأفول في سيرة مي زيادة وأدبها»، «نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر». مارست التعليم في معاهد مختلفة ومنه نبع توجيهها نحو التأليف المدرسي فنشرت «الانشاء الحديث» في جزأين للصفوف الثانوية و«البيان الحديث في البلاغة والعروض». وفي المدارس عينها، كانت ممارستها للنشاطات اللامنهجية ومشاركتها في اعداد البرامج الثقافية والترفيهية، حافزاً لها على وضع مجموعات من الأغاني والأشعار المدرسية والتمثيليات وسلاسل قراءة وقصص للأولاد وللناشئة، نشرت تباعاً بين ١٩٤٨ و١٩٨٧.

قضية المرأة نالت قسطاً وافراً من اهتمامها. عالجتها في محاضرات ومقالات نشرت في صحف ومجلات مختلفة، منها «صوت المرأة» التي راسلتها منذ تأسيسها في ١٩٤٥ حتى توقفها في ١٩٥٨.

بين ١٩٧٦ و١٩٨٤، التحقت بمعهد الدراسات النسائية في العالم العربي (كلية بيروت الجامعية) حيث تسلمت تحرير «الرائدة»، مجلة نسائية فصلية، اتاحت لها التعمق في درس موضوع المرأة ونهضتها الحديثة، فجاء هذا الكتاب، الذي يلقي أضواء على الحركة النسائية المعاصرة، دليلاً على ايمانها بفعالية هذه الحركة وحتمية انتشارها في العالم، وأهمية الدور الذي تستطيع المرأة أن تلعبه، لاسيما في الميادين التي انفرد الرجل بإدارتها فأصبح في حاجة إلى من يشاركه فيها ويقود حملة القضاء على الظواهر البدائية التي تعرقل سير الحضارة.

تصميم الغلاف: ريما خليفة